المعارف القرآنية والمنبر الحسيني

أبحاث قرآنية قيمة من فكر المرجع اليعقوبي (دام ظله)
مُعدة للخطباء الحسينيين كمحاضرات مُعززة بالروابط العزائية (الكوريز)
والقصص الهادفة والأبيات الشعرية مع مقدمة تُبين صفات الخطيب الناجح

إعداد
الشيخ فيصل التميمي

المحتويات

١. مقدمة الكتاب.
٢. نصائح وارشادات لخطيب الجمعة والخطيب الحسيني والمحاضر عموماً.
٣. **المحاضرة(١) بعنوان**: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا).[الإسراء : ٢٣]
٤. **المحاضرة(٢) بعنوان**: (كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى)[سورة العلق : ٦-٧]
٥. **المحاضرة(٣) بعنوان**: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد: ٧]
٦. **المحاضرة (٤) بعنوان**: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) [النور: ٢٢]
٧. **المحاضرة (٥) بعنوان**: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد : ١١]
٨. **المحاضرة(٦) بعنوان**: (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) [الروم : ٥٤] ...
٩. **المحاضرة(٧) بعنوان**: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) [الزمر: ٦٧] [الانعام: ٩١] [الحج: ٧٤]
١٠. **المحاضرة(٨) بعنوان**: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [الضحى: ١١] نشر ولاية أهل البيت (عليهم السلام)
١١. **المحاضرة (٩) بعنوان**: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف/١٠٨)
١٢. **المحاضرة(١٠) بعنوان**: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم)[الحديد : ١٢]
١٣. **المحاضرة(١١) بعنوان**: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [العصر: ٣]
١٤. **المحاضرة(١٢) بعنوان**: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء : ١٠٣]
١٥. **المحاضرة(١٣) بعنوان**: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَر) [العنكبوت : ٤٥]
١٦. **المحاضرة(١٤) بعنوان**: (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) [آل عمران : ٣٨] الحث على تكثير النسل
١٧. **المحاضرة(١٥) بعنوان**: (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) [الحج : ٤٠] ... (سُنة التدافع)
١٨. **المحاضرة(١٦) بعنوان**: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) [الملك : ٣٠]
١٩. **المحاضرة(١٧) بعنوان**: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم) [النساء: ٦٩]
٢٠. **المحاضرة(١٨) بعنوان**: (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) سُنة الاستبدال
٢١. **المحاضرة(١٩) بعنوان**: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [هود: ٦١] الإسلام وإعمار الحياة
٢٢. **المحاضرة(٢٠) بعنوان**: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ)[هود : ٨٨] ...
٢٣. **المحاضرة(٢١) بعنوان**: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) [الحج: ١١]عدم الثبات على الحق...
٢٤. **المحاضرة(٢٢) بعنوان**: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) [الإسراء : ١٩] ...

٢٥. **المحاضرة(٢٣) بعنوان**: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) [إبراهيم : ٤٢] عاقبة الظلم...

٢٦. **المحاضرة(٢٤) بعنوان**: (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا) [إبراهيم : ٢٨] ...

٢٧. **المحاضرة(٢٥) بعنوان**: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: ٦٠] الدعاء: فضله وظروف استجابته...

٢٨. **المحاضرة (٢٦) بعنوان**: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُون) [الزمر: ٣٠] دروس وعبر من وفاة رسول الله.

٢٩. **المحاضرة(٢٧) بعنوان**: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا...)

٣٠. **المحاضرة(٢٨) بعنوان**: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [التوبة : ١٨] .

٣١. **المحاضرة (٢٩) بعنوان**: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [المائدة : ٥٤] الحُب الإلهي.

٣٢. **المحاضرة (٣٠) بعنوان**: (لِيَبْلُوَكُمْ) [الملك : ٢] سنة الابتلاء.

٣٣. **المحاضرة(٣١) بعنوان**: (وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) [الرعد: ٢١] .

٣٤. **المحاضرة(٣٢) بعنوان**: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الأعراف : ١٥٦] موجبات الرحمة الإلهية.

٣٥. **المحاضرة(٣٣) بعنوان**: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) [هود : ١٠٨] حقيقة السعادة.

٣٦. **المحاضرة (٣٤) بعنوان**: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) [الصافات : ٢٤] المسؤوليات الثابتة والمتحركة.

٣٧. **المحاضرة(٣٥) بعنوان**: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ..) قابلية الشعوب على الاستعباد.

٣٨. **المحاضرة(٣٦) بعنوان**: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء) [يوسف: ٢٤] .

٣٩. **المحاضرة(٣٧) بعنوان**: (وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) [الأنفال : ٤٦] التنازع يؤدي الى الفشل.

٤٠. **المحاضرة(٣٨) بعنوان**:(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَان) تأسيس بناء الإنسان على التقوى.

٤١. **المحاضرة(٣٩) بعنوان**: (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرا) [البقرة : ٢٦٩]

٤٢. **المحاضرة(٤٠) بعنوان**: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً) [التحريم : ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم, والحمد لله كما هو أهله, وكما يستحق ويرضى، و أفضل الصلاة و أتم السلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يحتوي هذا الكتاب الذي بين يديك على مجموعة من المحاضرات والأبحاث القيمة لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي(دام ظله) وقد قمنا بترتيبها بشكل يخدم الإخوة الخطباء الحسينيين وذلك بإضافة بعض الشواهد المُعززة لها؛ كالروايات الشريفة والأبيات الشعرية والقصص الهادفة، كما وضعنا لكل محاضرة منها (كوريزاً) أو أكثر خاصاً بها، وهو ما أطلقنا عليه اسم (الربط العزائي) الذي يتيح للخطيب الحسيني الانتقال من جو الموعظة والمحاضرة إلى جو المصيبة و إقامة العزاء والرثاء على الإمام الحسين(عليه السلام) أو سائر مصائب أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام أجمعين)، وعند عُرف الخطباء الحسينيين يُصطلح على هذا الانتقال بـ(التخلص) والمقصود منه؛ هو انتقال الخطيب من الموضوع معرّجاً على شاهد تاريخي أو أدبي من و اقعة يوم عاشوراء وما يرتبط بها، أو تذكير بمصيبة شهادة أحد المعصومين (عليهم السّلام).
وقد وضعنا هذه الإضافات إلى أبحاث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) لكي تكون مادة جاهزة للخطباء لكي تغنيهم عن تجشم العناء باستقصاء المصادروالشواهد لرفد هذه المحاضرات القيمة.
ومن غير الخافي على المطلع اللبيب إن هذه المحاضرات والأبحاث تتصف بعناصر عديدة تجعل لها أهمية كبيرة لدى الخطباء الواعين والرساليين وتميزها بشكل ملحوظ في الأروقة العلمية والفكرية، نذكر منها باختصار ما يلي:

١. إنها تمتاز بالعمق الفكري والمعرفي والخصوبة البحثية التي تجعلها مادة جاهزة يمكن للباحثين والمفكرين أن يستخلصوا منها العديد من الدروس والفو ائد العلمية.
٢. الاتصاف بعنصر الشمولية فهي تتطرق لمختلف ميادين العلم والمعرفة. كما أنها تستعرض مختلف الحلول للمشكلات المعاصرة التي تكتنف العديد من شر ائح المجتمع.
٣. إنها تخاطب جميع الفئات العمرية كما إنها تتصف بما يُعبر عنه بـ(السهل الممتنع) التي تجمع بين العمق الفكري والسلاسة الخطابية التي تبتعد عن التعقيد اللفظي والبلاغي الذي يصعب على محدودي الثقافة استيعابها والاستفادة منها.
٤. الاتصاف بعنصر الحداثة والتجديد في الخطاب، فهي تلبي حاجة أبناء العصر، وتواكب المرحلة بكل ما تعني الكلمة من معنى، وخصوصاً الأبحاث القر آنية والفقهية والتاريخية التي تتناول سيرة المعصومين (صلوات الله عليهم) بشكل حداثوي قل نظيره في الأوساط العلمية.

٥. الابتعاد كل البُعد عن الترف الفكري، والطرح التقليدي المعتاد عند البعض، الذي يورث للسامعين السأم والملل، ولا يرفد حياتهم العملية بالتحصينات اللازمة في مواجهة تحديات الحياة، سواء مع النفس أو الشيطان أو في التعامل مع الآخرين.
٦. تعزيز الأطروحات والآراء العلمية بالأدلة والشواهد النقلية والعقلية، التي تجعل هذه الأبحاث رصينة فكرياً ومعرفياً، وهذا يُتيح للأخوة المحاضرين والباحثين الاستناد عليها، والاستدلال بها، في محاضراتهم وبحوثهم المختلفة.

وفي الختام أسأل من الله السميع المجيب أن ينفعنا بهذا العطاء الزاخر لهذا المرجع الفذ المعطاء، ويجعلنا ممن يُحسن إيصال هذا الفكر النير إلى جميع الناس، لكي يسعد حياتهم في الدنيا ويمنحهم الفوز في الآخرة.

فيصل التميمي
كربلاء المقدسة
١٨ ذ.ج الحرام ١٤٣٩هـ

نصائح وارشادات لخطيب الجمعة والخطيب الحسيني والمحاضر عموماً:

نذكر فيما يلي أبرز النصائح والارشادات التي ينبغي للخطيب والمحاضر عموماً الالتزام بها، وهي:

١. **التحلي بصفة الإخلاص لأنه ملح القبول وأداة الوصول وعلى الخطيب تصفية النية من كل ما يشوبها، كالرياء وحب السمعة والشهرة. ويحاول قدر المستطاع أن يجعل الكلمات تخرج من قلبه وليس من لسانه فقط، فما يخرج من القلب يدخل إلى القلب وما يخرج من اللسان لا يتعدى الأذان.**
٢. **أن تكون أقوال الخطيب مطابقة لأفعاله قدر المستطاع.**
٣. **الظهور بالمظهر الجيد واللائق فإن ذلك مما يعزز مقبوليته وتأثيره في نفوس الجمهور.**
٤. **التحضير والاستعداد الجيد للخطبة، وليكن ذلك قبل أيام من موعد إلقائها.**
٥. **على الخطيب أن يُحسن اختيار موضوع الخطبة أو المحاضرة فعليه أن يختار ما يثير اهتمامه فكلّما كان مقتنعاً بالفكرة العامة للموضوع كلّما استطاع التأثير على غيره بشكل كبير و أفضل.**
٦. **حاول أن تكون مُلماً بموضوع خطبتك بشكل جيد، وأن تجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه، بحيث تصبح خبيراً نوعاً ما به، لأن ذلك يساعدك في السيطرة على طرح الموضوع بطلاقة واريحية بشكل أفضل، ولكي تكون جاهزاً للرد على أي سؤال يتوجه إليك من قبل الجمهور بعد انتهاء الخطبة.**
٧. **التحلي بالثقافة العلمية الرصينة. وكذلك الاتصاف بقوة البيان وفصاحة اللسان فهذه الصفات تُعد من أبرز مميزات الخطيب الناجح التي تشد الجمهور وتكسبه هيبة في نفوسهم.**
٨. **محاولة السيطرة على قلقك أو ارتباكك الذي قد يداهمك عند حضور الاجتماعات أو عند إلقاء حديث ما، فهو السبب الذي يوقعك في فخ استخدام الكلمات أو الحروف الزائدة. والتلعثم في نطق الكلمات، ولكي تتجنب ذلك عليك أن تُركز على كيفية انتقاء كلمات تساعد على توصيل الفكرة للمُتلقين، بدلاً من أن تشغل نفسك بنظرة الناس لك، وحاول أن تعزز ثقتك بنفسك ولا تستسلم للخوف أو الخجل أو الفشل أبداً.**
٩. **سيطر على مقدمة الخطبة، وحاول أن تتقنها كالبداية بالتفاتة قرآنية أو روائية أو أخلاقية أو بقصة هادفة أو إحصائية معينة أو طرح تساؤل أو بيت شعري وغير ذلك. فبعض خبراء الإلقاء يرون إن اكتساب انتباه الجمهور وجذبهم لخطبتك يحدث في الدقيقة الأولى من المقدمة، فإن خسرت المقدمة أو بدأتها بشكل غير جيد فاعلم أنك خسرت نقطة مهمة في رحلة إلقائك، فأبرز ما يقع فيه الخطباء والمحاضرون من أخطاء هي البداية الضعيفة، ثم يصعّدون تدريجياً أثناء مضي بعض الوقت، وحينئذ ستكون مرحلة كسب الانتباه قد ولّت منذ زمن.. لذا عليك أن تعلم أن الإلقاء المتميز كرحلة الطيران الناجح تماماً، فهي تبدأ بإقلاع ناجح وهو المرحلة الأكثر خطورة في الرحلة، وكذلك مقدمة الخطبة فهي المرحلة الأهم فيها،**
١٠. **كما ينبغي عليك أن تتقن خاتمة خطبتك فإن أهمية الخاتمة لا تقل أهمية عن المقدمة، فأكثر ما يبقى في الأذهان هو ما يُقال في النهاية وفي خواتيم الأمور، ودائماً يكون له الأثر الأكبر والأكثر رسوخاً في ذهن الجمهور المتلقي. فمن أهم أساليب ترك انطباع حسنٍ عند مقابلة شخص معين، هو إبداء الابتسامة وطرح الكلام الجميل في بداية اللقاء وفي نهايته، وذلك حسب القاعدة التنمويّة التي تقول بأن الانطباعات الأولى والأخيرة هي التي تدوم وتعلق في الذهن. لذا حاول أن تسيطر عليها بشكل جيد، وأن تشد انتباه الحضور وتلفت أنظارهم، بغية جعل رحلة إلقائك ليست ذات إقلاع جيد فحسب، بل ذات إقلاع محترف أيضاً، بشرط أن يكون هذا العمل بنية طلب مرضاة الله تعالى والتأثير في الناس لأجل إصلاحهم وهدايتهم وليس لأجل طلب الشهرة والسمعة.**
١١. **المحافظة على وحدة موضوع المحاضرة لذا على الخطيب تجنب القفز من نقطة لأخرى بسرعة لأن ذلك يجعل المستمع في نهاية الخطبة مشوش الذهن والأفكار. ولهذا ينبغي أن يقتصر الخطيب على موضوع واحد يستوفي**

عناصره، ويستوعب معالجته، لأن تشعب الموضوعات وتعدد القضايا في المقام الواحد يُشتّت الأذهان، ويُنسي بعضها بعضاً، وهذا لا يمنع من الخروج النسبي غير المشتت للبحث عن الموضوع الأصلي إذا كان في ذلك فائدة جيدة للسامعين.

١٢. الخطيب الناجح هو الذي يتقن في حديثه استثمار الأسلوب العقلي والأسلوب العاطفي فيورد الشواهد والأدلة التي تثير العقول ويتطرق في حديثه أيضاً لما يحرك مشاعر الجمهور ويهز عواطفهم وحماسهم.

١٣. اتقان فن تقسيم نبرات الصوت حسب نوع الكلام وأهميته والتمتع بالصوت العذب، والنبرة القوية أثناء طرح الكلمات، بشكل لا يشوبه الافراط أو التفريط، فحُسن الإلقاء وجمال العرض هو أحد عوامل جذب المستمع لسماع الخطبة، وهو أحد العوامل المُؤثِّرة في العقل والوجدان بمسألة الإقناع، فلا بد من الوضوح والطلاقة وتغيير اللهجة لجذب السامع، فيهدأ ويُسرع ويبطئ ويغضب ويعجب ويصمت...ونحو ذلك.

١٤. الابتعاد كل البُعد عن تقليد الخطباء الآخرين لأن هذا الأمر يثير اشمئزاز السامعين ويسبب نفورهم من شخص الخطيب، فلا تتكلف في إلقائك وتحدث بأريحية تامة تناسب طبيعتك الشخصية.

١٥. عدم الوقوع في فخ النفس والشيطان الذي يجعل الخطيب يحسد أقرانه من الخطباء لأنه قد يرى خصلة ما يتميزون بها عليه، وإذا وقع الخطيب ، والعياذ بالله ، بهذا الفخ فإن ذلك هو بداية السقوط والخسران الأكبر.

١٦. التحلي بالأريحية وسعة الصدر وتقبل النصيحة من النقاد المخلصين والأخوة الغيورين على مصلحتك.

١٧. تقسيم النظرات على جميع السامعين لخطابك وعدم التركيز على جهة واحدة أو أفراد معينين.

١٨. تجنب قدر المستطاع ذكر أسماء الجهات أو الاشخاص الذين تنقد تصرفاتهم السيئة، وإن اضطررت إلى ذلك فاليكن بالتلميح لا بالتصريح، لأن التصريح سيكون سبباً لزرع الشحناء والضغينة.

١٩. تجنب التلفظ بالكلمات الفاحشة والبذيئة وغير اللائقة.

٢٠. الابتعاد عن أسلوب السجع المتكلف وعن البلاغة المتكلفة والكلمات المبهمة التي لا يُفهم معناها بسهولة.

٢١. عدم التكلم بعجلة وسرعة مفرطة و أيضاً عدم التكلم ببطيء شديد فكلاهما مما يؤثر سلباً على أداء الخطيب.

٢٢. عدم إطالة زمن الخطبة لذا يفضل أن لا يتعدى زمن الخطبة عن الـ(٤٥) دقيقة .

٢٣. تجنب ذكر الأحاديث الموضوعة والمكذوبة والضعيفة .

٢٤. لملمة الحديث وعدم الوقوع في فريسة الاختصار المجحف أو الافراط الممل، لذا فعلى الخطيب أن يتقن استثمار الوقت بشكل جيد.

٢٥. اتقان فن التلاعب بنبرة الصوت وبلغة الجسد وتجسيد الحركات المتزنة التي تعطي تأثيراً إضافياً في نفوس المخاطبين وتشدهم إلى موضوع الخطبة وتصونهم من عوامل التشتت والشرود الذهني الذي هو من أشد الآفات على المخاطبين، على أن يكون ذلك مع المحافظة على الهيبة والوقار.

٢٦. الابتعاد كل البُعد عن طرح الخرافات والخزعبلات والآراء الهابطة التي لا مسند شرعي أو عقلي لها.

٢٧. عدم تكرار الخطب إذا كنت في نفس المكان ولنفس المخاطبين.

٢٨. الاستفادة من خطب ومحاضرات العلماء والخطباء البارعين مادة وأسلوباً.

٢٩. الاهتمام بالمناسبات الدينية المهمة كمناسبات مواليد المعصومين(عليهم السلام) واستشهادهم وحلول الأيام والأشهر الشريفة كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان وموسم الحج وغيرها الكثير.

٣٠. اتقان ايجاد المناسبة المحمودة بين موضوع الخطبة والمناسبة الموجودة، والمحاولة بربط موضوع الخطبة بواقعنا المعاصر قدر المستطاع.

٣١. الخطبة الارتجالية أفضل من الخطبة المقروءة بالورقة، لأنها تؤثر في نفوس الناس بشكل أفضل.

٣٢. تطريز موضوع الخطبة بالشواهد الجميلة التي تزيد من جماليتها كالآيات القرآنية المباركة وكالروايات الشريفة والأمثال والحكم الهادفة و أبيات الشعر الجميلة والقصص المعبرة.

٣٣. تجنب الدخول في المسائل التي تثير حفيظة السامعين أو جهة معينة من المجتمع بما لا يرضى الله تعالى، كما ينبغي عدم الاتيان بجديد على الناس لا يعرفونه يثقل على نفوسهم وثقافتهم لأنه قد يتسبب بأنكارهم وعدم تصديقهم بل لعل بعض المعلومات والحقائق تسبب زعزعت أيمان الناس فليس كل ما يعلم يقال.

٣٤. الابتعاد عن الترف الفكري وعن الموضوعات الثانوية والهامشية وعن الكلام المليء بالمثاليات التي لا يمكن للسامعين من تطبيقها أو استيعابها.

٣٥. على الخطيب أن لا يذكر على المنبر شيئاً غير متأكد من صحته، وعليه أن يدقق في صدق وصحة ما يورده من معلومات ووقائع على السامعين، وإذا شك في دقة معلومة معينة أو احتمالية تعدد الآراء فيها فعليه أن يُعبر عن ذلك بكلمات تُبين للسامعين هذه المسألة كأن يقول (لعل، يبدو، حسب فهمي أو في حدود ما أفهم، نُقل أو يُنقل، يُقال، ذكرت إحدى المصادر... ونحو ذلك) كما يجدر بالخطيب أن يتجنب صفة التعميم إلا إذا كان متأكداً من ذلك تماماً.

٣٦. على الخطيب أن يتقن فن تنويع المثيرات كتكرار الكلمة أو بعض المعاني بألفاظ مختلفة، وكالإشارة ، والحركة، والنظرة، وتغيير نغمة الصوت، فإن جميع هذه التأثيرات الحسية لها أثر بالغ في قلوب الجمهور.

٣٧. استخدام أسلوب تقسيم مادة البحث إلى عدة نقاط أو عدة مراتب أو فقرات ثم يقوم بطرحها على السامعين. كأن يحدد موضوع بحثه على سبيل المثال إلى ثلاثة أقسام أو مستويات أو أربعة أو خمسة .. إلخ .

٣٨. أستثمر قوة الصمت، فمن الأفضل أن تتوقف عن الكلام تماماً لثانية أو ثانيتين، بدلاً من أن تستخدم كلاماً زائداً لغير فائدة، بينما أنت منهمك في البحث عما تريد أن تقوله. جَرب أن تصمت بثبات، فهذا سيساعدك كثيراً على أن تفكر لتعرف كيف تسترسل بطلاقة في حديثك.

٣٩. اعرف جمهورك، فعليك، قبل أن تبدأ بإلقاء خطبتك حاول أن تقوم بجمع بعض المعلومات عن جمهورك، وعن طبيعة عملهم وتفكيرهم ومحاولة التعرف على مستواهم العلمي والثقافي، لأن هذه المعرفة تلعب دوراً مهماً في التقرب منهم، واكتساب الإعجاب بشخصيتك وخلق نوع من الألفة معهم.

٤٠. من الأفضل أن يشاهد الخطيب ويسمع تسجيله المصور وهو يُلقي خطابه لكي يتعرف بنفسه وبشكل أدق على إيجابياته وسلبياته.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة (١) بعنوان: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا).[الإسراء : ٢٣]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

الآيات الكريمة والروايات الشريفة الواردة في وجوب بر الوالدين والاحسان اليهما وحرمة عقوقهما كثيرة جداً:

- قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء : ٢٣]
- {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ}، {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
- {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف : ١٥]
- {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [البقرة : ٨٣] .

أما الروايات فكثيرة جداً نذكر منها:

- ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما سُئل عن حق الوالدين على ولدهما قال (صلى الله عليه وآله) باختصار(هما جنتك ونارك).
- وعنه (صلى الله عليه وآله)قال (رضى الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد).
- وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (برُّ الوالدين اكبر فريضة)[١]. هذا معنى واضح ومعروف ولا يحتاج الى بيان وتفصيل وكل الذي علينا هو التنفيذ والالتزام بكل حب ومودة ورحمة وصبر وسعة الصدر.

أبوا هذه الأمّة:

أما ما اريد ان اشير اليه فهو مصداق آخر للوالدين تنطبق عليهما هذه الآيات والروايات بل هي فيهما آكد وأشد، وتبينهُ الرواية التالية، روى الشيخ الصدوق بسنده عن انس ابن مالك قال : (كنت عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الشهر الذي أصيب فيه وهو شهر رمضان فدعا ابنه الحسن (عليه السلام) ثم قال: يا أبا محمد اعل المنبر فاحمد الله كثيرا، و أثن عليه، واذكر جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأحسن الذكر، وقل: لعن الله ولدا عق أبويه، لعن الله ولدا عق أبويه، لعن الله ولدا عق أبويه، لعن الله عبدا أبق من مواليه، لعن الله غنما ضلت عن الراعي[٢] و انزل. فلما فرغ من خطبته ونزل اجتمع الناس إليه فقالوا: يا ابن أمير المؤمنين و ابن بنت رسول الله نبئنا [الجواب] فقال: الجواب على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال أمير المؤمنين: إني كنت مع النبي (صلى الله عليه وآله) في صلاة صلاها فضرب بيده اليمنى إلى يدي اليمنى فاجتذبها فضمها إلى صدره ضما شديدا ثم قال لي: يا علي، قلت: لبيك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: أنا و أنت أبوا هذه الأمة، فلعن الله من عقنا، قل: آمين، قلت: آمين. ثم قال: أنا و أنت موليا هذه الأمة فلعن الله من أبق عنا، قل: آمين، قلت: آمين، ثم قال: أنا و أنت راعيا هذه الأمة فلعن الله من ضل عنا، قل: آمين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): وسمعت قائلين يقولان معي: " آمين "

---

(١) راجع هذه الروايات وكثير غيرها في ميزان الحكمة . ٥٦٧/٩.

(٢) في رواية اخرى ان الفقرة الثالثة (لعن الله من ظلم أجيره) وذكر في معناها (الا و اني و انت اجيرا هذه الامة فمن ظلمنا أجرتنا فلعنة الله عليه).

فقلت: يا رسول الله ومن القائلان معي " آمين "؟ قال: جبرئيل وميكائيل)[٣]. وورد في تفسير فرات بن ابراهيم بسنده عن الامام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى { أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان : ١٤] قال (رسول الله (صلى الله عليه وآله)وعلي ابن ابي طالب (عليه السلام)) .

وفي تفسير القمي في قوله تعالى (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) قال: (فالوالدان رسول الله (صلى الله عليه وآله)وامير المؤمنين (عليه السلام))، وورد عن جابر عن الامام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد : ٣] انه امير المؤمنين (عليه السلام)، وما ولد من الائمة عليهم السلام وورد في تفسير قوله تعالى {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ } [الأحقاف : ١٥]) هما رسول الله وعلي ابن ابي طالب (صلوات الله عليهما).

ويشرح في تفسير العسكري معنى ابوتهما (صلوات الله عليهما) قال (ولقد قال الله تعالى (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)افضل والديكم واحقهما بشكركم محمد وعلي، وقال علي ابن ابي طالب (عليه السلام) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول انا وعلي بن ابي طالب ابوا هذه الامة، ولحقُّنا عليهم اعظم من حق والديهم فانا ننقذهم ان اطاعونا من النار الى دار القرار ونلحقهم من العبودية بخيار الأحرار)[٤].

في معنى الأب:

قال الراغب في المفردات (الاب) : الوالد ويُسّمى كل من كان سببا في ايجاد شيء او صلاحه او ظهوره اباً ولذلك يسمى النبي (صلى الله عليه وآله)ابا المؤمنين، قال الله تعالى {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب : ٦] روي انه (صلى الله عليه وآله)قال لعلي (انا و انت ابوا هذه الامة).

حياتان ووجودان:

فالإنسان له حياتان ووجودان: الاولى: حياة ووجود بدني مادي في هذه الحياة الدنيا به يأكل ويشرب ويتحرك ويتزوج مما يشارك فيه الحيوانات وينتهي بالموت، واصله من الوالدين النسبيين الاب والام مما اوجب لهما الحقوق المعروفة للوالدين.

الثانية: حياة ووجود معنوي به يتكامل ويسمو ويرتقي وهو الموجب للفوز في الحياة الابدية وقوامه الايمان بالله تعالى وبما جاءت به رسُلُه، وهذه هي الحياة الحقيقة للإنسان {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} [العنكبوت : ٦٤]، وقد وصف الله تعالى في آيات كثيرة من القران الكريم الايمان بالحياة والكفر بالموت {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ} [آل عمران : ١٦٩] وضرب امثلة عديدة للمؤمن والكافر بالأرض الميتة فأحييناها بماء الايمان والمعارف الالهية.

الابوة المعنوية:

والنبي (صلى الله عليه وآله) وامير المؤمنين علي (عليه السلام) هما اصل هذه الحياة المعنوية ووجودنا فيها ولولاهما لكنّا اموتاً {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف : ٤٣] فهما ابوا هذه الامة في حياتها المعنوية ولأنها الحياة الاهم والاسمى كان حقهما (صلوات الله عليهما) اكبر من الوالدين النسبيين. ولعل مما يدل عليه من القران الكريم لرفع الاستغراب قوله تعالى {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ } [الزخرف : ٢٢] فقد حُمِل على العلماء (اي علماءنا الذين ربونا بالعلم بدلالة قوله تعالى { إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} [الأحزاب: ٦٧] وقيل في قوله تعالى (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) انه عنى الاب الذي ولده والمعلم الذي علمه). بل يمكن القول انهما ابوا هذه الامة حتى بالمعنى الاول، لانهما

---

(٣) معاني الأخبار- الشيخ الصدوق: ١١٨/ح١.

(٤) هذه الروايات في بحار الانوار: ٦/٣٦-٩ في باب عنوان (ان الوالدين رسول الله وامير المؤمنين (صلوات الله عليهما) وتوجد روايات اخرى في باب بعنوان (تأويل الوالدين والولد والارحام وذوي القربى بهم) في بحار الانوار:٢٥٧/٢٣.

العلة الغائية للموجودات خلق الكون لأجلهم وبهم يرزقون وبهم تستمر الحياة (ولولاهم لساخت الارض باهلها) وبهم يسبب الله الاسباب.

لنكن أبناء بارّين:

والى الان نكون قد عرفنا جانبا من الحديث الذي له اتجاهان لان الابوّة من المعاني المتضايفة كما يعبر اهل المنطق والاصول اي النسبية ذات الاتجاهين، فلا تتحقق الابوّة الا بالبنوّة، لذا علينا ان نلتفت الى هذا التشريف العظيم الذي منَّ الله تعالى به علينا اذ جعلنا ابناءاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)وعلي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي يعرف قيمته مثل الامام الصادق (عليه السلام) حين يقول (ولايتي لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أحب إلي من ولادتي منه، لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل)[٥].

لنقرأ الآيات برؤية جديدة:

وحينئذٍ نقرأ الآيات الكريمة بهذه الرؤية الجديدة (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ} {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) وتقدم ان حقهما (صلوات الله عليهما) اعظم من حق الوالدين الذي عرفنا عظمته، عن الامام الحسن السبط (عليه السلام) قال (محمد وعلي ابوا هذه الامة فطوبى لمن كان بحقهما عارفا ولهما في كل احواله مطيعا يجعله الله من أفضل سكان جنانه ويسعده بكراماته ورضوانه) وعن الامام الحسين (عليه السلام) قال: (من عرف حق ابويه الافضلين محمد وعلي وأطاعهما حق الطاعة قيل له تبحبح في اي الجنان شئت)[٦].

في خصائص البنوة:

وعلينا ان نكون ابناءا بارين مطيعين، نقل في المناقب عن القاضي ابي بكر احمد ابن كامل قوله (يعني ان حق علي على كل مسلم ان لا يعصيه ابدا)[٧].واذا لم تتحقق شروط البنوة فان النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتبرءان منه وينفيان انتسابه اليهما، وتصور العار الذي يلحق من يتبرأ منه ابواه وينفيان نسبته اليهما، عن الامام الرضا(عليه السلام) قال: (اما يكره احدكم ان ينفى عن ابيه وامه الذين ولداه قالوا بلى، قال فليجتهد ان لا ينفى عن ابيه وامه الذين هما ابواه افضل من ابوي نفسه)[٨].

حُكي أن ذئباً نزى على انثى غزال فحملت منه وولدت مولودا اختلف فيه هل هو ذئب ام غزال ليُطبَّق الحكم الشرعي على كل منهما، وتقول الحكاية ان القاضي حكم بان يقدم امامه نوعان من الطعام احدهما من الرياحين والمسك والاخر من الجيف ولحوم الميتة، فان تناول الاول فهو غزال وان تناول الثاني فهو ذئب[٩].

في الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (فإن الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق الحديث وادّى الأمانة وحسُن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسرُّني ذلك ويدخل عليَّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، واذا كان على غير ذلك دخل عليَّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر)(١٠). فالإمام الصادق (عليه السلام) ينسبك فعلاً اليه والى ابائه الطاهرين عليهم السلام وتحمل لقبه اذا تحليت بهذه الصفات.

---

(٥) البحار: ج ٣٩: ص ٢٩٩.

(٦) بحار الانوار: ١٠/٣٦ عن تفسير العسكري :٣٣٠.

(٧) بحار الانوار ١١/٣٦ عن مناقب آل ابي طالب :١٢٦/٣.

(٨) بحار الانوار: ١٠/٣٦ عن تفسير العسكري :٣٣٠.

(٩) (غضوا ابصاركم ترون العجائب) : ٨٩ عن كتاب سلسلة اصول الدين للمرحوم دستغيب: ١٠٩/٢.

(١٠) وسائل الشيعة : كتاب الحج، ابواب احكام العشرة، باب ١ ح٢.

وفي القرآن الكريم قول ابراهيم (عليه السلام) {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} [إبراهيم : ٣٦] فمن سار على نهجه (عليه السلام) و اتبعه كان منه وليس فقط ينتسب اليه وبهذا استحق سلمان الفارسي هذا اللقب في الحديث النبوي المشهور (سلمان منا اهل البيت)(١١) وبالعكس فان الانتساب البدني لا قيمة له اذا لم يكن مقترناً بالطاعة والاتباع، كما حكى القرآن الكريم في ابن النبي نوح (عليه السلام) {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } [هود : ٤٦].

الربط العزائي (الكورين):

وإن بنوّة الانسان لأحد تعرف من خلال المنهج الذي يسير عليه ويرتضيه لنفسه فإن كان صالحاً كان ابناً لرسول الله وأمير المؤمنين (صلوت الله عليهما) وان كان فاسداً منحرفاً فهو ابن لمعاوية ويزيد ونظرائهما.

كما يمكننا ربط العزاء بهذا الموضوع من خلال التطرق إلى العقوق والأذى الذي ألحقته الأمة برسول الله وبأمير المؤمنين(صلوات الله عليهما وآلهما) بسبب تنكرها للإمام الحسين(عليه السلام) فلم تنصره بل وتظاهرت على قتاله وهذا من أفظع أنواع العقوق للأب المعنوي وهو الإمام المفترض الطاعة من قِبل الله تعالى، حيث قاموا بقتله وسبوا نسائه وقتلوا أهل بيته وأصحابه (عليهم السلام) وداسوا جسده الشريف بحو افر الخيل...إلخ. وهذا ما وصفه الإمام الحسن(عليه السلام) حيث روي أنه قال للإمام الحسين (عليهما السلام). كما في أمالي الصدوق وغيره. من جملة كلام كان بينهما: «ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك و انتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك و انتهاب ثقلك، فعندها يحل الله ببني أمية اللعنة».

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (حق علي على هذه الأمة كحق الوالد على الولد).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه، وليصل رحمه).
- الإمام علي (عليه السلام): (بر الوالدين من أكرم الطباع).
- أن يسألاك شيئا مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (بروا آباءكم يبركم أبناؤكم).
- وعنه (عليه السلام) - في قوله تعالى: (وبالوالدين إحسانا): (الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لاتكلفهما

ب) الشعر:

قال الشاعر:

حبي إليهم لا يضاهى ماعدا حبي لربي والنبي محمدا
أبو ايا لوجادوا علينا بالرضا يكن الطريق إلى الجنان مُمهّدا
أبو ايا كنتم على الدوام تناضلاً كي تجعلوني بين قومي سيّدا
فأخذت منكم ما يجب وزيادة وكأنكم أنجبتموني واحدا

---

(١١) رواه الحاكم في المستدرك (٥٩٨/٣) ، والطبراني (٢٦١/٦).

وكنت أطلب مالكم تعطونني لم تبخلوا لم تجعلوه مُحدّدا
وبدا عليكم إذا مرضت كآبة وإذا شفيت يزول عنكم ما بدا
وإن تسمعاً أني أحقق مطلبا كنتم لأجلي تفرحان وتسعدا
اليوم أخبروالديّ بأنه حبي إليهم في الفؤاد ممدا
الشمس شهدت والسماء بعطفهم والقمر يشهد والسحاب مؤيدا
والله يشهد لا أبالغ مطلقاً هل مثل ربي في الشهادة شاهدا
يا رب تحفظ والديّ كلاهما واجعل لهم من حوض طه موردا
واكتب لهم حسن الختام لأنه باب العبور إلى النعيم الخالدا

وقال آخر:

زُر والِديكَ وقِف على قبريهما فكأنني بك قد نُقلتَ إليهما
لو كنتَ حيث هما وكانا بالبقا زاراكَ حبْوًا لا على قدميهما
ما كان ذنبهما إليك فطالما مَنَحاكَ نفْسَ الودّ من نفْسَيْهِما

وقال آخر:

أوجب الواجبات إكرام أمي إن أمي أحق بالإكرام
حملتني ثقلاً ومن بعد حملي أرضعتني إلى أوان فطامي
ورعتني في ظلمة الليل حتى تركت نومها لأجل منامي
إن أمي هي التي خلقتني بعد ربي فصرت بعض الأنام
فلها الحمد بعد حمدي إلهي ولها الشكر في مدى الأيام.

ج) القصة:

عن زكريا بن إبراهيم انه قال: كنت نصرانيا فأسلمت وحججت ، فدخلت على الإمام الصادق (عليه السلام) وقلت له: اني كنت نصرانيا وأسلمت، فقال وأي شيء رأيت في الإسلام؟ قلت قول الله عز وجل: "مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء " فقال : لقد هداك الله، ثم قال: سل عما شئت، قلت ان أبي وأمي على النصرانية وأمي مكفوفة البصر فأكون معهم وآكل من آنيتهم، فقال: يأكلون لحم الخنزير، فقلت لا ولا يمسونه، فقال لا بأس، انظر أمك فبرها، وإذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك ، وكن أنت الذي تتولى أمرها وتقوم بشأنها ، ولا تخبرن أحدا انك أتيتني حتى تأتيني بمنى ان شاء الله. قال فأتيته بمنى والناس حوله كأنه سلم صبيان، هذا يسأله وهذا يسأله، فلما قدمت الكوفة كنت أطعمها بيدي واخدمها بنفسي و أتولى جميع شؤونها كما أمرني الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) فقالت : يا بني ما كنت تصنع بي هذا و أنت على ديني، فقلت لقد أمرني بهذا رجل من ولد نبينا يدعى جعفر بن محمد، فقالت والله ان هذه وصايا الأنبياء، اعرض علي دينك يا بني، فعرضته عليها ، فأسلمت، وأدت ما عليها من فروض الإسلام ، ثم توفيت.

قصة أخرى:

عن إبراهيم بن مهزم قال: خرجت من عند أبي عبد الله عليه السلام ليلة ممسياً فأتيت منزلي بالمدينة وكانت أمي معي، فوقع بيني وبينها كلام، فأغلظت لها. فلما أن كان من الغد صليت الغداة و أتيت أبا عبد الله عليه السلام فلما دخلت عليه فقال لي مبتدئا: يا

با مهزم مالك ولخالدة أغلظت في كلامها البارحة؟ أما علمت أن بطنها منزل قد سكنته، وأن حجرها مهد قد غمزته، وثديها وعاء قد شربته؟ قال قلت: بلى قال. فلا تغلظ لها .

نسأل الله تعالى ان يجعلنا اهلاً للتشرف بالبنّوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)وأمير المؤمنين (عليه السلام) وأن نؤدي حقوق هذا الانتساب بفضله وكرمه.

.....

المحاضرة (٢) بعنوان: (كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى)[سورة العلق : ٦-٧]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

الشعور بالغنى:

متلازمة ثنائية بين الشعور بالاستغناء والطغيان يشير إليها القرآن الكريم بأسف وحسرة يدل عليها استعمال لفظ (كلا) التي قيل عنها أنها تعبير عن الردع[١٢]، وإذا طبّقنا هذا المعنى على الآية فتكون ردعاً عن تصور السلوك الطبيعي الفطري الذي تقتضيه الآيات السابقة في بداية سورة العلق من الشكر والطاعة، فتكون بمعنى أداة الاستدراك (لكنّ)، وقيل أن معناها (حقاً).

من الأمراض المعنوية: غرور الغنى:

الأسف والحسرة لوجود هذا المرض المعنوي في الإنسان على خلاف الفطرة وحكم العقل، إذ المفروض أن يكون رد الفعل على تحصيل الغنى هو الشكر والتواضع والاحسان، لا الطغيان والكفر والجحود والتمرد، وهذه المتلازمة المرضية في عالم القلب والنفس أخطر من المتلازمة المرضية في عالم الجسد كمرض الايدز لأن الثاني يفتك بالحياة الدنيوية الزائلة أما الأول فيفتك بالحياة المعنوية الباقية. والغريب أن تكون هذه الثنائية هي الحالة العامة لدى (الإنسان) الذي تذكره الآية وكأنه ملازم لذاته بحيث صحّت نسبتها إلى الإنسان كجنس إلا من عصم الله تعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الغنى يطغي)[١٣] ، وكأن هذه العلاقة دائمية مطلقة، وقال (عليه السلام): (غرور الغنى يوجب الأشر) وهو أسوأ من البطر ويحذر (عليه السلام) من هذه النتيجة بسبب الشعور بالغنى، قال (عليه السلام): (إستعيذوا بالله من سكرة الغِنى، فإن له سكرة بعيدة الإفاقة)[١٤].

---

(١٢) الردع هنا يمكن تصوره عن توقّع النتيجة الطبيعية لاغداق النعم وهو الشكر وطاعة المنعم لأن الذي يحصل على خلاف ذلك وبذلك نردّ إشكال سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) حين قال: (وفكرة الردع خطأ فضيع، لأنه ليس في الآيات السابقات إلاّ الحق فلا معنى للردع عنها) (منة المنان: ٥٦٨/١) فيجاب على القول بأن (كلا) موضوعة للردع بما قربنا من إمكان حملها على هذا المعنى، ويمكن أن يكون الردع عما يليه من الكلام أي عن مقام الطغيان كما في بعض التفاسير، أو نفسرها بمعنى قريب من الردع بناءً على تقريب تعرضها لجملة من التحوّلات بمقتضى القرائن إلى معنى غير مقطوع الصلة عن الأصل، كمعنى الاستدراك الذي ذكرناه ولا مانع من ذلك.

(١٣) غرر الحكم: رقم ٢٣.

(١٤) غرر الحكم: رقم ٢٥٥٥.

معنى الطغيان:

والطغيان في اللغة بمعنى تجاوز الحد، قال تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء) (الحاقة/١١) وعبّر تعالى عن الفيضان بالطغيان قال تعالى: (فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) (الحاقة/٥)، فتفيد الآية إن الإنسان يتجاوز حدود الشرع والعقل والفطرة فيتمرد على خالقه ويخرج عن زي العبودية، ثم يطغى على الناس ويتجاوز عليهم بمجرد أنه يرى نفسه قد استغنى بتوفر بعض الأسباب لديه، وهو شعور باطل لذا كان تعبير القرآن الكريم دقيقاً كما هو شأنه إذ قال (أن رآه) ولم يقل (أن استغنى) لأن شعوره بالغنى وهْم، إذ لا غني حقيقة إلا الله تعالى وكل الخلق محتاجون إليه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر/١٥) وفي دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة (إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري)(١٥)، وإذا وُصف أحدٌ بالغنى فهو نسبي أي بلحاظ توفّر احتياجاته المعاشية واستغنائه عن الطلب من الآخرين. والذي ينصرف إليه لفظ الغنى الموجب للطغيان هو غنى المال وهو معنى صحيح، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: (إنما أتخوف على أمتي من بعدي ثلاث خلال: أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله، أو يتبّعوا زلة العالم(١٦)، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا)(١٧).

من الموعظة:

ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفة أعجب ما في الإنسان وهو القلب قال (عليه السلام): (إن أفاد مالاً أطغاه الغنى وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع)(١٨)، وعنه (عليه السلام): (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل... إن استغنى بَطِر وفُتِن، وإن افتقر قنط ووهن)(١٩) ، فما أعجب هذا الإنسان الذي لا يلتفت إلى مكامن ضعفه و انحر افه. ومن الحكايات في هذا المجال ننقلها للاتعاظ: ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال جاء رجل موسر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)نقي الثوب فجلس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله): أخِفتَ أن يمسّك من فقره شيء؟ قال : لا، قال: فخفتَ أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا ، قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله: إنّ لي قريناً يزيّن لي كل قبيح، ويقبّح لي كل حسن، وقد جعلتُ له نصف مالي. فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أتقبل؟ قال: لا، فقال له الرجل: ولمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك)(٢٠).

موجبات الطغيان عند الشعور الغنى:

أقول: هذا الفهم –أي كون غنى المال موجب للطغيان- صحيح إلا أن الأمر لا يقتصر عليه، فقد يطغى الإنسان بكثرة الولد والأنصار، قال تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) (التكاثر/١-٢) وقال تعالى: (واعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ و تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) (الحديد/٢٠) وقد يطغى بالعلم فيعتدُّ بنفسه (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) (طه/٩٥- ٩٦) (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) (القصص/٧٨). ولاشك أن من أقوى أسباب الطغيان السلطة بكل أشكالها وليس الحكّام فقط، كما حصل لفرعون (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) (طه/٢٤) حتى بلغ به الطغيان حدّاً أن يقول (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

---

(١٥) مفاتيح الجنان: ٤٧٣.

(١٦) أي يتتبعون أخطاء العلماء وينشرونها لتسقيطهم، أو انهم يتبعون ما تشابه من سلوك العالم ويجعلونه ذريعة لزلاّتهم.

(١٧) بحار الأنوار: ٧٢/ ٦٣ح٧.

(١٨) نهج البلاغة: الحكمة ١٠٨.

(١٩) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٠.

(٢٠) الكافي: ٢/٢٦٢ ح١.

(النازعات/٢٤) لأن السلطة تتضمن أدوات القوة والهيمنة والنفوذ (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الزخرف/٥١).

السبب الجامع للطغيان:

والسبب الجامع للطغيان هو حب الدنيا والركون إليها والتعلّق بزخارفها (فَأَمَّا مَن طَغَى وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات/٣٧-٣٩)، والأنانية وتزيين الشيطان، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ومدّت به شياطينه في طغيانه)[٢١].

الشعور بالاستقلالية:

وهنا ننقل التفاتة أخلاقية لسيدنا الأستاذ الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قال: ((و إنما يشعر بالاستغناء إذا (رآه) يعني رأى نفسه بالجنبة الاستقلالية، أو رأى نفسه مستغنياً، أو أنّ رؤيته للنفس هي الاستغناء، أو أنّ هناك ملازمة بين رؤية النفس والاستغناء، فيكون المحصَّل: إن رؤية النفس سببٌ للشعور بالاستغناء، والشعور بالاستغناء سبب للطغيان، أعاذنا الله من كل شر)[٢٢].

عاقبة الطغيان:

فلينتبه الطاغي بكل مستوياته وأشكاله الى أن عاقبته سيئة في الدنيا والآخرة (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (طه/٨١) (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ) (ص/٥٥) (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلْطَّاغِينَ مَآباً) (النبأ/٢١-٢٢) (فَأَمَّا مَن طَغَى * وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات/٣٧-٣٩)، وضرره في الدنيا خطير وسريع، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما أسرع صرعة الطاغي)[٢٣].

أسوأ الطغيان:

ولا شك أن من أسوأ اشكال الطغيان عصيان أوامر الإمام الحجة المنصوب على الخلق ومن نصّبه الأئمة المعصومون عليهم السلام حججاً على الخلق ورد في تفسير قوله تعالى (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ*أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) (الرحمن/ ٧-٨)، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال (الميزان أمير المؤمنين (عليه السلام) نصبه لخلقه) وفي معنى (ألا تطغوا في الميزان) قال (لا تعصوا الإمام)، ومثلها رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (لا تطغوا في الإمام بالعصيان والخلاف)، وقال: (أطيعوا الإمام بالعدل ولا تبخسوه حقه)[٢٤]. وورد عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) (الزمر/١٧)، فخاطب (عليه السلام) أحد أصحابه بالبشارة في هذه الآية (أنتم هم -أي المقصودون بقوله تعالى فبشر عباد- ومن أطاع جباراً فقد عبده) وعن الإمام السجاد (عليه السلام) قال (أيها المؤمنون لا يفتنّكم الطواغيت و أتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا) وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (إياكم والولائج فإن كل وليجة دوننا فهي طاغوت). وروي عن الإمام الصادق قال (مرَّ عيسى بن مريم على قرية قد مات أهلها... فقال: يا أهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب: لبّيك يا روح الله وكلمته، فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا... قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي).

---

(٢١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٧.

(٢٢) منّة المنان: ٥٦٩/١.

(٢٣) غرر الحكم: ٩٥٢٦.

(٢٤) راجع مصادرها في تفسير البرهان: ١٨١/٩.

حينما يتجذر الطغيان في النفس:

ولأن الطغيان يزداد ويتركز في سلوك الفرد إذا استكبر عن سماع النصيحة والموعظة والارشاد، ولم يراجع نفسه ويحاسبها، {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} الذاريات٥٣ {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }الطور٣٢، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ومن طغى ضلّ على عمد بلا حجة)[٢٥] وحينئذ يتجذّر في ذات الإنسان وطبيعته حتى يصبح صاحبه مثالاً للطغيان فيسمّى (طاغوتاً) وحينئذ يكون قدوةً للطغيان والتمرد والمعصية وداعياً لها ومعيناً عليها ويسنّ القوانين المخالفة لشريعة الله تعالى بسوء توفيقه فيضل أمة من الناس باتباعه، قال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة/٢٥٧).

ليحذر الرساليون من مجاملة المستغنين:

ولذا كانت مجاملة المستغنين الطاغين ومداهنتهم بحجة كسبهم وهدايتهم من التصرفات الخطرة على الدين خصوصاً للمتصدّين في العمل الرسالي لأنها تؤدي إلى مزيد من التمرد والطغيان وإغراء لهم بالمضي في هذا الطريق و إقصاء الفقير، قال تعالى ملفتاً نظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى هذه الحقيقة ومحذراً منها (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى) (عبس: ٥-١٠).

العلاج القرآني لحالة الشعور بالغنى:

و انتهت الآيتان محل البحث بإعطاء العلاج لتطهير القلب والنفس من هذه الرذيلة {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى }العلق٨ فإذا التفت إلى هذه الحقيقة و إنه سيموت ويرجع إلى ربّه، فإنه يتيقن من أن غناه وهمٌ زائل وإن كل ما بيده سيفنى ويزول، وسيحاسبه ربّه على طغيانه وتمرده ويأوي إلى شر مآب، ولذا ورد في بعض الأدعية ما يذكّرنا بهذه الحقيقة (الحمد لله الذي قهر عباده بالموت والفناء) ليرغم أنف الطاغين.

في التطبيقات الاجتماعية:

وإذا انتقلنا إلى تطبيقات الآية لنحوّل القرآن الكريم إلى و اقع عملي، فإنّ هذه المتلازمة المنافية لمنطق العقل تتجلى في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، ولنبدأ من داخل الأسرة حيث يغترّ الرجل بسلطته وقيمومته فيطغى ويظلم أهل بيته وكم رأينا من رجال لما صار بأيديهم مال أهملوا أهلهم وتوجهوا إل اللهو والمتعة أو الوقوع في أسر الشهوات الجنسية أو عدم مراعاة مشاعر زوجته ونحو ذلك فيخرب بيته بيده. والمرأة تعتدّ بنفسها لجمالها أو لأنها من الأسرة الفلانية أو لأن لها مرتباً شهرياً جيداً أو لشهادتها الر اقية ونحو ذلك فتشعر بالاستغناء عن الرجل وتطغى وتتمرد وتتعالى وتقصّر في واجباتها فتنهدم أواصر العلاقة الزوجية.

ومن الأمثلة على ذلك طغيان بعض حملة العلم واستعلاؤهم وترفعهم عن الآخرين ورفضهم النصح والتذكير واستهزاؤهم بمن يقوم بذلك، وفرض وضع خاص للتعامل معهم كعدم الرضا الا بتقبيل اليد وإظهار التبجيل والتعظيم لهم ونحو ذلك. أما طغيان الزعامات ومن بيدهم شيء من السلطة فقد ملأ التاريخ بمصائبه وكوارثه، وكذا الزعامات الاجتماعية كبعض رؤساء العشائر والمتنفذين وأمثالهم.

خذ مثلاً أيضاً الغرب الذي اغترّ بالتقدم العلمي الذي توفّر لديه حتى غزا الفضاء وظن أنه قادرٌ على أن يحقق كل ما يريد فطغى وتجبر واستغنى عن ربّه وكفر به وصار التفكير المادي هو قائده ورائده ونسي ضعفه وعجزه وقصوره ونحوها من اللوازم لذاته حتى يأتيهم أمر ربهم {حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}يونس٢٤.

---

(٢٥) الكافي: ٢ / ٣٩٤.

الربط العزائي (الكورين):

بأس الله تعالى في المستغنين:

وقد شهد التاريخ الماضي والحاضر كيف ينهار الطغاة وهم في أوج عنفوانهم كفرعون، (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَـؤُلَاء لَشِـرْذِمَةٌ قَلِيلُـونَ) (الشـعراء/٥٣-٥٤) وكان جـزاؤهم (فَـأَتْبَعَهُمْ فِرْعَـوْنُ بِجُنُـودِهِ فَغَشِـيَهُم مِّـنَ الْـيَمِّ مَـا غَشِـيَهُمْ) (طه/٧٨) وكقارون (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) (القصص/٨١) وكهارون العباسي[٢٦] الذي يخاطب السحاب (أينما تمطري فخراجك لي) وإذا به يمرض مرض الموت وهو في ريعان الشباب فيأمر بحفر قبره وكان يقف عليه ويقرأ الآيات الكريمة (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ) (الحاقة/٢٨-٢٩)... فيمكن ربط العزاء بمصيبة الإمام الكاظم(عليه السلام) وما تعرض له من ظلم وحبس من قِبل هارون العباسي لعنه الله.

فعن عمر بن و اقد قال: إن هارون الرشيد لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليهما السلام، وما كان يبلغه عنه من قول الشيعة بإمامته، واختلافهم في السر إليه بالليل والنهار خشية على نفسه وملكه، ففكر في قتله بالسم فدعا برطب فأكل منه ثم أخذ صينية فوضع فيها عشرين رطبة، وأخذ سلكا فعركه في السم، وأدخله في سم الخياط، وأخذ رطبة من ذلك الرطب فأقبل يردد إليها ذلك السم بذلك الخيط، حتى علم أنه قد حصل السم فيها فاستكثر منه ثم ردها في ذلك الرطب وقال لخادم له: احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر وقل له: إن أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب وتنغص لك به، وهو يقسم عليك بحقه لما أكلتها عن آخر رطبة فإني اخترتها لك بيدي، ولا تتركه يبقي منها شيئا ولا يطعم منها أحدا. فأتاه بها الخادم و أبلغه الرسالة فقال له: ائتني بخلال فناوله خلالا، وقام بازائه وهو يأكل من الرطب وكانت للرشيد كلبة تعز عليه فجذبت نفسها وخرجت تجر سلاسلها من ذهب وجوهر حتى حاذت موسى بن جعفر (عليه السلام) فبادر بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت بنفسها الارض وعوت وتهرت قطعة قطعة واستوفى (عليه السلام) باقي الرطب،

... فقال الرشيد: ما ربحنا من موسى إلا أنا أطعمناه جيد الرطب، وضيعنا سمنا، وقتل كلبتنا ما في موسى حيلة. ثم إن الإمام الكاظم (عليه السلام) دعا بالمسيب وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلا به فقال له: يا مسيب فقال: لبيك يا مولاي قال: إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة، مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لاعهد إلى علي ابني ما عهده إلي أبي وأجعله وصيي وخليفتي، وآمره بأمري قال المسيب: فقلت: يا مولاي كيف تأمرني أن أفتح لك الابواب و أقفالها، والحرس معي على الابواب ؟ فقال: يا مسيب ضعف يقينك في الله عزوجل وفينا؟ فقلت: لا يا سيدي قال: فمه؟ قلت: يا سيدي ادع الله أن يثبتني فقال: اللهم ثبته. ثم قال: إني أدعو الله عزوجل باسمه العظيم الذي دعا به آصف حتى جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه حتى يجمع بيني وبين ابني علي بالمدينة، قال المسيب: فسمعته (عليه السلام) يدعو ففقدته عن مصلاه، فلم أزل قائما على قدمي حتى رأيته قد عاد إلى مكانه وأحاد الحديد إلى رجليه فخررت لله ساجدا لوجهي شكرا على ما أنعم به علي من معرفته. فقال لي: ارفع رأسك يا مسيب واعلم أني راحل إلى الله عزوجل في ثالث هذا اليوم قال: فبكيت فقال لي: لا تبك يا مسيب فان عليا ابني هو إمامك، و مولاك بعدي فاستمسك بولايته، فإنك لا تضل ما لزمته فقلت: الحمد لله. قال: ثم إن سيدي (عليه السلام) دعاني في ليلة اليوم الثالث فقال لي: إني على ما عرفتك من الرحيل إلى الله عزوجل فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها، ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني، واصفر لوني، واحمر واخضر، وتلون ألوانا فخبر الطاغية بوفاتي، فإذا رأيت بي هذا الحدث فاياك أن تظهر عليه أحدا، ولا على من عندي إلا بعد وفاتي. قال المسيب

---

[٢٦] وشهدنا في العصر الحديث كيف قُتل الرئيس المصري (أنور السادات) عام ١٩٨١ وهو في قمة طغيانه ويستعرض قواته المسلحة في ذكرى حرب ٦/تشرين الأول ويملؤه زهو القوة والمقدرة، وهكذا. على كل هؤلاء وكل من يطغى ويتمرد ويستكبر أن يستحضر قدرة الله تعالى، قال تعالى {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} (فصلت/١٥).

بن زهير: فلم أزل أرقب وعده حتى دعا (عليه السلام) بالشربة فشربها ثم دعاني فقال لي: يا مسيب إن هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنه يتولى غسلي، ودفني، وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبدا فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرجات ولا تأخذوا من تربتي شيئا لتتبركوا به، فان كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي (عليه السلام) فان الله عزوجل جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا. قال: ثم رأيت شخصا أشبه الاشخاص به (عليه السلام) جالسا إلى جانبه، وكان عهدي بسيدي الرضا (عليه السلام) وهو غلام فأردت سؤاله فصاح بي سيدي موسى (عليه السلام) وقال لي: أليس قد نهيتك يا مسيب ؟ فلم أزل صابرا حتى مضى، وغاب الشخص ثم أنهيت الخبر إلى الرشيد فوافى السندي بن شاهك فوالله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه، ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونه و أراهم لا يصنعون به شيئا، ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه. فلما فرغ من أمره قال لي ذلك الشخص: يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشكن في فاني إمامك ومولاك، وحجة الله عليك بعد أبي يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق (عليه السلام) ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون، ثم حمل (عليه السلام) حتى دفن في مقابر قريش.

ويمكننا أيضاً ربط موضوع المحاضرة بطغيان وتجبر الطاغية يزيد بن معاوية، فقد نقل الآلوسي عن تاريخ ابن الوردي، وكتاب الوافي بالوفيات: أنه لما ورد على يزيد نساء الإمام الحسين(عليه السلام) وأطفاله، والرؤوس على الرماح، وقد أشرف على ثنية جيرون، ونعب الغراب، قال:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت ... تلك الرؤوس على ربى جيرون
نعب الغراب، فقلت: نح، أو لا ... تنح فلقد قضيت من النبي ديوني

إلى أن قال: وهذا كفر صريح، فإذا صح فقد كفر به ومثله تمثله بقول ابن الزبعرى قبل إسلامه.

ليت اشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً * ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندق ان لم أنتقم * من بني احمد ما كان فعل

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا، فأما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما طالب الدنيا فيتمادى في الطغيان).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إنما أتخوف على امتي من بعدي ثلاث خلال: أن يتأولوا القرآن على غير تأويله، أو يبتغوا زلة العالم، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الغنى عقوبة).
- الإمام علي (عليه السلام): (ما أسرع صرعة الطاغي).
- وعنه (عليه السلام): (الظالم طاغ ينتظر إحدى النقمتين).
- وعنه (عليه السلام) - في صفة أعجب ما في الإنسان وهو القلب -: (إن أفاد مالا أطغاه الغنى)،

ب) الشعر:

قال الشاعر:

ولا تمشِ فوقَ الأرضِ إلا تَواضُعاً فكم تحتَها قومٌ همُ منك أرفعُ
فإن كنتَ في عزٍوخيرٍومنعةٍ فكم ماتَ من قومٍ منك أمنعُ.

وقال آخر:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِي نٌ حَقِيرٌفَصَالَ تِيهًا وَعَرْبَدْ
وَكَسَا الخَزُّجِسْمَهُ فَتَبَاهَى وَحَوَى المَالَ كِيسُهُ فَتَمَرَّدْ
يَا أَخِي لاَ تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنِّي مَا أَنَا فَحْمَةٌ وَلاَ أَنْتَ فَرْقَدْ

ج) القصة:

دخل رجل فقيررث الحال على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بين أصحابه فسلّم وجلس وكان بينهم رجل ثري فلملم ملابسه المترفة الأنيقة عن الفقيروتحاشى الجلوس إلى جنبه، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): هل خفت أن يذهب إليه غناك إذا جلس جنبك؟ قال: لا، قال (صلى الله عليه وآله): وهل خفت أن يصل إليك فقره؟ قال: لا: فلم يجد الثري مبرّر لتصرفه و اعترف بأنها من تسويلات الشيطان الذي يزيّن كل قبيح، ويحبّب كل معصية، ويكرّه الخير والطاعة، وكمبادرة منه لإرضاء الفقيروتأديب نفسه، قال للنبي (صلى الله عليه وآله) قد وهبت نصف أموالي له فعرضها النبي (صلى الله عليه وآله) على الفقيروقال هل تقبلها؟ فقال: لا فسأله عن السبب، فقال: أخشى أن يصيبني ما أصابه. هذه دروس في عاقبة الاغترار بالنعمة والبطر والتكبّر، وتفاهة الدنيا بحيث يرفضها الفقير المعدم، ثم حسن الاعتراف بالخطأ والسعي لتصحيحه.

.....

المحاضرة (٣) بعنوان: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد: ٧]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

من السنن الإلهية:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد٧) تبيّن الآية إحدى القواعد والسنن الالهية، وهي ثنائية متلازمة عبّر القران الكريم المعَبّر عنها بجملة شرطية، الشرط فيها (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ) والجزاء (يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وهي متلازمة تكرّرت في القرآن الكريم كقوله تعالى (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج٤٠).

معنى نصرة الله تعالى:

ولا بدّ أن نفهم أولاً معنى نصرة الله لأن الله تعالى غنيّ عن العالمين ولا يحتاج الى معونة ونصرة احد بل الكل محتاج اليه، وفي نهج البلاغة قول امير المؤمنين (عليه السلام) (فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)[٢٧] فنصرة الله بنصرةِ رسوله (صلى الله عليه وآله)وأوليائه وحججه الذين يدعون الى طاعته ويقيمون الدين ويعملون لتطبيق منهج الله تبارك وتعالى في الأرض وتتحقق نصرة الله بنصرة دينه وتحكيم شريعته واحكامه في و اقع الحياة، قال تعالى (كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ) (الصف١٤) فنصرة الله تعالى تعني نصرة السائرين الى الله تعالى والهادين الى الله تعالى والعاملين لإعلاء كلمة الله تعالى، فهي نصرة لهؤلاء قال تعالى (وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (الحشر٨) و إنما نسبها الى الله تعالى لأكثر من نكتة:

١- لإعطائها أهمية بنسبتها الى الله تعالى ولو نُسِبَتْ النصرة الى رسوله (صلى الله عليه وآله)أو أوليائه فقط لكانت أقل زخماً لذا قرن الله تعالى نصرة رسوله (صلى الله عليه وآله)بنصرته تبارك وتعالى (وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (الحشر٨).

٢- للتنبيه الى شرط القبول وإعطاء الجزاء بأن تكون النصرة وسائر الأعمال خالصة لله تعالى اي ان الجزاء يتحقق حينما تكون نصرة اولياء الله تعالى نصرة لله، هذا الذي يقال في الاصول ان تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعلية، فقد ينصر الشخص رسول الله (صلى الله عليه وآله)أو الإمام ويخرج معه لكنه لهدف آخر غير خالص كالرياء أو الشهرة أو تحصيل منفعة دنيوية أو تعصباً لمدينته أو قبيلته ونحو ذلك فهذه النصرة لا قيمة لها عند الله تعالى. في صحاح العامة عن أبي موسى قال (سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله)عن الرجل يقاتل شجاعة، و يقاتل حميةً ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))[٢٨].

موارد من الالتفاتات حول الآية:

ونلفت النظر الى جملة أمور قد لا يلتفت اليها الكثيرون ممن يتداولون هذه الآية ويجعلونها عنو اناً لبياناتهم وخطاباتهم:

١- إن نصرة الله تعالى مفتوحة على كل المجالات وإن كان أرقاها والذي كانت الآيات بصدده هو القتال في سبيل الله لكن نصرة الله تعالى تتحقق بما لا يحصى من الطرق فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة لله تعالى وغضب له أذا عُصي، وكذا دعوة الناس الى الله تعالى وهدايتهم وإصلاحهم، وتتحقق أيضاً بأي مشروع فيه رضا الله تعالى وصلاح العباد، وبأي حوار تردّ به الإشكالات الموجهة الى الدين أو فيها انتقاص من قادته العظام، وحينما نؤيد مسعى لتطبيق قو انين الله تعالى وأحكامه في حياة الناس كمشروع القانون الجعفري فهذه نصرة لله تعالى، وتتحقق أيضاً بأي خدمة تقدمها للناس المحتاجين لأنك بذلك تدفع عنهم الاعتراض على قضاء الله وقدره فهو نصرة لله تعالى ودفاع عنه كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما سُئل عن لبسه القميص المرقّع البالي وتوزيعه المساعدات بنفسه على بيوت الفقراء والايتام قال: لكيلا يتبيّغ بالفقير فقره)[٢٩] أي لكيلا يغلبه الفقر ويقهره فيؤدي الى الاعتراض على الله تبارك وتعالى. وهكذا تتعدد أشكال نصرة الله تعالى ويتحقق معها الجزاء وهو أن ينصركم الله ويؤيدكم في سائر شؤونكم ويزيد من توفيقكم ويهيئ لكم الاسباب والمقدمات للتقدم ومزيد من الانتصارات، وكلما ازددت نصرة لله تعالى، زاد الله من نصرته لك وتسديدك.

٢- إن الكثيرين يستشهدون بالآية الى قوله تعالى (ينصركم) ويعتقدون ان هذا كافٍ وان هذا هو موضع الحاجة ولا يلتفتون الى ما هو أهم من النصر وهو الثبات عليه الذي ذكرته فإن النصر قد يتحقق لكنه لا يدوم لعدم

---

(٢٧) نهج البلاغة: ١٨٣ / الوصية بالتقوى.

(٢٨) اخرجه الشيخان و ابو داوود والترمذي والنسائي.

(٢٩) نهج البلاغة ٢: ٢٠٤.

توفير إمكانية المحافظة عليه، أو لأنهم بعد أن انتصروا تغيرّت نو اياهم و انحرفت فلم يعودوا مستحقين للنصر، وتزول عنهم نعمة الانتصار ويكون بلا قيمة، كالجيش الذي يهجم على العدو ويأخذ مو اقعه لكنه لا يستطيع الامساك بالأرض فيتراجع عنها ويعود العدو اليها وربما يستغل العدو هذا التراجع ويستفيد من زخم العودة ليتقدم أكثر في عمق هذا الطرف الذي انتصر اولاً، وكمثال من التاريخ نذكر ما حصل للمسلمين في معركة أُحُد فانهم انتصروا في بداية المعركة لكنهم لما عصوا اوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) و اتبعوا اهوائهم والتفتوا الى جمع الغنائم لم يدم ذلك النصر و انقلب الى هزيمة وخسروا شهداء كثيرين، لذا كان التوجيه الرباني بعد ان فتح الله تبارك وتعالى مكة للنبي (صلى الله عليه وآله) وللمسلمين ونصرهم على قريش بحسب سورة النصر {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)} [النصر: ١ - ٣] فعليك ان تسبح الله وتنزهه عن اي وهم وظن بانك صاحب القدرة في تحقيق النصر وتستغفره من كل ما يفقدك هذا النصر ويزيل اسبابه، وهكذا التاريخ حافل بالمنقلبين على الاعقاب.

فقيمة الانتصار في الثبات عليه وإدامته بإدامة الأسباب الموجبة له، ولا شك أن هذا التثبيت هو من مصاديق الجزاء (ينصركم) وأحد مفرداته فيكون من قبيل ذكر الخاص بعد العام كما يقال و انما ذكر تثبيت الاقدام مع انه داخل في عنوان (ينصركم) لأكثر من نكتة:

أ- إلفات النظر اليه والاهتمام به.

ب- ولتمييزه عن ثبات آخر يسبق النصر لا بد أن يحققه العبد الناصر لربه بشجاعة وإصرار ليتحقق الانتصار على العدو كقول طالوت لما بارز جالوت الطاغية (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة ٢٥٠) فتلاحظ ان ثبات الاقدام كان مقدمة للنصر، فيوجد ثبات يسبق النصر وتثبيت يلحقه.

٣- إن كل هذه الألوان من النصرة بما فيها القتال المؤدي الى الموت إنما هي على مستوى (الجهاد الأصغر)، والأسمى من ذلك تطبيق هذه المعادلة على (الجهاد الأكبر) أي على صعيد مجاهدة النفس ومنعها من اتباع الاهواء والشهوات وتطبيعها على طاعة الله تبارك وتعالى والورع والتقوى وتتجرد عما سوى الله تبارك وتعالى حتى تكون احبّ الى الشخص من نفسه ومن كل ما سوى الله تبارك وتعالى، وفي الحديث الشريف (أعدى أعداءك نفسك التي بين جنبيك)[٣٠] فهي تهشّ الى المعصية ويزيّنها الشيطان فمقاومتها نصرة لله تبارك وتعالى على ادعائه الشيطان وأوليائه والنفس الأمارة بالسوء، وحينئذ ينصرك الله تعالى ويزيدك قوة وعزيمة ويرقّيك في درجات التكامل، من دعاء الصباح لأمير المؤمنين (عليه السلام) (وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ، فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلانُكَ إِلى حَيْثُ النَّصَبِ وَالحِرْمانِ)[٣١]، فاذا اعانك الله تعالى ونصرك على نفسك ونجحت في الامتحان وحققت تقدماً في هذه الاشهر المباركة او المشاهد المشرّفة او بحضورك مجالس الصالحين وفي المساجد وصلوات الجمعة والجماعة وغيرها فثبت عليه وادمه ولا تضيّعه بسبب شهوة او غضب او تزيين من شياطين الانس والجن، فان السقوط في الهاوية حينئذٍ يكون مريعاً والعياذ بالله تعالى.

الربط العزائي (الكورين):

يمكن ربط موضوع المحاضرة بنداء الإمام الحسين(عليه السلام) (هل من ناصر ينصرني) حيث بقي بأبي هو وأمي وحيداً يوم عاشوراء لا معين له ولا ناصر... فعندما قهر الإمام الحسين(عليه السلام) أبطالهم وقتل شجعانهم، صاح عمر بن سعد: الويل

---

(٣٠) عدة الداعي ص ٣١٤.

(٣١) مفاتيح الجنان: ٩٤.

لكم! أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه من كل جانب. فحملوا عليه فحمل عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق منهم أحداً إلا بعجهُ بالسيف فقتله، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، وفي خبر أنه قتل ألفاً وتسعمائة وخمسين رجلاً، فحالوا بينه وبين رحله، فصاح: ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا. فناداه شمر: ما تقول يابن فاطمة؟ قال أقولك أنا الذي أقاتلكم و أنتم تقاتلوني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعو عتاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّا. فصاح شمر بأصحابه: تنحّوا عن حرم الرجل و اقصدوه بنفسه، فلعمري هو كفو كريم، فتراجع القوم. فنزلت الملائكة من السماء لنصرته فلم يأذن لهم بشيء، ثم التفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً من أصحابه إلا من صافح التراب جبينه وقطع الحمام أنينه، فخاطبهم وعاتبهم فما سمع منهم جو اباً.

لما رأى السبط أصحاب الوفا قتلوا***نادى أبا الفضل أين الفارس البطل

و أين من دوني الأرواح قد بذلوا***بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا

وخلّفوا في سويد القلب نير انا

ثم نادى برفيع صوته: هل من ناصر ينصرني، هل من معين يعينني؟ فخرج زين العابدين وهو مريض لا يتمكّن أن يحمل سيفه، وأمّ كلثوم تنادي خلفه ارجع. فقال: يا عمّتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله، فقال الحسين: خذيه، لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد. وفي رو اية جاء الحسين واحتمله و أتى به إلى الخيمة ثمّ قال: ولدي ما تريد أن تصنع؟ قال: أبه إن نداءك قطع نياط قلبي، وأريد أن أفديك بروحي، فقال الحسين: يا ولدي أنت مريض، ليس عليك جهاد، و أنت الحجّة والإمام على شيعتي و أنت أبو الأئمة، وكافل الأيتام والأرامل، و أنت الرادّ لحرمي إلى المدينة. فقال زين العابدين: أبتاه تقتل و أنا أنظر إليك؟ ليت الموت أعدمني الحياة، روحي لروحك الفداء، نفسي لنفسك الوقاء. ثم ذهب الحسين إلى خيام الطاهرات من آل رسول الله، ونادى: يا سكينة ويا فاطمة ويا زينب ويا أم كلثوم: عليكنّ مني السلام فهذا آخر الاجتماع، وقد قرب منكنّ الافتجاع. فعلتْ أصواتهن بالبكاء وصحْن: الوداع الوداع، الفراق الفراق، فجاءته عزيزته سكينة وقالت: يا ابة استسلمت للموت؟ فإلى من اتّكل؟ قال: يا نورعيني كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين. قالت: ابه ردّنا إلى حرم جدّنا؟ فقال الحسين: هيهات، لو ترك القطا لغفا ونام. فبكت سكينة فأخذها وضمّها إلى صدره ومسح الدموع عن عينها وهو يقول:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي***منك البكاء إذا الحِمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة***مادام منيّ الروح في جثماني

فإذا قتلت فأنت أولى بالذي***تأتينه يا خيرة النسوان

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (خير إخو انك من أعانك على طاعة الله، وصدك عن معاصيه، وأمرك برضاه).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم ؟ من لاق لهم دواة، أو ربط لهم كيسا، أو مد لهم مدة قلم، فاحشروهم معهم).
- أمير المؤمنين (عليه السلام): (خير الإخوان المساعد على أعمال الآخرة).
- وعنه (عليه السلام): (جهاد النفس مهر الجنة).
- وعنه (عليه السلام): (جهاد الهوى ثمن الجنة).

- وعنه (عليه السلام): (أول ما تنكرون من الجهاد جهاد أنفسكم، آخر ما تفقدون مجاهدة أهوائكم وطاعة اولي الأمر منكم).
- وعنه (عليه السلام): (إن المجاهد نفسه على طاعة الله وعن معاصيه عند الله سبحانه بمنزلة برشهيد).
- وعنه (عليه السلام): (مجاهدة النفس شيمة النبلاء).
- وعنه (عليه السلام): (ينبغي للعاقل أن لا يخلو في كل حال من طاعة ربه ومجاهدة نفسه).
- وعنه (عليه السلام): (إني مستوف رزقي، ومجاهد نفسي).
- وعنه (عليه السلام): (خير الإخوان أعونهم على الخير، وأعملهم بالبر، وأرفقهم بالمصاحب).
- وعنه (عليه السلام): (جهاد النفس بالعلم عنوان العقل).
- وعنه (عليه السلام): (حاربوا هذه القلوب، فإنها سريعة العثار).
- وعنه (عليه السلام): (من أعان على مسلم فقد برئ من الإسلام).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (من أعاننا بلسانه على عدونا، أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عزوجل
- وعنه (عليه السلام): (إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله، من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه، ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين).
- الإمام الرضا (عليه السلام) - في أعمال السلطان -: (الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر، والنظر إليهم على العمد من الكبائر التي يستحق به النار).
- الإمام الكاظم (عليه السلام): (جاهد نفسك لتردها عن هواها، فإنه واجب عليك كجهاد عدوك).

ب) الشعر:

إذا أسلمتُ للنفس انقيادي جرعتُ الذُّل كأساً بعد كأسِ
وعين الذل أن أحيا رقيقاً بطاعة أمرها أضحي وأُمسي
و إني قد أبيتُ لها انقياداً وصنت كرامتي ورفعتُ رأسي
أسيّرها كما أهوى وليست كما تهوى تُسيّرني لبؤسي
أحاسبها قبيل حلول يومٍ أحاسب فيه ممدوداً برمسي
ومهما زيَّنت قُبح الخطايا وبثّت غيَّها في كل هجسِ
سأبقى ما حييتُ أقول كلا لما تُمليه من زللٍ ورجس
أُروّضها وألجمُها فيعلو صهيلُ جِماحِها في كل حسّي
وتبقى مارداً شرساً ولكن بقُمْقُمه الصغير رهين حبسِ

ج) القصة:

انصروا الله ينصركم ولا تستسلموا لليأس..

و اقعة مهمة حصلت في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) تسمى (حمراء الأسد) بعد معركة أُحُد بيوم أو أكثر وهي غزوة لا يعرف تفاصيلها إلاّ من ندر، وفيها درس ينطبق على الوفد الزائر وعلى و اقعنا المعاصر وهو من دروس و اقعة أُحُد وتداعياتها. وقد تضمنت سورة آل عمران في القرآن الكريم دروساً وموا اقف وعبر من معركة (أُحُد) التي عصى فيها بعض

المسلمين أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وركنوا إلى الدنيا فتحولّ النصر الذي تحقق على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) في بداية المعركة إلى هزيمة للمسلمين فاستشهد (٧٠) على رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعاد المشركون متجهين إلى مكة، لكنّهم تلاوموا في الطريق بأنّهم لم يقضوا على النبي (صلى الله عليه وآله) ولا سيطروا على المدينة لاستئصال الدين الجديد فقرروا العودة باتجاه المدينة. فنزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخبرهم بعزم قريش وأن تكليفه الخروج بمن معه لمواجهتهم وإراءتهم أن ما حلّ بهم يوم أُحُد لم يضعف عزيمتهم ولم يُقلل من قوّتهم واشترط أن لا يخرج معه إلاّ من شهد أُحُداً، وكانوا مثخنين بالجراح مفجوعين بأحبتهم ومهزومين معنوياً، فاستجابوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وخرجوا معه لملاقاة قريش المزهوة بالانتصار والتي تفوقهم عدة وعدداً وأعطى أبو سفيان أموالاً لبعض القوافل المتجهة إلى يثرب ليخوّف المسلمين ويرعبهم وأنّ قريش قد جمعت لكم الجموع لكنّهم أصرّوا على المضي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالوا: (حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران/١٧٣).

وروي في الدرّ المنثور، أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الأنصار كان شهد أُحُداً قال: شهدتُ مع الرسول (صلى الله عليه وآله) أُحُداً، أنا وأخٌ لي فرجعنا جريحين، فلما أذّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: تفوتنا غزوة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ مالنا من دابة نركبها وما منّا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنت أيسر جرحاً منه، فكنت إذا غُلِب حملته عقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثلاثة أميال فأقام بها ثلاثاً ثم رجع إلى المدينة) لأن أبا سفيان لما علم بخروج النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الموتورين في أُحُد خشي أن يقابلهم وهم قادمون للانتقام من قريش، مضافاً إلى شخصاً ممن أسلم حديثاً لكنه لم يعرف أبو سفيان بإسلامه توجّه إلى أبي سفيان وحذّره من ملاقاة المسلمين لأنهم خرجوا عن بكرة أبيهم لينتقموا من قريش وتسمى هذه الغزوة (حمراء الأسد) باسم الموضع الذي مكث فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) منتظراً قدوم قريش.

... قال تعالى (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ) وهم من شاركوا في أُحُد وأصيبوا لكنهم استجابوا لدعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخرجوا معه (مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) وهو القتل والجرح والآلام في معركة أُحُد (لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فالقبول لا يكون إلا من الذين اتقوا والذين هم محسنون: (الذين قال لهم الناس) وهم من بعثهم أبو سفيان لإرعاب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) وهم قريش (فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وكان هذا دليل نجاحهم في الاختبار وصحة إيمانهم (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ) وهو الأجر العظيم الذي ذكر آنفاً وانتصارهم على الخوف الذي زرعه فيهم الشيطان وأولياؤه، وفي تحوّل هزيمتهم إلى نصر حيث راحوا يلاحقون قريشاً وفي تحوّل نصر قريش إلى هزيمة حيث جبنوا عن لقاء النبي وأصحابه وآثروا الرجوع إلى ديارهم (لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) إذ دفع الله تعالى عنهم قريش ولم يحصل قتال (وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ١٧٢-١٧٤).

.....

المحاضرة (٤) بعنوان: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) [النور: ٢٢]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

لنتعلم تحصيل المغفرة:

فالآية تعلمنا اسلوباً لتحصيل المغفرة الالهية والعفو والصفح، وإن كان الله تعالى متصفاً في ذاته بأنه غفوررحيم ويبتدئ عباده بمغفرته ورحمته وإن لم يكن منهم استحقاق ،لكنه تعالى يزيدهم من فضله فيعلمهم أنهم إن أحبوا أن يغفرالله لهم وكل إنسان يحب ذلك إذ ما من عاقل مستعد لملاقاة الله تعالى بعمله من دون فضل الله تعالى وكرمه فعليهم أن يتعاملوا بينهم بالعفو والصفح ويتجاوزبعضهم عن بعض ليحتجوا بذلك على الله تعالى احتجاج انس ومودة وشفقة واستعطاف.

وهذه المعاني عبرعنها الامام السجاد (عليه السلام) في دعاء ابي حمزة (اللّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي كِتابِكَ أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنا وَقَدْ ظَلَمْنا أَنْفُسَنا فَاعْفُ عَنّا فَإِنَّكَ أَوْلى بِذلِكَ مِنّا وَأَمَرْتَنا أَنْ لانَرُدَّ سائِلاً عَنْ أَبْوابِنا وَقَدْ جِئْتُكَ سائِلاً فَلا تَرُدَّنِي إِلاّ بِقَضاءِ حاجَتِي)[٣٢].

في العفو والصفح:

وقد جسّد الامام السجاد (عليه السلام) هذه الآية في فعالية كان يجريها في آخرليلة من كل شهررمضان ،فقد روى السيد أبن طاووس في كتاب الاقبال بإسناده الى الامام الصادق (عليه السلام) مضمونها باختصاران الامام السجاد (عليه السلام) كان يشتري العبيد والاماء خلال السنة ويؤدبهم ويفقهّم وكان لا يضرب عبداً ولا امة وإذا أذنب احد منهم كتب ذنبه في صحيفة وتاريخها ولم يعاقبه. حتى إذا كانت آخرليلة من شهررمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهرالكتاب ثم قال: يا فلان فعلتَ كذا وكذا ولم أودبّك اتذكرذلك؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم ويقرّرهم جميعاً. ثم يقوم وسطهم ويقول لهم : أرفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربَّك قد آحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادرصغيرة ولا كبيرة إلا احصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فأعفُ وأصفح كما ترجو من المليك أن يعفو عنك، فأعفُ عنا تجده عفّوا، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطّق بالحق علينا لا يغادرصغيرة ولا كبيرة مما اتيناها إلا أحصاها. وهوّ ينادي بذلك على نفسه ويلقنّهم، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويدعو بمضمون ما نقلناه من دعاء ابي حمزة، ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني اليكم، فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما اسأت. فيقول لهم: قولوا اللهم أعفُ عن علي بن الحسين كما عفا عنا فأعتقهُ من النار كما أعتق رقابنا من الرق فيقولون ذلك ،فيقول اللهم آمين رب العالمين اذهبوا فقد عفوتُ عنكم وأعتقت رقابكم رجاءه للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم. فإذا كان يوم الفطرمنحهم جوائزتصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهررمضان ما بين العشرين نفساً الى أقل أو أكثر)[٣٣].

دروس من العفو والصفح:

أقول في الرواية دروس عديدة:

(منها) تواضع ائمة أهل البيت عليهم السلام وسموا اخلاقهم وترّفعهم عن الانتقام والرد على الاساءة مضافاً الى اننا تعرفنا من خلالها على احدى الوسائل التي نشرالامام السجاد (عليه السلام) علوم أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم وأخلاقهم ومظلوميتهم لأن هؤلاء العبيد كانوا ينتشرون في الامصاروينقلون ما شاهدوه من سيرة الامام السجاد (عليه السلام) . هذه كلها اشارات مختصرة، والمهم هنا تطبيق الآية الكريمة على هذا الفعل، فقد كان الامام (عليه السلام) يستطيع أن يقوم بهذا العمل سراً بينه وبين ربه فيعفوا عمن أساء اليه ويطلب من الله تعالى العفو إلا ان الامام (عليه السلام) كان يجري العمل علناً ليوصل هذا الدرس الى الآخرين ولُينقل عبرالاجيال مضافاً الى أن (العمل بالقلب كما انه عبادة له فإجراء ما فيه على الجوارح

---

(٣٢) مفاتيح الجنان :٣٤٩ من دعاء ابي حمزة الثمالي.

(٣٣) المراقبات للملكي التبريزي :١٩٩-٢٠٠.

ايضاً عبادة للجوارح فعند الاتيان بالجوارح تتحقق العبادة بها ايضاً، وانها تؤثر في القلب تأثيراً خاصاً ورقة لا يؤثره مجرد الامر القلبي ويصير سبباً لعمل آخر مؤثر ايضاً فيمتد الفيض الدائم، لان للجوارح ايضاً حظاً من نور العمل فيؤثر عملها في القلب نوراً زائدا على نور عمله)[٣٤].

هذا الادب هو ما يريده الله تعالى ورسوله والائمة الاطهار(صلوات الله عليهم اجمعين) منّا، اذ لا شيء يستحق التباغض والتقاطع بين المؤمنين وخصوصا اذا كانوا ذوي رحم ،وليس من المعقول اننا نرجو رضا الله تبارك وتعالى ومجاورة اولياءه في الجنان ونحن نقطع الرحم وآصرة الايمان لأجل كلمة سيئة قالها او تقصير صدر منه او تجاوز على بعض حقوقه، او تنازع بينهم على مال.

سياق الآية الكريمة:

والملفت للنظر ان الآية التي ورد فيها الامر بالعفو والصفح جاءت في سياق جريمة كبرى ارتكبها البعض في حق رسول (صلى الله عليه وآله)اذ اتهموا زوجته مارية القبطية بالفاحشة وانها ولدت ابراهيم من خدين لها لا من زوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله)وهي الحادثة المعروفة بحديث الافك، فرغم عظم الجريمة وعظم من وقعت عليه وهو اكرم خلق الله وخاتم الأنبياء، ورئيس الدولة، وقد اشارة الآيات الى ذلك (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) النور:١٩، وقال تعالى عنها (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النور: ٢٣ ومع ذلك فقد جاء معها الامر بالعفو والصفح في الآية محل البحث، فكيف لا نعفو ولا نصفح نحن عن تو افه الامور التي نتعرض لها في حياتنا.

الربط العزائي (الكورين):

يمكن ربط موضوع المحاضرة بعفو الإمام الحسين(عليه السلام) عن الحر الرياحي وعفوه (عليه السلام) عن جيش الحر(عليه السلام) الذي قوامه ألف فارس، حيث لم يتعرض لهم بسوء بل أكرمهم وقدم لهم ولخيولهم الماء.

فقد روي عن عبدالله بن سليم والمذري بن المشمعل الاسديين أنهما قالا: اقبل الإمام الحسين (عليه السلام) حتى نزل شراف، فلما كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فاكثروا ثم ساروا منها فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار، ثم ان رجلا قال: الله اكبر، فقال الحسين: الله اكبر ما كبرت؟ قال: رايت النخل، فقال له الاسديان: ان هذا المكان ما رأينا به نخلة قط، قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه راى، قلنا: نراه رأى هوادى الخيل، فقال: و أنا والله ارى ذلك. فقال الحسين: اما لنا ملجأ نلجأ اليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد، فقلنا له: بلى هذا ذو حسم إلى جنبك تميل اليه عن يسارك، فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد، قال: فاخذ اليه ذات اليسار، قال: وملنا معه فما كان بأسرع من ان طلعت علينا هوادى الخيل فتبيناها وعدلنا، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا الينا كان اسنتهم اليعاسيب، وكان رأياتهم اجنحة الطير. قال: فاستقبنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه، فنزل الإمام الحسين(عليه السلام) فأمر بأبنيته فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرين يزيد الرياحي حتى وقف هو وخيله مقابل الإمام الحسين(عليه السلام) في حر الظهيرة والإمام(عليه السلام) واصحابه معتمون متقلدو اسيافهم. فقال الإمام الحسين(عليه السلام) لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفاً. فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى ارووهم و اقبلوا يملئون القصاع والاتوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فاذا عب فيه ثلاثا أو أربعا أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

ويقول علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحر بن يزيد الرياحي فجئت في آخر من جاء من اصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية والراوية عندي السقاء، ثم قال: يابن اخي انخ الجمل فأنخته، فقال: اشرب فجعلت

---

(٣٤) المراقبات للملكي التبريزي:٢٠٢.

كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء اي اعطفه، قال: فجعلت لا أدري كيف افعل، قال: فقام الحسين فخنثه فشربت وسقيت فرسي... علماً إن هذا الرجل وهو(علي بن الطعان المحاربي) ممن قاتل ضد الإمام الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا اخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟: العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا اوقف العباد نادى مناد: ليقم من أجره على الله وليدخل الجنة، قيل: من ذا الذي أجره على الله ؟ قال: العافون عن الناس).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا عنت لكم غضبة فادرؤوها بالعفو، إنه ينادي مناد يوم القيامة: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا العافون، ألم تسمعوا قوله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (العفو أحق ما عمل به).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (تعافوا تسقط الضغائن بينكم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله عفو يحب العفو).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (رأيت ليلة اسري بي قصورا مستوية مشرفة على الجنة، فقلت: يا جبرئيل لمن هذا؟ فقال: للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من أقال مسلماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من عفا عن مظلمة أبدله الله بها عزا في الدنيا والآخرة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من كثر عفوه مد في عمره).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك).

ب) الشعر:

عن عيون أخبار الرّضا (عليه السلام) : قال المأمون للرّضا (عليه السلام) : هل رويت من الشعر شيئاً ؟ فقال (عليه السلام) : قد رويت منه الكثير ، فقال (عليه السلام) : أنشدني أحسن ما رويته في الحِلم ، فقال (عليه السلام) :

إذا كان دوني مَن بُليت بجهله أبيتُ لنفسي أن تُقابل بالجهل
وإن كان مثلي في محلٍّ من النُّهى أخذت بحِلمي كي أجلَّ عن المثل
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحِجى عرفت له حقَّ التّقدُّم والفضل

قال له المأمون : ما أحسن هذا ، مَن قاله ؟ فقال (عليه السلام) : (بعض فتياننا) .

شعر آخر:

وذي سَفَهٍ يواجهني بجهل فأكره أن أكون له مُجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حِلماً كعود زاده الإحراق طيبا

شعر آخر:

و إنّي لألقى المرء أعلم أنّه عدوّي وفي أحشائه الضّغن كامن
فأمنحه البُشرى فيرجع قلبه سليماً وقد ماتت لديه الضغائن

وقال آخر:

إذا كنتُ لا أعفو عن الذنبِ مِن أخٍ *** وقلتُ أُكافيه فأينَ التفاضلُ
فإن أقطعِ الإخوانَ في كلِّ عسرةٍ *** بقيتُ وحيدًا ليس لي من أُواصلُ
ولكنني أُغضي جُفوني على القذَى *** وأصفحُ عمَّا رابني وأُجامِلُ

ج) القصة:

كان أبو نواس من أشهر الشعراء في العصر العباسي، ويقال: بأنه كان مسرفاً على نفسه في المعاصي والآثام، وكان له صديق اسمه محمد بن نافع الواعظ – من أهل الصلاح - قال : لما بلغني موتُ أبي نواس أشفقتُ عليه ، فرأيته في المنام ، فقلتُ : يا أبا نواس ، فقال : لاتَ حين كناية ، فقلتُ : الحسن ، قال : نعم ، قلتُ : ما فعل اللهُ بكَ ؟ قال : غفر الله لي ، قلتُ : بأيِّ شيءٍ ؟ قال : بتوبةٍ تُبتُها قبل موتي ، وبأبياتٍ قلتُها ، قلتُ : أين هي ؟ قال : عند أهلي ، فسرتُ إلى أمهِ ، فلما رأتني أجهشتْ بالبكاء ، فقلتُ لها إني رأيتُ كذا .. فهدأتْ ، وأخرجتْ لي كتاباً ، فوجدتُ بخطِّهِ قوله :

يا ربِّ إنْ عَظُمتْ ذنوبي كثرةً *** فلقد علمتُ بأنَّ عفوكَ أعظمُ
إنْ كانَ لا يرجوكَ إلا مُحسنٌ *** فبمَنْ يلوذُ ويستجيرُ المجرمُ
أدعوكَ ربِّي كما أمرتَ تضرُّعاً *** فإذا رددتَ يدي فمنْ ذا يرحمُ
ما لي إليكَ وسيلةٌ إلا الرَّجا *** وجميل ظنِّي ثمَّ أنيَّ مُسلمٌ

قصة أخرى:

حكي أن النبي موسى(عليه السلام) سأل ربه تعالى ربِ لم قدستني في بني إسرائيل دون قومي، فجاءه الخطاب: ياموسى .. أتذكر يوم التيس: وتقول القصة: بينما كان النبي موسى(عليه السلام) يرعى قطيع سيده ، اذ فرتيس ماعز في أرض وعرة ، مصعداً في هضاب عالية ، واكام، وتلال .. ولحق به موسى ، متتبعاً اياه ، لاهثاً ، حتى ادركه بعد عناء شديد ،وجهد جهيد. فاوقفه ، وجلس موسى يستريح ، وقد كادت تنقطع انفاسه الاهثة ، ثم جذبه اليه من قرنيه برفق ، وقبله بين عينيه، واخذ يمسح جبهته بحنان ، مخاطبا اياه ، وقد تحدرت دمعة على خديه الكريمين: والله لم الحق بك هذه المسافة الطويلة خوفا من احد ، ولا طمعا بك ، ولكن ، حرصاً عليك من ان يفترسك الذئب.! وكانت اطلاعة له تعالى على قلب موسى ، فاذا كالذهب الخالص صافياً ، او اشد صفاء ونقاء .. لذل كان هذه النفس الكبيرة أهلاً للنبوة وحمل الرسالة. ويروى أنه بعد هذه الحادثة جاءه الخطاب الالهي: يا موسى ترحمت على التيس فترحمنا عليك.

قصة أخرى:

جاء عن أنس قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله، وعليه برد غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة، حتى أثرت حاشية البُرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد إحمل لي علي بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا

تحمل لي من مالك، ولا مال أبيك. فكست النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: المال مال الله، و أنا عبده. ثم قال: ويقاد منك يا أعر ابي ما فعلت بي؟! قال: لا. قال: لِمَ؟ قال: لانّك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبي، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيراً، وعلى الآخر تمراً.

قصة أخرى:

حُكي أنّ داوود النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سأل كلاًّمن أبنائه في آخر حياته : (إذا أذنب أحدٌ كيف تُعاقبه ؟!) .
فأجاب كلّ واحد منهم وقال: أُعاقبه على قدرذنبه . ثمّ سأل سليمان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عنه فأجاب هو وقال : (عفوته) . ثمّ سأله فقال : (فإن عاد ، فكيف تفعل؟!) . فقال : (عفوته) . ثمّ قال : (فإن عاد، فكيف تفعل؟!) . فقال : (عفوته) ثمّ بعد مرّات كثيرة من السؤال والجواب قال سليمان (عليه السلام) : (عفوته؛ حتّى يستحي أن يعود إلى ذلك الذّنب).
فدعا له داوود (عليه السلام) وقال : (أنت أحقّ بالحكومة والسلطنة، وأليق بالجلوس على سرير الخلافة ، والله أعلم بالصّواب) .

.....

المحاضرة (٥) بعنوان: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد : ١١]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

لا بدّ من السعي:

من الأدعية المستحبة في كل يوم من شهر رمضان دعاء (اللهم أدخل على أهل القبور السرور) ويتضمن عدة فقرات جليلة، أحببت التوقف عند أحدها وهي (اللهم أصلح كل فاسد من أمور المسلمين)، ومن الواضح أن إصلاح الفساد لا يتحقق بمجرد ترديد هذه الكلمات وان كان في نفس قراءة الادعية ثواب وان الدعاء مخّ العبادة كما في بعض الاحاديث، لكن بعض المطالب تحتاج الى سعي كمن يريد الرزق الحلال لا يكفيه أن يردد: (اللهم ارزقني) بل عليه أن يسعى في مناكبها ويبتغي من فضل الله تعالى، ومن يريد الذرية الصالحة عليه أن يتخذ زوجة صالحة، وهكذا، الا اذا شاء الله شيئا بدون ذلك كولادة عيسى (عليه السلام) من غير أب.

كيف نصلح أحوال المسلمين؟

فإصلاح الفساد في أحوال المسلمين وهكذا فقرات الأدعية لا بد لكل منها من سعي يناسبها [وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً] (الإسراء:١٩)، فكيف نصلح أحوال المسلمين الفاسدة التي لا تسرّ الصديق ويشفق لها العدو، ولم تبق حرمة إلا انتهكت، وماذا علينا أن نفعل لتحقيق هذا الغرض؟.

يجيب عن ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)في حديث رواه عنه الشيخ الصدوق في الخصال يحدد فيه سبب فساد أحوال المسلمين وصلاحهم، قال فيه: (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله، ومن هما؟ قال(صلى الله عليه وآله): الفقهاء والأمراء)[٣٥].

---

(٣٥) الخصال للشيخ الصدوق: باب الاثنين، ح١٢.

عندما نعالج الفساد من رأسه:

فالصلاح والفساد في أمور المسلمين يرجع إلى طريقة أداء هذين الصنفين وصفاتهم الذاتية، فنفس الجهة التي يأتي منها الفساد يأتي منها الصلاح؛ لذا قيل: (لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال) أي علينا أن نشخّص الجهة المسؤولة عن الفساد فتبدأ عملية الصلاح من هذه الجهة، فمثلاً التكفير وما تتبعه من القتل الوحشي والتدمير الشامل بدأ من فتاوى علماء التكفير فإذا أرادوا محاربة الجماعات الإرهابية التكفيرية حقيقة فعليهم أن يبدأوا بهؤلاء المشرّعين لفتاوى التكفير فيصلحون عقولهم ويطهرون قلوبهم من اغلال التعصب والحقد والانانية ويعيدوا تقييم تأريخهم والاشخاص الذين يقدسونهم ممن أسسوا لهذه الثقافة، وستتغير الأمور عندما يلتفتون الى القيادة الصالحة الحقّة التي ربّت الامة على رفض التكفير، روي عن الامام علي (عليه السلام) انه سئل عن الذين خرجوا على إمامته الحقّة وقاتلوه: (أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا ، فقالوا : أفمنافقون ؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً قيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخو اننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا)[٣٦] مشيراً الى الآية الكريمة (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) (الحجرات٩). كما أن هذه الكلمة (لا ينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال) يمكن فهمها على أساس الأدوات أي أن نفس الأداة التي سببت الفساد كالتلفزيون أو القوانين الظالمة المخالفة للشريعة أو مناهج التعليم علينا أن نصلحها لتساهم في صلاح الامة.

لا بدّ في الإصلاح من علاج البيئة المنتجة للفساد:

ويمكن ان نفهم هذه الكلمة على اساس الحالات والاوضاع التي انتجت الفساد فنعالجها كالفقر أو الجهل أو التخلف أو العصبية، أو الاستبداد السياسي أو الانهيار الاقتصادي أو عدم الامن والاستقرار فاذا اريد نشر الهدى والصلاح فلا بد من اصلاح هذه الاوضاع والبيئة المنتجة، قال تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش٣-٤). ومحل الشاهد أن صلاح الأمة يكون بصلاح هذين الصنفين كما أن فسادها بفسادهما.

معنى فساد العلماء:

أما الصنف الأول فقد بيّنَتْ الروايات أن فساد العلماء لا يتمظهر بشرب الخمر وممارسة الزنا ونحو ذلك فانهم لا يفعلون ذلك حفاظاً على مكانتهم الاجتماعية و إنما بحبهم الدنيا والتملق لأهلها والصراع على الجاه والزعامة ومجاملة اهل الباطل وكتمان الحق والبغي والحسد والتكبر والتعالي وتغليب انانياتهم والتخلي عن مسؤولياتهم في اقامة الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) (المائدة٦٣) وعدم الانفتاح على الناس والاستماع الى همومهم وقضاء حوائجهم ومساعدتهم و انصافهم فيما لهم وما عليهم، روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن امير المؤمنين (عليه السلام) قوله من حديث (اعرفوا.. اولي الامر بالأمر بالمعروف والعدل الاحسان)[٣٧] فاذا تخلى العلماء عن مسؤولياتهم اصبحت الامة خاوية روحياً وميته معنوياً وفاقدة البصيرة والرشد يتلاعب بها الاشرار،

معنى فساد الأمراء:

أما الصنف الثاني، فمما لا يحتاج إلى بيان دور الزعامات السياسية في فساد البلاد من خلال الاستئثار بالمال العام واعتبار ما يقع تحت يده غنيمة، وهدره في امور عبثية ومشاريع وهمية وتغليب المصالح الشخصية على المصالح العامة وسوء التخطيط والإدارة بالاعتماد على ناس غير مؤهلين و انشغال البلاد والعباد بصراعاتهم السياسية، وإن كل الكوارث

---

(٣٦) البداية والنهاية : ٧/ ٣٠٠.

(٣٧) اصول الكافي: كتاب التوحيد: ٥١ باب انه لا يُعرف الا به، توحيد الصدوق: ٢٨٦.

التي حلت بالبلاد هي نتيجة هذه الصراعات على المغانم والامتيازات حتى وإن ألبست بعناوين دينية أحياناً. وهؤلاء الحكام لم يصلوا إلى مو اقعهم إلا بدعم وتأييد جمع من الناس سواء من خلال الإدلاء بأصواتهم لهم في الانتخابات أو بنصرتهم وتمكينهم من السلطة في الانقلابات العسكرية وإدامة حكمهم وسلطتهم، او بأي نحو وصلوا به الى السلطة ولو تخلّى الناس عنهم والتفوا حول الصالحين الأكفاء لما وصل حال المسلمين إلى هذه الدرجة التعيسة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لولا أن بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلا ما وقع في أيديهم)[٣٨].

الذنوب التي تسبب تسلط الأشرار:

فهذه هي المسؤولية المباشرة المنظورة التي يتحملها الناس إزاء هذا السبب من الصلاح والفساد، لكن الرو ايات دلّت على ان بعض الذنوب والتقصيرات هي العلل الحقيقية لتسلّط الأشرار والفاسدين والظالمين، فنبّهنا المعصومون عليهم السلام لها حتى نمنع أصل تسلّطهم وتسلّمهم الحكم، ولا نصل إلى مرحلة تمكنهم من الحكم والسلطة ثم نفكّر في كيفية إصلاح الحال، أي أن الإصلاح يكون على طريقة (الوقاية خير من العلاج)، وازالة الاسباب من أصلها، ومن تلك الذنوب والتقصيرات المسبّبة لتسلط الاشرار والفاسدين:-

١- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد روي في الكافي والتهذيب عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[٣٩]. وروى الشيخ المفيد في المقنعة والطوسي في التهذيب عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك انتزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء).

٢- عدم الاستفادة من توجيهات العلماء العاملين: روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)أنه قال: (سيأتي زمان على الناس يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب، فإذا كان ذلك ابتلاهم الله بثلاثة أشياء: الأول يرفع البركة من أموالهم والثاني سلّط الله عليهم سلطاناً جائراً والثالث يخرجون من الدنيا بلا إيمان)[٤٠].

٣- إفراغ الدين من مضمونه الحقيقي والاكتفاء بالشكليات الظاهرية منه، وتخلّي علماء الدين والربانيين عن مسؤولياتهم الحقيقية وهذا شكل من اشكال فساد العلماء الذي يؤدي الى فساد الأمة ، في حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله)قال: (سيأتي على أمتي زمان لا يعرفون العلماء إلا بثوب حسن ولا يعرفون القرآن إلا بصوت حسن، ولا يعبدون الله إلا في شهر رمضان، فإذا كان كذلك سلّط الله عليهم سلطاناً لا علم له ولا حكم له ولا رحم له)[٤١].

إذن فتردي أخلاق الامة وضعف همتها و انحدار مستوى الوعي لديها سبب لتصدي هذين الصنفين الفاسدين، وفسادهما يؤدي الى مزيد من الفساد في احوال الامة . لذا اشتهرت الكلمة المعروفة (كيفما تكونون يولى عليكم)، فصلاح احوال المسلمين يبدأ من اصلاح انفسهم وتمسكهم بدينهم وزيادة وعيهم في اختيار قياداتهم الدينية والسياسية وحينئذٍ تنصلح امورهم وتتغيرا احوالهم نحو الافضل بأذن الله تعالى.

الربط العزائي (الكورين):

---

(٣٨)وسائل الشيعة: كتاب التجارة/ ابواب ما يتكسب به/ باب ٤٧، ح١.

(٣٩) وسائل الشيعة: أبواب الأمر والنهي، باب ١، ح٤، ١٨.

(٤٠) بحار الأنوار: ٢٢/٤٥٤ عن جامع الأخبار: ١٢٥-١٢٦، ف ٢٢.

(٤١) بحار الأنوار: ٢٢/٤٥٤ عن جامع الأخبار: ١٢٥-١٢٦، ف ٨٨.

وتوجد شواهد كثيرة من التاريخ لفسادٍ تسبّب فيه العلماء، فالإمام الجواد (عليه السلام) قُتل بتحريض من قاضي قضاة الدولة العباسية ابن ابي داوود للمعتصم بعد اخذه برأي الامام (عليه السلام) في قطع يد السارق. والإمام الحسين (عليه السلام) قتل بفتوى شريح القاضي الذي افتى بجواز محاربة الامام الحسين (عليه السلام) لأنه خرج على ولي الأمر.. فقد روي أنه لما قبض عبيد الله بن زياد على هانئ بن عروة في الكوفة، وأساء إليه في قصر الإمارة، اجتمع أنصار هانئ عند القصر وهم يظنون أنه قد قتل، و أثاروا ضجة هناك إلا أن شريح خرج إليهم بأمر ابن زياد وشهد لهم أن هانئ حي لكي يتفرق أنصاره (مروج الذهب ٥٧:٣)، وقد أفتى شريح القاضي بأمر ابن زياد أن الإمام الحسين(عليه السلام) خارج على خليفة زمانه وعلى المسلمين أن يقاتلوه. وقد اشتهرت شخصية شريح بصفته قاضياً تابعاً للسلطان الجائر وفي خدمة الزيف والطغيان، وطوع إشارة أعداء الحق الذين يستغلون مثل هذه الشخصيات الدينية الطيعة التي يثق الناس بكلامها. وقد استغلت الحكومة الجائرة شريحا بصفته قاضياً. فانتهكت حرمة الإمامة وقتل سيد الشهداء(عليه السلام) وسبي أهل بيته(عليهم السلام).

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (كما تكونوا يولى عليكم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): قال الله جل جلاله: (إذا عصاني من خلقي من يعرفني سلطت عليه من خلقي من لايعرفني).
- عنه (صلى الله عليه وآله): يقول الله عزوجل: (ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا أراد الله بقوم سوء جعل أمرهم إلى مترفيهم).
- الإمام علي (عليه السلام): (قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه).
- وعنه (عليه السلام): (قوام الدين بأربعة: بعالم ناطق مستعمل له، وبغني لا يبخل بفضله على أهل دين الله، وبفقير لا يبيع آخرته بدنياه، وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم، فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني بماله، وباع الفقير آخرته بدنياه، واستكبر الجاهل عن طلب العلم، رجعت الدنيا إلى ورائها القهقرى. فلاتغرنكم كثرة المساجد، وأجساد قوم مختلفة. قيل: ياأمير المؤمنين كيف العيش في ذلك الزمان ؟ فقال: خالطوهم بالبرانية - يعني في الظاهر - وخالفوهم في الباطن...).
- وعنه (عليه السلام) - لما سئل عن أحوال العامة -: (إنما هي من فساد الخاصة، وإنما الخاصة ليقسمون على خمس: العلماء وهم الأدلاء على الله، والزهاد وهم الطريق إلى الله، والتجار وهم أمناء الله، والغزاة وهم أنصار دين الله، والحكام وهم رعاة خلق الله. فإذا كان العالم طماعا وللمال جماعا فبمن يستدل ؟ وإذا كان الزاهد راغبا ولما في أيدي الناس طالبا فبمن يقتدى ؟ وإذا كان التاجر خائنا وللزكاة مانعا فبمن يستوثق ؟ وإذا كان الغازي مرائيا وللكسب ناظرا فبمن يذب عن المسلمين ؟ وإذا كان الحاكم ظالما وفي الأحكام جائرا فبمن ينصر المظلوم على الظالم؟ فوالله ما أتلف الناس إلا العلماء الطماعون، والزهاد الراغبون، والتجار الخائنون، والغزاة المراؤون، والحكام الجائرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

- الإمام علي (عليه السلام) وهو يوبخ أصحابه: أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم [باطلهم]، و إبطائكم عن حقي).
- وعنه (عليه السلام) في صفة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): (فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت و أنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقيا جر انه ومتبوئا (مبويا) أوطانه).
- وعنه (عليه السلام): (فلما رآنا الله صدقا صبرا أنزل بعدونا الكبت و أنزل علينا النصر).
- وعنه (عليه السلام) - لما مر بخراب المدائن -: (إن هؤلاء القوم كانوا وارثين، فأصبحوا مورثين، وإن هؤلاء القوم استحلوا الحرم فحلت فيها النقم، فلا تستحلوا الحرم فتحل بكم النقم).
- وعنه (عليه السلام): (والله لقد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم بصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، وبطواعيتهم إمامهم ومعصيتكم له، وباجتماعهم على باطلهم وتفرقكم على حقكم.
- وعنه (عليه السلام): (ألا و إنه لا يزال البلاء بكم من بعدي حتى يكون المحب لي والمتبع أذل في أهل زمانه من فرخ الأمة، قالوا: ولم ذلك؟ قال: ذلك بما كسبت أيديكم، برضاكم بالدنية في الدين، فلو أن أحدكم إذا ظهر الجور من أئمة الجور باع نفسه من ربه وأخذ حقه من الجهاد لقام دين الله).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ عيسى بن مريم قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، و أبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى بإذن الله فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه).
- الإمام الجواد (عليه السلام): (وكل امة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه، وولاهم عدوهم حين تولوه

ب) الشعر:

قال الشاعر:

من أراد العلا عفواً بلا تعبٍ * قضى ولم يقض من إدراكها وَطَرَا
لا يُبلغُ السؤال إلا بعد مؤلمة * ولا يتم المنى إلا لمن صبرا

وقال آخر:

دعِ التكاسل في الخيرات تطلبها * فليس يسعد بالخيرات كسلانُ

وقال آخر:

لقد هاج الفراغ عليك شغلاً * وأسباب البلاء من الفراغِ

ج) القصة:

يروى أن هارون العباسي كان مبتلى بعادة سيئة مدمناً عليها فطلب من مستشاريه إقناعه والتأثير عليه لتركها فحاول هؤلاء بحسب اختصاصاتهم. فالأطباء من الناحية الصحية والتجّار من الناحية الاقتصادية والفقهاء من الناحية الشرعية، فلم يفلحوا ثم التجأ إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي عرف بنور الله تعالى أن مشكلة هارون تكمن في ضعف إرادته لتنفيذ القناعة وليس في أصل الاقتناع فاستثار فيه هذه الهمّة وقال (عليه السلام): (أين عزم الملوك)، فتحركت عزيمته واستجمع قوته وترك ما كان مبتلى به.

قصة أخرى:

زار أحد الأثرياء .وكان بخيلاً. فيلسوفاً من فلاسفة الهند ، فاغتنم الفيلسوف الفرصة ليُلقي على ضيفه درساً أخلاقيّاً ... فأمسكه من ذراعه ، وقاده إلى نافذة الغرفة التي كانا يجلسان فيها وقال له: انظر ماذا ترى ؟ فأجاب الثري : أرى أُناساً يَملؤون الطُّرق. ثمّ قاده الفيلسوف إلى مرآة مُعلّقة على الحائط، وقال له: انظر ماذا ترى ؟ قال الضّيف: أرى نفسي. فقال الفيلسوف: أتدري ما الفرق بين زجاج النافذة وزجاج المرآة ؟! قال الضّيف: لا فرق، سوى أنّ زجاج المرآة صُقِل بغشاء رقيق من الفضّة ، فلم يرَ المرء فيه غير نفسه . فقال الفيلسوف: فإيّاك وغشاء المادّة ؛ فإنّه يطمس البصيرة ...

.....

المحاضرة (٦) **بعنوان**: (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) [الروم : ٥٤]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

لكي نتفكر في خلق الله وصنعه:

سورة الروم غنية بالآيات التي تدعوا الناس الى التفكر بآيات الله والتدبر فيها للارتقاء بمعرفة الله تعالى ومنها قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) (الروم-٥٤).

(خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ):

والآية تشير الى المراحل التكوينية التي يمر بها الانسان، (خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ) يبدا من ضعف النطفة وهو الماء المهين الذي يتكون منه ويلقح البويضة فتكون علقة تتغذى من جدار رحم الام ثم تتكاثر وتزداد وتتحول العلقة الى مضغة وهي قطعة لحمية صغيرة ثم يخلق الله تعالى العظام ويتكامل نموه، وهو في كل مرحلة من المراحل كائن ضعيف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ويأتيه رزقه من امه وينمو جسمه بلا ارادة منه. ثم يولد ويخرج الى الدنيا وهو لا يزال ضعيفاً لا يقدر على شيء فقيّض الله تعالى له والدين شفيقين رحيمين محبين له يتوليان رعايته وتربيته ويجلبان له الخير ويدفعان عنه الضرر وخلال ذلك يتقلب في هذه الحالات من الضعف.

(ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً): (ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) حينما تكتمل قواه الجسدية – البلوغ – والعقلية – بالرشد وحسن التصرف – وعلمية – بالتجربة والتعلم – ثم تضاف له قوى اخرى، مثلا – المالية – عندما يبدأ بالكسب والعمل - ، والاجتماعية – حينما يصبح في موقع او يكون له عنوان اجتماعي او جاه معروف به – والثقافية – بما تزود من علوم ومعارف – وهكذا تجتمع عنده اسباب القوة التي عبّر عنها الله تعالى في مواضع عديدة ببلوغ الاشّد (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) (الأحقاف -١٥)(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) (يوسف-٢٢).

(ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً): (ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً) حيث يؤول امره الى الضعف فيظهر عليه وهن الكهولة والشيخوخة وربما يبتلى بالأمراض ولم يعد بتلك القوة حينما كان يركض ويقفز بخفة ونشاط فاصبح يتوكأ حينما

يقوم، وتضعف أيضاً قواه الذهنية فيفقد قوة الحافظة الى كانت في شبابه حينما كان يحفظ القصيدة الطويلة عن ظهر قلب ويطالع كتبه الدراسية ويجيب عن كل سؤال يوجه اليه، اما اليوم فلا يقدر على شيء من ذلك بل لم يعد يحتفظ بالمعلومات التي كانت عنده، وربما يصاب البعض بالخرف وفقدان الذاكرة أو ما يعرف بالزهايمر، فيعود امره من جديد الى الضعف ولكن هذا الضعف اشد من ضعف الطفولة لذا قرن معه (و شيبة) للإشارة الى هذا الفرق فقد كان ضعف الطفولة متجها نحو الصعود والتكامل وخيره مقبل وكان معه والدان يداريانه، اما ضعف الشيبة ففي طريق النزول ومزيد من الضعف وفقدان القوى وليس عنده مثل رحمة الوالدين وشفقتهما قال تعالى (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ) (يس- ٦٨). وقال تعالى في اشارة لهذا النزول (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) (الحج- ٥) فاذا كان عنده علم لكنه لما امتد به العمر طويلا فقد تلك المعلومات.

الدروس المستفادة من الآية الكريمة:

بعد هذا الشرح الموجز للآية نستخلص عدة رسائل موجهة من خلالها:

الاولى: قدرة الله تبارك وتعالى الذي خلق الانسان عبر هذه المراحل التكوينية، وعلمه تعالى الذي اتقن الصنع بهذه الكيفية البديعة من دون ان يشاركه أحد (يخلق ما يشاء)، ولذا ختمت الآية بقوله تعالى (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)، وهكذا كل الآيات تنتهي بالأسماء الحسنى المناسبة لمضمون الآية، ويحكى ان احدهم قرأ اية (والسارق والسارقة) الى ان ختمها بقوله تعالى (والله غفور رحيم) فانكر احد الحاضرين ان تكون نهاية الآية هكذا وطلب من القارئ اعادة قراءتها في المصحف فاذا هي (عزيز حكيم) فقال هذا صحيح لان الامر بقطع اليد يناسبه هذه الاوصاف وليس الغفور الرحيم الذي يناسب العفو والصفح لا القطع.

الثانية: رسالة موعظة الى الناس ان لا يغتروا بما عندهم ولا يطغوا لمجرد حصولهم على شيء من اسباب القوة (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى) فيظلمون ويعتدون ويظنون انهم قادرون على فعل كل ما يحلوا لهم، فهذه القوة لم تكن موجودة ثم وجدت وهي بعد ذلك تضمحل وتصير الى الضعف، والانسان عاجز عن تغيير هذا الانتقال في المراحل ، والاحتفاظ بقوته وشبابه مدى الدهر (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)(الأحزاب-٦٢). وهذه الرسالة ليست موجهة الى الافراد فقط بل الى الامم والدول ايضاً التي تغتر بقوتها وجبروتها فتتفرعن وتملأ الارض ظلماً وعدوانا وهي كالإنسان بدأت من ضعف ثم قويت ثم يؤول امرها الى الضعف والانهيار كما هو شأن كل الممالك والامبراطوريات عبر التاريخ فيسمون أوربا اليوم القارة العجوز بعد ان كانت في عنفوان القوة وتبسط سيطرتها من الشرق الاقصى الى الامريكيتين في الغرب الاقصى وهكذا كل الزعامات التي تغتر بكثرة الاتباع كرؤساء العشائر او بقوة المنصب لدى بعض الكيانات السياسية فيطغى ويطلب الدنيا من غير طرقها المشروعة، فعليه أن يأخذ الموعظة من تقلب أحواله ليعرف ان هذه القوة التي عنده ستزول فلا يغتر بها ويطغى ويظلم.

الثالثة: رسالة تطمين لمن في حالة الضر والمعاناة ورسالة تحذير لمن في حالة الرفاه والدعة وبحبوحة العيش بأنه لا يدوم حال على ما هو عليه كما قيل في المثل (دوام الحال من المحال) فمن كان يمر ببلاء وصعوبات وشدة وتظلم الدنيا في عينيه عليه ان لا ييأس ويشعر بالإحباط لان الفرج وزوال البلاء متوقع في كل لحظة، والدنيا متقلبة بأهلها حالاً بعد حال (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) (الشرح-٦) فليتمسك بالأمل ولينتظر الفرج وسيأتي ذلك اليوم وتصبح معاناته في خبر كان كما يقال.

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

لنحذر زوال النعمة:

ومن كان في سعة من الحياة ودعة من العيش عليه ان يحذر تبدّل هذه النعمة او زوالها في أي لحظة فيفقد المال او الصحة او المنصب او الجاه او الاتباع أو أي شيء آخر فعليه أن يحذر الدنيا ولا يسكن اليها وإن أقبلت عليه فكم من شخص كان هكذا ثم ادبرت عنه ولربما لأسباب مجهولة أو خارجة عن إرادته ولا يستطيع تفاديها. كانت الدولة العباسية في أوج زهوها و انتشارها من حدود الصين شرقاً الى غرب افريقيا وكان هارون على رأس هذه الدولة مملوءً بالزهو والاستعلاء، لكنه في ريعان الشباب و اقصى زهو السلطة مرض واشرف على الموت فأمر بحفر قبره وكان يقف عليه ويقرأ الآيات الكريمة (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ) (الحاقة- ٢٩/٢٨).هذه الرسائل ضمنّها الامام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة وفيه قوله (عليه السلام): (اِلهى اِنَّ اخْتِلافَ تَدْبيرِكَ، وَسُرْعَةَ طَوآءِ مَقاديرِكَ، مَنَعا عِبادَكَ الْعارِفينَ بِكَ عَنْ السُّكُونِ اِلى عَطآء، وَالْيأْسِ مِنْكَ فى بَلاء)[٤٢]. هذا الاختلاف في الاحوال بتدبيرك فساعة في عنى واخرى في فقر وساعة في عافية واخرى في مرض، وساعة في قوة وأخرى في ضعف وساعة في ليل واخرى في نهار، وساعة في صيف وأخرى في شتاء، وهكذا غيرها، فهذا التبدل والتغيّر الذي يجري بسرعة منع المؤمن الذي له بصيرة في الامور ومعرفة بالله تعالى من أن يطمئن الى حال حسنة ويسترخي لها، ولا ان يصيبه اليأس إذا مرّ بحال سيئة. وفي الحديث (الليل والنهار يبلّيان كل جديد) وما اسرعهما.

التفتوا الى هذه الحقائق:

وبالالتفات الى هذه الحقائق تزداد المعرفة عند الانسان، والمعرفة هي اساس التفاضل عند الله تبارك وتعالى، ودعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة غنيٌ بهذه المعارف الالهية، ومنه قوله (عليه السلام) بما يرتبط بحديثنا (آلهي عَلِمْتُ بِاِخْتِلافِ الأثارِ، وَتَنقُّلاتِ الأطْوارِ، اَنَّ مُرادَكَ مِنّى اَنْ تَتَعَرَّفَ اِلَيَّ فِي كُلِّ شَيء، حَتّى لا اَجْهَلَكَ في شَيء)[٤٣] فاختلاف الاثار أي آيات الله في خلقه من ليل ونهار وشتاء وصيف وغير ذلك، ومن تنقلات الاطوار بين شباب وشيخوخة وعافية ومرض وغنى وفقر يُراد منه ان يتعرف الانسان على صفات ربه الحسنى حتى يتأدب بأدب العبودية قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات/٥٦) وفسرها الامام الحسين (عليه السلام) في بعض ما روي عنه أي (ليعرفون)، قال الشاعر:

وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد

فالإنسان يقف عاجزاً أمام هذه الحركة الكونية ولا يملك إلا ان يكون جزءاً من هذا التدبير فيتيقن ان وراء هذه الحركة مدّبر حكيم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : (عرفت الله بفسخ العزائم، وحل العقود، ونقض الهمم)[٤٤].

و انما على الانسان ان يغتنم حال القوة التي يكون فيها ويستثمرها في طاعة الله تعالى قبل فوات الفرصة فان إضاعة الفرصة غصة – كما قيل – والملفت ان الآية اطلقت كلمة قوة ولم تحددّها لتبقى مفتوحة على كل الصور الممكنة لها، فالصحة قوة والشباب قوة والمال قوة والجاه قوة والعلم قوة والمنصب قوة وكثرة الاتباع قوة وهكذا.

وقد جمع النبي (صلى الله عليه وآله)في وصيته لابي ذر(رضوان الله تعالى عليه) عدة مصاديق وحالات للقوة وأمرهُ باغتنامها قبل زوالها كلها او بعضها وتحولها الى نقيضها قال (صلى الله عليه وآله)فيما روي عنه : (يَا أَبَا ذَرّ: اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ :شَبَابَكَ : قَبْلَ هَرَمِكَ .وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ . وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ . وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ .وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)[٤٥]. والوصية كما يظهر موجهة بشكل اساسي الى الشباب[٤٦] الذين وصفتهم الآية في حال قوةٍ وأن كانت الوصية عامة للجميع ويمكن القول ان الحديث ليس في مقام حصر حالات القوة ومظاهرها بهذه الخمسة فيمكن ان يشمل الحديث كل عناصر القوة الاخرى فيمكن ان نقول (واغتنم علمك قبل جهلك) لان العلم قوة ونور وربما يؤول أمره الى الضياع كما في الآية المتقدمة (لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً) (النحل/٧٠) فعليه ان يستثمر علمه من خلال العمل به لإصلاح

---

(٤٢) مفاتيح الجنان : ٣١١.

(٤٣) مفاتيح الجنان : ٣١١.

(٤٤) نهج البلاغة قصار الكلمات رقم ٢٥٠.

(٤٥) مكارم الاخلاق ٦٢٦.

(٤٦) راجع شرحها في القبس التالي بعنوان اغتنم شبابك.

نفسه ومجتمعه أولاً ونشره بين الناس ثانياً لان زكاة العلم انفاقه، وبتنميته وزيادته ثالثاً (رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه/١١٤) لذلك تجد العلماء يعمرون طويلاً ويبقون الى آخر عمرهم يدرسّون ويؤلفون ويبحثون ويقدّمون أحدث الابداعات العلمية.
وهذه الحقيقة أكدها الاطباء وقالوا أن العلاج من الإصابة بالخرف والزهايمر بالشيخوخة يكون بمواصلة المطالعة والقراءة.

الربط العزائي (الكورين):

جاء في دعاء الإمام الحسين(عليه السلام) يوم عرفة: (..وَ اَنَا اَشْهَدُ يا اِلهى بِحَقيقَةِ ايمانى، وَعَقْدِ عَزَماتِ يَقينى، وَخالِصِ صَريحِ تَوْحيدى، وَباطِنِ مَكْنُونِ ضَميرى، وَعَلائِقِ مَجارى نُورِ بَصَرى، وَاَسارِيرِ صَفْحَةِ جَبينى، وَخُرْقِ مَسارِبِ نَفْسى، وَخَذاريفِ مارِنِ عِرْنَينى، وَمَسارِبِ سِماخِ سَمْعى، وَما ضُمَّتْ وَاَطبَقَتْ عَلَيْهِ شَفَتاىَ، وَحرِكاتِ لَفظِ لِسانى، وَمَغْرَزِ حَنَكِ فَمى وَفَكّى، وَمَنابِتِ اَضْراسى، وَمَساغِ مَطْعَمى وَمَشْرَبى، وَحِمالَةِ اُمِّ رَأْسى، وَبُلُوغِ فارِغِ حبائِلِ عُنُقى، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ تامُورُصَدرى، وَحمائِلِ حَبْلِ وَتينى، وَنِياطِ حِجابِ قَلْبى، وَ أَفْلاذِ حَواشى كَبِدى، وَما حَوَتْهُ شَراسيفُ اَضْلاعى، وَحِقاقُ مَفاصِلى، وَقَبضُ عَوامِلى، وَاَطرافُ اَنامِلى وَلَحْمى وَدَمى، وَشَعْرى وَبَشَرى، وَعَصَبى وَقَصَبى، وَعِظامى وَمُخّى وَعُرُوقى، وَجَميعُ جَوارِحى، وَمَا انْتَسَجَ عَلى ذلِكَ اَيّامَ رَضاعى، وَما اَقلَّتِ الاَرْضُ مِنّى، وَنَوْمى وَيقَظَتى وَسُكُونى وَحرَكاتِ رُكُوعى وَسُجُودى، اَنْ لَوْ حاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الاَعصارِوَالاَحْقابِ لَوْ عُمِّرْتُها اَنْ اُؤَدِّىَ شُكْرَواحِدَة مِنْ أَنْعُمِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذلِكَ اِلاّ بِمَنِّكَ الْمُوجَبِ عَلَىَّ بِهِ شُكْرُكَ اَبَداً جَديداً، وَثَنآءً طارِفاً عَتيداً).
وهذه الأوصال الشريفة لجسد الإمام سيد الشهداء(عليه السلام) قد وطئتها حو افر خيول الأعداء يوم عاشوراء، وكان الإمام بأبي هو وأمي يعدد وهو في دعاءه مع ربه مناطق جسده التي ستقطعها السيوف وتطعنها الرماح وتدوسها الخيل الأعوجية بحو افرها.
وقد روى الصدوق في « ثواب الاعمال » بالاسناد الى أبي هارون المكفوف . قال : أدخلت على أبي عبد الله الصادق فقال لي : يا أبا هارون ، أنشدني في الحسين ، فأنشدته ، فقال لي : أنشدني كما تنشدون . يعني بالرقة . فأنشدته .

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيه

قال : فبكى .. ثم قال : زدني ، فأنشدته القصيدة الأخرى .

ما لذ عيش بعد رضك بالجياد الأعوجيه

فبكى . وسمعت البكاء من خلف الستر.

شواهد مُعززة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن من إجلالي توقير الشيخ من أمتي).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الشيخ شاب على حب أنيس، وطول حياة، وكثرة مال).
- الإمام علي (عليه السلام): (من لم يعتبر بغير الدنيا وصروفها لم تنجع فيه المواعظ).
- وعنه (عليه السلام): (المشيب رسول الموت).
- وعنه (عليه السلام): (في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال، والأيام توضح لك السر ائر الكامنة).
- وعنه (عليه السلام): (الشيب آخر مواعيد الفناء).

- وعنه (عليه السلام): (إذا ابيض أسودك مات أطيبك).
- وعنه (عليه السلام): (كفى بالشيب نذيراً).
- وعنه (عليه السلام): (وقار الشيب نوروزينة).
- وعنه (عليه السلام): (وقار الشيب أحب إلي من نضارة الشباب).
- وعنه (عليه السلام): (إذا شاب العاقل شب عقله، إذا شاب الجاهل شب جهله).
- وعنه (عليه السلام): (كان الرجل يموت وقد بلغ الهرم ولم يشب، فكان الرجل يأتي النادي فيه الرجل وبنوه فلا يعرف الأب من الابن، فيقول: أيكم أبوكم ؟ فلما كان زمان إبراهيم فقال: اللهم اجعل لي شيبا اعرف به، قال: فشاب و ابيض رأسه ولحيته).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (كان الناس لا يشيبون، فأبصر إبراهيم (عليه السلام) شيباً في لحيته، فقال: يا رب ما هذا؟ فقال: هذا وقار، فقال: رب زدني وقاراً).
- وعنه (عليه السلام): (عظموا كباركم وصلوا أرحامكم).
- عنه (عليه السلام): (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا).
- وعنه (عليه السلام): (ما رأيت شيئا أسرع إلى شيء من الشيب إلى المؤمن، و إنه وقار للمؤمن في الدنيا، ونور ساطع يوم القيامة، به وقر الله تعالى خليله إبراهيم (عليه السلام)، فقال: ما هذا يا رب؟ قال له: هذا وقار، فقال: يا رب زدني وقاراً).
- عن إسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): (الرّجل آتيه وأُكلِّمه ببعض كلامي فيعرفه، ومنهم مَن آتيه فأُكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ، ثمّ يردُّه عليَّ كما كلَّمته ، ومنهم مَن آتيه فأُكلِّمه فيقول: أعد عليَّ ؟ فقال : (يا إسحاق ، وما تدري لِمَ هذا ؟) قلت: لا . قال (عليه السلام): (الذي تُكلِّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه ، فذاك مَن عُجنت نُطفته بعقله ، وأمَّا الذي تُكلِّمه فيستوفي كلامك ثمّ يُجيبك على كلامك، فذاك الذي رُكّب عقله فيه في بطن أمّه ، وأمّا الذي تُكلِّمه بالكلام فيقول : أعد عليَّ ، فذاك الذي رُكّب عقله فيه بعدما كبر، فهو يقول لك : أعد عليَّ). الكافي.

ب) الشعر:

قال الشاعر:

ذهب الشباب فما له من عودة و أتى المشيب فأين منه المهرب؟

وقال آخر:

أصبحت شيخًا أرى الشخصين أربعةً والشخصَ شخصين لما مسني الكبر
وكنت أمشي على الرجلين معتدلاً فصرت أمشي على ما تنبت الشجر

وقال أبو العتاهية:

عريت عن الشباب، وكان غضّاً، ... كما يعرى من الورق القضيبُ.
ألا ليت الشباب يعود يوماً ... فأخبره بما فعل المشيبُ!

وقال آخر:

يا حسرتاً أين الشباب الذي ... على تعدّيه المشيبُ اعتدى؟

شبْتُ، فما أنْفكُّ من حسرةٍ ... والشيب في الرأس رسول الرَّدى!
إنَّ مدى العمر قريبٌ فما ... بقاء نفسي بعد قُرب المدى؟

وقال آخر:
الدّهر يومان ذا أمن وذا خطر والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقرّ بأقصى قاعه الدّرر
وفي السّماء نجوم لا عداد لها وليس يُكسف إلّا الشّمس والقمر

وقال آخر:
دوام حال من قضايا المحال واللطف موجود على كل حال

ج) القصة:

منقبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) فيها سبْقٌ علميٌ له (عليه السلام) وهو باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمنقبة ترتبط بهذا الاكتشاف العلمي فقد روى الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أتى عمر بامرأة تزوجها شيخ ، فلما أن و اقعها مات على بطنها، فجاءت بولد فادّعى بنوه أنها فجرت ، وتشاهدوا عليها ، فأمر بها عمر أن تُرجم ، فمر بها الإمام علي (عليه السلام) فقالت : يا بن عم رسول الله إن لي حجة. قال: هاتي حجتك ، فدفعت إليه كتابا فقرأه، فقال : هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوجها، ويوم و اقعها، وكيف كان جماعه لها)، ثم أمر (عليه السلام) بإرجاع المرأة وعدم معاقبتها. (فلما أن كان من الغد دعا بصبيان أتراب ودعا بالصبي معهم، فقال لهم : العبوا حتى إذا ألهاهم اللعب قال لهم: اجلسوا، حتى إذا تمكنوا صاح بهم، فقام الصبيان وقام الغلام فاتكأ على راحتيه، فدعا به الإمام علي (عليه السلام) وورّثه من أبيه وجلد إخوته المفترين حداً حداً. فقال له عمر: كيف صنعت؟ قال (عليه السلام): عرفت ضعف الشيخ في اتكاء الغلام على راحتيه).

.....

المحاضرة (٧) بعنوان: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) [الزمر: ٦٧] [الانعام: ٩١] [الحج: ٧٤]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

معنى وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ:
أي ما عرفوا الله حق معرفته ولا أعطوه المنزلة التي يستحقّها ويتميّز بها عن غيره من المخلوقات، ولا أحسنوا فهم صفاته وأسمائه المباركة، ففي الآية عتابٌ وتوبيخٌ لهذا التقصير في إدراك حقوق الربوبية ووظائف العبودية أمام الله تبارك وتعالى، وبنفس الوقت تستبطن الآية الدعوة لتحصيل هذه المعرفة، مع الاعتراف بالعجز عن إدراك الحقيقة الإلهية، روى في الكافي عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: (إن الله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال الله في كتابه (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) فلا يوصف بقدر الا كان أعظم من ذلك)[٤٧]. وفي الحديث المشهور عن رسول الله (صلى الله عليه

(٤٧) الكافي: ١/ ٨٠ ح١١.

وآله)(ما عرفناك حقَّ معرفتك، وما عبدناك حقَّ عبادتك)[٤٨]، وهذا معنى للتكبير(الله اكبر) أي أكبر من أن يوصف، إذ ليس لله تعالى قدر، و إنما يقدِّر المخلوقون (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرا) (الطلاق/٣).

بل نحن عاجزون عن إدراك اسمٍ من اسمائه تعالى وصفةٍ من صفاته كالمنعم، قال الله تعالى (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا) (النحل/١٨)، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (أوحى الله تعالى الى موسى (عليه السلام): يا موسى اشكرني حقَّ شكري، فقال: يا ربِ كيف أشكرك حقَّ شكرك، وليس من شكرٍ أشكرك به الا و أنت أنعمت به عليَّ؟ فقال: يا موسى شكرتني حق شكري حين علمت أن ذلك مني)[٤٩] وهذا فضلٌ من الله تعالى وكرمٌ حين جعل الاعتراف بالعجز أداءاً للحق، فإذا كنّا عاجزين عن معرفة اسم من اسمائه فكيف نقدر على معرفته حق المعرفة سبحانه وتعالى.

معنى الزجر والتوبيخ في الآية:

فالاستغراب والزجر والتوبيخ ليس من عدم معرفة الخلق للخالق حق معرفته، لانهم عاجزون عن بلوغ ذلك، ولكن الاستغراب والتوبيخ من عدم سعيهم لتحصيلها بالمقدار الممكن لهم أولا ولاستكبارهم على ربّهم مع هذا العجز ثانياً.

والآية شاملة لكل الناس فكل الناس ما قدروا الله حَقَّ قدره، وكان النبي وأهل بيته(صلوات الله عليهم اجمعين) الذين نخاطبهم بوصف (التامين في معرفة الله)[٥٠] اكثر الناس اقرارا بالعجز عن معرفة الله تعالى، لان الانسان كلما ازداد معرفة ازداد ادراكا لقصوره وتقصيره وخضوعه وتذلله لله تعالى، و انما يستكبر الجاهل (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) [الإسراء : ٤٣]، نعم كما أن الناس على درجات متسافلة في عدم إعطاء الله تعالى حق قدره كذلك هم درجات متصاعدة في تعظيم قدر الله تعالى. فبعض الذين ما قدروا الله تعالى حقَّ قدره أنكر وجوده تعالى وبعضٌ أشرك به غيره بل قدّموا غيره تعالى عليه فعبدوا الغير من دون الله تعالى فهؤلاء ما قدروا ربوبيته والوهيته حق قدرها، وبعض أنكر وحيه وبعثة الانبياء والرسل و انزال الكتب فهؤلاء ما قدروا لطفه ورحمته وحكمته وعلمه حق قدرها هذه الاسماء الحسنى التي تقتضي بعث الانبياء والرسل اذ ان الله تعالى يعلم ان الانسان عاجز عن الوصول بمفرده الى الكمال والسعادة ما لم يهده الله تعالى ببعث الانبياء و انزال الكتب، وان رحمته بعباده وحكمته تقتضيان ذلك ولا بخل في ساحته فكيف ينكرون بعث الانبياء والرسل.

وبعض أنكر المعاد يوم القيامة، فهؤلاء ما قدروا عدله وقدرته حق قدرها وبعض انكر صفاته وأسماءه كالقدرة على تدبير الكون والغلبة على اعدائه، قال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر٦٧). وقال تعالى: (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج ٧٤). وقال تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الانعام ٩١) فينزّه الله تعالى نفسه عن هذه الأباطيل (سبحانه و تعالى عما يشركون)، إذ حق قدره ان يوحَّد في الوهيته وربوبيته وفي انه المبدأ واليه المعاد وله ما بينهما، ونزهه عن كل نقص و انه لا يشبهه شيء (وتنزه عن مجانسة مخلوقاته).

الهيمنة اللا محدودة:

وتذكر الآية في سورة الزمر مظهراً من مظاهر قدرته فالسماوات والأرضون كلها في قبضته وتحت هيمنته اللامحدودة كما أن الورقة حينما تُطوى تكون في القبضة فهو تعبير عن التسلط التام على السماوات والأرضين، وهو كذلك في الدنيا وليس في الآخرة فقط، لكن الفرق أنه تعالى في الدنيا خَوّل عباده ببعض الملك و أنحاء التصرفات، لكن الإنسان يأتي في الآخرة مجرداً عن كل ذلك)تَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ) (الأنعام/٩٤).

---

(٤٨) بحار الانوار: ٢٣/٧١.

(٤٩) ميزان الحكمة: ٤٧٣/٤.

(٥٠) من زيارة الجامعة الكبيرة.

المؤمنون ما قدروا حق ربهم:

ونتنقل الآن الى دائرة أضيق من الذين ما قدروا الله حق قدره وهم المؤمنون بالله تعالى فإنهم أيضا ما قدروه حق قدره بأشكال عديدة، أوضحها ارتكاب الذنوب والمعاصي فإن فيها استخفافاً بحقوق الربوبية، روى إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق (عليه السلام) حديثاً جاء فيه: (يا إسحاق خَفِ الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن شككت أنه يراك فقد كفرت وإن أيقنت أنه يراك ثم بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين اليك)[٥١].

من أشكال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ):

ومن أشكال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) عدم مراعاة حقّ من أمر الله تعالى بمراعاة حقه، كالنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين عليهم السلام والحجج من بعدهم، وفي موارد كثيرة اخرى وردت في الروايات. كقوله (عليه السلام): (ومن لم يوقّر القرآن فقد استخف بحرمة الله)[٥٢]، ومن مصاديق عدم توقير القرآن نبذ احكامه والعمل بالقوانين الوضعية التي يصنعها البشر. وقوله (عليه السلام): (الا ومن استخف بفقيرٍ مسلمٍ فقد استخف بحق الله والله يستخفُّ به يوم القيامة إلا أن يتوب)[٥٣]. وفي الحديث القدسي قوله تعالى: (يا موسى إن من إعظام جلالي إكرام عبدي الذي أنلتُهُ حظاً من حطام الدنيا عبداً من عبادي مؤمناً قَصُرَتْ يدُهُ في الدنيا، فإن تكّبر عليه فقد استخف بعظيم جلالي)[٥٤].

ومن أشكال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) الاعتقاد بأن الاسباب المخلوقة هي المؤثرة من دون الله تعالى كقول البعض (لولا فلان لما حصل كذا)، ومنها طاعة المخلوقين في غير ما امر الله تعالى به، أو تطبيق القوانين الوضعية في الحياة وترك القوانين الالهية وهكذا. و آية سورة الحج صريحة في ذلك فقد سبقها قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج/٧٣) فلا فرق بين من كان في الأزمنة السابقة يعبد الأصنام طمعاً في منفعة أو دفعاً لمضرةٍ بحسب اعتقاده وبين من يلتجئ اليوم الى المخلوقين من دون الله تعالى لنفس الغرض مهما كانت القوة والقدرة الموجودة عند المخلوقين كأمريكا التي يسمونها (القوة العظمى) أو أي دول أو شخصيات متفرعنة اخرى (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) فهؤلاء كلهم ما قدروا الله حق قدره (إنَّ الله لقوي عزيز) فالعزة والقدرة والعظمة لله تبارك وتعالى.

علاقة غير منصفة مع الله تعالى:

تتناول بعض الأحاديث القدسية هذه العلاقة غير المنصفة بين الناس وخالقهم، روى الإمام الرضا (عليه السلام) أن أباه (عليه السلام) قال: (قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): يقول الله تبارك وتعالى يا بن آدم ما تنصفني أتحبّب اليك بالنعم، وتتمقّت اليّ بالمعاصي، خيري اليك نازل وشرك اليّ صاعد ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح يا بن آدم لو سمعت وصفك من غيرك و أنت لا تعلم من الموصوف لسارعت الى مقته)[٥٥].

هذا النقص والتقصير في معرفة الله تعالى بسبب الجهل أو التعصب أو اتبّاع الهوى أو التلقّي من وسائل غير صحيحة وبأدوات غير طاهرة يأخذه الإنسان الى يوم القيامة أيضاً ويجادل فيه (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)[الكهف : ٥٤] فيريد أن يعرف ربه من خلال تلك القنوات المعرفيّة المشوّهة المملوءة بالشوائب، أي يفصّل له رباً على طبق معتقداته المستندة الى الأوهام التي ذكرناها آنفاً فلو تجلى له ربه بما يليق بقدسه وجلاله فانه ينكر ربه لانه يريد رباً يصوره هو ويعرفه هو

---

(٥١) بحار الانوار: ٣٢٣/٥ عن ثواب الاعمال ورجال الكشي وقضاء حقوق المؤمنين.

(٥٢) البحار: ١٩/٨٩ ح١٨.

(٥٣) البحار:٣٨/٦٩ ح٣٠.

(٥٤) البحار: ٢٦٧/٢٣ ح١٢.

(٥٥) بحار الانوار: ١٩/٧٧ ح٢ عن عيون اخبار الرضا: ٢٨/٢.

ويتناغم مع هواه، مثلاً كان في الدنيا يتعصب لشخص او جهة او كان يؤمن بعقيدة معينة او باتجاه ما واخبره ربه في الاخرة ان محبوبه الذي يتعصب له وهم باطل فانه سيقول له انت لست ربي حقيقة، ولو كنت ربا حقا لقلت لي ان هذا الشخص او العقيدة او الحالة حق[٥٦]، فهم يحكمون على الله تعالى بما عندهم من غث وسمين وليس العكس بأن يحكّمون الله تعالى فيما عندهم، والاول هو الذي يسميه بعض أهل المعرفة بالرب المقيد بتصوراتنا واوهامنا والثاني بالرب المطلق الذي لاتحددّه اوهامنا وعقولنا واهواؤنا وهو الاعتقاد الصحيح.

وتوجد رواية يظهر منها هذا المعنى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتّبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت[٥٧]، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: انا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى ياتينا ربّنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: انا ربكم فيقولون: انت ربنا فيتبعونه)[٥٨].

فإذا أردنا معرفة الله حق معرفته فلنأخذها من أهل لها وهم أهل البيت (عليهم السلام) عدل القرآن وصنوه والقرآن الناطق، ومن ادعية أمير المؤمنين والامام الحسين والامام السجاد (صلوات الله عليهم اجمعين) والكلمات الاخرى للائمة المعصومين عليهم السلام .

الربط العزائي (الكورين):

ومن لم يَعرِف الله سبحانه ولم يُقدره حق قدره فهو لن يعرف قيمة أوليائه وبالعكس، فقد جاء في دعاء زمن الغيبة عن الإمام المهدي(عليه السلام): (اللهم عرفني نفسك فانك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك اللهم عرفني رسولك فانك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك اللهم عرفني حجتك فانك إن لم تعرفني حجتك ظللت عن ديني).. لذا العصاة والظالمين ما عرفوا قدر الإمام الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء فقتلوا وقتلوا أهل بيته واصحابه وروعوا عياله وأخذوهم سبايا، وقيدوا الإمام السجاد(عليه السلام) والسيدة زينب (عليها السلام) بالحبال.

يقول الراوي أدخل ثقل الإمام الحسين(عليه السلام) و نسائه وأهل بيته على الطاغية يزيد بن معاوية لعنهما الله وهم مقرنون في الحبال فلما وقفوا بين يديه و هم على تلك الحال قال له علي بن الحسين (عليه السلام) أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه الصفة فأمر يزيد بالحبال فقطعت ثم وضع رأس الإمام الحسين(عليه السلام) بين يديه... .

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ومن أهان فقيراً مسلماً من أجل فقره واستخف به فقد استخف بالله، ولم يزل في غضب الله عزّ وجّل وسخطه حتى يرضيه ، ومن أكرم فقيرا مسلما لقي الله يوم القيامة وهو يضحك إليه ، ثم قال : ومن بغى على فقير أو تطاول عليه أو استحقره حقره الله يوم القيامة مثل الذرة في صورة رجل حتى يدخل النار).

---

(٥٦) مثلاً الذين يقدّسون بعض الطقوس التي اضيفت الى الشعائر الحسينية فلو تجلى لهم رب العزة والجلال وقال لهم هذا الفعل ليس من الشعائر الحسينية و انما هو طقس وفعالية ابتدعها البعض للتعبير عن تفاعله مع قضية الحسين (عليه السلام) فان هؤلاء سيقولون انت لست رباً حقاً، ولو كنت الرب الحقيقي لقلت لنا أن الدين هو هذا الفعل.

(٥٧) وقد يكون هؤلاء الطواغيت متلبسين بزي علماء الدين: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة : ٣١].

(٥٨) صحيح مسلم: ٨٢، باب ٨١ معرفة طريق الرؤية، ح ٢٩٩.

- وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن إبليس قال لعيسى بن مريم (عليه السلام): أيقدر ربك على أن يدخل الأرض بيضة، لا يصغر الأرض ولا يكبر البيضة؟ فقال عيسى (عليه السلام): ويلك إن الله لا يوصف بعجز، ومن أقدر ممن يلطف الأرض ويعظم البيضة؟! وعن السيد المسيح (عليه السلام) - أيضا -: إن الله عزوجل لا ينسب إلى عجز، والذي سألتم عنه لا يكون).. وعن الإمام علي (عليه السلام) أيضاً: (ويلك! إن الله لا يوصف بالعجز، ومن أقدر ممن يلطف الأرض ويعظم البيضة).. وعن الإمام الرضا (عليه السلام) - أيضاً -: (نعم، وفي أصغر من البيضة! قد جعلها في عينك وهي أقل من البيضة، لأنك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما، ولو شاء لأعماك عنها).
- روى القطب الراوندي في لب اللباب: (روي أنه يخرج عنق من النار فيقول: أين من كذب على الله · و أين من ضاد الله · و أين من استخف بالله فيقولون: ومن هذه الأصناف الثلاثة · فيقول : من سحر فقد كذب على الله، ومن صور التماثيل فقد ضاد الله، ومن تراءى في عمله فقد استخف بالله).
- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (قال الله تعالى: يا موسى، إن الفخر ردائي، والكبرياء إزاري، فمن نازعني في شيء منهما عذبته بناري، ياموسى، إن من إعظام جلالي ، إكرام العبد الذي انلته حظا من الدنيا عبدا من عبادي مؤمنا قصرت يده في الدنيا، فإن تكبر عليه فقد استخف بجلالي).

ب) الشعر:

أيا عجبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدًا شاهد

ج) القصة:

يُحكى أن النبي الكريم يوسف الصديق (عليه السلام) لما استتب له ملك مصر كان له مجلس عام للناس يقضي حوائجهم ويرفع عنهم ظلاماتهم، وفي احد الأيام كان هناك شاب متواضع لا يُلتفت إليه وكان الروح الأمين جبرئيل إلى جانب النبي يوسف (عليه السلام) فسأله أتعرف هذا الشاب؟ قال (عليه السلام): ومن يكون؟ قال (عليه السلام) هذا الطفل الصغير الذي شهد ببرائتك عندما راودتك امرأة العزيز واستبقتما الباب وألفيتما العزيز لديها. فاهتم به النبي يوسف (عليه السلام) وأكرمه وخلع عليه الهدايا، وهنا تبسّم الروح الأمين وقال ليوسف: ان شهادة واحدة بالتنزيه والبراءة لك أوجبت هذا العطاء الكثير فكيف سيكرّم الله تعالى عباده الذين يشهدون له تبارك وتعالى يومياً عدة مرات بالتنزيه والبراءة من الشركاء ويسبّحونه.

أقول: لعلكم تتفقون معي أن يوسف الصديق (عليه السلام) مهما اعطى إلى هذا الشاب فإنه قليل بإزاء قيمة الشهادة التي أدلى بها ذلك الشاب عندما كان طفلاً حين انقذ يوسف (عليه السلام) مادياً من القتل ومعنوياً بتبرئته من الفاحشة والظلم وتنزيه ساحته. هذا ويوسف (عليه السلام) مهما كان ملكه عظيماً فهو مخلوق لا يملك لنفسه شيئاً، فكيف هو عطاء الله تبارك وتعالى الخالق العظيم مالك السماوات والأرض الجواد الكريم لعباده الذين يسبحون بحمده وله يسجدون.

وفي ضوء هذا نعرف فضل النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لأنهم علّمونا ما نعبد الله تعالى به وما نسبحه به ونحمده، يكفي أن صلاة واحدة –وهي صلاة جعفر الطيار فيها ثلاثمائة تسبيحة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر بالكيفية المعروفة –و أفضل أوقاتها ضحى يوم الجمعة ولا تأخذ وقتاً أزيد من ثلاثة أرباع الساعة

بالمعدل فالمفروض أن نشعر بالشكر والامتنان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كلما أدّينا هذه الصلاة لأنه (صلى الله عليه وآله) علمنا إياها وكذا بقية الاعمال.

وتصوّروا حينئذٍ ان هذا العطاء لمن أدى الشهادة لله تبارك وتعالى بلسانه أو بقلبه وحركة بدنه، فماذا يكون عطاء الله تبارك وتعالى لمن أدى الشهادة بروحه ودمه وهو الشهيد في سبيل الله تبارك وتعالى وإنّما سُمّي شهيداً، لأنه يشهد على مبادئه ومعتقداته التي آمن بها بدمه وروحه ونفسه التي هي أعز ما عنده (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) حينما اكتفى غيره بالشهادة باللسان أو حركات البدن. وسُمّي شهيداً لأنه يشهد على الأمة ويقيم الحجة عليها بتضحيته بنفسه في سبيل الله تبارك وتعالى، فلا نستغرب ما أعدّ الله تبارك وتعالى من الكرامة والدرجة الرفيعة للشهداء، وأعظم هذا العطاء الذي لا حدود له استحقه سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) لأن عطاءه كان بلا حدود، وجسّد شهادته لله تبارك وتعالى بنفسه الشريفة وأولاده وإخوته وعشيرته وأصحابه وتعريض نسائه للسبي وهُنَّ ودائع النبوة. ولعل هذا يفسّر لنا تشريع زيارات مخصوصة للإمام الحسين (عليه السلام) في كل أيام الله تبارك وتعالى كالأول والنصف من رجب والنصف من شعبان وليلة القدرويوم عرفة والعيدين لان شهادته (عليه السلام) أعظم شهادة على المبادئ الحقّة.

.....

المحاضرة (٨) **بعنوان**: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [الضحى: ١١] نشرولاية أهل البيت (عليهم السلام)

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

ماذا يتوجب علينا مع حصول النعمة؟

إذا حصلت للإنسان نعمة ما مادية كانت او معنوية فان هذا يوجب عليه أموراً[٥٩] عديدة :

(منها) شكر هذه النعمة باللسان وبالفعل كسجدة الشكر او صلاة الشكر.

(ومنها) استعمالها في طاعة المنعم ونيل رضاه وأداء ما افترض الله تعالى من حقوق فيها كالحقوق المالية او حق الزوج والزوجة أو حق الوالدين او المعلم او القائد الصالح كما رسمها الامام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق.

(ومنها) بذلها للناس وعدم التقصيرفي سد احتياجاتهم منها، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: (إن لله عباداً أختصهم بالنعم يقرّها فيهم ما بذلوها للناس فإذا منعوها حوّلها منهم الى غيرهم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:(من كثرت نعم الله عليه، كثرت حو ائج الناس اليه، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء).

كيف نعرِّف بالنعمة ولا نُصاب بالعجب أو الرياء؟

(ومنها) ما ذكرته الآية الشريفة من وجوب التحديث بهذه النعمة، اذ الامر فيها لا يختص بالمخاطب وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما هو واضح في آيات القران الكريم، وقد يبدو الأمر غريباً إذا تعلق بالأمور المادية إذ من غير المألوف أن يتحدث الانسان في مجالسه بما عنده من اموال أو بنين او عقارات او نفوذ اجتماعي ونحو ذلك، وكذا الحديث في الأمور

---

(٥٩) شرحناها بتفصيل أوسع في خطاب (ولتسألن يومئذٍ عن النعيم) (خطاب المرحلة: ١٠١/٧) وخطاب (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) (خطاب المرحلة : ٣٣٣/٨).

المعنوية فقد يدخل في باب الرياء او العجب ان يتحدث الانسان عن الطاعات التي قام بها من صلاة او صوم او صدقة ونحو ذلك، إذن كيف نفهم هذا الامر بالتحديث بالنعمة.

والجواب يتحقق من خلال فهم معنى (النعمة) او (التحديث) يناسب الامر الوارد في الآية، والتأمل فيهما يؤدي الى عدة وجوه :

١- ان التحديث بالنعمة لا يكون بعنوان كونها إنجازاً شخصياً للاستعلاء والتفاخر و إنما بما هي منسوبة الى الله تبارك وتعالى لبيان فضله وكرمه و ابتداءه بالنعم لتحبيبه تعالى الى الناس وتذكيرهم بما أنعم الله تعالى عليهم، لذلك أضافت الآية النعمة الى الرب (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ).

٢- ان التحديث بالنعمة لا يقتصر على الحديث اللساني و إنما يشتمل التحديث العملي بإظهار تلك النعمة أمام الآخرين روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قوله: (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال : (إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سُميّ حبيب الله محدثاً بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبد بنعمة فلم تظهر عليه سمّي بغيض الله مكذباً بنعمة الله) ويكون ثمرة هذا التحديث للتأسي في فعلها أو السعي بنفس المقدمات التي تؤدي الى تحصيل تلك النعم ونحو ذلك روي عن الامام الحسين (عليه السلام) قوله: (إذا عملت خيراً فحدّث إخوانك ليقتدوا بك)[٦٠].

٣- يحتمل في التحديث معانٍ آخر غير معنى التكلم بها وإطلاع الآخرين عليها، قال السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره): (أمكن أن يُراد بمادة (حدّث) أمران أخران:

الأول : الحدوث.

والثاني : التحديث بمعنى الجدة.

فعلى الاوّل يعني: أوجد نعمة ربّك، أي :سبّب إلى وجودها في حدود إمكانك، وهو أمر معنوي.

وعلى الثاني يعني: جدّد نعمة ربّك: إما بالتسبيب إلى تكرارها وإما بتذكّرها. وإما أن يكون الحديث بمعنى التذكّر يعني: حدّث نفسك أو حدّث ربّك، ولم يقل حدّث الآخرين، وهو مجازٌ في التذكّر، وفيه ثوابٌ وتكاملٌ، أو إنَّك إنَّما تفعل ذلك كلّه بنعمة الربّ سبحانه. وبتعبيرٍ آخر: تارةً يكون التركيز على النعمة وأخرى على التحديث بها، ويكون الآخر تابعاً نحو: العيش برزق الله)[٦١].

٤- إن الآية لم تذكر صاحب النعمة التي يجري التحديث بها فقد لا يكون المقصود التحدث بنعمة الله على المتحدث نفسه بل على الآخرين لتذكيرهم ولتقريبهم الى الطاعة او لتسليتهم عن أمر فقدوه ولامتصاص غضبهم وسخطهم على ما فاتهم فيذكرهم بالنعمة التي أستفادوها ونحو ذلك، ورد أن الله تعالى قال لموسى (عليه السلام): (حبّبني الى خلقي وحبّب خلقي اليّ، قال: يا رب .. كيف أفعل ؟ قال : ذكرّهم آلائي ونعمائي ليحبّوني)[٦٢].

النعمة هي الاسلام وولاية اهل البيت عليهم السلام :

٥- الوجوه السابقة كلها مقبولة ومفيدة الا ان الوجه الادق والاهم هو أن نفهم من نعمة الرب مصداقاً يتناسب مع الأمر بالتحديث بها، وهذا موجود، لأن آيات عديدة وروايات كثيرة أفادت بأن هذه النعمة هي الاسلام وولاية أهل البيت عليهم السلام ، ومنها قوله تعالى (فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) (آل عمران/١٠٣) ونعمة الله التي ألفت بينهم ووحدّت قلوبهم هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)برسالة الاسلام، عن الامام الحسين (عليه السلام) قال في تفسير هذه الآية (أمره أن يحدِّث بما أنعم الله عليه من دينه) ويكون هذا المعنى ظاهرا بمقتضى المقابلة بين الآيات في سورة

---

(٦٠) مفاتيح الغيب :٣١/٢٠١.

(٦١) منة المنان في الدفاع عن القرآن: ٢/ ٩٦.

(٦٢) الأمالي : ٤٨٤.

الضحى فان هذه الآية قابلت قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى) (الضحى/٧) فالنعمة التي امر بالتحدث بها هي نعمة الهداية الى دين الله تبارك وتعالى.

وتمام هذه النعمة وكمال هذا الدين ولاية علي ابن ابي طالب (عليه السلام) لقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) (المائدة/٣)، وورد عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر/٨) قول الامام الصادق (عليه السلام) إلى أبي حنيفة: (نحن – أهل البيت – النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألفّ الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله الى الاسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي (صلى الله عليه وآله)وعترته)[٦٣]، وقد يكون هذا المعنى هو المقصود لا غيره إذا لم نفهم اطلاق النعم وعمومها من قوله تعالى (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) بأن يكون المراد التنويه بنعمة معينة فتكون هذه لا غيرها و اكتفى بالإشارة اليها لعظمتها واهميتها على سائر النعم.

وورد عن الامام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان/٢٠) قال: (النعمة الظاهرة النبي (صلى الله عليه وآله)وما جاء به النبي من معرفة الله عزوجل وتوحيده، وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا). وقد عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الآية المباركة وتحدّث بفضل اهل بيته ومقاماتهم الرفيعة وجعلهم صنو القرآن والزم الامة بالرجوع اليهم فظن بعض الاصحاب انه منحاز الى قومه ويتحدث بدافع العاطفة نحو اهل بيته عليهم السلام وهو المنزّه عن كل ذلك (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم٣/٤) فعمله (صلى الله عليه وآله)هذا كان التزاماً بالآية الكريمة.

آليات التحديث بالنعمة:

فالتحديث بهذه النعمة يكون بالتعرف عليها والتفقه فيها ثم نشرها بين الناس ودعوتهم اليها، وإذا أردنا أن نكون من الشاكرين على هذه النعمة فلابد أن نظهرها ونعظّمها ونبّين فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم ومكارم أخلاقهم وننشر مواعظهم وأحكامهم ومحاسن كلامهم ونوصلها الى البشرية جمعاء بكل صنوفها ولغاتها، وعلينا أن نحيي شعائرهم وأمرهم كما دعوا عليهم السلام الى ذلك (احيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا) ومن قصَّر في إظهار نعمة ولاية أهل البيت عليهم السلام ولم يدعُ الناس اليها و إقناعهم بها بأي وسيلة ممكنة، أولم يحفظ حرمة أهل البيت عليهم السلام في سلوكه وصفاته فهو ممن لم يؤدِ حق هذه النعمة ولم يشكرها.

وكما تقدّم في قول الامام الصادق (عليه السلام) فأنه أعتبر من لم يحدث بنعمة الله ولم يظهرها مكذباً بنعمة الله وبغيض الله، فليتفقه كل شيعة اهل البيت عليهم السلام في دينهم وليطلعوا بعمق ووعي على سيرة أئمتهم عليهم السلام ليستطيعوا إيصال هذه الرسالة العظيمة الى العالم كله بأمانة و إتقان (فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا)[٦٤].

مسؤولية التشيع اليوم:

أقول: بناءاً على هذه المسؤولية الكبيرة التي حملّتنا هذه الآية مع توفر أثمن فرصة اليوم لنشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام والتمهيد لدولة العدل الإلهي بسبب:

١- عظمة ما أحتوت عليه كلمات أهل البيت عليهم السلام من احكام وإرشادات ومواعظ قال الامام الرضا (عليه السلام): (فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا) وهذا ما تشهد به التجارب التي حدثنا بها الاخوة المبلغون في شرق الارض وغربها وما لمسوه من إقبال واسع وسريع لمذهب أهل البيت عليهم السلام .

---

(٦٣) راجع مصادر هذه الأحاديث في خطاب المرحلة: ٣٣٣/٨ و١٠١/٧.

(٦٤) معاني الاخبار للشيخ الصدوق.

٢- فشل الأنظمة المادية التي صنعتها البشرية وعجزها عن توفير السعادة للإنسان.
٣- الصورة المشوهة للإسلام التي طرحتها المدارس البعيدة عن أهل البيت عليهم السلام حيث كان نتاجها التكفير والقتل والارهاب والتدمير وتخريب الحضارة.

فتوجهت الانظار كلها الى مدرسة أهل البيت عليهم السلام لذا كان لزاماً علينا في الحوزات العلمية والنخب الفكرية والثقافية والمراكز العلمية والبحثية أن تضع البرامج والآليات للتحرك بهذه الرسالة العظيمة وسيفتح الله تعالى لهم العالم بأسره ولا نتخوف من الحكومات فإننا إذا توجهنا بخطابنا الى الرأي العام وصنعنا قضية أمامه من خلال مراكز اعلامية وفكرية وبحثية صانعة للمو اقف ومقنعة للرأي العام على شكل (لوبيات) مؤثرة وفاعلة في مختلف دول العالم ، فان الرأي العام سيقتنع بها ويضغط على أصحاب القرار ويجبره على الانصياع للرأي العام الذي تخشاه الحكومات.

وأذكر كمثال مظلومية الشعب العراقي وإضطهاد صدام المقبور له، فعندما تحركت المعارضة العر اقية يومئذٍ وشرحت هذه المظلومية كوّنت ر أياً عاماً متعاطفاً معها وارتقى بهم الأمر حتى أقنعوا حكومات الدول الكبرى بضرورة إتخاذ إجراء وهذا ما حصل، كما ان القناعة حصلت لاثنتين من كبريات الصحف البريطانية والامريكية فنشرت مقالين عن زيارة الاربعين هذا العام واشارت الى الارقام القياسية المتحققة فيها من حيث عدد المشاركين في المشي وعدد المتطوعين للخدمة المجانية وعدد وجبات الطعام المجانية المقدّمة (قدروها بـ(٢٠٠) مليون وجبة) وأطول مائدة طعام في العالم في أكبر حشد بشري، كما عتب كاتبا المقالين على وسائل الاعلام العالمية لإغفالها هذا الحدث مع انها تغطي تجمعاً لعشرات في هذه الدولة او تلك. وهذا كله يثبت اننا قادرون على صناعة وتوجيه الرأي العام العالمي اذا توفرت الارادة والعزم والسعي. فلماذا نتخلى عن مشروعنا هذا بمجرد الوصول الى السلطة، فهل السلطة غايتنا أم إنها وسيلة لإحقاق الحق وإزالة الظلم والفساد.

الربط العزائي (الكورين):

وواحدة من صور التحدث بنعمة الله تعالى هو نشر فضائل أهل البيت(عليهم السلام) و إقامة العزاء على مصائبهم فقد كان الأئمة (عليهم السلام) يحيون مر اثي جدهم الإمام الحسين(عليه السلام) كالإمام الباقر والصادق والإمام الرضا (عليه السلام) الذي كان ينتدب شاعره دعبل الخزاعي ليقرأ له بعض الأبيات في مظلومية أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومما جاء في بحار الأنوار للعلامة المجلسي:

حكى دعبل الخزاعي قال: دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الايام فر أيته جالسا جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه من حوله، فلما ر آني مقبلا قال لي: مرحبا بك يا دعبل مرحبا بناصرنا بيده ولسانه، ثم إنه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي: يا دعبل احب أن تنشدني شعرا فان هذه الايام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، و أيام سرور كانت على أعدائنا خصوصا بني امية، يا دعبل من بكى و أبكى على مصابنا ولو واحدا كان أجره على الله يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا، يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنوبه البتة ثم إنه عليه السلام نهض، وضرب سترا بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام ثم التفت إلي وقال لي: يا دعبل ارث الحسين فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيا، فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي و أنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا * وقد مات عطشانا بشط فرات
إذا للطمت الخد فاطم عنده * وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير و اندبي * نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان واخرى بطيبة * واخرى بفخ نالها صلو اتي
قبور ببطن النهر من جنب كربلا * معرسهم فيها بشط فرات
تو افوا عطاشا بالعراء فليتني * توفيت فيهم قبل حين وفاتي

إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم * سقتني بكأس الثكل والفضعات
إذا فخروا يوما أتوا بمحمد * وجبريل والقرآن والسورات
وعدوا عليا ذا المناقب والعلا * وفاطمة الزهراء خير بنات
وحمزة والعباس ذا الدين والتقى * وجعفرها الطيار في الحجبات

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده).
- وعنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (ما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً إلاّ لإطعامه الطعام ، وصلاته باللّيل والنّاس نيام) .
- وعنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . بحق عبد الله بن جدعان أحد كفّار الجاهليّة المعروفين وأحد أبناء قريش المرموقين: (إنّ أهون أهل النّار عذاباً ابن جدعان) قيل : لماذا يا رسول الله؟ فأجاب: (إنّه كان يُطعم الطّعام).
- الإمام علي (عليه السلام): (حق على من انعم عليه أن يحسن مكافأة المنعم، فإن قصر عن ذلك وسعه فعليه أن يحسن الثناء، فإن كل عن ذلك لسانه فعليه بمعرفة النعمة ومحبة المنعم بها، فإن قصر عن ذلك فليس للنعمة بأهل).
- وعنه (عليه السلام): (إذا اخذت منك قذاة فقل: أماط الله عنك ما تكره).
- وعنه (عليه السلام) - من كتابه إلى الحارث الهمذاني: واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك، ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك، وليرعليك أثر ما أنعم الله به عليك
- وعنه (عليه السلام) - في احتجاجه على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء، وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك: عليّ بعاصم بن زياد، فجئ به، فلما رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك، أوليس الله يقول: (والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام) أوليس [الله] يقول: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان - إلى قوله - يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذا لها بالمقال، وقد قال الله عزوجل: (وأما بنعمة ربك فحدث) فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: ويحك إن الله عزوجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيغ بالفقير فقره، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء.
- وعنه (عليه السلام): (إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده).
- وعنه (عليه السلام): (إنّما أمهل الله فرعون في دعوته لسهولة إذنه ، وبذل طعامه ، فجوزي في الدّنيا على أعماله).
- الإمام زين العابدين (عليه السلام): (أما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزوجل، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرا وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوما كافيته).
- وعنه (عليه السلام): (يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلانا ؟ فيقول: بل شكرتك يا رب، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (من صنع مثل ما صنع إليه فإنما كافأ، ومن أضعف كان شاكراً).
- سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن معنى قوله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا) فقال الإمام الصادق (عليه السلام): (النعمة ولاية أمير المؤمنين يعرفونها يوم الغدير وينكرونها يوم السقيفة).

- سئل أبو حنيفة النعمان الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الآية (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) فقال له الإمام (عليه السلام) : (ما النعيم عندك يا نعمان ؟ قال : القوت من الطعام و الماء البارد. فقال: لئن أوقفك الله بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه, قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال (عليه السلام): نحن " أهل البيت " النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد, و بنا إئتلفوا بعد أن كانوا مختلفين, وبنا ألفّ الله بين قلوبهم وجعلهم أخواناً بعد أن كانوا أعداء, و بنا هداهم الله للإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم و هو النبي و عترته).
- الإمام الرضا (عليه السلام): (من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزوجل).
- أبو الأحوص عن أبيه: أتيت النبي (صلى الله عليه وآله) في ثوب دون، فقال: ألك مال ؟ قال: نعم، قال: من أي المال ؟ قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته ...أيضا: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرآني سئ الهيئة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): هل لك من شئ ؟ قال: نعم من كل المال قد آتاني الله، فقال: إذا كان لك مال فلير عليك.
- الإمام الصادق (عليه السلام) - لعبيد بن زياد: (إظهار النعمة أحب إلى الله من صيانتها، فإياك أن تتزين إلا في أحسن زي قومك، قال - بريد بن معاوية: فما رئي عبيد إلا في أحسن زي قومه حتى مات).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا سافر أحدكم فليأت أهله ولو بحجر؛ فإنّ إبراهيم (عليه السلام) ضاف ضيفاً فأتى قومه فوافق منهم قحطاً شديداً، فرجع كما ذهب ، فلمّا قرب من منزله نزل عن حماره فملأ خُرجه رملاً أراد أن يُسكّن به روع زوجته سارة، فلمّا دخل منزله حطَّ الخرج عن الحمار و افتتح العلوفة ، فجاءت سارة ففتحت الخُرج، فوجدته مملوءاً دقيقاً ، فاختبزت منه وقالت لإبراهيم (عليه السلام) : انفتل من صلاتك وكل. فقال لها : (من أين لك هذا؟!) . قالت : من الدقيق الذي في الخُرج . فرفع رأسه إلى السّماء فقال: (أشهد أنّك الخليل).
- إنّ الله أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام): (إنّك لمّا سلّمت مالك للضّيفان، وولدك للقُربان ، ونفسك للنّيران ، وقلبك للرحمان، اتّخذناك خليلاً). كلمة الله .

ب) الشعر:

قال الشاعر:

وإذا خصِصتَ بنعمةٍ ورزقتها ... من فضلِ ربّكَ منةً تغشاها
فابغِ الزيادةَ في الذي أعطيتهُ ... وتمامُ ذلكَ بشكرِ من أعطاها

وقال آخر:

إذا الفتى ظفرت يداه بنعمة *** فدوامها بدوام شكر المنعم

وقال آخر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً * علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله * وإن طالت الأيام و اتصل العمر
إذا عم بالسراء عم سرورها * وإن خص بالضراء أعقبها الأجر

ج) القصة:

إن الأهداف الدنيوية محدودة وتنتهي، ويصل الإنسان إلى اللحظة التي يشعر انه كان يجري وراء سراب ووهم، إما الأهداف المعنوية فهي مفتوحة نحو الكمال ولا حدود لها لأنها تتوجه نحو اللامحدود. وذكر لهم مثلاً أغنى رجل في العالم الملياردير (بيل غيتس) مالك شركة مايكروسوفت فهو يملك مليارات الدولارات لكنه قال لأطبائه النفسيين ومستشاريه أني متألم لأني لا أجد فرقاً بيني وبين من يملك مئات الملايين من الدولارات فكلانا يركب أحدث سيارة ويسكن أجمل قصر ويتمتع بألذ المأكولات و أنا أريد أن أتميّز عنهم فقال له أحد استشاريه يمكنك الامتياز عنهم بالتوجه نحو مشاريع الخير والإحسان والأعمال الإنسانية فأنها واسعة، وهي نصيحة حكيمة.

قصة أخرى:

عن حذيفة المرعشي أنّه قال: قدم شقيق البلخي مكّة و إبراهيم بن أدهم فيها ، فاجتمع النّاس . وقالوا : يجمع بينهما في المسجد الحرام . فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق : يا شقيق ، علامَ أصَّلتم أصولكم ؟

فقال شقيق : أصّلنا أصولنا على أنّا إذا رُزقنا أكلنا ، وإذا مُنعنا صبرنا .

فقال إبراهيم : هكذا كلاب بلخ إذا رُزقت أكلت ، وإذا مُنعت صبرت .

فقال شقيق : فعلامَ أصّلتم أصولكم . يا أبا إسحاق..

قال :أصّلنا أصولنا على أنّا إذا رُزقا آثرنا ، وإذا مُنعنا حمدنا وشكرنا .

فقام شقيق ، وجلس بين يديه ، وقال : أنت أستاذنا يا أبا إسحاق .

.....

المحاضرة (٩) بعنوان: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف/١٠٨)

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

تبّين الآية واحدة من وظائف الأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومن تبعهم وحمل رسالتهم من العلماء العاملين الرساليين، وهي الدعوة الى الله تبارك وتعالى قولاً وفعلاً وعرض المشروع الإلهي على الناس و اقناعهم به وهدايتهم. وتبّين الآية ايضاً واحدة من مميزات هؤلاء القادة وخصائصهم التي تميزّهم عن غيرهم من الزعامات وتُعرِّف الأمة كيف يفرزون قياداتهم الحقة عن طلاب الدنيا ولو بأسم الدين.

وهذه الخصوصية هي الصراحة والشفافية مع الأمة (هَذِهِ سَبِيلِي) وامتلاك الرؤية الثاقبة والنظر الدقيق ووضوح الأهداف وآليات العمل لديه المعبّرعنها في الآية بـ(البصيرة) وهي البوصلة التي ترسم المسار الصحيح للإنسان في كل حركاته وسكناته، وهذه البصيرة من الله تعالى والى الله تعالى، وما دام على بصيرة من ربّه فلا تخبّط في مسيرته ولا تناقض في أهدافه ولا تحرّكه الشهوات والانفعالات ولا تؤثر عليه هتافات الناس ولا تزويق المتزلفين ولا تخدعه المكائد والحيل وهذا لا يُدرك إلا بلطف الله تعالى.

والبصر والبصيرة أصلهما واحد وهي النظر والرؤية المدركة المنتجة للعلم والمعرفة وليست كل رؤية ونظر قال تعالى (وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) (الأعراف/١٩٨) فهم كالحيوانات لها عيون تنظر بها لكنها لا تفيدها علماً ولا معرفة، عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال (ليس الاعمى من يعمى بصره، إنما الاعمى من تعمى بصيرته)[٦٥] وكم من حالة او موقف

(٦٥) كنز العمال: ١٢٢٠.

ينظر اليه كثيرون لكن القليل ممن ينظر اليه بفكر واعتبار وتأمل (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا) (الأعراف/١٧٩) وإن كانت مفتوحة وينظرون بها الى الأشياء، و إنما يستفيد مما حوله في الحياة من كان له بصرٌ وبصيرة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ) (آل عمران/١٣) وليس لكل من لديه عين ينظر بها، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (بالاستبصار يحصُلُ الاعتبار)[٦٦].

والفرق بين البصر والبصيرة ان الأول بالعين والثانية بالقلب والعقل فقوله تعالى (عَلَى بَصِيرَةٍ) أي على حجة بينةٍ واضحةٍ من ربي (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف/٢٠٣).

واضافة (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) اليه(صلى الله عليه وآله) تشريف لهم بالحاق دعوتهم بدعوته المباركة، وأعلى مراتب البصيرة التامة ما عند المعصومين (عليهم السلام) لذا فأنهم القدر المتيقن من قوله تعالى (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) وفي أصول الكافي بسنده عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية قال: (ذاك رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين(عليه السلام) والاوصياء (عليهم السلام) من بعدهما)[٦٧]. فهؤلاء القمم من أهل البصائر هم من يجب اتباعهم والأخذ عنهم (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس/٣٥).

ثم تتفاوت مراتب البصيرة عند اتباعهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في حمل الرسالة المباركة والدعوة الى الله تعالى بحسب درجة تقواهم وقربهم من الله تعالى وبحسب نقاوة فطرتهم وسلامة عقولهم وتفكيرهم وطهارة نفوسهم وقلوبهم (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (القيامة/١٤)، فهذه باختصار المقتضيات الذاتية أي من نفس الانسان لتحصيل البصيرة وتهيئة الانسان نفسه لها وهي (التقوى، طاعة الله تعالى، نقاء الفطرة، سلامة العقل والفكر، طهارة النفس والقلب).

وخير وسيلة لتحصيل البصيرة التدبر في القرآن الكريم ومعرفة آياته، وقد وصف الله تعالى كتابه الكريم بهذا، قال تعالى (قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) (الأنعام/١٠٤) وقال تعالى (هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف/٢٠٣) وقال تعالى (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية/٢٠) وقال تعالى (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (القصص/٤٣)،وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (بالهدى يكثُرُ الاستبصار)[٦٨].

ومن أهم وسائل تنوير البصيرة مراقبة النفس وإصلاح عيوبها وأخطائها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أبصر الناس من أبصر عيوبه و أقلع عن ذنوبه)[٦٩] وعنه (عليه السلام) قال (ألا و إنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير في طرفُه، ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التّذكير و قَبِلَه)[٧٠].

لذا لا نستغرب ممن فقد هذه الأدوات لتحصيل البصيرة وتنويرها أن يضلَّ بنفس القرآن الكريم الذي هو زادُ المستبصرين، ويستعمل القرآن نفسه لإضلال الناس وصرفهم عن اهل البصيرة، روي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ) (الأعراف/٢٠٢) بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) مجتمعين و أنا أعرف الحزن في وجهه فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون! قلت: يا رسول الله! إنا لله و إنا إليه راجعون، ماذا قال ربنا؟ قال: أتاني جبريل آنفاً فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون، قلت: أجل، إنا لله و إنا إليه راجعون، فمم ذاك يا جبريل؟ قال: إن أمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ قال: كل ذلك سيكون، قلت: ومن أين يأتيهم ذلك و أنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدون في الغي ثم لا يقصرون، قلت: يا

---

(٦٦) غرر الحكم/٤٣٥١.

(٦٧) البرهان في تفسير القرآن: ١٧٨/٥.

(٦٨) غرر الحكم: ٤٨١٦.

(٦٩) غرر الحكم: ٣٠٦١.

(٧٠) نهج البلاغة: الخطبة/١٠٥.

جبريل؟ فبم سلم من سلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه)[٧١].

لقد عانى النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) من فقدان البصيرة لدى أكثر الناس (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف/١٠٣) و ابتلي أمير المؤمنين (عليه السلام) بحرب أناس يحوطون بالجمل ويتبركون بخروجه ويشمونه ويقولون ما أطيب ريح روث جمل أمّنا أم المؤمنين، و ابتلي (عليه السلام) بقتال اناس في صفين لا يفرقّون بين الناقة والجمل ويصدّقون كل شيء يقال لهم، ومثل هؤلاء الاقوام من فاقدي البصيرة موجودون في كل زمان ومكان يُبتلى بهم القادة المصلحون ويكونون عقبة كؤود في طريقهم.

ولذا كان الأئمة (عليهم السلام) يشكون من ندرة أهل البصيرة في اتباعهم، ففي الحديث المعروف لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع كميل (يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ اَلْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا) الى أن قال (عليه السلام) (إن ههنا لعلماً جماً - وأشار إلى صدره - لم أصب له خزنة بلى أصيب لقنا غير مأمون، مستعملا آلة الدين في طلب الدنيا، يستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعم الله على معاصيه أو منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، اللهم لا ذا ولا ذاك، أو منهوما باللذة سلس القياد للشهوة، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين ولا من ذوي البصائر واليقين)[٧٢].

تطبيق للآية: ربيبة القرآن العقيلة زينب (عليها السلام) تعيد للأمة بصيرتها

فقدان البصير سمة المجتمع غير الإيماني:

يستفاد من القرآن الكريم أن من سمات المجتمع البعيد عن التربية الإيمانية هو فقدان البصيرة والقدرة على تمييز الحق من الباطل، و انقلاب موازين النظر عنده في الأمور كلها. ولنأخذ مثالاً على ذلك حيث نجد المجتمع الجاهلي البعيد عن النظرة الإلهية يعيش لدنياه ويراها غاية أمله فيصارع من أجل الاستزادة منها (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجاثية/٢٤).لكن المجتمع الرباني يعتقد بوجود الآخرة ويعمل لها لأنها الحياة الباقية، ويرى الحياة الدنيا مزرعة، قال تعالى (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت/٦٤). والمورد الآخر اغترارهم بما عندهم من قوة وإمكانيات ماديّة هائلة فيظنون أنهم الرب الأعلى المدبّر لأمور الناس (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) (الشعراء/٤٤).

أما المنطق الرباني فيؤكد حقيقة (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون/٨) و (إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) (البقرة/١٦٥) ويصف أولئك المغرورين بأنّهم (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت/٤١).

التحذير من فقدان البصيرة:

وقد حذّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمته من الرجوع إلى هذه الحالة بعد أن أنقذهم الله تعالى بالإسلام، ووقوعهم مرة ثانية في فتنة فقدان البصيرة و إنقلاب موازين النظر في الأمور واعتبرها (صلى الله عليه وآله) الحالة الأشد خطورة من وقوع المنكر والفساد نفسه، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله): كيف بكم إذا فسدت نساءكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله (صلى الله

(٧١) الدر المنثور للسيوطي: ٦٣٣/٣.

(٧٢) نهج البلاغة (من كلامه (عليه السلام) لكميل بن زياد).

عليه وآله)؟ فقال: نعم وشرٌّ من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً).[٧٣]

تصحيح المفاهيم المقلوبة:

وقد وقعت الأمة في هذه الفتنة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبلغت ذروتها في عهد يزيد بن معاوية، ولهذا كان من الأدوار المهمّة التي أدّتها ربيبة القرآن والنبوّة والإمامة العقيلة زينب (عليها السلام) هي إعادة الأمة إلى وعيها وبصريتها، وتصحيح موازين النظر عندها، ولنأخذ مثالاً على ذلك جانباً من خطابها، فقد كان يزيد و ابن زياد وأزلامهم يعتقدون أنّهم هم المنتصرون فأخذتهم سكرة الغلبة ونشوتها كما وصفتهم العقيلة زينب (فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا)[٧٤].

وتصبح مشكلة المفاهيم المقلوبة أخطر حينما تُستغل لخداع الناس وتُجعل دليلاً على شرعية حكم أولئك الطواغيت وسلطتهم، وهذا ما نبّهت إليه العقيلة زينب (صلوات الله عليها) (أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض و آفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء أنّ بنا على الله هوناً وبك عليه كرامة!! وأنّ ذلك لعظيم خطرك عنده، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله عزوجل (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران/١٧٨))[٧٥].

السيدة زينب عليها السلام تُبين من هو المنتصر الحقيقي:

فهي (سلام الله عليها) لم تكتفِ بالإدلاء بحقيقة أنّ هذا ملكنا وسلطاننا خاصة ونحن أحقّ بالأمر من هذا الظالم المدّعي، ولكن فضحت هذه الأساليب لخداع الناس و أيقظتهم بأنّ هؤلاء المتسلّطين ليسوا هم أصحاب الحق، ولا يزال إلى اليوم من يموّه على الناس ويكتسب شرعيته من كثرة الأتباع وشهرة العنوان وإغداق الأموال لفرض الأمر الواقع و إقناعهم بأنّ سلطته شرعية و إبعاد الحق عن أهله.

فتواجه العقيلة زينب الطاغية يزيد بالحقيقة الدامغة وبيان المنتصر الحقيقي (فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحونَّ ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترخص عنك عارها. وهل رأيُك إلاّ فند، وجمعك إلاّ بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة)[٧٦].

ووقفت نفس الموقف في الكوفة أمام الطاغية عبيد الله بن زياد حينما قال شامتاً: (الحمدُ لله الذي فضحكم وقتلكم و أبطل أحدوثتكم).فتصدت له بشجاعة وبلاغة أخذتهما من أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلة: (الحمدُ لله الذي أكرمنا بنبيّه، وطهّرنا من الرجس تطهيرا، إنما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا بن مرجانة). وحاول أن يغطي فشله وهزيمته بمزيد من الشماتة قائلاً: (كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ) فأجابت (سلام الله عليها): (ما رأيتُ إلاّ جميلاً، هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجَّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أمّك يا بن مرجانة)[٧٧].

هكذا أعادت العقيلة زينب الأمور إلى نصابها وبيّنت من هو المنتصر الحقيقي وهزمت هؤلاء الطواغيت وجيوشهم الجرّارة التي غلبت بالسيف لكنّها هُزِمت بالبيان والحجة الدامغة فقلبت أفراحهم أحزاناً.

---

(٧٣) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي، باب١ ح١٢.

(٧٤) الاحتجاج: ج٢ ص١٢٣، والبحار: ج٤٥ ص١٥٧.

(٧٥) الاحتجاج: ج٢ ص١٢٣، والبحار: ج٤٥ ص١٥٧.

(٧٦) انظر: الاحتجاج: ج٢ ص١٢٣، والبحار: ج٤٥ ص١٥٧.

(٧٧) المصدر السابق.

علينا أن نستفيد من الدرس الزينبي:

وعلينا نحن أن نستفيد من هذا الدرس الزينبي ونُصحِّح جملة من المفاهيم والرؤى والنظريات التي أُريد بها خداع الناس وتسييرهم بالاتجاه الذي يريده أصحاب تلك الأجندات الهدّامة، ولنأخذ على ذلك مثالاً من عالم المرأة ممّا حاولوا به خداعها ودفعوها إلى ما يريدون من الانحلال والفساد ومزاحمة الرجال وترك وظيفتها الأساسية في بناء الأسرة الصالحة وتنشئة الجيل الصالح وهو شعار (المساواة).

أبواق المساواة بين الرجل والمرأة:

فهل المساواة مطلب عقلائي؟ وتعبير آخر هل إن المساواة حق دائماً؟ والجواب هو النفي، نعم إذا كان المطلوب مساواة الرجل والمرأة بالاستحقاق والجزاء فهذا حق وقد كفله الشارع المقدّس (أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) (آل عمران/١٩٥) (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات/١٣) سواء كان ذكراً أو أنثى.

فلسفة التمايز بين الرجل والمرأة:

أما إذا أرادوا بالمساواة مماثلة المرأة للرجل في الوظائف والأعمال التي يؤديانها فهذا مطلبٌ غير عقلائي، بل فيه ظلمٌ للمرأة، لأن طبيعة خلقها وفسيولوجيتها وسايكولوجيتها تنسجم مع وظائف غير ما كُلّف به الرجل، فالمساواة هنا من الظلم وليس من العدالة، ومثله كمثل الطبيب الذي يعطي نوعاً واحداً من الدواء إلى مرضى متنوعين، وكالمدرّس الذي يعطي درجة واحدة لكل طلبته في الامتحان مع تفاوت إجاباتهم، وهذا هو الظلم بعينه والمطلوب تحقيق العدالة وهي قد تقتضي المساواة وقد لا تقتضي المساواة بحسب الموارد وهذا ما كفلته الشريعة المقدسة، فلو أعطينا للولد مير اثاً بقدر البنت لكان ظلماً، لأن الرجل هو الذي يصرف على المرأة ويكفل لها كل احتياجاتها فهي تشاركه في حصته، ولا يشاركها في حصتها فكيف يتساويان في الاستحقاق.

فهذه المراعاة لتكوين كل من الرجل والمرأة وطبيعة وظائفهما مما تقتضيه الفطرة، وجرت عليه سيرة العقلاء، ويشهد به الو اقع وخذ نماذج عشو ائية من تركيبة مجتمعات الغرب المدعيّة للتحضّر و انظر هذه المراعاة، كتشكيلة الحكومة أو عدد الطيارين أو عدد قادة الوحدات العسكرية وقيادات الجيش و انظر نسبة النساء إلى الرجال ستجدها ضئيلة فأين المساواة التي يريدون تسويقها إلينا؟

مصطلح سن اليأس:

وبهذه المناسبة نشير إلى مصطلح متداول يخصّ المرأة وهو (سنّ اليأس) الذي يراد به عمر الخمسين للمرأة وتُسمى المرأة باليائس، وهو قد يكون له منشأ صحيح حيث يحصل فيه اليأس من الإنجاب لانقطاع الدورة الشهرية، إلاّ أنّ هذا العنوان أُخذ على إطلاقه وكأنّه سن اليأس من الحياة، مما ولّد شعوراً عندها بالإحباط وفقدان الأمل وأنّها أصبحت لا قيمة لها و انتهى دورها في الحياة وأحيلت على التقاعد كما يُقال، فتعتريها أعراض نفسية وعصبية قد تفاقم المشكلة عليها، وهذه الأعراض ليس لها أصلٌ فسيولوجي أو عضوي كما يشهد به الأطباء، أي أن بلوغ المرأة هذا العمر لا يصاحبه أي تغيير في جسمها يقتضي هذه الأعراض، و إنما هي نتائج صنعتها المرأة بنفسها بسبب ذلك الشعور الذي غذاهُ.

المصطلح البائس.

فالأليق أن يُسمى هذا العمر للمرأة (سن الكمال والنضج وتمام الرشد) لاكتمال تجربة المرأة في الحياة بعد أن تكون قد ربّت جيلاً كاملاً وتعلّمت الكثير، وهو سن التفرغ لنفسها ولآخرتها ولزوجها بعد أن انتهت من وظائف الحمل والإنجاب والتربية، وشبّ أبناؤها وبناتها فهم يعينونها على قضاء حو ائجها فهذا العمر فرصة مثمرة لكي يجتمع الزوجان من جديد على حياة زوجية يتفرغان لبعضهما ويلتفتان لآخرتهما وينشغلان لما يقرّبهما إلى الله تعالى من الطاعات والقربات مما لم

تكن مشاغلهما السابقة تسمح لهما بها، كالسفر لأداء الحج والعمرة وزيارة المعصومين (صلوات الله عليهم) والصلاة المستحبة والصوم وقضاء ما فات ومطالعة الكتب، والمساهمة في الأعمال الخيرية والتبليغ الديني والوعظ والإرشاد وغيرها من فرص الكمال.

الربط العزائي (الكورين):

إن أوضح ما يميّز الاتباع الحقيقيين للنبي(صلى الله عليه وآله) وآله الكرام (عليهم السلام) أنهم على بصيرة من امرهم ومنهم أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) فمما خاطبه به الامام الصادق (عليه السلام) في زيارة وارث المعروفة قوله (و أنك مضيت على بصيرة من امرك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين) ...وهكذا إذا كنّا صادقين في موالاتنا للإمام الحسين (عليه السلام) ونصرتنا له (ونصرتي لكم معدّة)، (يا ليتنا كنا معكم) وصادقين في انتظار امامنا المهدي الموعود (عليه السلام) والمشاركة في بناء دولته المباركة فعلينا أن نستزيد من البصيرة في علاقتنا مع ربنا، وهذا ما ورد في أدعية الغيبة وتعجيل الظهور، وفي احدها (وارزقنا مر افقة اوليائك ووليك الهادي المهدي الى الهدى وتحت لو ائه وفي زمرته شهداء صادقين على بصيرة من دينك إنك على كل شيء قدير)[٧٨].

فهكذا كان أصحاب ابي عبد الله (عليه السلام) المستشهدين بين يديه يشهد بذلك العدو قبل الصديق، فقد روى أصحاب التواريخ والمقاتل انه لما كثرت المبارزة بين أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) وجيش يزيد وكان النصر لأصحاب أبي عبد الله، صاح عمرو بن الحجاج الزبيدي: (يا حمقى أتدرون من تقاتلون؟ فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين لا يبرزَّن لهم منكم أحدٌ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم)[٧٩].

قال الراوي انه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من اصحاب الحسين يقول: يا اهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام، فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجاج أعليّ تحرض الناس أنحن مرقنا و انتم ثبتم عليه؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت ارواحكم ومتم على اعمالكم ابنا مرق من الدين ومن هو أولى بصلي النار؟ قال: ثم ان عمرو بن الحجاج حمل على الحسين (عليه السلام) في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الاسدي اول اصحاب الحسين. ثم انصرف عمرو بن الحجاج واصحابه وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع فمشى اليه الحسين فاذا به رمق فقال: رحمك ربك يامسلم بن عوسجة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عز علي مصرعك يا مسلم ابشر بالجنة، فقال له مسلم قولا ضعيفا: بشرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا اني أعلم أني في اثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما اهمك حتى احفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القر ابة والدين قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله وأهوى بيده إلى الحسين ان تموت دونه، قال: افعل ورب الكعبة، قال فما كان بأسرع من أن مات في ايديهم.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته).
- الإمام علي (عليه السلام): (نظر البصر لا يجدي إذا عميت البصيرة).
- وعنه (عليه السلام): (فاقد البصر فاسد النظر).
- وعنه (عليه السلام): (فإنما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، و انتفع بالعبر، ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه

---

(٧٨) البحار :٣٠٢/٩٨ عن إقبال الاعمال والبلد الأمين والتهذيب.

(٧٩) مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١٥/٢.

الصرعة في المهاوي).

- وعنه (عليه السلام): (قد بصرتم إن أبصرتم، وقد هديتم إن اهتديتم).
- وعنه (عليه السلام): (ليست الرؤية مع الإبصار، فقد تكذب العيون أهلها، ولا يغش العقل من استنصحه).
- وعنه (عليه السلام): (فقد البصر أهون من فقدان البصيرة).
- وعنه (عليه السلام): (أبصر الناس من أبصر عيوبه و أقلع عن ذنوبه).
- وعنه (عليه السلام): (ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه، ألا إن أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقبله).

ب) الشعر:

قال الشاعر حول بصيرة القلب:

إن يُذهبِ اللهُ من عَينيَّ نورَهما فإنّ قلبي بصيرٌ ما بهِ ضَرَرُ

أرى بقلبِيَ دُنيايَ وَآخرَتي وَالقلبُ يُدرِكُ ما لاَ يُدرِكُ البَصرُ

وقال آخر:

أَعمى يَقودُ بَصيراً لا أَبا لَكُمُ قَد ضَلَّ مَن كانَتِ العُميانُ تَهديهِ

ج) القصة:

ظهرت في أيّام المتوكّل امرأة تدّعي أنّها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال المتوكّل: أنت امرأة شابّة وقد مضى من وقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما مضى من السنّين، فقالت: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسح على رأسي وسأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كلّ أربعين سنة، ولم أظهر للنّاس إلى هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت إليهم. فدعا المتوكّل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعرّفهم حالها، فروى جماعة وفاة زينب بنت فاطمة (عليهما السلام) في سنة كذا. فقال لها: ما تقولين في هذه الرّواية. فقالت: كذب وزور، فإن أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت فقال لهم المتوكّل: هل عندكم حجّة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟ فقالوا: لا. فقال أنا بريء من العبّاس أن لا أنزلها عمّا ادّعت إلاّ بحجّة. قالوا: فأحضر ابن الرضا (عليه السلام) فلعلّ عنده شيئاً من الحجّة غير ما عندنا فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأة فقال: كذبت فإنّ زينب توفّيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا، قال: فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفت أن لا أنزلها إلاّ بحجّة تلزمها. قال: ولا عليك فها هنا حجّة تلزمها وتلزم غيرها، قال: وما هي؟ قال: لحوم ولد فاطمة محرمة على السباع فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها السباع، فقال لها: ما تقولين؟، قالت: إنّه يريد قتلي، قال: فها هنا جماعة من ولد الحسن والحسين (عليهما السلام) فأنزل من شئت منهم، قال: فوالله لقد تغيّرت وجوه الجميع فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره لم لا يكون هو؟ فمال المتوكّل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع، فقال: يا أبا الحسن لم لا يكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك، قال: فافعل! قال: أفعل فأتى بسلّم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسود فنزل أبو الحسن (عليه السلام) إليها فلمّا دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه، ومدّت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كلّ واحد منها ثمّ يشير إليه بيده إلى الاعتزال فتعتزل ناحية حتّى اعتزلت كلّها و أقامت بإزائه. فقال له الوزير: ما هذا صواباً فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر خبره، فقال له: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً و إنّما أردنا أن نكون على يقين ممّا قلت فأحب أن تصعد، فقام وصار إلى السلّم وهي حوله تتمسّح بثيابه. فلمّا وضع رجله على أوّل درجه التفت إليها وأشار بيده أن ترجع فرجعت وصعد، فقال: كلّ من زعم أنّه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس، فقال: لها المتوكّل: انزلي. قالت: الله الله ادّعيت الباطل، و أنا بنت فلان حملني الضرّ على ما قلت، فقال المتوكّل: القوها إلى السبّاع فاستوهبتها والدته.

ومن هذه الرواية استلخص المرجع اليعقوبي عدّة دروس:

١- تفاعل الإمام (عليه السلام) الايجابي مع قضايا الأمة ومشاكلها وتحدّياتها وحضوره الميداني في وسط الأمة، لا كما نشهده من السلبية والإنكماش والانعزال الذي رسّخته المرجعية والحوزة التقليدية فهذا منهج مبتدع وبعيد عمّا سار عليه الأئمة الأطهار.

إن الأئمة ونوّابهم بالحق هم سفن النجاة ومصابيح الهدى فإذا لم يكونوا حاضرين في الميدان مع الأمة فإلى من تلتجئ؟ وممن تأخذ الحل؟ ومن المسؤول عن ضلالها وتشوشها و انتشار الفساد والإنحراف فيها؟.

٢- تفرّد أهل البيت(عليهم السلام) بالمناقب والفضائل التي حباهم الله تعالى بها، بحيث لا يضاهيهم أحد مما يؤكد استحقاقهم للإمام والخلافة بما فضّلوا به على الخلق أجمعين رغم أنوف الشانئين والحاسدين ، لذلك تجد الأمة تفزع إليهم في كل معضل ومشكل (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) وكما قال الفراهيدي في جوابه على من سأله عن استحقاق أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمامة والخلافة قال (لحاجة كلّ الخلق إليه واستغنائه عنهم جميعاً).

٣- فشل المتقمصين للخلافة وعجزهم و افتضاح أمرهم في كلّ مشكلة تواجههم والشواهد على ذلك كثيرة، وفي ذلك حجّة على من يتّبعهم ويواليهم ويعطيهم المشروعية، وبدلاً من معالجتهم لهذه المشاكل والصعوبات التي يعاني منها الناس تجدهم يرسّخونها وينشرونها لكي يشوّشوا فكر المجتمع ويشغلوه بهذه الفتن ولا يلتفت إلى مظالم الحكّام واستبدادهم واستئثارهم بمقدرات الأمة فبالرغم من أن المتوكّل يقطع بأنّ هذه المرأة ليست بنت علي وفاطمة ويمكنه كرئيس دولة قوية ومتنفّذة أن يتحرى عن أصل هذه المرأة و أبويها ومن أيّ مدينة إلاّ أنّه تمادى في نشر هذه الفتنة ويقسم على (أن لا أنزلها عمّا ادعت إلا بحجة) وهو يتمكّن من دحض قولها بالتعرّف على هويتها.

٤- معرفة المدّعين لهذه العناوين الدينية بأنّهم كاذبون ومفترون وإنّ ما يقولونه زور وبهتان كهذه المرأة التي ادّعت أنّها بنت علي وفاطمة (عليهما السلام) وهكذا كلّ المدعين لذلك تجدهم يعترفون عندما تضغطهم الحجّة والدليل، ويتعرّضون للعقوبة لكنّهم يراهنون على جهل الناس وسذاجتهم وتسطيح عقولهم وخداعهم بأمور تشتبه عليهم فتتبعهم الناس من دون تعقّل ورويّة ودقّة نظر فيكونون من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً.

٥- وممّا يحتاج إلى الدراسة والتأمّل أسباب نزوع هؤلاء إلى هذه الإدّعاءات مع معرفة كذبهم في قرارة أنفسهم وعظيم جنايتهم إذ يضل خلق كثير بسببهم، وقد عبّرت هذه المرأة بدقّة عن السبب وهو قولها (حملني الضرّ على ما قلت) فإنّها في فاقة وحاجة ولم تجد سبيلاً لسدّها فالتجأت إلى الخداع بهذه الفريّة لتستهوي قلوب بعض العامّة ويغدقون عليها بالأموال، وقد يكون السبب عند غيرها حبّ الجاه والنفوذ والتسلّط على رقاب الناس وغيرها.

٦- اعتماد لغة الحوار والدليل والإقناع للرد على المعاندين والمدّعين وأصحاب الشبهات والضلالات ومقارعة الحجة بالحجة، ما لم ينتقل الطرف الآخر إلى العمل المسلّح الذي يفسد في الأرض، أو يكون خطره عظيماً بأن ينسب الفتن والبدع التي يفتريها من عنده إلى نفس الإمام المعصوم وإلى مدرستهم الشريفة.

فقد أمر الإمام الهادي (عليه السلام) بقتل عدد من أمثال هؤلاء كقوله (عليه السلام) في ابن بابا القمي (يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً، و أنّه بابٌ عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد: إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر ففعل، فإنّه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة). ومنهم فارس بن حاتم، يروي محمد بن عيسى بن عبيد: ان أبا الحسن العسكري (عليه السلام) أمر بقتل فارس بن حاتم وضمن لمن قتله الجنة، فقتله جُنيد، وكان فارس فتّاناً يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة، فخرج من أبي الحسن (عليه السلام): (هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتاناً داعياً إلى البدعة، ودمه هدرٌ لكل من قتله، فمن هذا يريحني منه ويقتله، و أنا ضامن له على الله الجنّة).

ويروي جنيد أن الإمام الهادي (عليه السلام) بعث إليّ فدعاني فصرت إليه، فقال (آمرك بقتل فارس بن حاتم) فناولني دراهم من عنده وقال اشترِ بهذه سلاحاً فاعرضه عليّ) إلى آخر الرواية.

.....

المحاضرة (١٠) **بعنوان**: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم)[الحديد : ١٢]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

أهمية المسبحات:

سورة الحديد من السور المباركة التي كان يهتم بها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وروي انه (صلى الله عليه وآله)كان حينما يأوي إلى فراشه للنوم يتلو سور المسبّحات[٨٠]، وهي السور التي تبدأ بكلمات التسبيح ، وأولها سورة الحديد ومعها سورة الحشر والصف والجمعة والتغابن وهي في الجزء الثامن والعشرين من المصحف الشريف. وروى العلامة الطبرسي في مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: من قرأ المسبحات كلّها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم (عليه السلام) وان مات كان في جوار رسول الله(صلى الله عليه وآله)[٨١].

سورة الحديد ومحاسبة النفس:

وسورة الحديد من السور النافعة في الموعظة وترقيق القلب، فإدامة تلاوتها قبل النوم يساعد على إجراء المراجعة مع النفس في نهاية كلِ يوم، وهي المحاسبة التي أمرنا المعصومون عليهم السلام بها، وقالوا في ذلك (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم)[٨٢] فمن يحاسب نفسه كل ليلة يكون منهم ومعهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وهذا أحد وجوه تفسير الحديث السابق في ثواب قراءة المسبحات.

معاني الآية والموعظة منها:

ونأخذ منها اليوم مقطعاً يعطينا قاعدة في السلوك المعنوي خصوصاً لكم أيها الشباب الجامعيون ونستقي منه أيضاً درساً في الموعظة يعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، ذلك اليوم المهول الذي ورد وصفه في القران الكريم بأوصاف مذهلة {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الحديد : ١٢] يستعرض المشهد مقارنة بين حالي المؤمنين و المنافقين وحواراً، اما المؤمنون والمؤمنات فانهم {يَسْعَى نُورُهُمْ} في ذلك اليوم الذي تنكسف به الشمس وتنكدر النجوم وتكون الجبال كالقطن المنفوش وتشتد الظلمات بعضها فوق بعض، يلطف الله تعالى بالمؤمنين والمؤمنات فيوفّر لهم نوراً يسعى بهم الى الجنة والسعادة، والسعي هو السير الحثيث فهو يسرع بهم الى الجنة، ولما كان النور ينبعث منهم، فإنهم في الحقيقة هم الذين يسعون لأنهم مصدر النور، ونسب السعي إليه لأنه يتقدمهم.

{بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} هذا النور ينبعث من امامهم ومن ايمانهم، ولعل الذي من امامهم هو نور الايمان و عقائدهم الحقة في التوحيد والنبوة والإمامة، لذا ورد في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن النور قال (عليه السلام) (أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبإيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة)[٨٣]، ولعله نور ذواتهم الطيبة المحبوبة عند الله تعالى، أما النور من يمينهم فهو نور أعمالهم الصالحة حيث يؤتى المؤمن كتابه بيمنه (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ

---

(٨٠) أنظر مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٨٩.

(٨١) مجمع البيان ٣٤٥/٩.

(٨٢) وسائل الشيعة: باب وجوب محاسبة النفس كل يوم وملاحظتها وحمد الله على الحسنات وتدارك السيئات، ح١، ج١٦ ص٩٥.

(٨٣) الكافي: ١٥١/١ ح٥.

هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ{١٩} إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ{٢٠} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{٢١} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{٢٢} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ{٢٣} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ{٢٤} (الحاقة/١٩-٢٤).

(بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وما دامت هذه عاقبتهم، فإنها بشرى حقيقية ويستحقون التهنئة على هذا الفوز العظيم وما أعظمه من فوز ومن خاتمة حسنة في تلك الحياة الخالدة.

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) هذه هي الصورة المقابلة للبائسين الخاسرين من المنافقين والمنافقات فإنهم في ظلمات وخوف ورعب وعذاب وألم، فالتفتوا إلى المؤمنين والمؤمنات وهم في ذلك العيش الرغيد وطلبوا منهم أن يلتفتوا إليهم ويسعفوهم بقبس من النور يخفّف عنهم بعض الأهوال.

(قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً) فجاءهم الجواب إنّ الفرصة قد فاتت الآن لتحصيل النور لأنّه حصيلة أعمالكم الّتي اكتسبتموها في الدنيا، فكان عليكم أن تلتفتوا إلى هذه الحقيقة في الدنيا فتؤمنوا وتعملوا الصالحات لتتحول إلى نور في هذا اليوم، فإن استطعتم أن ترجعوا إلى الدنيا لتحصيل النور، وذلك مستحيل (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) (ص:٣).

(فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ) ففصل بينهم بجدار عازل كما كانوا في الدنيا منفصلين ومتباينين في سلوكهم واعتقاداتهم ونظرتهم إلى الحياة، وإن كانوا متعايشين في مجتمع واحد وبيئة واحدة فجُسِّدَت تلك المباينة بسور عازل (له باب) لينظر بعضهم إلى بعض من خلاله وليجري بينهم هذا الحديث وليقارن كل من الفريقين حاله مع حال الآخر فيزداد المؤمنون والمؤمنات شكراً لله تعالى على ما انعم، والمنافقون والمنافقات ألماً وحسرة وندامة على ما فرطوا في أمر آخرتهم.

(بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) صفة هذا السور أن ما بداخله الرحمة والسعادة والعيش الهنيء وهو محل المؤمنين، أما خارجه فالعذاب والوحشة والخوف والألم وهو محل المنافقين والمنافقات، ومثاله المدن في ذلك الزمان عندما كانت تحاط بسور متين يحميها من هجمات الأعداء واللصوص والمحتلين والمجرمين، فتجد داخل المدينة البيوت المريحة والشوارع المنظّمة والأسواق العامرة والمياه العذبة وسائر أسباب الرفاهية، أما خارجها فالصحراء والوحشة والمخاطر والجوع والظمأ والخوف، وهذا مثال حال يوم القيامة.

(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) وحينئذ نادى المنافقون والمنافقات المؤمنين والمؤمنات، وعبَّر بالمناداة وليس (قالوا) ونحوها للبينونة البعيدة بينهما ولم تكن مواضعهم متقاربة، فخاطب المنافقون المؤمنين الذين يعرفونهم ألم نكن معكم في مدينة واحدة وجامعة واحدة ودائرة واحدة ومجتمع واحد بل ربما في بيت واحد كنا نعيش سوية فلماذا حصل هذا التفاوت العظيم بيننا.

ويظهر من بعض الروايات ان المراد بهم المنحرفون عن ولاية أهل البيت عليهم السلام ، عن الإمام الباقر(عليه السلام) (فيناديكم أعداؤنا وأعداؤكم من الباب الذي في السور ظاهره العذاب: ألم نكن معكم في الدنيا، نبيّنا ونبيّكم واحد، وصلاتنا وصلاتكم واحدة، وصومنا وصومكم واحد، وحجُّنا وحجُّكم واحد).[٨٤]

(قالوا بلى) فأجاب المؤمنون نعم كنّا هكذا سوية بأبداننا لكن أرواحنا وعقائدنا وسلوكياتنا كانت متباعدة ومتباينة، ولنضرب مثالاً من واقعكم أنتم الشباب الجامعي فأنتم الموجودون هنا تأتون إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) وتستمعون إلى المواعظ والتوجيهات بينما ذهب آخرون من زملائكم إلى حيث اللّهو والعبث والمجون، فيوجد انفصال بينكم في السلوك والرؤى وهذا هو الذي جسّد هذا التفاوت بيننا يوم القيامة.. (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور) ومن هنا يبدأ تعداد الأسباب التي جعلت مساراتنا في الحياة الدنيا متباينة، انكم فتنتم أنفسكم واتبعتم الشهوات وسرتم وراء أهوائكم من دون بصيرة وتعقل واتباع لشرائع الله تعالى.

(وتربصتم) إذ كنتم تترقبون زوال الدين والقضاء على أهله وإسكات صوت الحق الذي كان يقض مضاجعكم ويسبب لكم ألماً باطنياً ووخز الضمير.

---

(٨٤) تفسير البرهان: ٩/ ٢٢٥.

(وارتبتم) حيث كنتم تشككون بالعقائد والأحكام الإلهية وتثيرون الشكوك والشبهات حولها لتجعلوا لأنفسكم مبررات لعدم الالتزام بها، وتفاقم ارتيابكم ليشمل حتى أقدس المقدسات كما نسمع اليوم من بعض أدعياء الحداثة تشكيكات في أصل نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)وكون القرآن نازلاً من الله وهم مسلمون!

(وغرّتكم الأماني) خدعتكم وعود الشيطان وأوليائه وعبيده بدنيا مزيّفة وأموال ومو اقع وشهوات ونحوها.

(حتى جاء أمر الله) حتى فاجأكم الموت وطويت صفحة أعمالكم و انقطعت عنكم فرصة التدارك والتعويض والإصلاح والمراجعة.

(وغرّكم بالله الغرور) ونجح الشيطان بخداعكم والمكر والتغرير بكم و أنتم تتحملون المسؤولية باتّباعكم إيّاه رغم التحذير الشديد من قبل الله تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً) (الإسراء/٥٣) (وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (البقرة/١٦٨).

(فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) وكانت هذه النتيجة الحتمية لسوء أعمالهم أن يجتمعوا مع الكفّار في النار والعذاب الأليم لأنها هي الأولى بهم والأليق لخبثهم حتّى تطهرهم النار وتزيل أدرانهم.

وهنا يلتفت الله تعالى إلى المؤمنين والمؤمنات ويخاطبهم بعتاب رقيق وتساؤل ملؤه الحنان والشفقة بأن يستفيدوا من هذه المواعظ ويطهروا بها قلوبهم ويهذّبوا أنفسهم، وإلا فإنها تقسو وتسوَّد بطول الأعراض عن الموعظة وذكر الله تعالى والانغماس في الملذات واللهاث من أجل التوسع في الدنيا، حتى يطبع عليها فلا تنفع معها موعظة والعياذ بالله تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد/١٦).

قدّمت لكم هذا النموذج مما أدعو إليه من التفسير المبسّط للقرآن الكريم الذي يعيننا على التدبّر في آياته من دون الحاجة إلى الكتب المعمّقة في التفسير.

قاعدة مهمة في السير الى الله تعالى:

وأريد أن أركّز من خلاله على الوصف الذي ورد في المقطع (بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) فهذه قاعدة مهمة في السلوك المعنوي إلى الله تعالى، وهي الالتفات إلى حقائق الأمور لاتخاذ المو اقف الصحيحة، وعدم الانخداع بالظاهر وبناء القرارات عليه. فإن كثيراً من الأفعال والمو اقف تبدو في ظاهرها لذيذة ممتعة إلا أنّها تستبطن الشقاء والعذاب والألم، وعلى العكس من ذلك فإن بعضاً آخر منها يبدو ظاهره متعباً مكروهاً إلا أن حقيقته السعادة والنعيم، لذا ورد في الحديث (حُفّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات)[٨٥].

أمثلة للشباب:

ولنأخذ أمثلة من و اقعكم الشبابي الجامعي، فإن البعض قد يتصور ان إقامة علاقات غير مشروعة مع الجنس الآخر فيها لذة ومتعة وسعادة ولكن الحقيقة خلاف ذلك لأن المجتمع سيرفضهما خصوصاً البنت وسيؤثر ذلك على مستقبلها وتسبّب تلك العلاقة شقائها، وربما بعض ردود الأفعال المؤلمة، هذا في الدنيا أما ما بعد الموت وفي الآخرة فسيعيشون حالة الألم والندامة والعذاب.

والمثال الآخر بعض الشباب المهووسين بالسفر إلى بلاد الغرب ليعيش حياة مرفهة سعيدة لكنه يضيّع دينه وأسرته وتكون زوجته وأولاده متمردين عليه وخارجين عن إرادته بسبب القو انين المعمول بها هناك.

ومن أمثلتها من يلتحق بجهة سياسية أو دينية أو اجتماعية من دون أن يتحقق من إخلاصها واستقامة سيرتها ومصداقيتها في العمل بما يرضي الله تعالى، يغرونه بمو اقع النفوذ وتحصيل المال والامتيازات فتزل قدمه ويبتعد عن جادة الاستقامة

---

(٨٥) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٧٢.

وتكون عاقبته زلل قدمه عن الصراط. فهذه كلها امور ظاهرها أنيق وفيها الراحة والدعة والترف والانسياق مع التيار العام إلا أن عاقبتها وخيمة.

وفي مقابل ذلك توجد نماذج أخرى كتعرض الفتاة الجامعية المحجّبة العفيفة إلى ضغط اجتماعي بأن مظهرها غير أنيق وانها متخلفة أو معقدة ونحوها من الأوصاف الاستفزازية. وكذا الشاب الذي يلتزم بالمظهر المهذّب أو يلتزم بالآداب والأحكام الشرعية فيضغط عليه بنفس الطريقة ليستسلم وينهار وينساق معهم، وربما يتبارى زملاؤه الفسّاق في استدراجه معهم وإنهاء مقاومته.

أو الموظّف الأمين الملتزم الذي لا يخون الأمانة التي تحت يده فإنه يعاني من استفزاز أقرانه و انه سوف لا يستطيع أن يعيش كأقرانه ويبقى في الحضيض ولا يتقدم، وما ذلك إلا لحسدهم إياه على سمّوه وعجزهم وضعفهم عن الوصول إلى قمّته. أو محاولة البعض لثني الملتزمين بالدين –كالصوم في الأيام الحارة أو القيام في الليل البارد للعبادة ونحوها - عن عمله و إيجاد المبررات لترك العمل. فهذه كلها أمور قد تبدو مكلفة ومتعبة وتحتاج إلى صبر ومصابرة وتحمّل للمكاره، إلا أن فيها الفوز والفلاح وحسن الخاتمة.

الاختبار مستمر في الدنيا:

وهذا الاختبار مستمر ما دمنا في الحياة الدنيا، والنجاح فيه يكشف عن الفوز في الآخرة، وستتجلى هذه الحقيقة بوضوح في عصر الظهور، ففي الرواية (يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس ، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم، ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء . و إني سأنعت لكم نعته إنه يخرج ممسوح العين في جبهته مكتوب كافر يقرأه كل من يحسن الكتاب ومن لا يحسن، فجنته ناروناره جنة، وهو المسيح الكذاب ، ويتبعه من نساء اليهود ثلاثة عشر آلاف امرأة فرحم الله رجلا منع سفيه أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ القرآن فإن شانه بلاء شديد ، يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له استعن بنا على ما شئت)[٨٦]. فالالتفات إلى القاعدة التي ذكرناها يعين على النجاح في تلك الاختبارات وبناء مستقبل معنوي متكامل بلطف الله تبارك وتعالى، و إنما سميناها قاعدة لأنها تعطي رؤية تبرمج حياة الإنسان وتنظم أموره والله المستعان.

الربط العزائي (الكورين):

يمكن ربط موضوع المحاضرة بما عمله الإمام الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء قبل أن يبدئه الأعداء بالقتال، حيث قدم لهم الوعظ والتذكير وبذل لهم النصيحة لكنهم لم يتذكروا ولم يتعظوا لأنهم ركنوا إلى الغرور والشيطان. حيث جاء في المقاتل: (..بعث الإمام الحسين (عليه السلام) بريربن حصين فوعظهم فلم يسمعوا وذكرهم فلم ينتفعوا. فركب الحسين عليه السلام ناقته وقيل: فرسه . فاستنصتهم فأنصتوا، فحمد الله و أثنى عليه وذكره بما هو أهله، وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وعلى الملائكة والأنبياء والرسل، و أبلغ في المقال، ثم قال: «تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علنا سيفاً لنا في ايمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتد حناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم أولياء لأعدائكم على أوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم...إلى أن قال(عليه السلام): ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة، والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجور طهرت و أنوف حمية ونفوس أبية: من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. ألا و إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر).

شواهد مُعزِزة أخرى:

---

(٨٦) الدر المنثور: ج ٥ ص ٣٥٤.

الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أربع من كن فيه كان في نورالله الأعظم: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله و أني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله و إنا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيرا قال: الحمد لله رب العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفرالله و أتوب إليه).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) - لرجل قال: أحب أن أحشريوم القيامة في النور-: (لا تظلم أحداً تحشريوم القيامة في النور).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) يستعرض حال العباد يوم القيامة: ...ثم يقول - يعني الرب تبارك وتعالى -: (ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدرأعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغرمن ذلك، ومنهم من يعطى مثل النخلة بيده، ومنهم من يعطى أصغرمن ذلك، حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدميه يضئ مرة ويطفأ مرة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نورمد البصر، يعرفه الخلايق باسمه ونسبه).
- الإمام الباقر (عليه السلام) - في قوله تعالى -: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم): فمن كان له نوريومئذ نجا، وكل مؤمن له نور).
- الإمام الصادق (عليه السلام) - في قوله تعالى: (يسعى نورهم بين أيديهم...): (إنما المؤمنون يوم القيامة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوا منازلهم من الجنان).
- وعن العالم (عليه السلام): (من شهد شهادة حق ليخرج بها حقاً لامرئ مسلم أوليحقن بها دمه، أتى يوم القيامة ولوجهه نورمد البصر، يعرفه الخلائق باسمه ونسبه).

من موجبات اكتساب النور الباطني:

١. الصلاة:

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (مَن حافَظَ عَلَيها كانَت لَهُ نورًا وبُرهانًا ونَجاةً مِنَ النّارِيَومَ القيامَةِ، ومَن لَم يُحافِظ عَلَيها لَم تَكُن لَهُ نورًا ولا نَجاةً ولا بُرهاناً).
- وعنه (صلّى الله عليه و آله): (الصلاة نور).
- وعنه (صلّى الله عليه و آله): (الصَّلاةُ نورُ المُؤمِنِ، والصَّلاةُ نورٌمِنَ اللهِ).
- وعنه (صلّى الله عليه و آله): (ما من عبد أصبح صائماً إلا فتحت له أبواب السماء إلى أن توارى[٨٧] بالحجاب فان صلى ركعة أو ركعتين تطوعا أضائت له السموات نورا من أزواجه الحور العين وقلن اللهم اقبضه الينا فقد اشتقنا إلى رؤيته وإن هلل أو سبح تلقاه سبعون الف ملك يكتبون إلى أن توراي بالحجاب).
- وعنه (صلّى الله عليه و آله): (أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان و أبي بن خلف) ومن صورالمحافظة عليها أدائها في أول وقتها.
- وعنه (صلّى الله عليه و آله): (صَلاةُ الرَّجُلِ نورٌفي قَلبِهِ، فَمَن شاءَ مِنكُم فَليُنَوِّرقَلبَهُ).

---

[٨٧] وفي نسخة (توارى الشمس).

٢. **صلاة الليل**:

- عن النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله): (صلاة الليل نور، عليك بصلاة الليل ، من كثرت صلاته بالليل، حسن وجهه بالنهار) .
- الإمام علي (عليه السلام): (ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبي (صلى الله عليه وآله) صلاة الليل نور، فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير؟ قال: ولا ليلة الهرير).
- الإمام زين العابدين (عليه السلام) - لما سئل عن علة كون المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً -: (لأنهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (... وطلبت نور الوجه فوجدته في صلاة الليل).
- عن الإمام الرضا (عليه السلام): (إن البيوت التي يصلى فيها بالليل يزهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض).
- عن السيد المسيح (عليه السلام): (بحق أقول لكم طوبى للذين يتهجدون من الليل، اولئك الذين يرثون النور الدائم من أجل أنهم قاموا في ظلمة الليل).

٣. **الصلاة على النبي وآله**:

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (الصلاة عليّ نور على الصراط ، ومن كان له على الصراط من النور، لم يكن من أهل النار) .
- وعنه (صلّى الله عليه و آله): (أكثروا الصلاة عليّ فإنّ الصلاة عليّ نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنّة).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (الصلاة ليلة الجمعة ويوم الجمعة بألف حسنة ويرفع له ألف درجة، وإن المصلي على محمد وآل محمد ليلة الجمعة يزهر نوره في السماوات إلى أن تقوم الساعة، وملائكة الله في السموات يستغفرون له، ويستغفر له الملك الموكل بقبر النبي عليه وآله السلام إلى أن تقوم الساعة).
- وعنه (صلّى الله عليه و آله): (من صلى عليّ مرة ، خلق الله تعالى يوم القيامة ، على رأسه نوراً ، وعلى يمينه نوراً ، وعلى شماله نوراً ، ومن فوقه نوراً، ومن تحته نوراً، وفي جميع اعضائه نوراً).

٤. **الحج**:

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (الحاج لا يزال عليه نور الحج ما لم يلم بذنب).

٥. **التقوى**:

- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌرَحِيمٌ).

قال المرجع اليعقوبي (دام ظله): (لا يستطيع الانسان أن يتقدم إلا بضياء ينير له الدرب وإلاّ كان كمن يسافر في الصحراء في ليلة مظلمة بلا دليل فيكون معرضاً لعدة أخطار: حيوانات مفترسة تمزّقه، أو لصوص وقطّاع طرق يقتلونه ويسلبونه، أو آبار وأودية يهوي فيها، أو يضل الطريق ويتيه وينفد ما عنده من ماء وطعام، وهذه هي الأخطار التي يواجهها من لا نور معه في حياته المعنوية فتفرسه الذئاب البشرية وقطّاع الطرق ليسرقوا دينه و إنسانيته فيهوي في وادي الذنوب السحيق ويحرم من الزاد ليوم المعاد وهو التقوى... وقد دل الله تعالى على النور الذي يهدي به الانسان في حياته ويميز به الصواب في سائر اموره وما احوج الانسان الى مثله لينقذه من التخبط والضياع والمزالق،

وذلك بالتقوى قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وما الذي يهدي الى التقوى ويحصلها إنه القران الكريم قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} لذا أُمرنا باتخاذ القرآن إماماً وقائداً وهادياً، فمن اراد أن يكون له فرقان في الدنيا يميزبه بين الحق والباطل وينيربصيرته ويأخذ بيده على الصراط المستقيم فليجعل القرآن إماماً له وقائداً يقتبس من نورمصابيحه قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (فاذا التبست الامورعليكم كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن, فإنه شافع مشفع, وماحل مصدَّق, ومن جعله أمامه قاده الى الجنة, ومن جعله خلفه قاده الى النار) وإنما يجعله أمامه باتباعه والعمل بما فيه والاستضاءة بنوره, ويجعله خلفه باستدباره والاعراض عما فيه وعدم الاعتناء بأوامره ونواهيه).[٨٨]

٦. المشي إلى المساجد ليلاً:

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (بشرالمشائين الى المساجد في ظلم الليل بنورساطع يوم القيامة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (ليبشرالمشاوَون في الظُّلَم بنورٍتامٍّ يوم القيامة).

٧. الاستماع إلى آية من القرآن الكريم:

- عنه (صلى الله عليه وآله): (من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة).

٨. حملة القرآن الكريم:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبوسون بنورالله عزوجل).

٩. تلاوة القرآن الكريم:

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا سلمان عليك بقراءة القرآن، فإن قراءته كفارة للذنوب ، وسترمن النار ، وأمان من العذاب، ويكتب لمن يقرأ بكل آية ثواب مائة شهيد، ويعطى بكل سورة ثواب نبي مرسل ،وتنزل على صاحبه الرحمة، وتستغفرله الملائكة ، واشتاقت إليه الجنة، ورضي عنه المولى، وإن المؤمن اذا قرأ القرآن نظر الله إليه بالرحمة ، واعطاه بكل آية الف حور، واعطاه بكل حرف نورا على الصراط، فإذا ختم القرآن اعطاه الله ثواب ثلاثمائة وثلاثة عشرنبيا بلغوا رسالات ربهم ، وكأنما قرأ كل كتاب انزل الله على انبيائه ، وحرم الله جسده على النارولا يقوم من مقامه حتى يغفرالله له ولأبويه....إلخ).
- وعنه (صلّى الله عليه وآله): (عليك بتلاوة القرآن، فإنه نورلك في الأرض، وذخرلك في السماء).
- عن أبي سعيد قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أوصني ؟ قال: (عليك بتقوى الله، فإنها جماع كل خير، وعليك بالجهاد في سبيل الله، فإنها رهبانية المسلمين، وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه، فإنه نورلك في الأرض وذكرلك في السماء، واخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان).
- وعن أمير المؤمنين(عليه السلام): (تَعَلَّمُوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ رَبيعُ القُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفاءُ الصُّدُورِ).

---

[٨٨] يُنظرخطاب المرحلة بعنوان: (وَاتَّبَعُواْ النُّورَالَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ).

- وعنه (عليه السلام) قال في ذِكْرِ القُرْآنِ : (نُورٌ لِمَنِ اسْتَضاءَ بِهِ ، وَ شاهِدٌ لِمَنْ خاصَمَ بِهِ ، وَ فَلَجٌ لِمَنْ حاجَّ بِهِ، وَعِلْمٌ لِمَنْ وَعى وَحُكْمٌ لِمَنْ قَضى).
- عن الإمام الباقر (عليه السلام): (..و اقرؤوه في المصحف، فإنه من قرأه في المصحف متع ببصره ، وخفف عن والديه و أنه ليعجبني في أن يكون في البيت مصحف ، وأن البقعة التي يقرأ فيها القرآن ويذكر الله تعالى فيها ، تكثر بركتها ، وتحضرها الملائكة، ويهجرها الشيطان ، وتضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وأن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر فيه الله تعالى، تقل بركته ، وتهجره الملائكة، ويحضره الشيطان ومن قرأ القران وهو شاب مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيراً[٨٩] عنه يوم القيامة).

وقد علّق سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على مسألة نورانية القرآن الكريم قائلاً: (وهذا هو دور القرآن الكريم فإنه ينير طريق الهداية والإيمان والصلاح والسعادة (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) فمن اهتدى بنوره كان من المفلحين كما في سورة الاعراف المتقدمة[٩٠]، لأن فيه مصابيح النور, عن الامام الحسن (عليه السلام) قال؛ (إن هذا القرآن فيه مصابيح النور) وهذا وصف طبيعي للقرآن لأنه يتضمن بيان كل ما يقرّب الى الله تعالى من الطاعات التي هي كالمصابيح التي توّلد النور, قال تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ). وأشرف تلك المصابيح واشدها ضياءً رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال تعالى: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا).[٩١]

١٠. قراءة سورة التوحيد:

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (من قرأها اعطاه الله بعدد آياته نوراً في الآخرة ، تضيء له الجنة، وإن من قرأها مائة مرة ، رأى منزله في الجنة ، قبل ان يخرج من الدنيا ، وكتب له عمل خمسين نبيا ، وكتب له براءة من النار) .
- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (يا علي خمسة تنور القلب : كثرة قراءة قل هو الله أحد، وقلة الكلام ومجالسة العلماء والصلاة في الليل والمشي إلى المساجد}.
- عن عمرو عن أبيه عن أبي جعفر (عليه السلام)قال: (خلق الله نوراً فخلق من ذلك النور قل هو الله أحد وخلق لها الف جناح من نورواهبطه إلى أرضه مع امنائه من الملائكة لا يمرون بملاء من الملائكة إلا خضعوا له وقالوا نسبة ربنا نسبة ربنا).

١١. تعليم الأولاد القرآن الكريم:

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من قَبَّل ولده كتب الله عزوجل له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضئ من نورهما وجوه أهل الجنة).

١٢. حُب أهل البيت ومشايعتهم (صلوات الله عليهم):

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (يبعث الله عباداً يوم القيامة تهلل وجوههم نوراً، عليهم ثياب من نور، فوق منابر من نور، بأيديهم قضبان من نور، عن يمين العرش وعن يساره، بمنزلة الانبياء وليسوا بأنبياء، وبمنزلة

---

٨٩ الحجر: المنع، والمراد من الحديث أن القرآن يمنع النار عن قارئه .

٩٠ يقصد (دام ظله) قوله تعالى: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

٩١ يُنظر خطاب المرحلة بعنوان: (وَ اتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ).

الشهداء وليسوا بشهداء. فقام رجل فقال: يا رسول الله، أنا منهم؟ فقال: لا. فقام آخر فقال: يا رسول الله، أنا منهم؟ فقال: لا. فقال: من هم يا رسول الله؟ قال: فوضع يده على منكب علي (عليه السلام) فقال: هذا، وشيعته).

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (والله لا يحبهم عبد إلا أعطاه الله نوراً يوم القيامة حتى يرد عليّ الحوض ولا يبغضهم عبد إلا احتجب الله عنه يوم القيامة).

وقد أشار سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في إحدى خطابات إلى هذه الحقيقة، حيث عد من ضمن الموارد التي تنير طريق العباد هي: (ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام) و اتباعهم, ورد في تفسير قوله تعالى {وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ} في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:(النور في هذا الموضع أمير المؤمنين والائمة (عليهم السلام)) ومثله في تفسير علي ابن ابراهيم والعياشي عن الامام الباقر (عليه السلام) مثله، وفي موضع آخر عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (فالذين امنوا به) يعني بالإمام (وعزّروه ونصروه و اتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون) يعني الذين اجتنبوا الجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان، والعبادة: طاعة الناس له) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة يستضيئ به من ولجها).[٩٢]

وقال أيضاً (دام ظله): (إن الانسان في هذه الدنيا لابد ان يكون له منهج يسير عليه وغاية يسعى لتحقيقها، و إنما يحصد النتائج بحسب نوع المنهج وراسمه والمخطط له، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضئ بنور علمه).[٩٣]

١٣. الدِيّن:

- عن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام): (الدِيّن نور).

وقد علّق سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) على هذه الرواية قائلاً: (إن الدين والرسالة السماوية بما تضمنت من عقائد وأحكام وأخلاق هي مصدر النور، قال تعالى {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}).

١٤. التمضمض في الوضوء:

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (إذا تمضمض نوّر الله قلبه ولسانه بالحكمة، فإذا استنشق آمنه الله من النار ورزقه رائحة الجنّة).

١٥. الوضوء:

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (تردون عليّ غراّ محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم).
- وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (الوضوء على الوضوء نور على نور).
- وعن الإمام الهادي (عليه السلام): (لما كلم الله عزوجل موسى بن عمران (عليه السلام)... قال: إلهي فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك؟ قال: أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ).

١٦. العلم والمعرفة:

---

٩٢ يُنظر خطاب المرحلة بعنوان: (وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ).

٩٣ ينظر المصدر نفسه.

- عن أمير المؤمنين(عليه السلام): (اَلمَعْرِفَةُ نُورُ القَلْبِ).
- وعنه (عليه السلام): (اَلنّاسُ ثَلاثَةٌ : فَعالِمٌ رَبّانِيٌّ ، وَ مُتَعَلِّمٌ عَلى سَبِيلِ نَجاة، وَ هَمَجٌ رِعاعٌ أتْباعُ كُلِّ ناعِق ، لَمْ يَسْتَضِيْئُوا بِنُورِ العِلْمِ، وَ لَمْ يَلْجَئُوا إلى رُكْن وَثيق).
- وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك).
- وعنه (عليه السلام): (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزوجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا، ونعيمها وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطأونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله جل وعز، وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إن معرفة الله عزوجل آنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونور من كل ظلمة، وقوة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم).
- وعن السيد المسيح(عليه السلام): (ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ؟ كذلك لايغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة ! فأسرعوا إلى بيوتكم المظلمة فأنيروا فيها).

١٧. البكاء من خشية الله تعالى:

- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب).
- وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (طلبت نور القلب فوجدته في التفكر والبكاء..).

١٨. ذِكرُ الله سبحانه وتعالى:

- أكد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على أهمية الذكر، فله دخل كبير في إنارة الباطن وجلاء النفس، وفيما يأتي جملة من حكمه (سلام الله وصلاته عليه) في هذا الباب :
- (اَلذِّكْرُ نُورٌ، ورُشْدٌ).
- (ذِكْرُ اللهِ نُورُ الإيمانِ).
- (دوام الذكر ينير القلب والفكر).
- (من كثر ذكره استنار لبه).
- (اَلذِّكْرُ نُورُ العَقْلِ، وَحَياةُ النُّفُوسِ، وَجَلاءُ الصُّدُورِ).
- (استديموا الذكر فإنه ينير القلوب وهو أفضل العبادة).
- (أفضل الذكر القرآن به تشرح الصدور وتستنير السرائر).
- وجاء في الحديث القدسي: (إن الله تعالى قال لموسى (عليه السلام): هل عملت لي عملا قط ؟ قال: صليت لك وصمت وتصدقت [وذكرت لك]، قال الله تبارك وتعالى: أما الصلاة فلك برهان، والصوم جنة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأي عمل عملت لي ؟ قال موسى (عليه السلام): دلني على العمل الذي هو لك، قال: يا موسى هل واليت لي ولياً وهل عاديت لي عدوا قط؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله).

١٩. معونة المؤمن وإنظار المعسر:

- عن الإمام الباقر (عليه السلام): (يبعث يوم القيامة قوم تحت ظل العرش وجوههم من نور ورياشهم من نور جلوس على كراسي من نور قال: فتشرف لهم الخلائق فيقولون: هؤلاء الأنبياء، فينادي مناد من تحت العرش أن ليس هؤلاء بأنبياء، قال: فيقولون: هؤلاء الشهداء، فينادي مناد من تحت العرش ليس هؤلاء شهداء ولكن هؤلاء قوم كانوا ييسرون على المؤمنين وينظرون المعسر حتى ييسر).

٢٠. **مجالسة العلماء والنظر إليهم**:

- عن النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله): (يا علي ! خمسة تنور القلب : ... ومجالسة العلماء ..}.
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (المتقون سادة، العلماء والفقهاء قادة، أخذ عليهم أداء مواثيق العلم، والجلوس إليهم بركة، والنظر إليهم نور).
- عن السيد المسيح (عليه السلام): (يا بني إسرائيل، زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الركب، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر).
- عن لقمان الحكيم (عليه السلام): (جالس العلماء أو زاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء).

.....

المحاضرة (١١) **بعنوان**: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [العصر: ٣]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

أهمية سورة العصر:

سورة (العصر) قصيرة جداً في كلماتها لا تتجاوز السطرين لكنّها عظيمة في فضلها، خطيرة في مضمونها، وإنها مظهر من مظاهر إعجاز القرآن حينما يُقدِّم في سطر واحد منهجاً متكاملاً لنجاح البشريّة من أوّل الخلقة إلى نهايتها ويعرِّف هويّة الأمّة الرابحة الفائزة ويعلّمها وظائفها في هذا السطر. روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من قرأ (والعصر) في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه، قريرة عينه حتّى يدخل الجنة)[٩٤]، ولأهمية ما جاء فيها فقد ورد أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)كانوا اذا اجتمعوا لا يفترقون إلاّ بعد تلاوة سورة (والعصر) ويتذاكروا في مضامينها[٩٥].

معنى (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ):

---

(٩٤) ثواب الأعمال: ١٢٥.

(٩٥) الدر المنثور: ٣٩٢/٦.

يبتدئ الله تبارك وتعالى السورة بالقسم (والعصر) بمعانيه المختلفة كما وردت في التفاسير، فيقسم الله عزّ من قائل – وهو أصدق القائلين- لتأكيد الكلام ولإثارة انتباه المخاطب إلى الحقيقة التي سيقولها، لأنّها حقيقة خطيرة (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) ليس الإنسان بحسب تكوينه وأصل خلقته، لأنّه خُلق للكمال وللمعرفة بالله تعالى ولإخلاص الطاعة له سُبحانه والاستقامة على ما أراد منه، لذلك أسجد له ملائكته وقال تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة/٣٠) ، فليس الإنسان بالحمل الأولي –كما في المصطلح- هو في خسر، بل الإنسان الموجود على أرض الو اقع أي بلحاظ سلوكه وسيرته أي أفراد الإنسان ومصاديقه بالحمل الشائع –كما في المصطلح- الذي يخالف فطرته حينما يخرج إلى هذه الدنيا وينسى عهده مع ربّه الذي و اثقه عليه {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}الأعراف١٧٢.

فهذا الإنسان الذي خلق للسمو والتكامل، تراه ينحدر ويتسافل ويعرض عن ذكر ربّه، فيخسر رأس ماله وكلّ القوى التي زوّدها الله تعالى بها لتحقيق الغرض المنشود من حياة ووجود وعقل وفكر وبدن وثروة وجاه وعلاقات وأسرة وعشيرة وموقع وغيرها، حتّى الأشياء البسيطة الدقيقة التي يمكن أن تُكتسب بها الجنان (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ) الزلزلة٧، كتسبيحة أو ذكر مع كل شهيق وزفير وفي كل طرفة عين.

وإذا به على العكس يسخّرها للشقاء والعذاب، فإذن هو فعلاً (في خسر)، بل خسر عظيم، قال تعالى {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }الزمر١٥، كمن يزوّد برأس مال عظيم وتوفّر له كلّ فرص النجاح والاستثمار وتقدّم له كلّ معونة والتسهيلات في السوق، لكنّه بحماقته وضيق نظره يخسر كلّ ذلك، عن الإمام الهادي (عليه السلام): (الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون)[٩٦].

ثمن النفس هو الجنة:

هذه الصفقة التي أنشأها الله تعالى مع عباده (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ) (التوبة/ ١١١) فلا ثمن لهذه النفس إلاّ الوفاء بهذه الصفقة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة فلا تبيعوها إلاّ بها)[٩٧]. والتعبير يمزج مع التحذير والتهديد والتوبيخ استغراباً وعتاباً، لأنّ الله تعالى خلقهم للرحمة والسعادة والفوز وأعطاهم كلّ ما يوصلهم إلى هذه النتيجة من أسباب معنوية ومادّية قال تعالى (إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود ١١٩), وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (يقول الله تعالى: يا ابن آدم، لم أخلقك لأربح عليك، إنّما خلقتك لتربح عليّ, فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصر لك من كل شيء)[٩٨].

لماذا يحصل الخسران؟

فلماذا يخسرون كلّ ذلك بتوظيفه في عكس الهدف الذي خلقوا من أجله {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون }(يس٣٠)، لذلك يسجّل القرآن الكريم استغرابه من دخول أهل النار إليها، قال تعالى {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}المدثر٤٢، ولم يسجّل استغرابه من دخول أهل الجنة فيها لأن وجودهم على القاعدة ومع الهدف الذي خُلقوا من أجله. والمرعب في هذه الحقيقة إطلاقها وعمومها (إن الإنسان) مطلقاً فتكون كقوله تعالى (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً) (مريم/٧١-٧٢).

المستثنون من الخسران:

---

(٩٦) بحار الأنوار: ٣٦٦/٧٢ ح١، تحف العقول: ٣٦١.

(٩٧) نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم ٧٤.

(٩٨) ميزان الحكمة: ٣٣٤/١ الحديث ١٦٠٤ عن شرح نهج البلاغة: ٣١٩/٢٠، ٦٦٥.

نعم استثني من هذه النتيجة المهولة بعض توفّرت فيه أربع خصائص مجتمعة:

١- (إلاّ الذين آمنوا) واعتقدوا صدقاً وإخلاصاً بكل العقائد الحقّة بتوحيد الله تعالى والرسالة للنبي (صلى الله عليه وآله)وولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام وسائر العقائد الحقّة.

٢- (وعملوا الصالحات) لأنّ الإيمان لا يكون حقيقياً وصادقاً إلاّ أن يظهر إلى الخارج بعمل صالح يكون مو افقاً لما يريده الله تبارك وتعالى.

وهذا المقدار مفهوم وواضح وذكرته آيات عديدة، لكنّ الأهمية والخطورة التي أشرنا إليها في هذه السورة هي فيما أضافته الآية من شرطين للفوزوالنجاة من الخسران، حيث لم تكتفي بالركنين السابقين، وهما:

٣- (وتواصوا بالحق) فلا يكتفون بكونهم صالحين في أنفسهم مؤمنين يعملون الصالحات بل يتحركون برسالتهم في المجتمع فيوصي بعضهم بعضاً بالتزام الحق والعمل به، والتعبيربالتواصي يتضمّن معنى الإستمرارية والتواصل، والحق الذي يتواصون به له مساحة واسعة، فكلّ خيروكل ما هو مثمروكلّ ما يوصل إلى الله تبارك وتعالى ويعين على طاعته ويجنّب معصيته هو حق فيتواصون به.

وهذا له مدى واسع فيشمل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى والإسلام وولاية اهل البيت عليهم السلام ونشر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومظلوميتهم من الأعداء، ونشر أحكام الدين وتقديم النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحقوق التفصيلية الكثيرة كالتي تضمنتها رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام).

ولا بدّ لمن يقوم بهذه الوظيفة أن يكون ملتفتاً قبل ذلك إلى نفسه فيتعاهدها ويتواصى معها ويشارطها على الهدى والصلاح والثبات، لأنّها أعزو أثمن من يتواصى معه. إن الحقّ إذا لم يتم التواصي به والتواصل معه جيلاً بعد جيل وبين عامة الجيل الواحد أي التحرّك به أفقياً وعمودياً فإنّه يضيع كما ضاعت حقوق كثيرة وعلى رأسها حقّ الإمامة وولاية أمر الأمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين). قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين، وقد أنكِرَحق جدّي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه سبعون ألف شاهد كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)في غدير خم[٩٩].

٤- (وتواصوا بالصبر) فإنّ من يسيربهذا الطريق الذي تخلّى عنه أكثر الناس وأصبحوا ينظرون إليه بازدراء وسخرية سيلقى الكثيرمن المشقّة والعنت والأذى وسيتطلب منه تضحية كثيرة بأعزما لديه فيحتاج إلى صبرومصابرة ومر ابطة وثبات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}آل عمران٢٠٠، فيوصي هؤلاء الثلة القليلة بعضهم بعضاً بالصبروالمضي على هذا النهج المقدّس المبارك.

إصلاح الآخرين:

إنّ الحقيقة الخطيرة التي أضافتها هذه السورة المباركة أن الإيمان والعمل الصالح على مستوى النفس غيركافٍ للفوز وللنجاة من الخسران الشامل لأفراد الإنسان، بل لابد أن ينضم له التحرّك بهذه الوظيفة في المجتمع والاستمرارعلى ذلك والثبات عليه وتحمّل أعبائه. وبتعبيرمختصر أنّ صلاح الفرد الشخصي لا يكفي من دون أن يضم له العمل على إصلاح الآخرين، وهي مسؤولية كبيرة لكن منزلتها عظيمة لا مكان فيها للمتقاعس والمتكاسل الذي لا يكترث بما يعجّ به المجتمع من مفاسد وظلم و انحراف وضلالات وشبهات وخر افات وجهل وغيرذلك. حينئذٍ يتحقق صلاح الفرد وصلاح المجتمع أيضاً، ونجاة الفرد ونجاة المجتمع وعزّتهما معاً بفضل الله تبارك وتعالى.

التواصي بالحق والتواصي بالصبر:

---

(٩٩) بحارالأنوار: ١٥٨/٣٧ باب٥٢.

وإذا قابلنا هذه الآية مع الآيتين المتقدّمتين من سورة ({ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم : ٧٢] نحصل على تعريف للتقوى فتكون حقيقتها الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر بمقتضى المطابقة وتحقيق ما تحصل به النجاة من النار والخسران. وهذه الحقيقة طبيعية لأنّ الإيمان يدعو إلى العمل الصالح، والعمل الصالح لا يعرف الإنزواء والجمود والتقوقع، و إنّما يدعو للحركة المثمرة لهداية الآخرين وإرشادهم ونصحهم ومساعدتهم، فإنّ من أعظم الأعمال الصالحة ما كانت مندرجة في هذه الحركة الاجتماعية لذا ورد في بعض الروايات تفسير عمل الصالحات بمواساة الإخوان[١٠٠].

إن مسؤولية التواصي بالحق والتواصي بالصبر لا تختص بالمبلغين والمرشدين من الحوزة العلمية بل هي شاملة لكل الناس خصوصاً مع توفّر سبل الهداية وقنوات الإصلاح والتأثير لكل العاملين على شبكات المعلومات وصفحات التواصل الاجتماعي والفضائيات.

الربط العزائي (الكورين):

يمكن ربط موضوع المحاضرة بصبر الإمام الحسين(عليه السلام) أو الإمام السجاد (عليه السلام) أو بصبر الحوراء زينب (عليها السلام) أو بصبر سائر نساء بني هاشم أو بصبر السيدة أم البنين (عليها السلام). كما يمكن ربط موضوع المحاضرة بثباتهم (عليهم السلام) على الحق وعلى المبدأ السليم الذي لم يتنازلوا عنه رغم كل التضحيات وكل الصعوبات.

روي أن أبا الفضل العباس(عليه السلام) رفض أمان الأمويين مرتين، ففي المرة الأولى أرسل ابن زياد أماناً للعباس وأخوته بسبب توسُّط أحد أخوالهم، إلاّ أن العباس (عليه السلام) أجاب عن ذلك بقوله: (أبلغ خالنا السلام وقل له أن لا حاجة لنا في الأمان، أمان الله خير من أمان ابن سمية، والمرة الثانية كانت في اليوم العاشر عندما نادى الشمر لعنة الله عليه) أين بنو أختنا، أين العباس وأخوته؟ إلاّ أنهم أعرضوا عنه، فقال الإمام الحسين عليه السلام أجيبوه ولو كان فاسقاً، فأجابوه وقالوا: ما شأنك وما تريد؟ قال: يا بني أختي أنتم امنون لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد، فقال العباس (عليه السلام): (لعنك الله أتؤمننا و ابن رسول الله لا أمان له وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء).

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (في الصبر على ما يكره خير كثير).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الصبر ستر من الكروب، وعون على الخطوب).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن الصبر نصف الإيمان).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الصبر خير مركب، ما رزق الله عبدا خيرا له ولا أوسع من الصبر).
- الإمام علي (عليه السلام): (الشجاعة صبر ساعة).
- وعنه (عليه السلام): (الصبر أعون شيء على الدهر).
- وعنه (عليه السلام): الصبر مطية لاتكبو).
- وعنه (عليه السلام): (الصبر زينة البلوى).
- وعنه (عليه السلام): (الصبر على مضض الغصص يوجب الظفر بالفرص).
- وعنه (عليه السلام): (الصبر يرغم الأعداء).

---

(١٠٠) كمال الدين و إتمام النعمة: ٦٥٦ ح١.

- وعنه (عليه السلام): (الصبر عدة الفقر).
- وعنه (عليه السلام): (الصبر عون على كل أمر).
- وعنه (عليه السلام): (بالصبر تخف المحنة).
- وعنه (عليه السلام): (الصبر يهون الفجيعة).
- وعنه (عليه السلام): (الصبر على البلاء أفضل من العافية في الرخاء).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (لا ينبغي... لمن لم يكن صبوراً أن يعد كاملاً).
- الإمام الكاظم (عليه السلام): (لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة، وذلك أن الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عند الرخاء).

ب) الشعر:

قال الشاعر: وحسبُ الفتى إن لمْ ينلْ ما يريدُه مع الصّبرِ أن يُلفى مقيماً على الصّبر
وقال آخر: فالصبرُ أجملُ ثوبٍ أنتَ لابسُه لنازلٍ والتّعزي أحسنُ السّنَنِ
وقال آخر: الصبرُ أولى بوقارِ الفتى من قلقٍ يهتكُ سترَ الوقار

ج) القصة:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (أوحى الله تعالى إلى داوود صلوات الله عليه: أنّ خلاَّدة بنت أوس بشّرها بالجنّة، وأعلِمْها أنّها قرينتك في الجنّة. فانطلق إليها، فقرع الباب عليها، فخرجت وقالت : هل نزل فيَّ شيء؟ قال : نعم. قالت: ما هو؟ قال: إنّ الله تعالى أوحى إليّ وأخبرني أنّك قرينتي في الجنّة، وأن أُبشّرك بالجنّة. قالت: أوَ يكون اسم و افق اسمي؟! قال: إنّكِ أنتِ هي. قالت: يا نبي الله، ما أُكذِّبك، ولا والله، ما أعرف من نفسي ما وصفتني به. قال داوود (عليه السلام): أخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو؟ قالت: أمّا هذا، فسأُخبركَ به، أخبرك أنّه لم يُصبني وجع قطّ نزل بي كائناً ما كان، ولا نزل بي ضرّ، وحاجة، وجوع، كائناً ما كان، إلاّ صبرت عليه، ولم أسأل الله كشفه عنّي حتّى يُحوّله الله عنّي إلى العافية والسعة، ولم أطلب بها بدلاً، وشكرت الله عليها وحمدته. فقال داوود صلوات الله عليه : فبهذا بلغتِ ما بلغتِ) . ثمّ قال أبو عبد الله (عليه السلام): (وهذا دين الله الذي ارتضاه للصّالحين) .

قصة أخرى:

التواصي بالباطل:

عن هشام بن الحكم قال: اجتمع ابن أبى العوجاء و أبو شاكر الديصانى الزنديق وعبد الملك البصري و ابن المقفع عند بيت الله الحرام يستهزؤون بالحاج، ويطعنون بالقرآن، فقال ابن أبى العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن، و ميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فان في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفى إبطال نبوته إبطال الاسلام، و إثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك و افترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام فقال ابن أبى العوجاء: أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: " فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا " فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئا فشغلتني هذه الآية عن التفكر فيما سواها، فقال عبد الملك: و أنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوا منه ضعف الطالب والمطلوب " ولم أقدر على الاتيان بمثلها، فقال أبو شاكر: و أنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " لم أقدر على الاتيان بمثلها، فقال ابن المقفع: يا قوم إن

هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، و أنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: " وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين " لم ابلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الاتيان بمثلها، قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقال: " قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلا هبناه، و اقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز.

.....

المحاضرة (١٢) بعنوان: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء: ١٠٣]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

لا تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة:

في ذكرى استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) نتوقف عند آخر وصية له (عليه السلام)..عن أبي بصير قال: دخلت على أُمّ حميدة أُعزّيها بأبي عبد الله (عليه السلام)، فبكت وبكيت لبكائها، ثمّ قالت: يا أبا محمّد، لو رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثمّ قال: (اجمعوا كلّ مَنْ بيني وبينه قرابة، قالت: فما تركنا أحداً إلاّ جمعناه، فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة)[١٠١]. ويظهر أن هذه وصية النبي(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته جميعاً، روي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (قال: لا تهاون بصلاتك، فإنّ النبي(صلى الله عليه وآله) قال عند موته: ليس منّي من استخفّ بصلاته، ليس منّي من شرب مسكراً، لا يرد عليّ الحوض لا والله)[١٠٢]، بل هي وصية كل الأنبياء (عليهم السلام)، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (أحبُّ الأعمال إلى الله عزوجل الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء)[١٠٣]. فلا يغتر البعض بما يقال له أنّه إذا فعل كذا فقد وجبت له الجنة، أو دخل الجنة بغير حساب مما يكثر منه الخطباء على المنابر من دون ذكر قيوده وشروطه.

أهمية الصلاة:

إنّ للصلاة أهمية كبرى في الدين ودوراً مهماً في حياة الإنسان ومصيره، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ما بين المسلم وبين أن يكفر إلاّ ترك الصلاة الفريضة متعمّداً أو يتهاون بها فلا يصلّيها)[١٠٤].

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود و انكسر لم يثبت وتد ولا طنب)[١٠٥]. وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) إنّ عمود الدين

---

(١٠١) الوسائل ج٤ ص٢٦-٢٧.

(١٠٢) الوسائل ج٤ ص٢٣- ٢٤.

(١٠٣) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢١٠ ح٦٣٨.

(١٠٤) الوسائل ج٤ ص ٤٣.

(١٠٥) الوسائل ج٤ ص٢٧.

الصلاة ، وهي أوّل ما يُنظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت نُظر في عمله ، وإن لم تصحّ لم يُنظر في بقيّة عمله)[١٠٦]. لذا كان مقياس صلاح الإنسان عند أهل البيت (عليهم السلام) هو اهتمامه بصلاته، عن هارون بن خارجة قال : (ذكرت لأبي عبدالله (عليه السلام) رجلاً من أصحابنا فأحسنت عليه الثناء ، فقال لي: كيف صلاته؟)[١٠٧].

فضل الصلاة وثوابها:

وقد ورد في فضل المصلي وثواب الصلاة شيء كثير، عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: (قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله عزّوجلّ إليه ، أو قال : أقبل الله عليه حتى ينصرف ، وأظلّته الرحمة ، من فوق رأسه إلى أُفق السماء ، والملائكة تحفّه من حوله إلى أُفق السماء ، ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول له : أيّها المصلّي ، لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفتّ ولا زلت من موضعك أبداً)[١٠٨]. وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال : للمصلّي ثلاث خصال : إذا هو قام في صلاته حفّت به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء ، ويتناثر البّر عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ، وملك موكّل به ينادي : لو يعلم المصلّي من يناجي ما انفتل)[١٠٩]. وعن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل في كلّ يوم منه خمس مرّات ، أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟ قلنا : لا ، قال : فإنّ مثل الصلاة كمثل النهر الجاري ، كلّما صلّى صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب)[١١٠]، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل ابليس ينظر إليه حسداً، لما يرى من رحمة الله التي تغشاه)[١١١].

الصلاة التامة:

إن الصلاة التي تكون لها هذه القيمة لابد أن تكون تامة في أجزائها وشرائطها التي يذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية. عن الإمام الباقر(عليه السلام) (قال : بينا رسول الله(صلى الله عليه وآله) جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلّي ، فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده ، فقال(صلى الله عليه وآله) : نقر كنقر الغراب ، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير دين)[١١٢].

المحافظة على أوقات الصلوات:

ومن المهم جداً لكي تؤدي الصلاة غرضها المنشود وتتحقق منها الآثار المباركة: المحافظة عليها في أوقاتها، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس لوقتهنّ فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه فأدخله في العظائم)[١١٣] وعن الصادق (عليه السلام) .في حديث .: (إنّ ملك الموت يدفع الشيطان عن المحافظ على الصلاة ، ويلقّنه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، في تلك الحالة العظيمة)[١١٤]، وعن النبي(صلى الله عليه وآله) قال (ما من عبد اهتم بموا قيت الصلاة ومواضع الشمس إلا ضمِنتُ له الرَوْحَ عند الموت، وانقطاع الهموم والأحزان، والنجاة من النار)[١١٥]. من خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة انه قال في كلام يوصي

---

(١٠٦) الوسائل ج٤ ص٣٤-٣٥.
(١٠٧) الوسائل ج٤ ص٣٢.
(١٠٨) الوسائل ج٤ ص٣٢.
(١٠٩) الوسائل ج٤ ص٣٣.
(١١٠) الوسائل ج٤ ص١٢.
(١١١) الخصال: ٦٣٢ ح١٠.
(١١٢) الوسائل ج٤ ص٣١-٣٢.
(١١٣) الوسائل ج٤ ص٢٨.
(١١٤) الوسائل ج٤ ص٢٩.
(١١٥) بحار الأنوار: ٨٣، ٩ ح ٥.

أصحابه : (تعاهدوا أمر الصلاة ، وحافظوا عليها، واستكثروا منها ، وتقرّبوا بها ، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: (ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلّين) وإنّها لتحتّ الذنوب حتّ الورق ، وتطلقها إطلاق الربق ، وشبّهها رسول الله بالحمّة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّات ، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن ، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين، الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ، ولا قرة عين من ولد ولا مال ، يقول الله سبحانه: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة) ، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنّة ، لقول الله سبحانه {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢]) فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه)[١١٦].

علموا أولادكم الصلاة:

ولأجل أن تصبح الصلاة جزءاً أساسياً من حياة الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدونها فقد أمر المعصومون بإلزام الصبيان بالصلاة من وقت مبكر كعمر (٦-٨) سنين بحسب استعداداته الذهنية وفهمه لما يقال له. روى محمد بن مسلم: أنه سأل أحد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) (في الصبي ، متى يصلّي؟ فقال : إذا عقل الصلاة قلت: متى يعقل الصلاة وتجب عليه؟ قال : لستّ سنين)[١١٧]. ويستغرب الإمام (عليه السلام) من الآباء والأمهات الذين لا يتابعون أداء أطفالهم للصلاة، روى أحدهم قال (سألت الرضا (عليه السلام) أو سئل و أنا أسمع، عن الرجل يجبر ولده وهو لا يصلّي اليوم واليومين؟ فقال: وكم أتى على الغلام؟ فقلت: ثماني سنين ، فقال: سبحان الله، يترك الصلاة؟! قال : قلت: يصيبه الوجع، قال: يصلّي على نحو ما يقدر)[١١٨].

الفرق بين الزاني وتارك الصلاة:

إن المتابع لحال المسلمين –خصوصاً في البلدان المترفة والتي تكون فيها فرص المغريات والشهوات كثيرة- يجد عند كثير منهم إهمال أمر صلاتهم، وعدم الالتزام بها في أوقاتها وهذه قضية حيوية وشيء خطير لابد من معالجته بالالتفات إلى ما ذكرناه من أهمية الصلاة والعقوبة الغليظة على من ضيّعها وأهملها، بحيث لا يُقاس به حتى مرتكب الكبائر كالزنا وشرب الخمر، ويعلّل الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك بقوله (لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلاّ استخفافاً بها)[١١٩].

حملة لتفعيل الصلاة في حياتنا:

إن من تكليفنا اليوم وفي كل يوم أن نطلق حملة شاملة لإعادة المسلمين إلى صلاتهم بالإقناع أو بالإلزام لمن كانت له سلطة وقيمومة، كالوالدين على أبنائهم، أو إدارات المدارس على الطلبة، وأن نقوم بتيسير السبل لذلك من خلال إنشاء المصليات داخل الجامعات والمدارس والمؤسسات الحكومية، وتفعيل دور المساجد ونحوها من الآليات لنكون ممن تناله شفاعة النبي(صلى الله عليه وآله) والإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

لذة الصلاة:

إن من استشعر العبودية لله تبارك وتعالى واعتزّ بها يجد في الصلاة لذة كبيرة، ولا يجد للحياة طعماً ولا معنى إذا خلت من الصلاة، ولا يكتفي بالصلوات المفروضة لأنه يجد الأوقات بينها كثيرة لا يتحملها بلا صلاة فيتنفل بما يسَّر الله تعالى له

---

(١١٦) الوسائل ج٤ ص٣٠- ٣١.

(١١٧) الوسائل ج٤ ص١٨- ١٩.

(١١٨) الوسائل ج٤ ص٢٠.

(١١٩) الوسائل: باب١١، ٢.

خصوصاً في الليل، فإن ما بين المغرب والفجر وقت طويل. عن الإمام الصادق (عليه السلام) –لما سُئل عن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله – قال: (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم قال: {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ} [مريم : ٣١])[١٢٠] وعن النبي(صلى الله عليه وآله) قال (ليكن أكثر همك الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين)[١٢١]. ولما سأل أبو ذر الغفاري رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن الصلاة، قال(صلى الله عليه وآله): (خير موضوع، فمن شاء أقلَّ ومن شاء أكثر)[١٢٢]. ولاشك أن الكلام عن الصلاة لا يستوعبه مجلس واحد، ولكننا أحببنا إثارة أصل الموضوع لأهميته ليكون فاتحة لعمل واسع بإذن الله تعالى، فلنحرص جميعاً على أن نكون ممن أحسن صلاته و أكثر مها وحافظ عليها في أوقاتها.

الربط العزائي (الكورين):

يمكن ربط موضوع المحاضرة بحادثة صلاة الإمام الحسين(عليه السلام) ظهيرة يوم عاشوراء وكيف حاول الأعداء منعه من ذلك... فعندما دخل وقت الظهر، جاء أبو تمامة الصيداوي وقال: يا أبا عبد الله أنفسنا لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك... وأحبّ أن ألقى الله عزّوجلّ وقد صلّيت هذه الصلاة معك. فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال (عليه السلام): سلوا هؤلاء القوم أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي، فأذّن الحسين بنفسه، وقيل: أمر مؤذّنه ليؤذّن، ثم قال الحسين: ويلك يابن سعد أنسيت شرائع الإسلام؟ اقصر عن الحرب حتى نصلّي وتصلّي بأصحابك ونعود إلى ما نحن عليه من الحرب، فاستحى ابن سعد أن يجيبه، فناداه الحصين ابن نمير. عليه اللعنة . قائلاً: صلّ يا حسين ما بدا لك فإن الله لا يقبل صلاتك. فأجابه حبيب بن مظاهر: ثكلتك أمك، ابن رسول الله صلاته لا تقبل وصلاتك تقبل يا خمّار؟!

فقال الإمام الحسين(عليه السلام) لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله: تقدّما أمامي حتى أصلّي الظهر. فتقدّما أمامه في نحو نصفٍ من أصحابه حتى صلّى بهم صلاة الخوف، وسعيد تقدّم أمام الحسين فاستهدف لهم فجعلوا يرمونه بالنبال كلّما أخذ الحسين يميناً وشمالاً قام بين يديه فما زال يرمى إليه حتى سقط على الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عادٍ وثمود، اللهم أبلغ نبيّك عني السلام. و أبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإنني أردت بذلك نصرة ذرّية نبيّك ثم مات رحمه الله.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (جعل الله جل ثناؤه قرة عيني في الصلاة، وحبب إلي الصلاة كما حبب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، وإن الجائع إذا أكل شبع، وإن الظمآن إذا شرب روي، و أنا لا أشبع من الصلاة).
- عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: (صلّ صلاة مُودِّع ، فإذا دخلت في الصلاة فقل هذا آخر صلاتي من الدّنيا، وكان كأنّ الجنّة بين يديك، والنار تحتك، ومَلَك الموت وراءك، والأنبياء عن يمينك، والملائكة عن يسارك، والربّ مُطَّلع عليك من موقفك، فانظر بين يدي مَن تقف، ومَن تُناجي ومَن ينظر إليك). سفينة البحار.
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (ليكن أكثر همك الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (لكل شئ وجه، ووجه دينكم الصلاة).
- وعنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (لكلّ شيء وجه، ووجه دينكم الصّلاة، فلا يشينَنَّ أحدكم وجه دينكم).

---

(١٢٠) الكافي: ٣/ ٢٦٤، ح١.

(١٢١) بحار الأنوار: ١٢٧/٧٧ ح٣٣.

(١٢٢) معاني الأخبار: ٣٣٣ ح١.

- وعنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (تكتب الصلاة على أربعة أسهُم: سهم منها إسباغ الوضوء ، وسهم منها الرّكوع، سهم منها السّجود، وسهم منها الخشوع) فقيل: يا رسول الله، وما الخشوع؟ فقال: (التّواضع في الصلاة، وأن يُقبل العبد بكلّه على ربّه، فإذا هو أتمّ ركوعها وسجودها و أتمّ سهامها، صعدت إلى السّماء لها نوريتلألأ ، وفُتحت أبواب السّماء لها، وتقول: حافظت عليَّ حفظك الله، فتقول الملائكة: صلَّى الله على صاحب هذه الصلاة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن الصلاة قربان المؤمن).
- الإمام علي (عليه السلام): (الصلاة حصن من سطوات الشيطان).
- وعنه (عليه السلام): (الصلاة تستنزل الرحمة).
- وعنه (عليه السلام): (الصلاة ميزان، فمن وفى استوفى).
- وعنه (عليه السلام): (أوصيكم بالصلاة وحفظها، فإنها خير العمل وهي عمود دينكم).
- وعنه (عليه السلام): (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يؤثر على الصلاة عشاء ولا غيره، وكان إذا دخل وقتها كأنه لا يعرف أهلا ولا حميماً).
- وعنه (عليه السلام): (الصلاة قربان كل تقي).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (إن طاعة الله خدمته في الأرض، فليس شيء من خدمته يعدل الصلاة).
- الإمام الكاظم (عليه السلام): (صلوات النو افل قربات كل مؤمن).
- عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (الصلاة وكِّل بها مَلك ليس له عمل غيرها ، فإذا فرغ منها قبضها ثمّ صعد بها، فإن كانت ممّا تُقبل قُبلت، وإن كانت ممّا لا تُقبل قيل له: ردّها على عبدي ، فينزل بها حتّى يُضرب بها وجهه ، ثمّ يقول : أفٍّ لك . لا يزال لك عمل يعنيني) / الوسائل .

ب) الشعر:

متى يا قلب تأنس بالصلاة ** وتنسى عندها هم الحياة؟
أيُعقل أن تصلي كل حين ** وتغرق في بحار الأمنيات
فلا تدري إذا صليت ماذا ** ولا كم قد ركعت بذي الغداة
وحتى في سجود السهو تسهو ** فقل لي كيف تقبل لي صلاة
تصلي كي تريح النفس فيها ** ولا ترتاح فيها من شتات
أراك اليوم ياقلبي عجولا ** الى اللذات تخشى من فوات
وما أدركت ما تبغي ولكن ** كبرت ولم تذق طعم الثبات
أتوق لِأن أصلي في خشوع ** وأن أنسى بها متع الحياة
فعد يا قلب من بحر التمني ** وعدني أن تصلي في أناة

ج) القصة:

تأثير النو افل على سلوك الإنسان... وهي حكاية رواها أحدهم عن المرحوم السيد علي القاضي صاحب المدرسة الأخلاقية المعروفة قال فيها أنه أيام إقامته في النجف الأشرف كان هناك شاب منحرف يشرب الخمر وتارك للصلاة، لكنه كان يحب السيد القاضي كثيراً ويساعده إذا رآه ويحمل عنه حاجاته إلى داره، وكان السيد ينصحه بأن يتوب إلى ربّه ويلتزم بالصلاة ويترك الخمر، لكنه لم يأخذ بالنصيحة وبعد سنين قال له السيد إنني طلبت منك طلباً منذ سنين ولم تستجب لي، فقال الشاب: لا أقدر على الالتزام، فقال السيد له: إذن أطلب منك أن تفعل في ليلة واحدة بأن تقوم

في منتصف الليل والناس نيام فتتوضأ وتصلي صلاة الليل، فقال الشاب أن نومي عميق ولا أستطيع الاستيقاظ في منتصف الليل، قال السيد، لا بأس أنا أضمن لك استيقاظك وواعدني بفعل ما طلبت، فوعده بذلك ولما انتصف الليل استيقظ الشاب فجأة وجاء إلى حوض الماء ليتوضأ وفكّر وتدبّر وتأمّل طويلاً وراجع نفسه واستحيا من خالقه فأدركته الألطاف الإلهية، وهنا خاطب ربّه بكلمة اشتهرت لاحقاً (يا رب إني وإن تأخرت في الوصول إلا إنني أرجو أن لا أفارقك) ومن ذلك اليوم استقام في سيرته وأصبح من مشاهير الصالحين في النجف.

قصة أخرى:

نقلاً عن كتاب سيماء الصالحين روى أحد المؤمنين الثقات، أنّه سمع أحد الخُطباء الإيرانيين يقول : كنت جالساً في حافلة لأسافر إلى مدينة نائية من مُدن إيران ، وذلك في زمن الشّاة ، لم يكن على المقعد بجانبي أحد ، وكنت أخشى أن يجلس عندي من لا أرغب في جواره ، فيُضايقني في هذا الطريق البعيد ، فسألت الله تعالى في قلبي : إلهي ، إن كان مُقدَّراً أن يجلس عندي أحد ، فاجعله إنساناً مُتديّناً طيّباً ! وهكذا جلس المُسافرون على مقاعدهم ، ولم أرَمَن يشغل المقعد الذي بجانبي ، فشكرت الله أنّي وحيد، ولكنّي فوجئت في الدقيقة الأخيرة قبل الحركة بشابٍّ مظهره كـ (الهيبيز) وبيده حقيبة من صنع بلد أجنبي ، وكأنّه من غير ديننا ، فتقدَّم حتّى جلس عندي، فقلت في قلبي: يا ربّ ، أهكذا تكون إجابة الدّعاء ؟! تحرّكت السيّارة ، ولم يتفوَّه أحد منّا للثاني بكلمة ؛ لأنّ الانطباع المأخوذ في أذهان مثل هؤلاء الأشخاص عن المُعمّمين كان انطباعاً سيّئاً ؛ بفعل الدّعايات المُغرضة ضدّ علماء الدّين ؛ لذلك آثرت الصبر والسكوت ، و أنا جالس على أعصابي ، حتّى حان وقت الصلاة (أول وقت الفضيلة)، وإذ بالشّابِّ وقف يُنادي سائق الباص : قف هنا ، لقد حان وقت الصلاة ! فردَّ عليه السائق مُستهزئاً .وهو ينظر إليه من مرآته .: اجلس ، أين الصلاة و أين أنت منها ؟! وهل يُمكننا الوقوف في هذه الصحراء ؟! قال الشابّ : قلت لك : قف وإلاّ رميت نفسي ، وصنعت لك مُشكلة بجنازتي . ما كنت أستوعب ما أسمع وأرى من هذا الشابِّ ، إنّه شيء في غاية العَجب ، فأنا كعالم دين أولى بهذا الموقف من هذا الشابِّ (الهيبيز) وعدم مُبادرتي إلى ذلك كان احترازاً عن الموقف العدائي ، الذي يُكنّه البعض لعلماء الدّين ؛ لذلك كنت انتظر لأُصلّي في المطعم الذي تقف عنده الحافلة في الطريق . وهكذا كنت أنظر إلى صاحبي باستغراب شديد ، وقد اضطرَّ السائق إلى أن يقف على الفور؛ لمّا رأى إصرار الشابّ وتهديده .

فقام الشابّ ونزل من الحافلة ، وقمت أنا خلفه ونزلت ، فرأيته قد فتح حقيبته وأخرج قنّينة ماء، فتوضّأ منها ، ثمّ عيّن اتّجاه القبلة بالبوصلة وفرش سجّادته ، ووضع عليها تربة الحسين (عليه السلام) الطّاهرة ، وأخذ يُصلّي بخشوع ، وقدّم لي الماء ، فتوضّأت كذلك وصلّيت . ثمّ صعدنا الحافلة ، وسلّمت عليه بحرارة مُعتذراً من البُرودة التي استقبلته بها أولاً ، ثمّ سألته : مَن أنت ؟ قال : إنّ لي قصّة لا بأس أن تسمعها ، فقد كنت لا أعرف الدّين ولا الصلاة ، يوم كنت أدرس الطبَّ في فرنسا ، و أنا الولد الوحيد لعائلتي ، التي دفعت كل ما تملِك لأجل دراستي هذه . كانت المسافة بين سكني والجامعة التي أدرس فيها مسافة قرية إلى مدينة ، وكان الوقت بارداً جِدَّاً عندما ركبت السيّارة التي كنت استقلُّها يومياً إلى المدينة مع ركّاب آخرين ، وكنت على موعد مع الامتحان الأخير، الذي تترتّب عليه نتيجة جهودي كلّها . فلمّا وصلنا إلى مُنتصف الطّريق عَطِبَت السيّارة ، وكان الذهاب إلى أقرب مُصلّح (ميكانيك) يستغرق من الوقت ما يُفوّت عليَّ الحضور في الامتحانات النهائية للجامعة ، لقد أرسل السائق مَن يأتي بما يُحرِّك سيارته ، وأصبحت أنا في تلك الدقائق كالضّائع الحيران ، لا أدري أتَّجه يميناً أو يساراً ، أم يأتيني من السماء مَن يُنقذني ، كنت في تلك الدقائق أتمنَّى لو لم تلدني أُمّي ، إنّها كنت أصعب دقائق تمرُّ عليَّ خلال حياتي ، وكأنّ الدقيقة منها سهم يُرمى نحو آمالي ، وكأنّي أُشاهد أشلاء آمالي مُقطّعة أمامي ، ولا يُمكنني إنقاذها أبداً . فكلَّما أنظر إلى ساعتي كانت اللحظات تعتصر قلبي ، فكدت أخرّ إلى الأرض ، وفجأة تذكّرت أن جَدّتي في إيران ، عندما كانت تُصاب بمشكلة أو تسمع بمُصيبة ، تقول .بكل أحاسيسها .: (يا صاحب الزّمان).

هنا ، ومن دون سابق معرفة لي بهذه الكلمة وصاحبها ومعناها الاعتقادي ، قلت . بكلّ ما في قلبي وفكري من حبّ وذكريات عائلية . : (يا صاحب زمان جَدّتي) ذلك؛ لأنّني لم أعرف مَن هو صاحب الزّمان ، فنسبته إلى جدّتي على البساطة ، وقلت : فإن أدركتني أعدك أن أُصلّي دائماً وفي أول الوقت . وبينما أنا كذلك ، وإذ برجل حضر هناك فقال للسائق بلغة فرنسية : شغّل السيارة ! فاشتغلت من المُحاولة الأُولى ، ثمّ قال للسائق : أسرع بهؤلاء إلى وظائفهم ولا تتأخّر. وحين نزوله التفت إليّ وخاطبني بالفارسية : لقد وفينا بوعدنا ، يبقى أن تفي أنت بوعدك أيضاً . فاقشعرّ جلدي ، وبينما لم أستوعب الذي حصل ، ذهب الرجل فلم أرَ له أثراً . من هناك قرّرت أن أُصلّي وفاء بالوعد ، بل وأُصلّي في أول الوقت .

.....

المحاضرة (١٣) بعنوان: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت : ٤٥]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

شكوى الشباب:

كثيراً ما ألتقي بوفود الشباب وطلبة الجامعات وأستمع إلى أسئلتهم وهمومهم ومشاكلهم، والسؤال الأكثر تردداً هو: كيف نستطيع مقاومة المغريات والشهوات وأساليب الإفساد وهم يعيشون في بيئة مليئة باسباب الفتنة والإغراء متزامنة مع فورة الشباب وعنفوان القوى وهيجان العواطف. وفي الحقيقة فإنّ المشكلة لا تختص بالشباب، فإنّه مادام الإنسان في هذه الدنيا فهو مبتلى بالإغراءات والشهوات والفتن ويخوض (جهاداً أكبر) لمواجهتها كما سمّاه النبي (صلى الله عليه وآله)في الحديث المشهور[١٢٣]، ويعزّز قوة هذه الضغوط الميل العارم للنفس الأمّارة بالسوء نحو الاستجابة لها، مع تزيين الشيطان لها (إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة وإلى الخطيئة مبادرة وبمعاصيك مولعة) (إلهي أشكو إليك عدواً يضلني وشيطاناً يغويني.. يعاضد لي الهوى ويزيّن لي حب الدنيا)[١٢٤].

الصلاة وسيلة للتحصين:

والإنسان في هذه المواجهة يحتاج إلى معونة ومناعة وتحصين كالتطعيم الصحي ضد الأوبئة والأمراض الجسدية، وهذه المعونة يحتاجها الإنسان قبل التعرض للامتحان و أثناءه وبعده، فما هي الوسيلة لتحصيل هذه المعونة والتطعيم والتحصين؟ والجواب بكلمة واحدة إنّها (الصلاة)، ومن دلائل عظمة الصلاة إنها هي هذه الوسيلة التي توفر الحصانة والمناعة في جميع تلك المراحل المترتّبة في الفضل والسمو، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (عباد الله، إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله جل ذكره: الإيمان بالله وبرسله وما جاءت به من عند الله،... و إقامة الصلاة فإنها الملة)[١٢٥].

الحماية من المعاصي:

---

(١٢٣) معاني الأخبار: ص١٦٠

(١٢٤)من مناجاة الشاكين للإمام السجاد (عليه السلام).

(١٢٥) نهج البلاغة: الخطبة: ١١٠.

ولبيان ذلك نقول أما قبل الامتحان فيحتاج الإنسان إلى اللطف الإلهي والعناية الإلهية لتحميه من الابتلاء بالمعاصي أصلاً، أو حمايته منها عند عروضها عليه حيث يبصّره الله تعالى بحقائق تلك المعاصي المنفرّة الموجبة للاشمئزاز والتقزّز وليس الاقبال والرغبة، وهذا ما توفره الصلاة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصلاة تستنزل الرحمة)[١٢٦] وعنه (عليه السلام): (ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك الجبار ومن يُكثِر قرع باب الملك يُفتَح له)[١٢٧] وعنه (عليه السلام) (إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إبليس ينظر إليه حسدا، لما يرى من رحمة الله التي تغشاه)[١٢٨]، وعنه (عليه السلام): (لو يعلم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما سره أن يرفع رأسه من سجوده)[١٢٩]. ومن تغشته رحمة الله وأحاط به جلاله فهو في أمن وأمان وحصن وثيق من الوقوع في شراك إبليس، وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله): (إنّ الصلاة قربان المؤمن) وكلما اقترب الإنسان من ربّه ابتعد عن الشيطان وموجبات الوقوع في المعصية، وإذا وُفِّق الإنسان إلى هذه المرحلة فهي الأكمل والأسمى والأعظم عند الله تعالى حينما لا يجد في نفسه أي ميل للمعصية ولا رغبة له فيها، وبالتالي فهو لا يجد أي مشكلة في اجتنابها.

الثمرة الأبرز لإقامة الصلاة:

وفي المرحلة الثانية أي عند الابتلاء بما يوجب المعصية وحينما يكون بين خيارين أحدهما كبح جماحِ النفس والفوز بطاعة الله، وثانيهما الانسياق وراء الشهوة والوقوع في المعصية، وهنا يأتي دور الصلاة في زيادة مناعته وتحصينه من الوقوع في المعصية بل أن الثمرة الأبرز لإقامة الصلاة هي هذه، قال تعالى (وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) (العنكبوت/٤٥)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (اعلم أن الصلاة حُجزةُ الله في الأرض، فمن أحبّ أن يعلمَ ما أدركَ من نفعِ صلاته، فلينظر: فإن كانت حَجَزَتهُ عن الفواحش والمنكر فإنما أدرك من نفعها بقدرِ ما احتجزَ).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الصلاة حصن من سطوات الشيطان)، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن هائباً له ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيّعهن اجترأ عليه)، وهذه المرحلة وإن كانت أقل درجة من سابقتها لأن الإنسان يجتنب المعصية بمعاناة ومشقّة وجهاد، إلاّ انها مرحلة عظيمة أيضاً.

الصلاة حبل النجاة:

أما في المرحلة الثالثة: وهي ما بعد الفعل ونفترض أن العبد لم يستفد من بركات صلاته مما أدى إلى سقوطه في الخطأ لسبب أو لآخر فإن الصلاة هي التي تمدّ حبل النجاة لإنقاذه على نحوين:

أولهما: إعادته إلى الحالة الصحيحة وتطعيمه من جديد ضد الانحراف والمعصية وزيادة مناعته بجرعة أكبر، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال ـ في رجلٍ يُصلّي معه ويرتكبُ الفواحش-: (إنّ صلاته تنهاهُ يوماً ما، فلم يلبث أن تابَ)، وعنه (صلى الله عليه وآله) قال ـ في رجل يُصلّي بالنهار ويسرقُ بالليل-: (إنّ صلاته لترده).

ثانيهما: إنها تكفّر الإثم الذي ارتكبه وتبيّض صفحته التي اسودّت بفعل المعصية وتمنحه فرصة التكامل من جديد، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه أخذ غصناً من شجرة كانوا في ظلّها فنفضه فتساقط ورقهُ ثم فسّر لأصحابه ما صنع فقال: (إن العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاتّت عنه خطاياه كما تحاتّت ورقُ هذه الشجرة).

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول أرجى آية في كتاب الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ) هود١١٤، وقال يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب

---

(١٢٦) الأحاديث المذكورة هنا نقلها عن مصادرها في جامع أحاديث الشيعة: ٢٩/٤ وما بعدها، وفي ميزان الحكمة: ١٠٧/٥- ١٣٥.

(١٢٧) المصدر السابق.

(١٢٨) المصدر السابق.

(١٢٩) المصدر السابق.

أحدكم فما يظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي).

موقع الصلاة في الدين:

لهذا كله احتلت الصلاة موقعاً مهماً من الدين، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: (مثلُ الصلاةِ مثلُ عمودِ الفُسطاط؛ إذا ثبتَ العمودُ نفعت الأطناب والأوتاد والغشاءُ، وإذا انكسرَ العمودُ لم ينفع طُنبٌ ولا وتدٌ ولا غشاء). ولهذا كانت الصلاة مقياس دين الإنسان والتزامه بما فرض الله تعالى عليه، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: (لكل شيء وجهٌ، ووجهُ دينكم الصلاة) ، وعنه(صلى الله عليه وآله): (أولُ ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فإن قبلت نُظر في غيرها، وإن لم تُقبل لم ينظر في عمله بشيء)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصلاة ميزانٌ، فمن وفّى استوفى). ولذا كثرت الوصايا بها، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: (ليكن أكثر همّكَ الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين)، ومما جاء في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لأولاده قبيل وفاته (الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (أحب الأعمال إلى الله عزوجل الصلاة، وهي آخرُ وصايا الأنبياء)، وعنه (عليه السلام) (إن طاعة الله خدمته في الأرض فليس شيء من خدمته يعدل الصلاة).

التشديد على تارك الصلاة:

فليس غريباً التشديد في قضية ترك الصلاة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)(ما بين المسلم وبين الكافر إلاّ أن يتركَ الصلاة الفريضة متعمداً، أو يتهاون بها فلا يصلّيها)، وعنه(صلى الله عليه وآله): (الصلاة عِمادُ الدين، فمن ترك صلاته متعمّداً فقد هدم دينه، ومن ترك أوقاتها يدخل الويل، والويلُ وادٍ في جهنّم كما قال الله تعالى (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) وعنه: (من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخافُ عِقابها، فلا أُبالي أن يموتَ يهودياً أو نصرانياً أو مجوسيّاً).

كيفية الصلاة التي تؤدي دورها الكامل في حياة الإنسان؟

ولكي تأخذ الصلاة دورها الكامل في حياة الإنسان لابد أن يؤتى بها بحدودها وشروطها.

(ومنها) الإتيان بها في أول وقتها، عن الإمام الصادق (ع): (لكل صلاة وقتان: أوّلٌ وآخرٌ، فأول الوقت أفضلُه، وليس لأحدٍ أن يتّخذ آخر الوقتين وقتاً إلا من علّةٍ، وإنما جُعِل آخر الوقت للمريض والمعتل ولمن له عذرٌ، وأولُ الوقت رضوان الله، وآخرُ الوقت عفو الله). وعنه (عليه السلام): (فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا)، وعنه (عليه السلام): (لفضل الوقت الأول على الآخر خيرٌ للمؤمن من ماله وولده). وروى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن حماد بن عيسى: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) يوماً: (تُحسِنُ أن تُصلّيَ يا حمّاد؟... قُم فصلِّ، قال: فقمتُ بين يديه متوجّهاً إلى القبلة فاستفتحتُ الصلاة وركعتُ وسجدتُ، فقالَ: يا حمّاد، لا تُحسن أن تصلّي؟! ما أقبح بالرجل ان تأتي عليه ستون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة)؟!

(ومن) شروط تأثيرها الورع عن محارم الله تعالى، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله): (لو صلّيتم حتّى تكونوا كالأوتارِ، وصُمتم حتى تكونوا كالحنايا، لم يقبلِ الله منكم إلاّ بورعٍ).

موانع تأثير الصلاة في حياة الإنسان:

(ومن) أبرز الموانع من قبولها وتأثيرها:

١- عقوق الوالدين، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (من نظر إلى أبويه نظر ماقتٍ وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة).

٢- الغيبة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: (من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلاّ أن يغفرله صاحبه).

نصيحة وتوصية:

فاهتموا بصلاتكم أيها الأحبّة وحافظوا على أول وقتها وواظبوا على أدائها جماعة في المسجد مهما تيسر لكم لتزدادوا نوراً على نوروا ستزيدوا منها فوق الفرائض اليومية، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)انه قال لأبي ذر لما سأله عن الصلاة (خير موضوع، فمن شاء أقلّ ومن شاء أكثر) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن أفضل الأعمال بعد المعرفة قال (عليه السلام): (ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): (صلوات النوافل قُربات كل مؤمن). خصوصاً صلاة الليل ولو بأقل عدد من الركعات، قال تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً) (الإسراء٧٩).

السيدة الزهراء (عليها السلام) تبيّن سر التشريع الصلاة وفضلها:

لقد لخّصَتْ الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الأهمية للصلاة ودورها في تهذيب الإنسان وتكامله بقولها في خطبتها (فجعل الله... الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر) فالصلاة تنزّه الإنسان وتطهّره من التكبر والعتوّ والتمرّد والإستكبار والفرعنة التي هي أساس الوقوع في المعاصي و إتّباع الشيطان والابتعاد عن الله تعالى ولشدّة اهتمامها (سلام الله عليها) بالصلاة سألت أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله)(يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة: من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة، ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره) ثم عدّدها رسول الله (صلى الله عليه وآله)فراجع المصدر(١٣٠).

الربط العزائي (الكورين):

يمكن ربط موضوع المحاضرة بمحافظة أهل البيت على الصلاة حتى في أحلك الظروف كالإمام الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء وكالسيدة زينب(عليها السلام) ليلة الحادي عشر من المحرم. فقد قال بعض ذوي الفضل : أنها (صلوات الله عليها) ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها حتى ليلة الحادي عشر من المحرم. فقد روي عن زين العابدين(عليه السلام) أنه قال: رأيتها تلك الليلة تصلي من جلوس، وروى بعض المتبقين عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال : إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام من قيام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الاطفال لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة . وعن بعض المقاتل المعتبرة عن مولانا السجاد (عليه السلام) أنه قال: (إن عمتي زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت [تهجدها] لليلة انتهى كلامه).

---

(١٣٠) سألت الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) أباها (صلى الله عليه و آله) فقالت: (يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال، والنساء· قال: يافاطمة من تهاون بصلاته من الرجال و النساء، ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره ، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره . فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى : يرفع الله البركة من عمره. ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عزوجل سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه ، ولا يرتفع دعاؤه الى السماء، والسادسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين، وأما اللواتي تصيبه عند موته: فأولاهن: أنه يموت ذليلا، والثانية: يموت جائعا، والثالثة: يموت عطشانا، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه. وأما اللواتي تصيبه في قبره: فأولاهن يوكل الله به ملكا يزعجه في قبره ، والثانية : يضيق عليه قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره. وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة اذا خرج من قبره فأولاهن: أن يوكل الله به ملكا يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون اليه، والثانية: يحاسبه حسابا شديدا، والثالثة: لا ينظر الله اليه، ولايزكيه، وله عذاب أليم. مستدرك وسائل الشيعة: ٢٣/٣.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا قمت إلى الصلاة وتوجهت وقرأت أم الكتاب وما تيسر من السور، ثم ركعت فأتممت ركوعها وسجودها، وتشهدت وسلمت، غفر لك كل ذنب فيما بينك وبين الصلاة التي قدمتها إلى الصلاة المؤخرة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا قام العبد إلى الصلاة فكان هواه وقلبه إلى الله تعالى انصرف كيوم ولدته أمه).
- الإمام علي (عليه السلام): (من أتى الصلاة عارفا بحقها غفر له).

ب) الشعر:

أيا وقفة تستشف الوجود وتجلو لنفسي طريق الخلود
تعلمني أن درب الحياة بغير هدى الله درب كؤود

ج) القصة:

يُروى عن أحد الصحابة أنه كان يصلي في بستانه ذات يوم فرأى طيرا يخرج من بين الشجر فتعلقت عيناه بالطائر حتى نسي كم صلى, فذهب إلى الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) يبكي ويقول: يا رسول الله , إني انشغلت بالطائر في البستان حتى نسيت كم صليت فإني أجعل هذا البستان صدقة في سبيل الله.. فضعه يا رسول الله حيث شئت لعل الله يغفر لي.

.....

المحاضرة (١٤) بعنوان: (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) [آل عمران : ٣٨] الحث على تكثير النسل

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

استحباب تكثير النسل:

توجد ظواهر عديدة ملفتة للنظر في حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) منها كثرة ذريّته حتّى عدّت له المصادر سبعة وثلاثين ولداً من الذكور والإناث من زوجاتٍ شتّى كلهنّ أمّهات ولد أي من الجواري اللو اتي كان الإمام يشتريهنّ ويعتقهنّ ثمّ يتزوّج بهنّ، هذا رغم قصر عمره الذي لم يمتد أكثر من (٥٥) عاماً قضى شطراً كبيراً منها في سجون الملوك العباسيين تجاوزت عشر سنين. وهذه الظاهرة –أي تكثير النسل- يكفي في فهم مبرراتها استحبابها شرعاً وتوجد أحاديث كثيرة للحثّ عليها، كرو اية الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): تزوّجوا فإنّي مكاثرٌبكم الأمم غداً في القيامة حتّى أن السقط

يقف محبنطئاً على باب الجنة فيقال له: ادخل، فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي)[١٣١]. وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: (ميراث الله من عبده المؤمن الولد الصالح يستغفر له)[١٣٢].

وروى أحد أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام): إني أحببت طلب الولد منذ خمس سنين، وذلك أن أهلي كرهت ذلك وقالت: إنّه يشتد عليّ تربيتهم لقلّة الشيء، فما ترى؟ فكتب إليّ: اطلب الولد فإنّ الله رازقهم)[١٣٣]. وفي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّ أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفّع، فإذا بلغوا اثنتي عشر سنة كُتبت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات)[١٣٤]. وفي حديث عن الرضا (عليه السلام) (اما علمت أن الولدان تحت العرش يستغفرون لآبائهم، يحضنهم ابراهيم وتربّيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران)[١٣٥].

الوجه في تفسير كثرة الزوجات عند المعصومين عليهم السلام :

ولعل هذا أحد الوجوه التي تفسّر اقدام المعصومين (عليهم السلام) على تكثير الزوجات حتّى بلغت عند النبي (صلى الله عليه وآله) تسعاً وعند أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمان، و إنّما سُمّيت الزهراء (عليها السلام) بالكوثر لأنّ الله تعالى أكثر ذريّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها، واستشهدت وهي في الثامنة عشرة من عمرها ولها الحسن والحسين والعقيلة زينب (صلوات الله عليهم أجمعين) وأسقطت المحسن، فالإمام الكاظم (عليه السلام) جرى على سنّة أجداده الطاهرين وهو أولى الناس بهم. ويضاف إلى هذا الوجه العام وجه خاص وهو وجود عدة شواهد تشير إلى خطة ستراتيجية وضعها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وساروا عليها تستهدف تكثير نسل آل أبي طالب بعد و اقعة كربلاء ردّاً على سياسة الاستئصال والاجتثاث التي اتّبعها معهم أعداءهم تحت شعار (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية) بحيث خلت بيوت بأكملها من الرجال كدور عقيل بن أبي طالب والعباس بن أمير المؤمنين وأخوته الذين استشهدوا جميعاً في كربلاء.

سُئل الإمام السجاد (عليه السلام) عن سبب حنوّه الزائد على آل عقيل فقال (عليه السلام): (إنّي اذكر يومهم مع أبي عبد الله (عليه السلام) فأرقّ لهم).[١٣٦] ولما قدّم له المختار أموالاً كثيرة بنى بها دور عقيل التي هدّمها الأمويون[١٣٧].

منهجية الإمام الكاظم (عليه السلام) في تكثير النسل:

فكان للإمام السجاد (عليه السلام) خمسة عشر ولداً بين ذكر و أنثى وتولّى (عليه السلام) تربية الولد الوحيد الذي تركه عمّه العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو عبيد الله وزوّجه بنته خديجة وجمع له معها ثلاث حرائر من بنات الأشراف يقصد بذلك تنمية نسل عمّه العبّاس[١٣٨]. وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يقبل هدايا هارون العباسي ويقول: (والله لولا إني أرى من أزوّجه بها من عزّاب بني أبي طالب لئلاّ ينقطع نسله ما قبلتها أبداً)[١٣٩]. هذه شواهد على السياسة الممنهجة أو الإستراتجية التي خطط لها الإمام الكاظم (عليه السلام) ليحبط مشروع الأعداء في إنهاء هذا البيت الطاهر و أثمرت خطوات الإمام الكاظم (عليه السلام) عن هذا العدد الهائل من السادة الأشراف وفيهم الكثير من مراجع الدين والعلماء والقادة والمفكّرين والصلحاء وأعلام الأمّة.

---

(١٣١) وسائل الشيعة باب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب١ ح١٤.

(١٣٢) المصدر، باب ٢، ح٦.

(١٣٣) المصدر، باب ٣، ح١.

(١٣٤) المصدر، باب ١، ح١.

(١٣٥) المصدر، أبواب مقدمات النكاح، باب ١٦، ح٢.

(١٣٦) كامل الزيارات: ١٠٧.

(١٣٧) سيرة أهل البيت عليهم السلام للشيخ القرشي: ١٥/ ٢٠١.

(١٣٨) بطل العلقمي للمظفّر: ٣/ ٣٦٩.

(١٣٩) الوسائل، كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، باب ٥١، ح١١.

مبررات تكثير النسل لشيعة أهل البيت عليهم السلام :

إنّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) مدعوّون لبذل الوسع في تكثير النسل لعدّة مبررات منها:

١- الأخذ بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وتلبية رغبتهم التي نقلتها الأحاديث الشريفة المتقدمة.

٢- إنّ فيها استجابة لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/٢٤). وفي الذريّة حياة مستمرة للإنسان حتّى يوم القيامة قال الشيخ الصدوق في الفقيه (روي أنّ من مات بلا خلف فكأنّ لم يكن بين الناس، ومن مات وله خلف فكأنّه لم يمت)[١٤٠].

٣- الذرية مصدر لكثير من الطاعات للوالدين حتى بعد موتهم كحديث السقط الذي تقدم في الروايات الشريفة، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرض يصيب الصبي، قال(عليه السلام): (إنّه كفّارة لوالديه)[١٤١]، ويلخص النبي (صلى الله عليه وآله) بعض هذه الطاعات بقوله (إنّ ولد أحدكم إذا مات أُجر فيه، وإن بقي بعده استغفر له بعد موته)[١٤٢] والحديث النبوي المشهور(إذا مات المرء انقطع عمله إلاّ من ثلاث) أحدها ولد صالح يدعو ويستغفر له. وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إن الله ليرحم الرجل لشدة حبّه لولده)[١٤٣]. وروى الإمام الصادق (عليه السلام) قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مرّ عيسى بن مريم (عليه السلام) بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو لا يُعذّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل وهو يعذّب، ومررت به العام فإذا هو ليس يُعذّب، فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً فلهذا غفرت له بما عمل ابنه)[١٤٤].

٤- إن اتباع أهل البيت (عليهم السلام) هم الجماعة الخيّرة الطيّبة التي اختارها الله تعالى لتحتضن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وتحافظ على الإسلام الأصيل فتكثيرهم اعزاز للدين والولاية وتثبيت لقيم الخير والإنسانية في هذه الأرض فالخير منهم مأمول والشر منهم مأمون، فهم كالشجرة الطيبة المثمرة التي تكون هي أولى بالتكثير.

٥- إن في تكثير الشيعة نصرة للإمام الموعود (عليه السلام) وتقوية لأركانه وتمهيداً لظهوره المبارك، تطبيقاً لقوله تعالى (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال/٦٠) وأعظم قوة نعدّها لنصرة الإمام (عليه السلام) هي هذا النسل المبارك لأنّ الموارد البشرية هي أعظم الموارد التي تحرص الدول على تحصيلها فاستكثروا منه ما استطعتم.

٦- إنّ الشيعة في المنطقة مستهدفون بحرب إبادة واجتثاث كما تشهد به الوقائع الجارية خصوصاً عندنا في العراق وقد فقدنا خلال العقود الأربعة الماضية أكثر من مليون ونصف المليون من الرجال الذين تزهو بهم الحياة في حروب عبثية وإعدامات ومقابر جماعية في عهد النظام المقبور ثمّ في المفخّخات والتفجيرات و أنواع آلات القتل والتدمير.

بأي عدد من الذرية يتحقق بتكثير النسل؟

وفي ضوء المعطيات المتقدمة لا يسع اتباع أهل البيت (عليهم السلام) السائرين على نهجهم من الرجال والنساء إلاّ أن يبذلوا وسعهم في تحقيق هذه الغاية الشريفة والرغبة الأكيدة للمعصومين (عليهم السلام)، ومهما قيل من مبرّرات للإكتفاء بواحد أو اثنين من الأبناء فإنّها لا تصمد أمام هذه المعطيات، إلاّ أن يكون السبب خارجاً عن الإختيار كما لو جرى القضاء الإلهي بذلك، قال تعالى (وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً) (الشورى/٥٠) أو حصلت موانع صحيّة قاهرة ونحوها.

---

(١٤٠) الوسائل، كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب١، ح١٠.

(١٤١) المصدر باب١ ح١٢، ١٣.

(١٤٢) السابق.

(١٤٣) المصدر باب٢ ح٧.

(١٤٤) المصدر باب٢ ح٥.

والسؤال الآن هو بأي عدد من الذرية يتحقّق معنى تكثير النسل؟ والجواب إنّه يتحقق بأربعة على الأقل، لأنّ الزوجين إذا أنجبا اثنين –ذكوراً او اناثاً- فإنّهما لم يزيدا شيئاً فإن اثنين ولدا اثنين، ثمّ هما يحتاجان إلى واحد آخر لتعويض حالات النقص في المجتمع لأنّ كثيراً يموتون في عمر الطفولة أو الصبى أو الشباب قبل الزواج بالموت الطبيعي أو الحوادث كالتفجيرات وحوادث السير أو في الحروب ونحوها، أو يتزوّجون ولكن لا ينجبون أو ينجبون دون العدد، فيحصل نقص في المعدّل يسدّه انجاب الثالث، ويتحقق التكثير بالرابع، وكلما زاد على ذلك كان أفضل و أقرّ لعين رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الغرب وتقليل النسل:

لقد حاولت حكومات الغرب إقناع الشعوب بتحديد النسل وتقليله لكنهم أصيبوا بكارثة حيث بدأ عدد السكّان ينخفض وارتفع عدد المسنين في المجتمع، والجدل الآن دائر عندهم عن كيفية معالجة هذه المشكلة. و اتّبعوا سياسة (التعقيم) في بلاد المسلمين قبل عقدين أو أكثر وفق آليات معيّنة كشفت عنها بعض الوثائق السريّة المسرّبة وحدّدوا مدداً معيّنة حتى يثمر مشروعهم الشيطاني. وسارت على هذا المنهج بعض الدول الإسلامية -كالجمهورية الإسلامية في إيران- حيث تبنّت الحكومة[١٤٥] في نهاية الثمانينات سياسة تقليل الإنجاب لمنع الانفجار السكّاني -كما قيل- الذي أعتبر السبب في ارتفاع نسبة البطالة و انخفاض مستويات التعليم ونوعية المعيشة –بحسب التقرير- حيث أن معدل النمو تجاوز الذروة بما يقدر بـ ٣,٢ % بعد انتصار الثورة الإسلامية وتشجيع الإمام الخميني الراحل (قدس) على كثرة الإنجاب لبناء جيش الـ ٢٠ مليون مسلم. لكن بعد عشرين عاماً أظهرت الإحصاءات أن معدل عدد الأطفال المولودين لكل امرأة يصل إلى ١,٦ أي أقل من ٢,١ الذي يعتبر الحد الأدنى المطلوب في الدول الصناعية لتجنب الانخفاض في عدد السكان، لذا تحرّكت القيادات الإيرانية منذ العام الماضي للتشجيع على الإنجاب من جديد.

المباركة في تكثير النسل:

ونحن نعتقد أنّ تكثير النسل ليس السبب في تلك المشاكل التي أشار اليها التقرير لأنّه عملية مباركة مثمرة تعود بالازدهار على الفرد والمجتمع، وأنّ أقوى الموارد التي تمتلكها الدول هي الموارد البشرية، خذ الصين مثلاً فإنّ سكّانها تجاوز المليار ومئتي مليون، و اقتصادها في نمو مضطرد أقلق الدول الصناعية الكبرى. والغريب أن الزوجين يبذلان كل ما عندهما من أجل تحصيل الولد، وقد يسافران إلى دول بعيدة لتحقيق ذلك، لكن من يرزقهما الله تعالى الولد يتوقفان عن إنجاب المزيد مراعاة لأوضاع معيّنة، كالوضع الاقتصادي والمعيشي، وقد تقدم في الرواية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) عدم الإصغاء لمثل هذه المبرّرات، وقال تعالى (إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) (النور/٣٢) والوارد في الروايات عكس ذلك فإن الرجل يُرزق إذا تزوج و أنجب، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (الرزق مع النساء والعيال)[١٤٦]، فتكثير الإنجاب أحد أسباب الرزق للفرد والازدهار للدولة، وتقليل الإنجاب لأجل تخفيف الأعباء الاقتصادية وغيرها تفكير خاطئ لدى الدولة والفرد على حد سواء.

منع الانجاب كقتل الإنسان:

إن المنع من الإنجاب سواء كان بالطرق الطبيعية أو بالعلاجات بلا مسوّغ معقول ومقبول يتطابق بالنتيجة مع قتل الإنسان الموجود فكلاهما يحرم الأمة من هذا الوجود الذي جعله الله تعالى خليفته في أرضه قال تعالى (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُم) (الإسراء/٣١) (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ) (الأنعام/١٥١).

---

(١٤٥) المعلومات من تقرير نُشر على المواقع الالكترونية بتاريخ ٢٠١٣/٤/٢٢.

(١٤٦) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته وآدابه، باب١١ ح٤.

إهمال تربية الأطفال قتل معنوي بحقهم:

ولا نغفل أيضاً عن قتل معنوي آخر من خلال إهمال تربية الأطفال تربية صالحة فيصبحوا أفراداً سيئين منحرفين وربما يتحولون إلى مجرمين ويجلبون الشر للمجتمع، ومن أمثلة القتل المعنوي أيضاً الهجرة إلى الغرب وعموم بلاد الكفر وتعريض الأبناء لتلك الضغوط والمغريات والشهوات فيبتعدون عن الدين ويلتحقون بالمجتمعات الضالة فهذا كله قتل معنوي للإنسان على خلاف ما أراده الله تعالى ورسوله.

تعليمات الأئمة عليهم السلام لتكثير النسل:

ولأجل تحقيق الإنجاب لمن ليس عنده ذرية ولتكثير النسل فقد علَّم الأئمة (عليهم السلام) شيعتهم أعمالاً لعلّها تكون سبباً لرزقهم بالأولاد منها:

1. **رفع الصوت بالآذان في المنزل، روى هشام بن ابراهيم صاحب الإمام الرضا(عليه السلام) (أنه شكى إلى أبي الحسن (عليه السلام) سقمه و أنه لا يولد له فأمره أن يرفع صوته بالآذان في منزله، فقال : ففعلت، فأذهب الله عني سقمي وكثر ولدي)[١٤٧].**
2. **الاستغفار، ففي الكافي شكا الابرش الكليني إلى أبي جعفر- الباقر- (عليه السلام) أنه لا يولد له وقال له علمني شيئاً، فقال له: استغفر الله في كل يوم (أو) في كل ليلة مائة مرة فإن الله عزوجل يقول (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) (نوح/ ١٠-١١-١٢) وفي رواية أخرى (فإن نسيته فاقضه).[١٤٨]**
3. **الدعاء، سواء بالنصوص المذكورة في القرآن الكريم أو كتب الأدعية لطلب الولد كقوله تعالى (رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) (آل عمران/٣٨) وقوله تعالى (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) (الفرقان/٧٤) وقوله تعالى (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (الأنبياء/٨٩) أو تدعو بأي شيء يعبّر عمّا في قلبك.**
4. **التوسّل بالمعصومين (سلام الله عليهم) وتوجد حكايات موثوقة كثيرة لمؤمنين توسّلوا إلى الله تعالى بالزهراء (عليها السلام) أو بالحسين (عليه السلام) أو بالإمام الرضا (عليه السلام) فتحقّق مرادهم فيما طلبوا.**

هذا درس نستفيده من حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) أحببنا بيانه لأن فيه إدخالاً للسرور على النبي وآله الأطهار(صلوات الله عليهم أجمعين)، ولأنه يدلّنا على تكليف مهم موجّهٍ إلينا فاعتبروا يا أولي الأبصار.

الربط العزائي (الكوريز):

يمكن ربط موضوع المحاضرة بسيرة الإمام السجاد(عليه السلام) الذي يُعد من الأئمة المعصومين المكثرين في الذرية وذلك لما أصاب أهل البيت وبني هاشم من قتل ذريع في واقعة كربلاء، حيث قتل العديد من أولاد أمير المؤمنين(عليه السلام) يوم عاشوراء، حتى روي أنه قُتل ثمانية عشر رجلاً كلهم من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ففي يوم عاشوراء حينما كان يبرز أبناء عقيل إلى الميدان كان الإمام يدعو لهم ويلعن قاتليهم ويحث آل عقيل على الصمود، ويبشرهم بالجنة: (اللهمّ اقتل قاتل آل عقيل...صبراً آل عقيل إنّ موعدكم الجنة). ولأجل هذه التضحية كان الإمام زين العابدين عليه السلام من بعد عاشوراء يبدي مزيداً من الاهتمام والعطف على عائلتهم ويفضلها على من سواها، ولما سئل عن ذلك قال: إني لأتذكر موقفهم من أبي عبدالله يوم الطف وأرق لحالهم، ولهذا السبب أيضا بنى الإمام السجاد عليه السلام بالأموال التي جاءه بها المختار من بعد ثورته، دوراً لآل عقيل، لكن الحكومة الأموية هدمتها.

---

(١٤٧) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب احكام الأولاد، باب١١ ح١.

(١٤٨) المصدر، باب ١٠ ح١-٣.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله) - لما خرج على عثمان ابن مظعون ومعه صبي له صغير يلثمه -: (ابنك هذا؟ قال: نعم، قال: أتحبه يا عثمان؟ قال: إي والله يا رسول الله إني احبه! قال: أفلا أزيدك له حباً؟ قال: بلى فداك أبي وامي، قال: إنه من يرضي صبيا له صغيرا من نسله حتى يرضى ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) - في رجل قال: (ما قبلت صبيا قط، فلما ولى قال -: هذا رجل عندي أنه من أهل النار).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (أحبوا الصبيان وارحموهم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (مَن قَبَل ولده كتب الله عزوجل له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضئ من نورهما وجوه أهل الجنة)
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد).
- الإمام زين العابدين (عليه السلام): (من سعادة الرجل أن يكون له ولد يستعين بهم).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (من سعادة الرجل أن يكون له الولد يعرف فيه شبهه: خلقه، وخلقه، وشمائله).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (إن فلاناً - رجل سماه - قال: إني كنت زاهدا في الولد حتى وقفت بعرفة، فإذا إلى جانبي غلام شاب يدعو ويبكي ويقول: يا رب والدي والدي، فرغبني في الولد حين سمعت ذلك).
- وعنه (عليه السلام): (قال موسى بن عمران (عليه السلام): يا رب ! أي الأعمال أفضل عندك ؟ فقال: حب الأطفال، فإن فطرتهم على توحيدي، فإن أمتهم ادخلهم برحمتي جنتي).
- وعنه (عليه السلام): (إن الله عزوجل ليرحم العبد لشدة حبه لولده).

ب) الشعر:

يا واحداً لم يتخذ من ولد يعضده فيما نهاه وأمر
هب لي بحول منك من تعضدني به فقد أوهن عظمي الكبر
ولا تذرني رب فردا إن ذا معني به استأثرت من دون البشر

ج) القصة:

(برّوا آبائكم يبرُّكم أبناؤكم)

(قصّتان شاهدهما الشيخ عبد الزّهراء الكعبي) :

القصّة الأُولى : قال الكعبيّ (رحمه الله): سمعت ضوضاءً عند دارنا ، فخرجت وإذا ولد ووالد والنّاس حولهما ينظرون إلى ما يتهاتران ، فتقدم الولد وصفع والده. قال: لمّا رأيت ذلك هجمت على الولد أُريد تأديبه فهرب ، فجئت إلى الوالد أُسلّيه بأنّه شابٌّ مغرور، وأنّ هذه عادات الشباب المغرورين . قال الشيخ : فلمّا انصرف النّاس أخذ الوالد يبكي ، فقلت له: مِمَّ بكاؤك؟ قال : لا أبكي من صفع ولدي لي، وإنّما بكائي ؛ لأنّ هذا جزائي الذي تلقّيته ، ولا أعلم أنّ الله غفر لي أم لا؟ قلت: كيف؟قال: إنّي صفعت أبي في هذا المكان نفسه قبل أربعين سنة ، وهذا الصفع من ولدي جزاء ذلك الصفع .

القصّة الثانية :

قال الكعبي (رحمه الله): مررت في طريقي ببستان ، فرأيت النّاعور الذي يُربَط بحمار أو بغل أو فرس . مربوطاً برجُل مُسنٍّ يدور حتّى يمنح الماء إلى الساقية ، فتأثّرت لهذا المنظر تأثّراً بالغاً ، وأخذت أصيح : مَن في البستان . وإذا شابٌّ جاء وقال: ما تُريد؟ قلت : مَن هذا؟ ومَن تكون له؟ قال: إنّي ابن هذا الرجل. قال: فتقدّمت من الولد أُريد تأديبه، لكنّ الولد هرب، وفككت رباط الوالد عن النّاعور، وجلست معه أُسلّيه ، وأخذت أُهاجم الولد . فقال الوالد: يا شيخ عبد الزّهراء . وكان يعرفني إنّ هذا جزائي العادل؛ فإنّي رطبت والدي بهذا النّاعور نفسه عندما كنت شابّاً وكان والدي مُسنّاً ، وقد توفّي والدي (رحمه الله) منذ مدّة فورثت البستان وكبر هذا الولد ، وأخذ يفعل بي الفعلة التي كنت أفعلها مع والدي .

قصة أخرى:

يقول مالك ابن دينار بدأت حياتي ضائعا سكيراً عاصيا .. أظلم الناس وآكل الحقوق .. آكل الربا .. أضرب الناس افعل المظالم .. لا توجد معصية إلا وارتكبتها .. شديد الفجور.. يتحاشاني الناس من معصيتي يقول: في يوم من الأيام .. اشتقت أن أتزوج ويكون عندي طفله .. فتزوجت و أنجبت طفله سميتها فاطمة .. أحببتها حباً شديدا .. وكلما كبرت فاطمة زاد الإيمان في قلبي وقلت المعصية في قلبي .. ولربما رأتني فاطمة أمسك كأسا من الخمر... فاقتربت مني فأزاحته وهي لم تكمل السنتين .. وكأن الله يجعلها تفعل ذلك .... وكلما كبرت فاطمة كلما زاد الإيمان في قلبي وبعدا أكملت الـ ٣ سنوات ماتت ابنتي فاطمة، يقول : فانقلبت أسوأ مما كنت .. ولم يكن عندي الصبر الذي عند المؤمنين ما يقويني على البلاء . . فعدت أسوا مما كنت .. وتلاعب بي الشيطان .. حتى جاء يوما فقال لي شيطاني : لتسكرن اليوم سكرة ما سكرت مثلها من قبل! فعزمت أن أسكر وعزمت أن أشرب الخمر وظللت طوال الليل أشرب وأشرب وأشرب فرأيتني تتقاذفني الأحلام .. حتى رأيت تلك الرؤيا رأيتني يوم القيامة وقد أظلمت الشمس .. وتحولت البحار إلى نار.. وزلزلت الأرض واجتمع الناس إلى يوم القيامة .. والناس أ فواج .. و أفواج .. و أنا بين الناس وأسمع المنادي ينادي فلان ابن فلان .. هلم للعرض على الجبار يقول : فأرى فلان هذا وقد تحول وجهه إلى سواد شديد من شده الخوف حتى سمعت المنادي ينادي باسمي .. هلم للعرض على الجبار يقول : فاختفى البشر من حولي (هذا في الرؤية) وكأن لا أحد في أرض المحشر .. ثم رأيت ثعبانا عظيماً شديداً قويا يجري نحوي فاتحا فمه. فجريت أنا من شده الخوف فوجدت رجلاً عجوزاً ضعيفاً فقلت: آه: أنقذني من هذا الثعبان فقال لي .. يابني أنا ضعيف لا أستطيع ولكن إجر في هذه الناحية لعلك تنجو ... فجريت حيث أشار لي والثعبان خلفي ووجدت النار تلقاء وجهي .. فقلت: أأهرب من الثعبان لأسقط في النار فعدت مسرعا أجري والثعبان يقترب فعدت للرجل الضعيف وقلت له: بالله عليك أنجدني أنقذني .. فبكى رأفة بحالي .. وقال: أنا ضعيف كما ترى لا أستطيع فعل شيء ولكن إجر تجاه ذلك الجبل لعلك تنجو فجريت للجبل والثعبان سيخطفني فرأيت على الجبل أطفالا صغاراً فسمعت الأطفال كلهم يصرخون: يا فاطمه أدركي أباك أدركي أباك يقول : فعلمت أنها ابنتي .. ويقول ففرحت أن لي ابنة ماتت وعمرها ٣ سنوات تنجدني من ذلك الموقف فأخذتني بيدها اليمنى ودفعت الثعبان بيدها اليسرى و أنا كالميت من شده الخوف ثم جلست في حجري كما كانت تجلس في الدنيا وقالت لي يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللهيقول : يا بنيتي .... أخبريني عن هذا الثعبان !! قالت هذا عملك السيئ أنت كبرته ونميته حتى كاد أن يأكلك .. أما عرفت يا أبي أن الأعمال في الدنيا تعود مجسمة يوم ألقيامه..؟ يقول: وذلك الرجل الضعيف: قالت ذلك العمل الصالح .. أنت أضعفته وأوهنته حتى بكى لحالك لا يستطيع أن يفعل لحالك شيئاً ولولا انك أنجبتني ولولا أني مت صغيره ما كان هناك شئ ينفعك يقول : فاستيقظت من نومي و أنا أصرخ: قد آن يارب.. قد آن يارب, نعم ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يقول : واغتسلت وخرجت لصلاه الفجر أريد التو به والعودة إلى الله يقول : دخلت المسجد فإذا بالإمام يقرأ نفس الآية ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ذلك هو مالك بن دينار هو الذي اشتهر عنه أنه كان يبكي طول الليل ويقول: إلهي أنت وحدك الذي يعلم ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين أنا اللهم اجعلني من سكان الجنة ولا تجعلني من سكان

النار وتاب مالك بن دينار واشتهر عنه أنه كان يقف كل يوم عند باب المسجد ينادي ويقول : أيها العبد العاصي عد إلى مولاك .. أيها العبد الغافل عد إلى مولاك.

.....

المحاضرة (١٥) **بعنوان**: (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) [الحج : ٤٠] ... (سُنة التدافع)

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

من السنن الإلهية:

قال تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة : ٢٥١)

وقال تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج : ٤٠).

تكشف هاتان الآيتان عن سنة إلهية عظيمة وفريضة واجبة على المسلمين وهي سنة التدافع أي دفع الكفر بالإيمان، والشر بالخير، والفساد بالصلاح، والباطل بالحق، والمنكر بالمعروف، وتظهر عظمة هذه السنّة من اندراج فريضتين عظيمتين تحت عنوانها وهما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مضافاً الى الطاعات الاخرى كالدعوة الى الخير والنصيحة والارشاد والموعظة.

من وحي القرآن:

وهنا نلتفت إلى عدة أمور نستوحيها من الآيتين الكريمتين:

١- جعل هذه السنة الإلهية من منن الله تعالى و أفضاله على العالمين في الآية الاولى، رغم أن هذا التدافع يقتضي حصول تضحيات بالأرواح و الأموال ومفارقة الأهل والأوطان وبذل الجهود الكبيرة لأنها حرب مستمرة ضارية، وتفسير ذلك بوجوه يأتي احدها ونذكر هنا وجهاً ذكرت الآية حاصله انه لولا هذا الدفع لامتلأت الأرض بالشر و الفساد و الظلم و الكفر ولم تستقم فيها حياة إنسانية كريمة، ولأزيلت كل مظاهر الخير و الصلاح التي أشير إليها في الآية الثانية بأسماء دور العبادة و الذكر في الديانات التوحيدية.

٢- مادام هذا التدافع سنة إلهية فهي ثابتة وحتمية (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب/٦٢) (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر/٤٣) ولا يمكن التخلص من هذه المواجهة بالهروب من الو اقع أو الانزواء أو غض الطرف ودفن الرأس في التراب، لأن النتيجة حينئذ ما ذكرته الآية الشريفة. وإن هذه المواجهة مستمرة ولا تقتصر على زمان ومكان محدودين، لأنّها مرتبطة بوجود الناس على هذه الأرض و انقسامهم إلى فريق في الجنة وفريق في السعير.

٣- يظهر من الآيتين أن الغرض من التدافع ومنه الجهاد بل العمل الإسلامي عموماً هو تثبيت كلمة التوحيد وحفظ شعائره ومشاعره، وإخراج الناس من عبادة العبيد وتحريرهم ليكونوا عباداً لله تبارك وتعالى ولم يُشرّع القتال والتدافع بأي نحو كان -ومنه التدافع والتنافس السياسي- طلبا لدنيًا أو مال أو توسيع سلطة ونفوذ أو أي مغانم أخرى غير رضا الله تبارك وتعالى وإعلاء كلمته خلافاً لأهداف غير الربانيين فإنها لتلك الأهداف الدنيوية وهذا يجيب عن الإشكالات عن تشريع الجهاد في شريعة الإسلام . ما قلناه آنفاً يدعونا إلى تصحيح مقاييس النصر و الربح و النجاح في ثقافتنا:

ظنّوا بأن قتلَ الحسينَ يزيدُهم كذبوا فقد قتلَ الحسينُ يزيدا

وان نرتب أولوياتنا بشكل صحيح ونعرف بماذا نضحي ومن اجل ماذا نضحي بعد معرفة الأهم و المهم، إذ يظهر من الآية أنّ الهدف الأسمى هو إعلاء ذكر الله تعالى و إقامة شريعته ويهون دون ذلك القتل والقتال والتدافع بكل أشكاله وبذل كل شيء، وليس العكس بأنّ يُجعل الدين وسيلة لكسب الدنيا.

٤- وان الدفع يعني عدم إمكانية اجتماع الطرفين المتدافعين معاً كالمعروف والمنكر أو الحق والباطل بل إن كلاً منهما يسعى لإزالة الآخر واجتثاثه، فلا مجال للمداهنة ولا لأنصاف الحلول لتصادم الأحكام والتشريعات الإلهية مع القوانين الوضعية التي تخضع للأهواء والنزوات، لأنّهم لا يرضون إلاّ بمحو الدين وإلغاء هوية أهله التي عبّرت عنها الآيتان بالهدم، وقال تعالى عنهم (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) (البقرة/١٢٠)

٥- إن الله تعالى قادر على إعزاز دينه ونصرهِ بقدرته اللامحدودة فيقول للشيء كن فيكون ويقطع دابر الفساد والكفر و الشر، إلا انه تعالى أبى الا ان تسير الأمور وفق أسبابها الطبيعية {وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} [محمد : ٤]، {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } [المائدة : ٤٨]، { لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ } [الأنفال : ٤٢]، فجعل تعالى دفع الأشرار بعمل الأخيار وحركتهم المباركة مع تأييد الله تعالى وإمداده {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ٦٢]، {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: ٣٨] {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} [الحج : ٤٠]، فلابد إذن وفق هذه السنة الإلهية من عمل دؤوب متواصل.

وحذّرت الآيتان من التقاعس عن العمل و المرابطة في مواجهة قوى الشر والانحراف و الفساد لان النتيجة تسلّط الطواغيت و الفسقة وخلوّ الساحة لهم وهو ينطبق على الحديث النبوي الشريف (لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[١٤٩] ويقوم هؤلاء الأشرار باستعباد الناس ومحو كل شعائر الدين ومشاعره وشعاراته، ورمزها ومجمعها الذي اشارت اليه الآية الشريفة المساجد فيعملون على هدمها وتخريبها.

٦- إن هدم المساجد لا يقتصر على المعنى المادي أي إزالتها من وجه الأرض إذ قد يكون التخريب معنوياً - وهذا هو الأخطر- وذلك بحرمان الناس من بركاتها وتعطيل دورها الذي ذكرته الآية الشريفة بأنّه يُذكر فيها الله كثيراً وتُتلى فيها آياته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والمساجد هي مراكز تجمع المسلمين وتعارفهم وتحشيد قواهم ونشر الوعي بينهم وتهذيب أخلاقهم وتعليمهم الدين. وهذا التخريب المعنوي هو ما يلجأ إليه الطواغيت والمنافقون المتستّرون بالدين فهم يعمّرون المساجد مادياً إلاّ أنّهم يفرغونها من محتواها وتأثيرها في حياة الأمة كالذي شهدناه ايام الرئيس المقبور صدام وامثاله. وقد يكون تأثير مساجد المنافقين معادياً للدين القويم {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة : ١٠٧] وهذا شاهد على ما قلناه من كون التخريب المعنوي اخطر.

٧- وبناءاً على ما قلناه من ان التخريب المعنوي هو الاخطر وانه قد يكون من المتسترين بالدين من نفس المسلمين فان سنة التدافع تجري داخل المجتمع المسلم ايضاً وليس فقط مع الاعداء الخارجيين وتكون حينئذٍ مع من يحرّف الدين ويداهن فيه ويعرقل مسيرته ويحارب المصلحين ويقف حجر عثرة في طريق الإصلاح مكتفياً بشكليات الدين ومظاهره الخارجية، كالذين واجههم أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا من العناوين الكبيرة في المجتمع المسلم، خصوصاً بعد الالتفات إلى الوصف الذي أعطته الآية للمساجد، والذي لاينطبق على اولئك المتسترين بالدين .

---

(١٤٩) وسائل الشيعة: ١١٨/١٦ ح١١.

٨- لا بدّ ان يلاحظ في آليات التدافع مناسبتها لما يستعمله العدو، لأنّه إذا لم يكن مناسباً ومكافئاً للعدو فلا يعتبر دفعاً ولا تدافعاً، فإذا كان عمل العدو وهدمه فكرياً فلابد من دحضه بفكر مثله وان كان إفساده أخلاقياً فلابد من مواجهته بحملة مثلها، وهكذا إن كان سياسياً أو إعلامياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو عسكرياً ونحو ذلك فانه يقابل بمثله.

٩- إن الله تبارك و تعالى لطيف بعباده ولا يتركهم سدى فريسةً بأيدي شياطين الانس و الجن بل يقيّض من عباده من ينهض بهذا الحمل الثقيل لذا نسب تعالى الدفع إليه فهو الذي يدفع الناس بالناس، وهذا المعنى من قبيل ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (يحمل هذا الدين في كل قرن عُدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين و انتحال الجاهلين)[١٥٠] واذا تقاعس قوم عن اداء واجباتهم فان الله تعالى يوفّق غيرهم لهذه الطاعة قال تعالى {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: ٣٨].

١٠- الوعد الإلهي لعباده العاملين المخلصين بالنصر وتأكيد ذلك بعدة مؤكدات في الآية، كاللام ونون التوكيد في قوله تعالى {وَلَيَنْصُرَنَّ}، نعم قد يتأخر النصر لحكمة إلهية كحماية المؤمنين من العجب او لتعريضهم لمزيد من البلاء لإنضاجهم وتأهيلهم، أو لكي يستشعروا أهمية وقيمة النصر، وقد يحقق الله تعالى النصر للمؤمنين لكن على نحو لا يفهمه الناس لاختلال القيم والمقاييس عندهم، وعلى اي حال فان هذا النصر مشروط بإخلاصهم لله تعالى وصدقهم في ما عاهدوا الله عليه، فقد وضحت الآية التالية للآية الثانية التي فيها الوعد بالنصر من ينصرهم الله تعالى بقوله سبحانه {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج : ٤١].

١١- ورد في الروايات معنى آخر للدفع يناسب قوله تعالى {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة : ٢٥١] لأنّ فيه منّة من الله تعالى، ففي رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) قَالَ: (إن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يصوم منهم عمن لا يصوم من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصيام لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي، ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج منهم، ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله تعالى(وَلَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ)[١٥١].

١٢- إنّ الدفع وإن كان في المصطلح يعني مقاومة الشيء بعد وقوعه، إلا أن معناه هنا أوسع فيشمل ما يعرف بالرفع أي منع وقوع الفساد والظلم والانحراف أصلاً، بل أن العمل عل النحو الثاني هو الذي يجب أن نفكر فيه ونضع خططنا له على طريقة الحكمة القائلة (الوقاية خير من العلاج) فتهيئة أسباب الصلاح والبيئة المساعدة لانتشاره و إقناع الناس به مقدَّم على انتظار وقوع المنكر ثم التفكير في كيفية إزالته ومعالجته. وهذا مبدأ مهم سار عليه قادة الإسلام العظيم فمن قصار كلمات امير المؤمنين (عليه السلام) (ازجر المسيء بثواب المحسن)[١٥٢] وروي عن الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) قوله (السداد دفع المنكر بالمعروف)[١٥٣] فالأولى أن تكافئ المحسن وتشجّع العامل الصالح لتحفّز غيره على الإحسان و إتقان العمل ولا يبقى مجال ليفكّر بالعمل السيء وتعريض نفسه للعقوبة.

١٣- ولابد ان نلتفت الى ساحة اخرى للتدافع وهو الذي سماه النبي (صلى الله عليه وآله) الجهاد الاكبر وهي ساحة النفس التي يتصارع فيها جنود الرحمن مع جنود الشيطان لتحسم المعركة بانتصار ارادة الخير او ارادة الشر، و الاولى مؤيدة بالألطاف الالهية والبصيرة والعقل و المعرفة و العزم و الحكمة، والثانية مزودة بالشهوات و

---

(١٥٠) رجال الكشي: ٢، وروى البرقي في المحاسن مثله وفيه (فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) (بحار الأنوار: ٩٢/٢ عن بصائر الدرجات ١/٣٠ :، باب ٦، ح ٧.

(١٥١) البرهان : ٢/ ١٤٥ نقلا عن تفسير العيّاشي ٤٤٦.١ /١٣٥ .

(١٥٢) نهج البلاغة، ح٤، قصار الكلمات رقم ١٧٧ عن روض الاخيار/ ٤١.

(١٥٣) مستدرك الوسائل: ١٢:٤٣٨: ح:١٤٥٦٢ حلية الاولياء لابي نعيم: حديث ١٤٦٢.

الاهواء والميول النفسية. روي في الكافي انه كان عند الامام الصادق (عليه السلام) جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل، فقال الامام: (عليه السلام) (اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا) قال الراوي جعلت فداك لا نعرف الا ما عرفتنا، فذكر الامام (عليه السلام) ان الله تعالى اعطى لكل منهما خمسة وسبعين جنداً وقال (عليه السلام) الخير وهو وزير العقل وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل، والايمان وضده الكفر)[١٥٤] الى اخر الحديث.

الدعوة النبوية وسنّة التدافع الخارجي:

لقد جسد النبي (صلى الله عليه وآله) في رسالته الإسلامية هذه السنّة –أي سنّة التدافع- بأوضح مصاديقها وبأشكال متنوّعة فكانت دعوته (صلى الله عليه وآله) من أول أمره تستند إلى عقيدتين متلازمتين هما إثبات الإلوهية لله تعالى ونفيها عمّا سواه، وكان شعار دعوته المباركة (قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا) فلم يقتصر على القضية الأولى -أي إثبات الإلوهية لله تعالى- ما لم تنضم إليها الثانية وهي رفض الوهية غيره لتكتمل عقيدة التوحيد، وإلاّ فإنّ المشركين كانوا يقولون بوجود الله تعالى وخالقيته ورازقيته (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت/٦١) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت/٦٣) وغيرها. فالمشركون لم يعترضوا على هذا المقدار وكان بين ظهرانيهم أحناف موحّدون و أتباع الديانات السماوية لكنّهم أعلنوا العداء بضراوة والحرب على النبي (صلى الله عليه وآله) لأنّه دفع عقيدتهم وألغاها.

وقد بدأ النبي (صلى الله عليه وآله) التدافع بالجهر برفض تلك العقيدة الباطلة وقداستها المزيّفة التي صنعها المنتفعون بها وتلاه الإجراء الآخر وهو مباينة أهلها (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) (الكافرون/١-٣)، ثمّ بالاستدلال على بطلانها وردّ دعاؤهم والإجابة على إشكالاتهم. وهكذا تدرّجت وتنوّعت آليات التدافع والمواجهة حتّى أُذن له (صلى الله عليه وآله) بالقتال بعد أن مكّنه الله تعالى من زمام الأمور في المدينة المنّورة {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج : ٣٩] حتى فتح الله تعالى عليه الفتوح المبينة وعمّت رسالته المباركة شرق وغربها.

التدافع الداخلي:

هذا على صعيد التدافع الخارجي أما على مستوى التدافع الداخلي فإجراءاته مع المنافقين معلومة وهدمه وإحراقه لمسجدهم الذي اتّخذوه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين في الرواية الموجودة في سبب نزول الآية المذكورة. وسار على نهجه سبطه الشهيد الإمام الحسين (عليه السلام) فأقام بخروجه المبارك هذه السُنة الإلهية إذ انه لم يتقاعس ولم يذعن ولم يستسلم لبطش بني أمية وطغيانهم، ونهض بمسؤوليته وقام (عليه السلام) ليدفع المنكر والباطل، ولولا قيامه المبارك لنقض بنو أمية الإسلام عروة عروة ولتحقق المحذور الذي اشارت اليه آيتا التدافع حتى لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القران إلا رسمه، وقد قطعوا شوطاً واسعاً في هذا المجال لولا ان الإمام الحسين (عليه السلام) قلب الأمور عليهم وأعاد للإسلام وجوده ومضمونه ونقاءه وحيويته:

إن كان دين محمدٍ لم يستقم إلا بقتليَ يا سيوفُ خذيني

وقد حقق الله له (عليه السلام) وعده بالنصر فها هو ذكره المبارك يملأ الخافقين ويهدي الناس إلى الحق ويحفظ دين الإسلام عزيزاً كريماً و المسلمين مرفوعي الرأس، وأصبحت قضية الحسين (عليه السلام) من أعظم الحوادث التاريخية على الإطلاق وأعظمها انتشاراً، وها هي المسيرة المليونية في زيارة الأربعين شاهد على الكرامة و العزة و الحرية والرفعة.

إنّ من أفضل أشكال التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالإمام الحسين (عليه السلام) إحياء هذا القانون الإلهي العظيم في كل ساحاته سواء داخل كيان المجتمع المسلم أو خارجه وبالآليات المناسبة لكل مواجهة، ولا يسعنا القعود عن هذه الوظيفة المباركة وإلاّ ضاع الدين واضمحل كيان الإسلام كما نبّأت به الآية الشريفة، ومن تخلف عن هذه المواجهة لم

---

(١٥٤) اصول الكافي : كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ ج١/ح١٤.

يبلغ الفتح، كما قال الإمام الحسين (عليه السلام) في رسالته، قال تعالى {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد : ٣٨].

الربط العزائي (الكورين):

فلولا تضحيات الإمام الحسين(عليه السلام) والدماء الزكية التي قدمها يوم عاشوراء تنفيذا لهذه السُنة الإلهية لما وصل لنا اليوم هذا الدين نقياً عزيزاً، فهو بأبي وأمي لم يدخر جهداً ولا مالاً ولا بنيناً من أجل إعلاء الإسلام حتى طفله الرضيع قدمه في هذا سبيل بعدما أضناه الجوع والعطش... فقد روي عن السيدة سكينة بنت الإمام الحسين(عليه السلام) أنها قالت: عزّ ماؤنا ليلة التاسع من المحرّم فجفّت الأواني ويبست الشفاه حتى صرنا نتوقّع الجرعة من الماء فلم نجدها، فقلت في نفسي أمضي إلى عمّتي زينب لعلّها ادّخرت لنا شيئاً من الماء، فمضيتُ إلى خيمتها فرأيتها جالسة وفي حجرها أخي عبد الله الرضيع وهو يلوك بلسانه من شدّة العطش وهي تارة تقوم وتارة تقعد، فخفقتني العبرة فلزمتُ السكوت، فقالت عمتي: ما يُبكيك؟ قالت: حال أخي الرضيع أبكاني، ثم قلت: عمتاه قومي لنمضي إلى خيم عمومتي لعلّهم ادّخروا شيئاً من الماء، فمضينا واخترقنا الخيم بأجمعها فلم نجد عندهم شيئاً من الماء، فرجعت عمّتي إلى خيمتها فتبعتها وتبعنا من نحو عشرين صبياً وصبيّة، وهم يطلبون منها الماء وينادون: العطش.. العطش.

شواهد مُعزِزة أخرى:

الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لولا عباد لله ركع، وصبيان رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صباً).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى ليريد عذاب أهل الأرض جميعاً حتى لا يحاشي منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشيّب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات، والوُلدان يتعلمون القرآن رحمهم اله فأخّر ذلك عنهم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (يقول الله تبارك وتعالى: إن أحب العباد إلي المتحابون من أجلي، المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، اولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم).
- الإمام علي (عليه السلام) - في قوله تعالى: ((ولولا دفع...): معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك).
- وعنه (عليه السلام): (إن تقوى الله دواء داء قلوبكم... وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم).
- وعنه (عليه السلام): (لو أن الناس حين تنزل بهم النقم، وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم، ووله من قلوبهم، لرد عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد).
- عن الإمام الرضا(عليه السلام) أنه قال لزكريا بن آدم الاشعري: (إن الله يدفع البلاء بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليهما السلام).

الشعر:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائدُ

القصة:

كتب الوليد بن عبد الملك إلى صالح ابن عبد الله المري عامله على المدينة: أبرز الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان محبوساً في حبسه واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسمائة سوط، فأخرجه صالح إلى المسجد واجتمع الناس، وصعد صالح المنبر يقرأ عليهم الكتاب، ثم ينزل فيأمر بضرب الحسن، فبينما هو يقرأ الكتاب إذ دخل الإمام السجاد (عليه السلام) فأفرج الناس عنه، حتى انتهى إلى الحسن، فقال له: يا ابن عم ادع الله بدعاء الكرب يفرج عنك، فقال: ما هو يا ابن عم فقال: قل وذكر الدعاء، قال: و انصرف علي بن الحسين (عليه السلام) و أقبل الحسن يكررها، فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال: أرى سجية رجل مظلوم أخروا أمره و أنا اراجع أمير المؤمنين فيه، وكتب صالح إلى الوليد في ذلك، فكتب إليه: أطلقه.

.....

المحاضرة (١٦) **بعنوان**: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) [الملك : ٣٠]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

من النعم الإلهية:

الماء من النعم الإلهية العظيمة التي يغفل عنها الإنسان لاعتياده لها وتوفرها حوله، فالماء قوام الوجود في هذه الدنيا وبه تقوم الحياة ولا يمكن للمخلوقات (بشراً و حيو انات ونباتات) أن تحيا إلاّ بالماء، قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْء أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء/٣٠) وقال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء) (النور/٤٥).

وقد ذكر الله تعالى الماء في القرآن الكريم في عشرات المواضع ليذكّر الناس بهذه النعمة لعلهم يتعظون ويعودون إلى ربهم قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (الواقعة/٦٨-٧٠) (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ أَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) (النمل/٦٠) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (العنكبوت/٦٣) (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) (السجدة/٢٧).

تأثير الماء في الناس:

وتأثير الماء في حياة الإنسان واسع جداً فبه يتطهّرون ومنه يشربون وبه يهيئون طعامهم ويحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلاّ بشقّ الأنفس ويستخرجون منه لحماً طريّاً وحليّة يلبسونها، ويضفي جمالاً وسعادة على الحياة:

ثلاثة للناس ينفين الحزن الماء والخضراء والوجه الحسن

فلابد أن نستذكر عظيم نعمة الله تعالى عند تناول الماء أو استعماله ونتلذّذ بذكر الله وعظيم نعمته، في ثواب الأعمال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من تلذّذ بالماء في الدنيا لذّذه الله (تعالى) من أشربة الجنّة)[١٥٥].

([١٥٥]) سفينة البحار: ١٤٣/٨.

التأويل المعنوي للماء:

ولا ينبغي أن نغفل عن التأويل المعنوي للماء في الآيات الكريمة والروايات الشريفة حيث يراد به العلم والمعرفة التي تُحيي قلب الإنسان وتُسعده في حياته المعنوية، ووجه المقاربة أنّ الماء قوام الحياة الطبيعية، والمعرفة قوام الحياة المعنوية فيتشابهان من جهة كونهما قوام الحياة في عالمهما المناسب لهما. وكثيراً ما يعتمد القرآن الكريم أسلوب ضرب الأمثلة لتقريب الفكرة، والاحتجاج بالمثال للنقض على المنكرين والمشكّكين، كمن ينكر البعث يوم القيامة فيمثّل له بالأرض الميّتة التي نزل عليها الماء وإذا هي اهتزّت وربت و أنبتت من كل زوج بهيج وهكذا، ومن ثمرات ضرب الأمثلة فتح الذهن أمام طلاب الكمالات للتأمّل في المعارف الإلهية كقوله تعالى (وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (البقرة/١٦٤) فتأويلها أن لا ييأس المذنبون الذين جفّت أرض نفوسهم من حياة الإيمان والحبّ الإلهي من أن تشملهم الرحمة واللطف الإلهي فينزل عليهم ماء المعرفة فينبت فيها الإيمان والحب ويزدهر القلب.

وفي تفسير قوله تعالى (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً) (الرعد/١٧) قال علي بن إبراهيم (أنزل الحق من السماء فاحتملته القلوب بأهوائها، ذو اليقين على قدر يقينه، وذو الشك على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجفاءا، فالماء هو الحق، والأودية هي القلوب، والسيل هو الهواء، والزبد هو الباطل)[١٥٦]. وفي قوله تعالى (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً) (الجن/١٦) ورد تفسير[١٥٧] الطريقة بولاية أمير المؤمنين والمعصومين من بنيه (صلوات الله عليهم أجمعين) والماء بالإيمان والعلم الذي يتلقونه من الأئمة (عليهم السلام).

وكالآية محل البحث فإن ظاهرها الامتنان على العباد والاحتجاج عليهم وتذكيرهم بهذه النعمة العظيمة التي تعرف قيمتها فيما لو تصوّروا فقدانها بأن يصبح الماء غائراً في الأرض فلا يستطيعون تحصيله قال تعالى (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً) (الكهف/٤١) فلو لم تكن في الأرض خاصية عدم النفاذ لما بقي الماء على سطحها لتتناولوه لأنه سيغور في أعماق الأرض، ولو لم تكن فيه خاصية النفاذ لبقي جميع الماء على سطحها وغرقت اليابسة كلها، أما تأويلها فقد وردت فيه الرواية عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: (قُلت: ما تأويل قول الله عزوجل (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ)؟ فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون) وفي رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) في قوله تعالى: (فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) قال (عليه السلام): (يعني بعلم الإمام)[١٥٨].

الماء والأحكام الصحية والاجتماعية:

ولارتباط الماء بتفاصيل الشؤون الحياتية للإنسان فقد ورد الكثير من الروايات الشريفة لبيان أحكامه وآدابه، وأول ما تبدأ كتب الفقه بأحكام المياه لاشتراط العبادات بالطهارة، وتناولت آداب شرب الماء الصحية والاجتماعية والمعنوية، كما تعرضت لأحكام استعمال الماء والتصرّف فيه باعتباره من المباحات العامة واشتراك الناس فيه على حد سواء. وقد نظم المرحوم الفقيه الشيخ محمد علي الأعسم آداب شرب الماء في أرجوزته في الأطعمة والأشربة، ومما قال (رحمه الله تعالى):

---

(١٥٦) المصدر: ٥/٢٠٠.

(١٥٧) المصدر: ١٠/٤٨.

(١٥٨) راجع الروايات ومصادرها في تفسير البرهان: ٩/ ٣٤٨- ٣٥٠.

سيدُ كلِّ المائعات الماءُ ... ما عنه في جميعها غناءُ
أما ترى الوحيَ إلى النبي ... منهُ جعلنا كلّ شيء حيّ
ويكره الإكثار منه للنصّ[١٥٩] ... وعبُّه أي شربه بلا مصّ
يروى به التوريث للكُبادِ ... بالضمّ أعني وجعُ الأكبادِ
ومن ينحّيه ويشتهيه ... ويحمدُ الله تعالى فيه
ثلاث مرات فيروى أنّه ... يوجب للمرء دخول الجنّة[١٦٠]
وفي ابتداء هذه المرّات ... جميعها بسمل لنص آتِ
وليجتنب موضع كسر الآنية ... وموضع العروة للكراهية
تشربه في الليل قاعداً لما ... رووه واشرب في النهار قائما
ويندُب الشرب لسؤر المؤمن ... وان أدير يُبتدأ بالأيمنِ

من أفضل الآداب ذكر الإمام الحسين (عليه السلام):

ومن أفضل الآداب والسنن عند شرب الماء ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) والسلام عليه وعلى الشهداء بين يديه، لأنّ ذكر الماء يلازم ذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، فلا يكاد يُذكر الماء أو يُشرب أو يُلتذّ ببارده إلا ويستحضر الموالي ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) لأنه حُرم منه حتى قُتل ظمآناً إلى جنب الفرات، لقد حرموا الإمام الحسين (عليه السلام) من الماء وهو الإمام المعصوم حجة الله في أرضه الذي خلق الكون لأجلهم، مضافاً إلى أنّ له (عليه السلام) أكثر من حق خاص وعام فيه[١٦١]، فله حق خاص في نهر الفرات باعتباره مهر أمّه الزهراء (عليها السلام)، وله حق خاص على أهل الكوفة لأنّه سقاهم في صفّين وسقى طليعة الجيش بقيادة الحر في القادسية أثناء الطريق وله حق عام لشموله مع كل الناس باعتبار ما ورد في النبوي الشريف (ثلاثة أشياء الناس فيها شرع سواء الماء والكلأ والنار) وله حق عام يشترك به مع كل ذي روح حتى الحيوان لوجوب حفظ حياته لذا لو دار استعمال الماء بين الوضوء وحفظ حياة حيوان محترم وجب صرفه في الثاني.

يقول الشيخ الشوشتري، مقابل هذه الحقوق الأربعة التي ضيّعوها جعل الله تعالى له مياهاً أربعة، ماء الكوثر فقد كان شهداء كربلاء يسقون منها قبل خروجهم من الدنيا كما أخبر علي الأكبر، وماء الدموع فهو (عليه السلام) قتيل العبرة ما ذكره مؤمن إلاّ استعبر وماء الحيوان في الجنان يمزج بدموع الباكين ليزيد من عذوبته وفيه رواية معتبرة، وكل ماء بارد يشربه محبّوه والموالون له فإن للحسين حق ذكره عند شربه.

التأسيس لذكر الإمام الحسين (عليه السلام):

وقد أسّس الإمام السجاد (عليه السلام) هذه السنة الشريفة وحادثته في سوق القصّابين معروفة، وروى داود الرقي قال (كنت عند الصادق (عليه السلام) فشرب ماء واغرورقت عيناه بالدموع فقال: ما أنغص ذكر الحسين (عليه السلام) للعيش إني ما شربتُ ماءاً بارداً إلاّ وذكرت الحسين (عليه السلام))[١٦٢]، أي أنّ ذكر مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) نغّص عليّ حياتي و أنا دائم الذكر لها.

---

(١٥٩) في المحاسن عن الصادق (عليه السلام) قال: (إياكم والإكثار من الماء فإنّه مادة لكل داء) وعن النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أكل الدسم أقلّ من شرب الماء ويقول: هو أمرأ لطعامي وفي طب الرضا (عليه السلام): (من أراد أن لا تؤذيه معدته فلا يشرب بين طعامه ماءاً حتى يفرغ).

(١٦٠) روي (من شرب الماء فنحاه وهو يشتهيه فحمد الله يفعل ذلك ثلاثاً وجبت له الجنة) (سفينة البحار: ٨:١٤٣).

(١٦١) أشار إلى هذا المعنى المرحوم الشيخ جعفر الشوشتري في كتاب الخصائص الحسينية ١١٧ الموضوع الرابع.

(١٦٢) أمالي الصدوق: ١٢٢، كامل الزيارات:١٠٦ وأورده عنهما في البحار: ٣٠٣/٤٤.

إذا شربتم عذب ماء فاذكروني:

وقد أحبّ الأئمة (عليهم السلام) من شيعتهم هذا التذكر ووعدوهم بالأجر العظيم فروي أن (من شرب الماء فذكر الحسين (عليه السلام) ولعن قاتله كتب له مائة ألف حسنة وحُطّ عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة وكأنما أعتق مائة ألف نسمة)[١٦٣] وروي عن الصادق (عليه السلام) مثل ذلك بزيادة (وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد). وإلى هذا المعنى أشار المرحوم الأعسم:

والماء إن تفرغ من الشراب له ... صلِّ على الحسين والعن قاتله

تؤجر بآلافٍ عدادها مائة ... من عتق مملوك وحط سيئة

ودُرُج وحسنات ترفعُ ... فهي إذا مئاتُ ألف أربعُ

وقد نقل عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله بلسان الحال: شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني[١٦٤].

فضل الحسين (عليه السلام) على المسلمين:

أداءاً لحقّه (عليه السلام) على جميع البشرية بل المخلوقات وليس على شيعته فقط واستذكاراً لموقفه العظيم وطلباً لما تقدم ذكره من الأجر الكبير، والمهم أن نلتفت إلى التأويل[١٦٥] المعنوي لهذا التذكر بأن نتذكر الحسين ونصلّي ونسلّم عليه كلما استفدنا من علوم أهل البيت (عليهم السلام) ومعارفهم وكلما نفحتنا الألطاف الإلهية وكلما عمر زمان كشهر رمضان أو شهري محرم وصفر، أو مكانٌ كمسجد أو حسينية بذكر الله تعالى، لأن هذا الماء المعين العذب سقينا به ببركة أبي عبد الله (عليه السلام)، ولولا تضحياته لا ندرس الدين من ذلك الزمان وعاد الناس إلى أشنع من جاهليتهم الأولى، وشعر يزيد يشهد بذلك:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

لستُ من خندق إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

وهذا هو تأويل الآية التي جعلناها عنوان البحث فإن الدين لو اندرس بفعل آل أمية وأمثالهم من الطواغيت ولم ينهض الإمام الحسين (عليه السلام) فمن الذي كان سيأتينا بهذه العلوم والمعارف والأحكام الإلهية.

تأويل الماء بالإمام المهدي (عليه السلام):

وجاء تأويلها أيضاً بالإمامة وولاية أهل البيت عليهم السلام وعليه حمل الحديث المشهور (ما عرض الماء على عاقل فأبى) أي ولاية أهل البيت عليهم السلام فإنها لا يرفضها عاقل، وورد تفسير الآية في بعض الروايات بغَيبة الإمام المهدي (عليه السلام) عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (نزلت في الإمام القائم (عليه السلام) يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض، وحلال الله وحرامه؟ ثم قال: والله ما جاء تأويل هذه الآية ولابد أن يجيء تأويلها). وهكذا كل مصادر الهداية والصلاح إن فقدتموها فمن يأتيكم بها إلاّ الله تبارك وتعالى. فاشكروا الله تعالى ليديم بركتها عليكم.

الربط العزائي (الكورين):

---

(١٦٣) سفينة للبحار: ١٤٤/٨.

(١٦٤) الخصائص الحسينية: ١٨٣ عن مصباح الكفعمي: ٧٤١.

(١٦٥) التفت إلى هذا المعنى المرحوم السيد عبد الحسين دستغيب في كتاب (سيد الشهداء عقائد ومفاهيم:٣١).

وقد منع الأعداء الماء عن معسكر الإمام الحسين(عليه السلام) ويروى أنه لما رأى أبو الفضل العباس الأطفال وهم يطلبون الماء.. وكان العباس بطلاً جسيماً وسيماً، يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطّان على الأرض خطا، ويلقّب بالسقّاء وقمر بني هاشم. فجاء نحو أخيه الحسين فقال: يا أخاه هل من رخصة؟ فبكى الحسين حتى ابتلّت لحيته بدموعه فقال: أخي أنت العلامة من عسكري فإذا غدوت يؤول جمعنا إلى الشتات وتنبعث عمارتنا إلى الخراب، فقال العباس: فداك روح أخيك لقد ضاق صدري من الحياة الدنيا وأريد أخذ الثأر من هؤلاء المنافقين. فقال له الحسين: فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء،.. وسمع العباس الأطفال وهم ينادون: العطش العطش فركب فرسه وأخذ رمحه والقِربة، وكان عمر بن سعد قد وكّل أربعة آلاف رجلاً على الماء لا يدعون أحداً من أصحاب الحسين يشرب منه. فحمل عليهم العباس ففرّقهم وكشفهم وقتل منهم ثمانين رجلاً وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا***حتى أوارى في المصاليت لقى
إني أنا العباس أغدو بالسقا***ولا أخاف الشر يوم الملتقى

حتى دخل الماء فلما أراد أن يشرب غُرفة من الماء ذكر عطش الحسين وال بيته فرمى الماء وهو يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني***وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين شارب المنون***وتشربين بارد المعين
هيهات ما هذا فعال ديني***ولا فعال صادق اليقين

فملأ القربة وحملها على عاتقه وتوجّه نحو الخيمة فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب، وأخذوه بالنبال حتى صار درعه كجلد القنفذ من كثرة السهام، فكمن له زيد بن ورقاء من وراء نخلة وعاونه حكيم بن طفيل فضربه على يمينه فقطعها، فأخذ السيف بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتم يميني***إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين***نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتى ضعف. فقطعوا شماله فجعل يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفّار***و أبشري برحمة الجبّار
قد قطعوا ببغيهم يساري***فأصلهم يا رب حر النار

فجاء سهم وأصاب القربة وأريق ماؤها، فبقي العباس حائراً ليس له يد فيقاتل ولا ماء فيرجع إلى الخيمة، فضربه رجل بعمود من الحديد فسقط عن فرسه ونادى يا أخي أدرك أخاك...

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- عن داود بن كثير الرقي قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ، ثم قال: (يا داود ، لعن الله قاتلِ الحسين (عليه السلام) فما انغص ذكر الحسين للعيش إني ما شربت ماءً بارداً إلاّ وذكرت الحسين (عليه السلام) ، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين (عليه السلام) ولعن قاتله إلاّ كتب الله له مائة ألف حسنة ، ومحا عنه مائة ألف سيئة ، ورفع له مائة ألف درجة ، وكان كأنّما اعتق مائة ألف نسمة ، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه).

- عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله): (أفضل الصدقة على الأسير المخضر عيناه من الجوع).. وقال(صلى الله عليه وآله): (أفضل الصدقة سقي الماء، و أفضل الصدقة صدقة الماء).
- عن أبي علقمة - مولى بني هاشم -: صلّى بنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) الصبح، ثمّ التفت إلينا فقال(صلى الله عليه وآله): (معاشر أصحابي، رأيتُ البارحة عمّي حمزة بن عبدالمطّلب وأخي جعفر بن أبي طالب، وبين أيديهما طبق من نَبِق فأكلا ساعة، ثمّ تحول النبق عنباً فأكلا منه، فتحوّل العنب رطباً فأكلا ساعة، فدنوت منهما فقلت: بأبي أنتما، أيُّ الأعمال وجدتما أفضل؟ قالا: فديناك بالآباء والأُمّهات، وجدنا أفضل الأعمال: الصلاة عليك، وسقي الماء، وحبّ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)).
- عن الإمام الصادق(عليه السلام): (أفضل الصدقة إبراد كبد حارة).
- جبرئيل (عليه السلام): (يا محمد لو كانت عبادتنا على وجه الأرض لعملنا ثلاث خصال: سقي الماء للمسلمين، وإغاثة أصحاب العيال، وستر الذنوب).
- وعن الصّادق(عليه السلام): (من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء، كان كمن أعتق رقبة. ومن سقى الماء في موضع لايوجد فيه الماء، كان كمن أحيا نفساً، ومن أحيا نفساً فكأنّما أحيا الناس جميعاً).
- عن الباقر(عليه السلام): (من سقى ظمآناً، سقاه الله من الرحيق المختوم).
- النبوي(صلى الله عليه وآله): (دخلت الجنّة فرأيت صاحب الكلب الّذي أرواه من الماء).
- عن الإمام الباقر(عليه السلام): (إنّ أوّل مايبدأ به يوم القيامة صدقة الماء).
- أتى رجل إلى النبي(صلى الله عليه وآله) فقال: (ماعمل إن عملت به دخلت الجنّة؟ قال: اشتر سقاءاً جديداً، ثمّ اسق فيها حتّى تخرقها، فإنّك لاتخرقها حتّى تبلغ بها عمل الجنّة).
- في النبوي(صلى الله عليه وآله): (ساقي القوم آخرهم شرباً).

ب) الشعر:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني أو سمعتم بغريب او شهيد فاندبوني
فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني وبجرد الخيل بعد القتل عمدا سحقوني
ليتكم في يوم عاشورا جميعا تنظروني كيف استسقي لطفلي فابوا ان يرحموني

ج) القصة:

روي أنّ بني إسرائيل كانوا قد قحطوا سبع سنين، فخرج موسى(عليه السلام) يستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى الله تعالى إليه: (كيف أستجيب لهم وقد أظلّت عليهم ذنوبهم ، وسرائرهم خبيثة ؟! يدعونني على غير شيء، ويأمنون مكري! ارجع إلى عبد من عبادي يُقال له: (برخ) يخرج حتّى أستجيب له) . فسأل عنه موسى (عليه السلام) فلم يعرفه، وبينما موسى يمشي في طريق، إذ بعبد أسود بين عينيه تراب من أثر السّجود في شَملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى (عليه السلام) بنور الله تعالى، فسلّم عليه، فقال: (ما اسمك؟) قال: برخ، قال (عليه السلام): (أنت طَلِبَتُنا منذ حين، اخرُج واستسق لنا) . فخرج وقال مُخاطباً ربّه: ما هذا من فعالك! وما هذا من حلمك وما الذي بدا لك؟! أنَقَضت عليك عيونك؟! أم عاندت الرّياح عن طاعتك؟! أم نفد ما عندك؟! أم اشتدّ غضبك على المذنبين؟! ألست كنت غفّاراً قبل خلقك الخاطئين ؟! خلقت الرّحمة وأمرت بالعطف، أفتكون لما أمرت من المُخالفين؟! أم تُرينا أنّك مُمتنع ؟! أم تخشى الفوت ، وتُعجِّل بالعقوبة ؟! فما برح برخ حتّى خاضت بنو إسرائيل بالمطر، فلمّا رجع برخ استقبل موسى (عليه السلام) فقال : أرأيت حين خاصمت ربّي كيف أنصفني.

قصة أخرى:

روي أنّه قحط بنو إسرائيل على عهد النبي موسى (عليه السلام) فخرجوا للاستسقاء مرّات عدّة ، فلم يستجب لهم ، فرقى موسى (عليه السلام) الطور ليلة وبكى، وقال: اللهمّ، إن كان خَلِقَ . أي بَلِيَ . جاهي عندك، فإنّي أسألك بجاه النبيّ الأُمّيّ الذي وعدت أن تبعثه آخر الزّمان أن تسقينا . فأوحى الله إليه: أن يا موسى، جاهك عندي لم يخَلِق ، وإنّك عندي لوجيه ، ولكن بين أظهركم عبداً قد بارزني بالمعاصي أربعين سنة ، فإن أخرجتموه من أظهركم سقيتكم . فجعل موسى يتخلّل الصّفوف ويُنادي : أيّها العبد العاصي ربّه أربعين سنة، اخرُج عنّا ؛ فإنّ الله بك منعنا . ثمّ إنّ العاصي سمعه ، فعرف أنّه المعنيَّ بذلك، فقال في نفسه: ما أصنع ؟ إن مكثت بينهم منعهم الله لأجلي ، وإن خرجت عنهم عرفوني و افتضحت في بني إسرائيل، ثمّ إنّه أدخل رأسه في قميصه، فقال: إلهي، عصيتك بجهدي، وتجرّأت عليك بجهلي ، وقد أتيتك تائباً نادماً فاقبلني ، ولا تمنعهم من أجلي، فما استتمّ كلامه حتّى جاءت غَمامة بيضاء ، فطبقت الآفاق وتفتّقت بغزير الماء فقال موسى (عليه السلام): إلهي إنّك سقيتنا ولم يخرج من بيننا أحد؟! فقال: يا موسى، إنّ الذي منعتكم من أجله سقيتكم به، فقال: إلهي ، فدُلّني عليه. فقال : يا موسى، إنّي سترت عليه في حال المعصية ، فكيف أفضحه في حال التوبة ؟!

.....

المحاضرة (١٧) بعنوان: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم) [النساء: ٦٩]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

الدعاء بالمعية الإلهية:

في مناسبات المعصومين (سلام الله عليهم) ومجالسهم وعند زيارتهم تنتابنا عدة مشاعر منها الشوق إلى رؤيتهم ومصاحبتهم ومرافقتهم، ونكرّر الطلب يومياً في صلواتنا (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) (الفاتحة/٦-٧) وعلى رأسهم النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومون (عليهم السلام) ونعبّر عن ذلك بما ورد في الزيارة ونكررها (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيما)، والمشهور في فهم العبارة تمني الكون معهم في زمانهم –كيوم الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء- ومشاركتهم موا قفهم ونصرتهم حتى نفوز ونسعد بذلك باعتبار أن (كان) فعل ماضي ناقص كما هو معلوم. ولكن للعبارة فهم آخر بأن تكون (كان) تامة أو الشأنية التي لا تفيد الاقتصار على الزمن الماضي بل تشمل الحاضر والمستقبل مثل ما ورد في ذكر الأسماء الحسنى (وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء/١٥٨) و(وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً بَصِيراً) (النساء/١٣٤) أي أن الله تعالى متصف بهذه الصفات في كل الأحوال، فحينما ندعو الله تعالى (يا ليتنا كنّا معكم) أي نكون معكم دائماً.

مصاحبة المعصومين (عليهم السلام) في كل النشآت:

وهذا الطلب لا يختص بنا نحن الذين حُرمنا من لقاء المعصومين (سلام الله عليهم) بل يشاركنا فيه حتى الذين فازوا وسعدوا بمرافقة النبي(صلى الله عليه وآله) وآله المعصومين ومصاحبتهم في زمانهم فيتمنون أن تستمر عليهم هذه النعمة في الآخرة ولا يفترقون عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين) بسبب تباين الدرجات، وقد وردت روايات كثيرة في ذلك مذكورة في سبب نزول قوله تعالى (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً) (النساء:٦٩-٧٠) فقد روى الفريقان[١٦٦] جاء رجل إلى النبي(صلى الله عليه وآله) فقال : (يا رسول الله إِنَّكَ لأَحَبّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَ إِنَّكَ لأَحَبّ إِلَيَّ مِنْ مِنْ وِلْدِي وَ إِنّي لأَكُون فِي البَيْتِ فَأَذْكُرَكَ فَمَا أَصْبِر حَتَّى آتِي فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيّينَ، وَ إِنّي إِذَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لا أَرَاكَ؟ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ(صلى الله عليه وآله) حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ (عليه السلام) بِهَذِهِ الآيَةِ).

وفي رواية أن رجلا أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ! إني أحبك حتى إني أذكرك ، فلولا أني أجئ فأنظر أليك ظننت أن نفسي تخرج ، وأذكر أني إذا دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة ، فيشقّ ذلك عليَّ وأحب أن أكون معك في الدرجة ، فلم يرد عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً فأنزل الله عزوجل (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرّسُولَ) فدعاه رسول الله(صلى الله عليه وآله) فتلاها عليه. وتذكر بعض الروايات أن السائل بكى وفي رواية أنه جاء إلى النبي(صلى الله عليه وآله) محزوناً فسأله النبي(صلى الله عليه وآله): مالي أراك محزوناً، وفي رواية أنه فتى مما يدل على حماسة ووعي وشدة إيمان هذا الشاب.

دروس من الآية الكريمة:

فالآية:

١- تطمئن القلوب الوالهة المشتاقة إلى رؤية رسول الله وآله الأطهار(صلوات الله عليهم أجمعين) وتبشرهم بإمكان ذلك إذا تحقق الشرط وهو العمل بطاعة الله تعالى.

٢- تبيّن أن النعمة في الجنان لا تكتمل إلا بمرافقة هذه الفئات الكريمة فقد ذكرت هذه النعمة أو قل الثمرة لطاعة الله تعالى بعد عدة ثمرات في الآيات السابقة (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً{٦٦} وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً{٦٧} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً{٦٨}) (سورة النساء) ثم جاءت الآية محل البحث فالجنة الحقيقية ليست بالحور العين ولحم الطير والأنهار والقصور وإنّما بهذه المرافقة الكريمة.

٣- إنّ هذه الآيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما ندعو به يومياً في صلواتنا فنقول عشر مرات يومياً على الأقل (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) (الفاتحة/٦-٧) فإنها تدل على أن طاعة الله تعالى والأخذ بما يعظك به تحقق لك الهداية إلى الصراط المستقيم (وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً) (النساء/٦٨) وتبين من هم الذين أنعم الله عليهم وكيف تتحقق الأمنية بمرافقتهم ومصاحبتهم.

٤- إنها تجيب عن السؤال الذي توجّه به الصحابة في الروايات المتقدمة وتحلّ هذه المشكلة وتدل على الوسيلة لتحقيق هذه الأمنية العظيمة، والوسيلة هي طاعة الله تبارك وتعالى، وقد دلّت على ذلك الروايات الشريفة، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال (إنه لا يدرك ما عند الله إلاّ بطاعته)[١٦٧] وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (طاعة الله مفتاح كل سداد وصلاح كل فساد)[١٦٨].

في معنى الطاعة في الآية الكريمة:

والملاحظ في الطاعة بحسب هذه الآية أمران:

---

(١٦٦) البرهان في تفسير القرآن: ٩٨/٣، الدر المنثور: ٥٨٨/٢ ومما ننصح بقرائته: الاطلاع على أسباب نزول الآيات الكريمة ففي ذلك فوائد جمة كالاطلاع على الحوادث التاريخية وسيرة النبي(صلى الله عليه وآله) وكيفية معالجة القرآن الكريم للمشاكل السياسية والاجتماعية والأخلاقية وأخذ الدروس والعبر من ذلك كله.

(١٦٧) وسائل الشيعة: ١٨٤/١١ ح٢.

(١٦٨) غرر الحكم: ٦٠١٢.

أولهما: الاستمرارية والدوام والثبات وعلامته استعمال فعل المضارع (ومن يطع) وذلك بأن يتخذ طاعة الله تعالى ورسوله(صلى الله عليه وآله) منهجاً في حياته ودليلاً لسلوكه فلا يقدّم ولا يؤخّر إلا وفق ما يرضي الله ورسوله(صلى الله عليه وآله) فيكون الطابع العام لسلوكه ومو اقفه طاعة الله تعالى، ولو زلّت قدمه بسبب الغفلة أو الجهل أو ضعف النفس تذكّر المطلوب منه وعاد إلى خطّ الطاعة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) (الأعراف/٢٠١).

ثانيهما: إطلاق لفظ الطاعة فلا تختص بنماذج محددة منها، وإن ذكرت الروايات بعض هذه الطاعات، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأسلمي، قَالَ : كُنْتُ أَبِيتُ عند النبي(صلى الله عليه وآله) ، فَآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فقال لي: سل. قلتُ: يا رسول الله(صلى الله عليه وآله) أسألك مر افقتك في الجنة، قال: أو غيرُذلك؟ قلتُ: هو ذاك، قال: فأعنّي على نفسك بكثرة السجود. وفي رو اية أخرى عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذكر الطاعات الواجبة ثم قال(صلى الله عليه وآله) (ما لم يعق والديه).

إلاّ أنّ ذكر هذه الطاعات المهمة من باب المثال أو بما يناسب السائل وإلا فإن الشرط المذكور في الآية (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (النور/٥٢) مطلق، فلا تقتصر طاعة الله تعالى على العبادات المعروفة كالصلاة والصوم والطهارة والخمس ونحو ذلك وإن كانت منها وعلى رأسها، لكن هناك طاعات مهمة وثقيلة الميزان نغفل عنها أو نستثقلها كالإنصاف من نفسك وإن كان على خلاف هواك وكالسعي لقضاء حو ائج الناس وإدخال السرور عليهم وأمثال ذلك، عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال (ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، و إنصاف الناس من نفسه وذكر الله على كل حال)[١٦٩] فإن بهذه الأمور قوام الدين وصلاح الأمة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (نظام الدين خصلتان: إنصافك من نفسك ومواساة اخو انك)[١٧٠]. أو مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي وصفتها الأحاديث الشريفة بأنها سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء وأسمى الفر ائض وأشرفها. أو مثلاً العفاف للرجل والمرأة والتنزه عن الأمور الدنيّة، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (ما عبد الله بشيء أفضل من عفّة بطن وفرج)[١٧١] وغيرها من الطاعات العظيمة كالتفقه في الدين ونشره بين الناس ورعاية الأيتام والمعوزين وتزويج المؤمنين ونحو ذلك.

الفئات المتر افقة:

وقد بيّنت الآية الشريفة الفئات المتر افقة وهم الأنبياء الذين يبلغون رسالات ربهم. والصديقون الذين آمنوا بربهم وأطاعوه وأطاعوا رسله ظاهراً وباطناً وصدّقت أفعالهم أقوالهم. والشهداء الذين حملوا الرسالة الإلهية ودعوا الناس إليها وسعوا لتطبيقها في حياة الأمة رغم العنت والمشقة حتى ضحّوا بأرواحهم واستشهدوا في سبيل الله تعالى، وكانوا شهداء على الأمة فأقاموا عليها الحجة البالغة. والصالحون الذين بذلوا جهدهم في تطبيق التعاليم الإلهية في حياتهم وجعلوا الصلاح منهاجاً لحياتهم.

اسعوا لتكونوا من الصالحين:

فالإنسان الذي يريد أن يكون مع الأنبياء والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) يستطيع ذلك بتوفيق الله وألطافه عندما يكون من الصالحين والعاملين المضحّين، روى أبو بصير قال أبوعبد الله الصادق (عليه السلام): (يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ) (النساء/٦٩) فرسول الله(صلى الله عليه وآله) في هذا الموضع النبي، ونحن الصديقون والشهداء، و أنتم الصالحون، فتسموا بالصلاح كما سمّاكم الله)[١٧٢]. وذكر هذه المر اتب بالتدريج يدل على أن الوصول للمرتبة العليا يتم باستيفاء

---

(١٦٩) بحار الأنوار: ٢٧/٧٥ ح١١.

(١٧٠) غرر الحكم: ٩٩٨٣.

(١٧١) الكافي: ٧٩/٢، ح١.

(١٧٢) تفسير العياشي ٢٥٦/١ ح١٩٠.

المرتبة السابقة فإن لم يكن من الصالحين يسعى ليكون منهم وفق ما عرفناه آنفاً، والصالحون يسعون ليكونوا من الشهداء، وهم يطلبون سبيل الصديقين الذين يسيرون على هدى الأنبياء (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف/٧٦). وينبغي الالتفات إلى أن هذه المعيّة لا تعني المساواة في الدرجات والمقامات والقرب من الله تعالى والتنعم برضوانه، بل كل حسب استحقاقه (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) (الرعد/١٧)، وتؤكد الآية الثانية أن ذلك لا ينال إلا بفضل من الله تعالى وتوفيقه، وهو العالم بحقائق عباده واستحقاقاتهم، والإشارة إليه بـ (ذلك) للإشعار بأنه ليس سهل المنال، وانه مطلب عظيم يستحق بذل كل الجهد لتحصيله.

من آثار الصلاح هو المعيّة الإلهية:

ونريد الآن أن نتقدم خطوة أخرى ونقول أن الإنسان يمكن أن يحظى بهذه الرؤية المباركة هنا في الدنيا قبل الآخرة بحسب ما يظهر من بعض الروايات، فقد روى الكشي في رجاله بسنده عن اسماعيل بن سلام واسماعيل بن جميل قالا: بعث إلينا علي بن يقطين فقال: اشتريا راحلتين، وتجنبا الطريق - ودفع إلينا أموالاً وكتباً - حتى توصلا ما معكما من المال والكتب إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام) ولا يعلم بكما أحد، قالا: فأتينا الكوفة فاشترينا راحلتين وتزوّدنا زاداً، وخرجنا نتجنب الطريق، حتى إذا صرنا ببطن الرمة شددنا راحلتنا، ووضعنا لها العلف، وقعدنا نأكل، فبينا نحن كذلك، إذ راكب قد أقبل ومعه شاكري، فلما قرب منَّا فإذا هو أبو الحسن (عليه السلام) ، فقمنا إليه وسلّمنا عليه، ودفعنا إليه الكتب وما كان معنا، فأخرج من كمّه كتباً فناولنا إيّاها، فقال: هذه جوابات كتبكم، فقلنا: إنّ زادنا قد فني، فلو أذنت لنا فدخلنا المدينة ، فزرنا رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتزوّدنا زاداً فقال: هاتا ما معكما من الزّاد، فأخرجنا الزّاد إليه فقلّبه بيده فقال: هذا يبلّغكما إلى الكوفة، وأما رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقد رأيتماه، إني صليت معهم الفجر، وإنّي أريد ان أصلي معهم الظهر، انصرفا في حفظ الله)[١٧٣]، ومحل الشاهد تأكيده (عليه السلام) لهما بأنهما قد رأيا رسول الله(صلى الله عليه وآله) فعلاً وتحقق مرادهما وأمرهما بالرجوع إلى الكوفة.

والشاهد الآخر من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، فقد روى الكليني في الكافي، في بصائر الدرجات بسنده عن صالح بن سعيد قال دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك، في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك، فقال (عليه السلام): (ههنا أنت يا ابن سعيد ؟ ثم أومأ بيده فقال: انظر، فنظرت فإذا بروضات أنقات، وروضات ناضرات، فيهن خيرات عطرات، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، وأطيار وظباء وأنهار تفور، فحار بصري والتمع، وحسرت عيني، فقال: حيث كنا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك)[١٧٤].

بل الأمر أقرب من ذلك لأنّنا نحظى بوجود بقية الله الأعظم الإمام المهدي (عليه السلام) بين ظهرانينا وإن كنّا لا نعرفه شخصياً، ونخاطبه في دعاء الندبة (متى ترانا ونراك)، وتتحدث الشواهد التاريخية الكثيرة على إمكان ذلك لمن رضي عنه الإمام (عليه السلام) لخير وجده فيه، يُروى ان عابداً كان يتمنى لقاء إمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه) وبعد فترة من الرياضات الروحية والتعب والمشقة لم يصل الى شيء واخذ اليأس يدب الى قلبه ، وفي ليلة من الليالي بينما كان قائما يتعبد إذا بهاتف يناديه : (الوصول الى المولى يعني شد الرحال الى ديار الحبيب) فشدَّ الرحال من جديد واخذ يزيد من الصلاة والتعبد حتى انتهى الأمر به الى المكوث في المسجد أربعين يوما فأتاه نداء آخر يقول: (ان سيدك تجده في سوق الحدادين يجلس في باب رجل عجوز يصنع الأقفال) فذهب مسرعا فوجد الإمام (عجل الله تعالى فرجه) يشع نورا فارتعدت فرائص العابد إلا ان الإمام (عجل الله تعالى فرجه) طلب منه ان ينظر ما سيحصل ،فجاءت عجوز منحنية الظهر بيدها قفل عاطل وقالت للبائع أرجوك اشترِ هذا القفل بثلاثة دنانير فقال البائع: إن هذا القفل بثمانية دنانير وإذا أصلحته يصبح بعشرة فتصورت العجوز انه يسخر منها إلا انه بادر بإعطائها سبعة دنانير وقال لها : لاني أبيع واشتري أخذته بسبعة دنانير لأربح دينارا

---

(١٧٣) معجم رجال الحديث: ١٣/٢٤٩ عن رجال الكشي.

(١٧٤) بحار الأنوار: ٥٠/ ١٣٣ ح١٥.

فذهبت العجوز مسرورة فالتفت الإمام (عجل الله تعالى فرجه) الى العابد وقال : (كونوا هكذا كهذا العجوز كي نأتيكم نحن بأنفسنا لا حاجة الى التعبد أربعين يوما ولا فائدة من الجفر والحروف فقط اصلحوا أعمالكم)[١٧٥].

درس عملي:

ونريد أن نخلص الآن إلى درس عملي وهو أنّك إنما تطلب قرب رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأنه سبب مقرّب إلى الله تعالى و أنك تعيش بقربه سمواً روحياً متميزاً وهذا تأثير أكيد كالمغناطيس الذي يؤثر في الحديد ويجذبه من دون أن يلامسه، ولكن الله تعالى بكرمه ورحمته ولطفه بعباده لم يشأ حرمان عباده من هذه المؤثرات المباركة، حيث دلّت أن الحالة المعنوية المتألقة التي ترجوها من الكون في حضرة رسول الله(صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) يمكن أن تحققها بدرجة ما من خلال توفير بيئة الطاعة وتهيئة أسبابها كالحضور في المساجد والروضات المطهّرة واستثمار الأزمنة الشريفة ومجالس ذكر الله تعالى والمعصومين (عليهم السلام) والاستفادة من العلماء الذين يقربونك من الله تعالى، فهذه هي الجنة المعجّلة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة، لأن الجنة فيها رضا نفسي والجامع فيه رضا ربي)[١٧٦].

الربط العزائي (الكورين):

وممن فاز بمعية أهل البيت (عليهم السلام) جون مولى أبي ذر الغفاري، تقول الرواية بعدما قتل عابس بن شبيب الشاكري (رضوان الله عليه) أقبل جون (رحمه الله) يستأذن في القتال، فقال له الإمام الحسين(عليه السلام): يا جون أنت في إذن مني فإنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا، فقال جون: يابن رسول الله أنا في الرخاء الحسُ قِصاعَكم وفي الشدّة أخذلكم؟! والله إنّ ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم، وإن لوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنة فتطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيّض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دماءكم. فأذن له الحسين فبرز يرتجز ويقول:

كيف يرى الكفّار ضرب الأسود بالمشرفيّ والقنا المسدّد

يذبّ عن آل النبي أحمد يذبّ عنهم باللسان واليد

فقتل خمساً وعشرين رجلاً ثم قتل، فوقف عليه الحسين وقال: اللهم بيّض وجهه وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمد وآل محمد. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- عن الإمام علي (عليه السلام): (جاء رجل من الأنصار إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله ما أستطيع فراقك، و إني لأدخل منزلي فأذكرك فأترك ضيعتي، و أقبل حتى أنظر إليك حباً لك، فذكرت إذا كان يوم القيامة وادخلت الجنة فرفعت في أعلى عليين، فكيف لي بك يا نبي الله ؟ فنزلت: (ومن يطع الله والرسول...) فدعا النبي (صلى الله عليه وآله) الرجل فقرأها عليه وبشره بذلك).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام) روي أنه قال لأبي بصير، إذ دخل عليه وقد أخذه النفس: (يا أبا محمد ما هذه النفس العالي؟ فقال أبو بصير: جعلت فداك يابن رسول الله كبرت سني، ودق عظمي، و اقترب أجلي، ولست أدري ما أرد عليه من أمر آخرتي. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا أبا محمد و إنك لتقول هذا؟ فقال: جعلت فداك وكيف لا أقول

---

(١٧٥) ثلاثة يشكون: ٢٤١.

(١٧٦) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أحكام المساجد، باب٣، ح٦.

هذا؟ فذكر كلاماً، ثم قال: يا أبا محمد لقد ذكر [ك] الله في كتابه المبين: (أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين...) فرسول الله (صلى الله عليه وآله) في الآية النبيين، ونحن في هذا الموضع الصديقين والشهداء، و أنتم الصالحون، فتسموا بالصلاح كما سماكم الله يا أبا محمد).

- سأل رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الساعة؟ فقال ما أعددت لها؟ قال: (ما أعددت لها كبيرا إلا أني احب الله ورسوله، قال: فأنت مع من أحببت).
- أنس بن مالك: (جاء رجل من أهل البادية - وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية يسأل النبي (صلى الله عليه وآله) - فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فحضرت الصلاة، فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: فما أعددت لها؟ قال: والله ما أعددت لها من كثير عمل لا صلاة ولا صوم، إلا أني احب الله ورسوله، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): المرء مع من أحب. قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشئ أشد من فرحهم بهذا).
- أتى رجل النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: (يا رسول الله رجل يحب من يصلي ولا يصلي إلا الفريضة، ويحب من يتصدق ولا يتصدق إلا بالواجب، ويحب من يصوم ولا يصوم إلا شهر رمضان، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): المرء مع من أحب).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

من كان يرغب في النجاة فما له ... غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره ... سبل الغو اية والضلالة والردى
فاتبع كتاب الله والسنن التي ... صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى

وقال آخر:

أطع الله بجهدك ... صادقاً أو بعض جهدك
أعط مولاك كما تط ... لب من طاعة عبدك

وقال آخر:

لو فتّشوا قلبي لآلفوا به سطرين قد خطّا بلا كاتبِ
العدل والتوحيد في جانبٍ وحبّ أهل البيت في جانبِ

وقال آخر:

أشدد يداً بحب آل أحمد فإنه عقدة فوزلا تحل
هم و ابوهم شرف وامهم اكرم من تحوي السماء وتظل

ج)القصة:

شرف خدمة أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم وطاعتهم:

(روي انّ أبا عبدالله (عليه السلام) كان عنده غلام يمسك بغلته اذا هو دخل المسجد، فبينما هو جالس ومعه البغلة اذا اقبلت رفقة من خراسان ، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله ان يجعلني مكانك، وأكون له مملوكاً، واجعل لك مالي كله، فانّي كثير المال من جميع الصنوف، اذهب فاقبضه ،وأنا أقيم معه مكانك؟ فقال: اسأله ذلك. فدخل على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: جُعلت فداك تعرف خدمتي ، وطول صحبتي ، فان ساق الله اليّ خيراً تمنعنيه؟ قال: اعطيك من عندي ، وامنعك من غيري. فحكى له قول الرجل ، فقال: إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا، قبلناه وأرسلناك. فلما ولّى عنه دعاه . الإمام . فقال له: أنصحك لطول الصحبة ولك الخيار، فإذا كان يوم القيام كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعلّقاً بنورالله، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) متعلّقاً برسول الله، وكان الأئمة متعلّقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلّقين بنا، يدخلون مدخلنا ويردون موردنا. فقال الغلام: بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا. وخرج الغلام إلى الرجل فقال له الرجل: خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به، فحكى له قوله (أي قول الإمام سلام الله عليه).

أقول[177]: هذا بعض هذا بعض ما أعدّه الله تعالى من الشرف والكرامة لخدّام أهل البيت (عليهم السلام) الموالين لهم مما لا يعدله شيء من هذه الدنيا الزائلة، وهكذا يتنافس عليها العارفون بها. وقد تسأل بأن هذا الشرف هل هو مخصوص بمن عاصرهم وأتيحت له فرصة خدمتهم ويحرم منها غيرهم كأجيالنا الحاضرة وهذا ينافي عدالة الخالق ولا يليق بسعة رحمته وكرمه.

والجواب يكون بالالتفات إلى أن خدمتهم (عليهم السلام) لا تقتصر على قضاء الحوائج الشخصية لهم حتى تنحصر بمن عاصرهم وباشرهم فإن من أرقى أشكال خدمتهم دراسة علومهم وسيرتهم ونقلها إلى الناس وقد وردت عنهم (عليهم السلام) كلمات جليلة في حق أصحابهم الذين قاموا بهذا الدور بحيث ورد في الحديث أن تعليم حديث واحد من أحاديثهم أفضل مما بين المشرق والمغرب، وهذه فرصة متاحة للجميع ولا تنحصر بطلاب الحوزة العلمية، ووسائل الاتصال الحديثة أتاحت فرصة واسعة جداً للحركة.

وهكذا تتنوع الخدمة بحسب قابليات الشخص ومؤهلاته، فالبعض يقيم المجالس الحسينية والبعض الآخر يخدم الزوار ويوفّر لهم الطعام وأسباب الراحة وسائر الخدمات، أو يشارك في المواكب والشعائر، ووسائل الإعلام تقدّم خدمة بعرض هذه الحركة المباركة التي أقنعت الكثيرين بدراسة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) واعتناقه عن معرفة، فانتشر ووصل إلى بلدان لم يكن في المستطاع الجهر فيها بالدعوة إلى أهل البيت (عليهم السلام) في البلاد العربية وغيرها من بلدان العالم، ولا شكّ أن هذه الخدمات ليست أقلّ من عمل ذلك الغلام الذي ذكرته الرواية المتقدمة.

ولا نغفل أيضاً عن أن أي خدمة نقدّمها لأحد المؤمنين هي خدمة لأهل البيت (عليهم السلام) لأنهم أولياء أمورهم وآباؤهم المعنويون كما أن أي أب يتشكر عندما تقدّم خدمة لولده، ويتضاعف الجزاء حينما يكون المؤمن من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله). عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة:

(المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه).

وفي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن وجميع ولده وأهل بيته، وفيها: (الله الله في ذرية نبيكم، فلا يظلمن بحضرتكم وبين ظهرانيكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم). في أصول الكافي بسنده عن عمر بن يزيد قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: (الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يُوصَلَ)، فقال (عليه السلام): نزلت في رحم آل محمّد (صلى الله عليه وآله). إن الالتفات إلى هذه المعاني سيزيد من الحافز والهمّة والحماس للمساهمة في هذه الخدمات الجليلة.

.....

المحاضرة (١٨) بعنوان: (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [سورة محمد: ٣٨] سُنة الاستبدال

---

١٧٧ والكلام لسماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله).

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

من السُنن الإلهية:

تبيّن الآية سنة إلهية وقانوناً ثابتاً وفي نفس الوقت توجّه تحذيراً لكل الناس، مفاده أن المشروع الإلهي الذي حملته رسالة الاسلام العظيمة ماضٍ وسائر في طريق تحقيق الأهداف المرسومة له، وإنَّ تقاعسَ واعراض البعض –مهما كثر عددهم- لا يعرقل هذه المسيرة الإلهية و إنما تُعرض الرسالة عليهم وتطلب النصرة منهم لطفاً بهم من الله تعالى وامتناناً عليهم ليحصلوا على شرف المشاركة وثواب العاملين في الدنيا والآخرة، فإذا أعرضوا عن هذا التكليف ولم يتحملوه فإنهم هم الخاسرون وسيوفق الله تعالى أقواماً غيرهم لينهضوا بهذه المسؤولية ويحصلوا على نتائجها المباركة.

والخطابات القرآنية عامة شاملة لكل الأجيال ولكل الأزمان فلا يتصور أحد أن هذه الآية خاصة بالقوم الذين كانوا حول النبي (صلى الله عليه وآله) و إنه تهديد لهم فقط، و إنما هي سنة إلهية عامة ثابتة (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر/٤٣) وقد أشارت عدة آيات قرآنية إلى هذه السنة الإلهية ،قال تعالى (إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التوبة/٣٩) ،(وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) (الواقعة/٦٠- ٦١) ،(إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) (المعارج/٤١).

لماذا التقاعس والارتماء في الايديولوجيات الفاسدة؟

وقد تركت الآية كلمة (تتولوا) بلا ذكر لمتعلقها، وإن التولي يكون عن ماذا؟ لتكون مطلقة وتكون السُنة جارية في كل تولي واعراض سواء تعلق بأصول الدين أو فروعه أي مطلق طاعة الله تعالى.

إذ من الناس من يعرض ويتولى عن أصل الإيمان والدين ويتجرد منه ويتحول إلى لا ديني ويتبنى أفكاراً و أيديولوجيات مناهضة للدين ومشككة فيه بأي عنوان كان كالملحد أو الكافر ونحو ذلك، وهذا المورد من التولي والاعراض ذكرته آية أخرى قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ) (المائدة/٥٤).

ومنهم من يؤمن نظرياً بالإسلام لكنه لا يقوم بالتزاماته وقد ذكرت الآيات المتقدمة على الآية محل البحث من سورة الحديد صوراً من الخذلان الذي يصيب الانسان كعدم الانفاق في سبيل الله تعالى وكالقعود عن الجهاد في آية سورة التوبة المتقدمة، أو أي فرصة من فرص الطاعة التي يهيئها الله تعالى للإنسان كمساعدة محتاج أو قضاء حاجة مؤمن فإنه إن فوّتها ولم يستثمرها فإن الله تعالى سيقيّض من يقوم بها وهو شاكر لله تعالى على توفيقه.

الإعراض عن طاعة النبي(صلى الله عليه وآله):

ولا شك أنّ من أكثر الموارد التي تظهر فيها هذه السنة الإلهية هي طاعة من أمر الله تعالى بطاعته وهو النبي (ص) ومن بعده الأئمة المعصومون (عليهم السلام) ثم العلماء العاملون المخلصون النوّاب عن الإمام(عليه السلام) في غيبته ، فإنّ من يتقاعس عن طاعتهم والالتزام بتوجيهاتهم فضلاً عمّن يشكّك فيهم ويفتري عليهم ويسقّطهم فإن التوفيق يُسلبُ منه ويُمنَح إلى آخرين مطيعين مخلصين (ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد/٣٨) بل يكونون ثابتي الإيمان ذوي همم عالية وإصرار على العمل. (صلى الله عليه وآله)وهذا الابتلاء مرّت به الامم ففشل اكثرهم وتولّوا واعرضوا فاصيبوا بأسوء النتائج، ماذا كان دعاء أمير

المؤمنين (عليه السلام) حينما خذله أصحابه وتقاعسوا وتفرقوا، (قال (عليه السلام) في سحرة اليوم الذي ضُرب فيه: ملكتني عيني و أنا جالس، فسنح لي رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيتُ من امتك من الأَوَد –أي الاعوجاج- واللَدد- أي الخصام-؟ فقال: ادع عليهم، فقلتُ: أبدلني الله بهم خيراً منهم و أبدلهم بي شراً لهم مني)[١٧٨].

نموذج معاصر من الإعراض عن طاعة الله تعالى:

خذ مثلاً السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) فإن كثيراً من العناوين الكبيرة وغيرهم داخل الحوزة وخارجها خذلوه وعارضوه وشككوا فيه وفي حركته فحرموا من هذا اللطف الإلهي، وهيّأ الله تعالى للسيد الشهيد شباباً مليئين بالإيمان والحيوية والتفاني أخذوا المو اقع المخصّصة لأولئك الذين حرموا أنفسهم من هذا الفضل العظيم، واستمرت هذه الحركة المباركة حتى بعد استشهاده ومرور (١٦) سنة على رحيله، لكن صدى حركته اليوم و آثارها المباركة أوسع مما كانت في حياته الشريفة.

نموذج تاريخي في وجدان الطف:

وإذا أردنا أن نعرّج على كربلاء ونأخذ الشواهد منها، فهناك شخصان نقرّب جريان سنة الاستبدال عليهما بحسب الظاهر.

أحدهما: عبيد الله بن الحر الجعفي أحد الفرسان المعروفين بالفتك وهو معدود من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وله نسخة يرويها عنه (عليه السلام) – بحسب رجال النجاشي-، التقاه الحسين (عليه السلام) في طريقه إلى كربلاء ودعاه إلى نصرته فامتنع عبيد الله عن الإجابة وقدّم للحسين فرسه المسماة بالمحلّقة وقال: (هذه فرسي المحلّقة فاركبها فوالله ما طلبت عليها شيئاً إلاّ أدركته ولا طلبني أحد إلا فتّته حتى تلتحق بمأمنك و أنا ضمين بعيالاتك أؤديهم إليك)، فقال الحسين (عليه السلام): (لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنت متخذ المضلّين عضداً)[١٧٩] فنصحه الحسين (عليه السلام) بأن يغيّب وجهه ولا يشهد واعيته وقال (عليه السلام) (فوالله لا يسمع اليوم واعيتنا أحد ثم لا يعيننا إلاّ كبّه الله على منخريه في النار).

ثانيهما: الحر الرياحي الذي كان قائداً كبيراً في جيش الأمويين وهو الذي قاد الكتيبة التي اعترضت الإمام الحسين (عليه السلام) في طريقه ومنعته من العودة إلى أهله وديار ه ور افقته حتى نزل كربلاء لكنه في لحظة من لحظات التوفيق والألطاف الإلهية وقف وتأمل في مصيره وعاقبته وخيّر نفسه بين الدنيا المزخرفة التي كان يتمتع بها في ركاب بني أمية لكن عاقبتها النار، وبين القتال والشهادة بين يدي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وختامها مسك والفوز والجنة ورضوان الله فقال كلمته التي نقلت عبر الأثير إلى كل الأجيال (لا أختار على الجنة شيئاً أبداً).

محل الشاهد ان هذا المقعد في قافلة شهداء الخلود لما تولى عنه عبيد الله وأعرض عنه ملأه غيره وهو الحر الرياحي وفاز به ومضت القافلة في طريقها، وبقي عبيد الله نادماً متحسراً على تفويت هذه الفرصة فالتحق بالمختار لأخذ الثأر ثم اختلف معه والتحق بمصعب ثم اختلف معه وقاتله. ومن شعره المعبّر عن عظيم حسرته:

فيا لَكِ حسرةً ما دمتُ حياً تَردُّد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلبْ بذل نصري على أهل الضلالة والنفاق
غداة يقول لي بالقصر قولاً أتتركنا وتزمع بالفراق
ولو أني أواسيه بنفسي لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه تولى ثم ودّع بانطلاق

---

(١٧٨) نهج البلاغة: ١٣٥، الخطبة ٧٠.

(١٧٩) راجع تفصيل ترجمته ومصادرها في أدب الطف للمرحوم الخطيب السيد جواد شبر: ١/٩٤-١٠٠.

فلو فلق التلهف قلبَ حي لهمَّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الاولى نصروا حسيناً وخاب الآخرون إلى النفاق[١٨٠]

الهزيمة الداخلية هي التي انتجت الاستبدال:

ولابد أن نلتفت إلى أن هذا الاستبدال من الله تعالى ما كان ليحصل في الخارج إن لم يسبقه استبدال في داخل النفس من قبل الشخص نفسه فاستحق ذلك التبديل (أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) (التوبة/٣٨) (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) (البقرة/٦١) . وهذا كله تطبيق لسنة الله تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد/١١) سواء بإتجاه الخير أو الشر، ولذا كان من الادعية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام): (وتجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري)[١٨١].

فعلينا أن نكون حذرين يقظين ونبادر إلى أي فرصة للطاعة ولا نفوّتها أو نؤخرها أو نعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يأخذها منّا ويملأ مكاننا فيها، فإن الله تعالى غني عن خلقه ويستبدل بالمقصرين والعاصين من يحبّهم الله تعالى ويحبونه ثم لا يكونوا أمثالكم.

الربط العزائي (الكورين):

ولعل من دواعي توفيق الاستبدال الايجابي الذي حصل عليه الحر بن يزيد الرياحي(رضوان الله عليه) مو اقفه المشرفة مع الإمام الحسين(عليه السلام) عندما التقى به في منطقة(ذو حُسم) حيث صلى بصلاة الإمام(عليه السلام) تقول الرواية عندما أقام المؤذن للصلاة، قال الإمام الحسين(عليه السلام) للحر: أتريد ان تصلي بأصحابك؟ قال الحر: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك. فصلى بهم الإمام الحسين(عليه السلام) والموقف الآخر هو احترامه لمقام السيدة الزهراء(عليها السلام) فعندما منع جيش الحر الرياحي الإمام(عليه السلام) من الانصراف من منطقة (ذو حُسم)، فقال الإمام الحسين(عليه السلام) للحر: ثكلتك امك ما تريد؟ فقال له الحر: (أما لو (كان) غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان، ولكن والله مالي من ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه).

وقد يكون هذين الموقفين موضع بركة وسبب نجاة وتوفيق للحر، فندم وتاب يوم عاشوراء.. تقول الرواية أقبل الحر بن يزيد إلى عمر بن سعد فقال أمقاتل أنت هذا الرجل(أي الإمام الحسين(عليه السلام)) قال إي و الله قتالا أيسره أن تطير الرؤوس و تطيح الأيدي قال فمضى الحر ووقف موقفا من أصحابه و أخذه مثل الأفكل (وهي الرعدة) فقال له المهاجر بن أوس: والله إن أمرك لمريب و لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فما هذا الذي أرى منك فقال الحر: و الله إني أخير نفسي بين الجنة و النار فو الله لا أختار على الجنة شيئا و لو قطعت و أحرقت، ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الإمام الحسين(عليه السلام) و يده على رأسه و هو يقول اللهم إليك أنبت فتب علي فقد أرعبت قلوب أوليائك و أولاد بنت نبيك و قال للحسين ع جعلت فداك أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع و جعجع بك و ما ظننت أن القوم يبلغون منك ما أرى و أنا تائب إلى الله تعالى فهل ترى لي من توبة فقال الإمام الحسين(عليه السلام) نعم يتوب الله عليك فانزل فقال أنا لك فارسا خير مني لك راجلا وإلى النزول يصير آخر أمري ثم قال فإذا كنت أول من خرج عليك فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك لعلي أكون ممن يصافح جدك محمدا ص غدا في القيامة.

شواهد مُعزِزة أخرى:

---

(١٨٠) أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام) للمرحوم السيد جواد شبر: ٩٦/١.

(١٨١) مفاتيح الجنان :٣٢٧ ادعية ليالي شهر رمضان.

الروايات الشريفة:

- عن الإمام الباقر(عليه السلام): (إن تتولوا يا معشر العرب، يستبدل قوماً غيركم، يعني الموالي).
- عن الإمام الصادق(عليه السلام): (لا يخرج من شيعتنا أحد إلا أبدلنا الله به من هو خير منه وذلك لان الله يقول: " وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم).
- وعنه (عليه السلام) - ليعقوب بن قيس -: (يابن قيس (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) عنى أبناء الموالي المعتقين).

القصة:

حُكي أنّ رجلاً جلس يأكل يوماً هو وزوجته، وبين أيديهما دجاجة مشويّة ، فوقف سائل ببابه فخرج إليه، و انتهره فذهب ، و اتّفق بعد ذلك أنّ الرّجل افتقر، وزالت نعمته، وطلّق زوجته، وتزوّجت بعد برجل آخر، فجلس يأكل معها في بعض الأيّام ، وبين أيديهما دجاجة مشوّية ، وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرّجل لزوجته: ادفعي إليه هذه الدّجاجة. فخرجت إليه بها، فإذا هو زوجها الأول، فدفعت إليه الدّجاجة ورجعت وهي باكية، فسألها زوجها عن بكائها ، فأخبرته أنّ السائل كان زوجها، وذكرت له قصّتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأوّل. فقال لها : أنا .والله .ذلك السائل.

.....

المحاضرة (١٩) **بعنوان**: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [هود: ٦١] الإسلام وإعمار الحياة

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

في معنى الاستعمار:

قال تعالى (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (هود٦١) هذه الفقرة من الآية تبيّن واحدة من قواعد الرؤية القرآنية لدور الانسان في الحياة وعلاقته بما حوله، فتكون أساسا ومنطلقا لسلوكه وبرنامجه في الحياة.

(استعمر) على صيغة استفعل والمعروف في معناها انها طلب الفعل كقولك (استخرج) أي طلب الإخراج، ويمكن ان يكون لها عدّة معانٍ اخرى، فتأتي بمعنى الفعل الثلاثي المجرد نحو (استقرَّ) أي قرّ، وغير ذلك. فيكون معنى الآية أن الله تعالى خلقكم من الأرض واستعمركم فيها أي طلب منكم اعمارها وفوّض اليكم أمر إصلاحها والانتفاع بها، أو أنه تعالى عمّركم فيها أي جعل لكم أعماراً مديدة فيها لأن إعمار الأرض يحتاج الى عمر مديد، ولو كانت الأعمار قصاراً لما استطعنا إنجاز شيء، ويمكن أن يكون (استعمركم) بمعنى أنه تعالى اعطاكم قدرات وجعلكم بوضع تقدرون فيه على الإعمار.

والعمارة نقيض الخراب، وهي تعني جعل الشيء واستعماله على النحو الذي ينتفع به ويحقق الغرض منه، وهي لكل شيء بما يناسبه من ذلك، (فالعمارة تحويل الأرض الى حال تصلح بها أن يُنتفع من فوائدها المترقّبة منها كعمارة الدّار للسُكنى والمسجد للعبادة والزرع للحرث والحديقة لاجتناء فاكهتها والتنزه فيها، والإستعمار هو طلب العمارة بان يطلب من الإنسان أن يجعل الأرض عامرة تصلح لأن ينتفع بما يطلب من فوائدها)[١٨٢].

([١٨٢]) الميزان: ٢٩٨/١٢.

إعمار الأرض:

ولأن الغرض من وجودنا على هذه الارض إعمارها فان وظيفة كل فرد هو اعمارواصلاح ما يقع في دائرة مسؤوليته، فربّ الاسرة يعمر اسرته ومدير المدرسة يعمر طلابه، والقائد يعمر اتباعه ومريديه وهكذا القائد السياسي، لذا جعل امير المؤمنين (عليه السلام) من الوظائف المهمة للحاكم عمارة الأرض، قال (عليه السلام) في عهده الذي كتبه لمالك الأشتر لمّا ولاّه مصر: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك الاّ بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارةٍ أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقمْ أمرُه الاّ قليلاً)، وقال (عليه السلام): (ولا يثقُلن عليك شيءٌ خفّفت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك)[١٨٣].

ملاحظات وتفسيرات:

ويمكن ملاحظة عدة امور في الآية:

١- إن الله تعالى يذكّر عباده بنعمه العظيمة عليهم وذلك لأنه خلقهم من نفس هذه الأرض مباشرة –كخلقه لآدم (عليه السلام)- أو انه خلق الانسان من نفس عناصر الأرض ومكوناتها وغذائها ومع ذلك فانه أعطاهم هذا التكريم العظيم وفضّلهم على مخلوقاته ومكّنهم من هذه الأرض ليعمروها واستخلفهم عليها كجنس بشري أو كأفراد باعتبار أنهم يخلفون من سبقهم في التملّك والاستيلاء والاعمار.

٢- وفي الآية بيان لحقيقة اعتقادية وزجرٌ وتوبيخٌ وردع للذين تركوا عبادة الله تعالى وأطاعوا أهواءهم وزيّن لهم الشياطين عبادة آلهة وهمية من دون الله تعالى، فيلفت نظرهم الى أن فعلهم مثيرٌ للسخرية حين مكّنهم الله تعالى من الأرض واستعمرهم فيها والآية تفيد الحصر بـ(هو) أي أنه تعالى وحده الذي أنشاءكم وهيأكم لأن تنتفعوا بهذه الأرض بما ينفعكم في حياتكم وتحتاجون اليه ولا تحتاجون الى غيره تعالى، لكن المؤسف أن هؤلاء البشر يتسافلون ويجعلون مما صنعت ايديهم آلهة يعبدونها، ويعتبرونها اربابا تدّبر شؤونهم من الرزق والحياة والضر والنفع باعتبار انهم لا يناقشون حقيقة ان الله تعالى هو الخالق (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (لقمان٢٥) لكنهم يعتقدون انه سبحانه فوّض تدبير شؤون الكون الى اولئك الارباب الوهميين، فالآية تدعوهم الى ان يثوبوا لرشدهم لان تلك الارباب لو كانت مدبرة لشؤونكم لكان لها دور في تهيئة مستلزمات الحياة في الارض والسماء والهواء والشمس وكل شيء، و انتم تعترفون بانها لا يد لها في ذلك كله لذا جاء بعد هذه الفقرة من الآية مباشرة الأمر بالاستغفار والتوبة من هذه الاوهام والخيالات الفاسدة.

٣- إن الله تعالى فوّض أمر إعمار الأرض الى الانسان وهيّأ له الوسائل والظروف التي تعينه على ذلك وطلب أن يفكّر ويبحث ويسعى وينتج، وبدون ذلك لا يحصل إعمار ولا يستفيد من منابع الرفاه والسعادة الموجودة في هذه الأرض ويكون من الخاسرين، فلا اتكالية ولا تقاعس ولا كسل و إنما لابد من العمل والله تعالى يبارك فيه ويؤتي ثماره بلطفه.

٤- بما أن الإنسان مأمور بان يتخلّق بأخلاق الله تعالى[١٨٤] كما في الحديث الشريف وفي الآية الكريمة (وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ) (النحل٦٠) ونحن مأمورون بأن نُقيم الدين والسنن الإلهية وهذا يوجب علينا أن نعطي الفرصة الكاملة لكل فرد أو مؤسسة أو مجتمع ونهيئ الأسباب والإمكانيات لكي يعمّروا الأرض بالحياة وينتفعوا من الخيرات المتاحة لهم على كلِّ الأصعدة سواء على الصعيد العلمي او الإقتصادي او السياسي أو الديني أو الإجتماعي وغير ذلك،

---

(١٨٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٩١.

(١٨٤) ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) تخلَّقوا بأخلاق الله. بحار الأنوار: ج ٦١، ب ٤٢، ص ١٢٩

بالتصويت لهم اذا توقفت المسالة على الانتخاب، او بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب بالتعيين او بتقديم الدعم المادي والمعنوي لأي مشروع مثمرٍ او فكرة مفيدة او مؤسسة نافعة ونحو ذلك.

٥- إن الإستعمار مصطلح قرآني مثمر و إيجابي ويُغني الحياة بالخير، لكن الدول المستكبرة اختطفته وحوّلته الى معنى معاكس يتضمن القتل والتدمير والخراب والاستحواذ على ثروات الشعوب وتجويعهم والاستيلاء على زمام الامور في بلدانهم، ككثير من المصطلحات التي شوهوها كالحرية التي تعني الانعتاق من اغلال الاهواء والشهوات والتعصّب والعبودية الخالصة لله تعالى فأصبحت تعني عندهم الانفلات من كل الضوابط الاخلاقية أو السياسة التي تعني رعاية مصالح البلاد والعباد وصلاح امورهم ونصف أئمتنا (عليهم السلام) بها كما ورد في الزيارة (يا ساسة العباد) وهكذا، لكنهم وظّفوها لمآربهم الخبيثة المعادية للإنسانية.

٦- ولابد من الإلتفات الى الجوانب المعنوية للإعمار لأن الله تعالى أنشأ لنا هذه الأبدان لتكون وسيلة لتكامل النفس والعقل وسمو الرّوح، فالبدن هو أرض النفس الذي أنشأه الله تعالى لإعمارها بطاعة الله تعالى وعلى هذا فان إعمار الأرض لابد أن يكون مقترنا بنية التقرب الى الله تعالى لأن الإعمار الحقيقي هو ملئ القلب بحب الله تعالى وذكره وتحلية النفس بالفضائل وتهذيبها من الرذائل والأغلال والآصار، فالأمر بالإعمار إنما يُراد منه تهيئة أسباب الطاعة والتمكين منها. أذ كلّما كانت الأسباب المساعدة على الطاعة متوفرة كان إقبال النفس عليها أكثر فعوالم الإنسان مترابطة، كما قيل في المثل المشهور: (العقل السليم في الجسم السليم). وكما ان الارض مستودع لكثير من الخيرات وعلى الانسان ان يستصلحها ويستعمرها ليستخرجها، فكذلك طاقات الانسان لا حدود لها لو احسن تفجيرها، وتشهد وقائع كثيرة بذلك كقلع امير المؤمنين (عليه السلام) لباب خيبر التي عجز اربعون شخصا عن حملها. وخذ مثالا قريبا من مسيرة الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) حين يقطعون مسافة اكثر من (٥٠٠) كيلومترا مشيا في ظروف جوية قاسية وتهديدات ارهابية جديّة من دون اصطحاب طعام او فراش، فحبّهم للحسين (عليه السلام) وولاؤهم للنبي(صلى الله عليه وآله) واله فجّر طاقات يجدونها مستحيلة التحقق في غير هذا الحافز، وكسير بعض الاخوة ٢٠٠٠ كيلومترا من الامامين الكاظمين (عليهما السلام) الى مشهد الامام الرضا (عليه السلام) في ارض مجهولة لهم وظروف جوية صعبة ويمرّون بمناطق فيها وحوش مفترسة.

٧- إن الله تعالى خلقنا من الأرض، فالأرض سابقة بوجودها علينا، وقد سخّرها الله تبارك وتعالى لنفعنا (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأرض جَمِيعاً) (البقرة٢٩) فنِعمُ الله تعالى سابقةٌ على وجودنا وهو جلّت آلآؤه المبتدئ بالفضل وبالنعم، والدرس الذي نستفيده هو أن نبادر نحن بالعطاء للأخرين قبل أن نتوقع منهم تقديم شيء من الخير.

٨- ما دام معنى اعمار الارض يتحقق بجعلها على نحو مثمر ينتفع به، كما تقدم في التعريف فإذن هو يشمل كل نواحي الحياة لكلٍ بحسبه، فهناك الإعمار السياسي والإقتصادي والإجتماعي والزراعي والعلمي وغير ذلك، لأنها كلها تساهم في تحقيق هذا المعنى فكأن الإعمار مرادفٌ للإصلاح أو هو نتيجته.

الإصلاح الحسيني في كل اتجاهات الحياة:

لذلك فإن شريعة الاسلام وهي خاتمة الشرائع الالهية واكملها لم تكتف بالإعمار والاصلاح الديني وانما عمّت بقوانينها واحكامها كل شؤون الحياة وقضايا الناس، وقد عبَّر الامام الحسين (عليه السلام) وارث الانبياء وحامل رسالاتهم كلها عن هذا المشروع الإعماري الشامل وأشار في كلماته الشريفة الى كل هذه المجالات. ففي مجال الاعمار والاصلاح الديني قال (عليه السلام)(وإنّي لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً ، ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً ، وإنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمَّة جَدِّي(صلى الله عليه وآله) . أريدُ أنْ آمُرَ بالمعروفِ وأنْهَى عنِ المنكر، وأسيرُ بِسيرَةِ جَدِّي ، وأبي علي بن أبي طَالِب عليهما السلام)[١٨٥]. وفي مجال الاعمار القانوني قال (عليه السلام) (وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي

(١٨٥) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) ص ٣٥٤.

وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد). [١٨٦] أي ان هؤلاء الطغاة عطّلوا العمل بالدستوروالقانون فالإمام (عليه السلام) يدعوهم الى العودة الى العمل بالدستور–وهو القرآن- والقوانين المبيّنة له –وهي السنة الشريفة-. وفي مجال الاعمار السياسي وبيان صفات المستحقين للإمامة والقيادة وولاية امور الأمة قال (عليه السلام) (فلعمري ما الإمام الا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات لله)[١٨٧].

كل الخراب نتيجة لتولي قادة الزور على مقدرات الشعوب:

واعتبر (عليه السلام) سبب الخراب والفساد الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي والديني وضياع الحقوق والعدالة يرجع الى ولاية القادة غير الشرعيين لأمور الناس قال (عليه السلام) بعد ان حمّله كل افراد الامة مسؤولية التغيير: (مَن رأى سُلطاناً جائِراً مُستحلاً لحرم الله، أو تاركاً لعهد الله، ومُخالِفاً لسنّةِ رسولِ الله(صلى الله عليه وآله)، فَعَمِلَ في عبادِ الله بالإثمِ والعدوانِ، ثم لم يُغيّرْ عليهِ بقولٍ ولا فعلٍ، كان حَقّاً على الله أن يُدخِله مَدخلَه) قال (عليه السلام) في تحليله (وقد عَلمتُم أنَّ هؤلاء لَزِموا طاعةَ الشيطانِ وتَولَوا عن طاعةِ الرحمنِ، وأظهرُوا الفسادَ وعطلّوا الحدودَ واستأثَروا بالفيء، وأحَلّوا حرامَ اللَّهِ وحَرَّموا حلالَهُ، و أنا أحقُّ من غيري بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله(صلى الله عليه وآله)[١٨٨].

وفي رواية اخرى (و أنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا)[١٨٩]. وهذا بعينه هو مشروع الامام المهدي المنتظر(عجل الله تعالى فرجه الشريف) وقد أدخره الله تعالى لإقامة الحق والعدل وارساء قواعد الدولة الكريمة العامرة بالخيرات والبركات والعزة والكرامة، كما ورد في دعاء الافتتاح لليالي شهر رمضان المبارك (اَللّهُمَّ إِنّا نَرْغَبُ اِلَيْكَ في دَوْلَة كَريمَة) ، ولا تكون الدولة كريمة الا اذا سادها الاعمار والاصلاح في جميع المجالات.

ما الذي استفدناه من النهضة الحسينية؟

..فدرجة استفادتنا من النهضة الحسينية المباركة يحددها مقدار نجاحنا في انجاز الرسالة الحسينية المباركة وتحقيق الاعمار في نواحي الحياة الانسانية الكريمة. وهي نفس الدرجة التي نستحقها في اختبار التمهيد للظهور المبارك للإمام المهدي (عليه السلام) لأن الرسالة واحدة والغرض واحد، فلنراجع انفسنا ونقّيم افعالنا بدقة ولا نكون من الغافلين المخدوعين ببعض الشكليات والعناوين المزوّقة والطقوس المتخلّفة لنقنع انفسنا باننا قد احيينا شعائر الحسين (عليه السلام) وهي لا تزيد الا بعدا عن الامام الحسين (عليه السلام) وأهدافه المباركة لأنها تساهم في تجهيل الناس وتسطيح عقولهم وهو مخالف لما أراده الامام (عليه السلام) كما ورد في زيارته المخصوصة أنه (بذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة).

الربط العزائي (الكورين):

فعلينا أن نثمن تضحيات الإمام الحسين(عليه السلام) وجهاده في سبيل الله وأن لا نتاجر بدمه الطاهر الذي بذله لأجل الدين وإحقاق الحق، فهو (عليه السلام) لم يكتفِ بتقديم أولاده وأهل بيته وأصحابه بل قدم حتى مهجة قلبه لأجل ذلك، تقول الرواية بعدما بقي الإمام الحسين(عليه السلام) وحيداً: لم يزل (عليه السلام) يقاتلهم حتى حالوا بينه وبين رحله. فصاح بهم: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون».

---

(١٨٦) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) ص ٣٨٣.

(١٨٧) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) ص ٣٧٩.

(١٨٨) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) ص ٤٥٧.

(١٨٩) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) ص ٤٠٨.

قال: فناداه الشمر: ما تقول يابن فاطمة؟ قال: «أقول: أنا الذي أقتاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا أعتاتكم وجهالكم وطغاتكم من التعرض لحرمي ما دمت حياً». فقال شمر: لك ذلك يا بن فاطمة. وقصدوه بالحرب، فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه، وهو مع ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجد، حتى أصابه اثنتان وسبعون جراحة. فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف اذ أتاه حجر، فوقع على جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته، فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب، فوقع على قلبه، فقال (عليه السلام): «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله». ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره». ثم أخذ السهم، فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كأنه ميزاب، فضعف عن القتال ووقف، فكلما أتاه رجل انصرف عنه، كراهية أن يلقى الله بدمه. حتى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر لعنه الله، فشتم الحسين وضربه على رأسه الشريف بالسيف، فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه وامتلأ البرنس دماً.

شواهد مُعزِزة أخرى:

الروايات الشريفة:

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) - وقد سأله أبو ذر عن كيفية عمارة المساجد -: (لا ترفع فيها الأصوات، ولا يخاض فيها بالباطل، ولا يشترى فيها ولا يباع واترك اللغو ما دمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومن يوم القيامة إلا نفسك).
- عن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام): (فضيلة السلطان عمارة البلدان).
- وعنه(عليه السلام): (إنكم إلى عمارة دار البقاء أحوج منكم إلى عمارة دار الفناء).
- وعنه(عليه السلام): (من وجد ماءً وتراباً ثمّ افتقر فأبعده الله).
- عنه(عليه السلام): إنّ معايش الخلق خمسة: (الإمارة، والعمارة، والتجارة، والإجارة، والصدقات... وأمّا وجه العمارة فقوله تعالى: هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا، فأعلمنا سبحانه أنّه قد أمرهم بالعمارة؛ ليكون ذلك سبباً لمعايشهم بما يخرج من الأرض؛ من الحبّ، والثمرات، وما شاكل ذلك، ممّا جعله الله معايش للخلق).[١٩٠]
- الإمام الباقر(عليه السلام): (إنّ عليّاً (عليه السلام) كان يكتب إلى أُمراء الأجناد: (أنشدكم الله في فلّاحي الأرض أن يُظلموا قِبلَكم)).

الشعر:

قال الشاعر:

توكّل على الرّحمان في الأمر كلّه ولا ترغبنّ في العجز يوماً عن الطّلب
ألم ترَ أنَّ الله قال لمريم وهُزّي إليك الجذع يُساقط الرّطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزّه جنته ولكن كلّ رزق له سبب

وقال أحمد شوقي:

أيها العمال افنوا العمر** كدا واكتسابا
واعمرا الأرض فلولا** سعيكم أمست يبابا
إن لي نصحا إليكم** إن أذنتم وعتابا

---

١٩٠ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، الشيخ محمد الريشهري.

في زمان غبي النا ** صح فيه أو تغابى
أين أنتم من جدود ** خلدوا هذا التربا
قلدوه الأثر المعجز ** والفن العجابا
اتقنوا الصنعة حتى ** أخذوا الخلد اغتصابا

القصة:

يُحكى أنّ شقيقاً البلخي خرج في رحلة تجاريّة ، يضرب في الأرض ويبتغي من فضل الله تعالى ، وقبل سفره ودّع صديقه الزاهد المعروف (إبراهيم بن أدهم) ، حيث توقّع أن يمكث في رحلته مدّة طويلة ، ولكن لم تمضِ إلاّ أيّام قليلة حتّى عاد شقيق ، ورآه إبراهيم في المسجد ، فقال له .مُتعجّباً .: ما الذي عجّل بعودتك ؟!

قال شقيق : رأيت في سفري عجباً ، فعدلت عن الرّحلة . قال إبراهيم : خيراً ، ماذا رأيت ؟

قال شقيق : آويت إلى مكان خرب لأستريح فيه ، فوجدت به طائراً كسيحاً أعمى وعجبت ، وقلت في نفسي : كيف يعيش هذا الطائر في هذا المكان النائي ، وهو لا يُبصر ولا يتحرّك ؟! ولم ألبث إلاّ قليلاً ، حتّى أقبل طائر آخر يحمل له الطعام في اليوم مرّات حتّى يكتفي ، فقلت : إنّ الذي رزق هذا الطائر في هذا المكان ، قادر على أن يرزقني . وعدت من ساعتي .

قال إبراهيم : عجباً لك يا شقيق ! لماذا رضيت لنفسك أن تكون بمنزلة الطائر الأعمى الكسيح ، الذي يعيش على معونة غيره ، ولم ترضَ لها أن تكون بمنزلة الطائر الآخر ، الذي يسعى على نفسه وعلى غيره من العميان والمقعدين ؟! أما علمت أنّ اليد العُليا خير من اليد السُّفلى ؟!

.....

المحاضرة (٢٠) **بعنوان**: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ)[هود : ٨٨]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

الإصلاح رسالة الأنبياء جميعاً:

الحسين(عليه السلام) وارث الأنبياء جميعاً بحسب ما نطقت به الزيارة المشهورة المروية عن الأئمة عليهم السلام والمعروفة بزيارة (وارث) وعنده اجتمعت رسالات الأنبياء جميعاً {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً} (الأحزاب٣٩). وماذا كانت رسالات الأنبياء، لقد لخّصها نبي الله شُعيب(عليه السلام) في قوله تعالى {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود/٨٨)، هذه هي رسالة الأنبياء جميعاً (الإصلاح) وان تنوعت آليات عملهم واختلفت شرائعهم من حيث الاجمال والتفصيل، لكن ما أجمله النبي السابق فصّله النبي اللاحق، وما فصّله النبي اللاحق يرجع في أصوله إلى ما أجمله السابق (صلوات الله عليهم أجمعين). واختتمت هذه الرسالات برسالة الإسلام التي بلّغها النبي(صلى الله عليه وآله)وواصلها من بعده أمير المؤمنين(عليه السلام) {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} (المائدة/٦٧) يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) >اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطّلة من حدودك<[١٩١].

([١٩١]) نهج البلاغة الخطبة ١٣١.

خرجت لطلب الإصلاح:

فهدف الأنبياء والأئمة (صلوات اللهم عليهم) هو (الإصلاح) ولما كان الإمام الحسين(عليه السلام) قد ورثهم جميعاً فمن الطبيعي أن تكون رسالته(عليه السلام) ومشروعه هو (الإصلاح) وقد عبّر(عليه السلام) عن ذلك صريحاً في خطاباته التي عرّف من خلالها بأهداف خروجه المبارك، وسجّله في وصيته التي دوّنها وختمها وأودعها عند أخيه محمد بن الحنفية، ومما جاء فيها >إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً و إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي(صلى الله عليه وآله)أريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي و أبي علي بن أبي طالب(عليه السلام)<[١٩٢].

ومن خطبته على الحر الرياحي وأصحابه لمّا وصل (البيضة) قوله(عليه السلام) >ألا وأنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، و أنا أحقّ من غيّر<[١٩٣].

ويظهر من كلمة أمير المؤمنين(عليه السلام) وولده الإمام الحسين(عليه السلام) التواصل والتطابق في الهدف، وإنّ الاصلاح الذي سعى إليه المعصومون(عليهم السلام) وتحمّلوا مسؤوليتهم وبذلوا وسعهم لتحقيقه هو مشروع متكامل لا يختص بالأمور الدينية (أي الوعظ و الإرشاد وتعليم أحكام الدين وإن كان هذا هو الأساس) بل يشمل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، فيقضي على الفساد المالي والإداري ومنع الاستئثار بالأموال العامة وحرمان الشعب من حقوقهم، و إقامة النظام العادل الذي ينصف الناس جميعاً وينتزع حق المظلوم من ظالمه، ويطبّق الحدود والقوانين.

تمام الصلاح بإصلاح القيادة الدينية والسياسية:

و إنّما يتم الصلاح ويكمل ويبلغ غايته عندما تصلح قياداته الدينية والسياسية، وتفسد الأمة إذا فسدت مؤسسته الحاكمة ولم تقم القيادة الدينية بواجباتها ومسؤولياتها، روي عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: >صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال: الفقهاء والأمراء<[١٩٤]. ومن دون مباشرة هذا المدى الواسع من الإصلاح تبقى حركته محدودة ومحجّمة وربما تذوب تدريجياً، تصوروا لو أن دعوة النبي(صلى الله عليه وآله)إلى الإسلام بقيت في حدود مكة وتحت قبضة وبطش طواغيت قريش فإن المؤمنين بها سوف لا يزيدون عن العشرات الذي آمنوا فقتل بعضهم وهُجِّر البعض الآخر إلى الحبشة وحوصر النبي(صلى الله عليه وآله) ومن معه في شعب أبي طالب(عليه السلام) لكنّ النبي(صلى الله عليه وآله)كان يسعى لتوسيع دعوته وعرض نفسه على قبائل العرب حتى بايعه نفر من الأوس والخزرج في بيعة العقبة الأولى وأخذ منهم المواثيق على الطاعة والنصرة في بيعة العقبة الثانية وأرسل معهم الشهيد مصعب بن عمير لتعليمهم الدين ثم هاجر(صلى الله عليه وآله) وأسس دولته المباركة لينشر الإسلام العظيم إلى كل الدنيا.

لا مكان للإنزواء في النهضة الحسينية:

أما ما دأبت عليه مرجعيات كثيرة على مدى قرون ومقلّدوهم من الإنزواء والانكماش والسلبية والعزوف عن العمل بالآليات الممكنة لإيجاد بيئة مشجّعة على الدين والصلاح فإنه تقصير غير مبرَّر وله عواقب وخيمة فلابد من استثمار كل فرصة لإيجاد هذه البيئة بل صنع الفرصة لها وليس انتظارها لاستثمارها. لذا لم يجد الإمام الحسين(عليه السلام) لنفسه عذراً في القعود عن تصحيح وضع السلطة الحاكمة ومعالجة انحرافاتها بكل ما أتاه الله، فجاد بنفسه الشريفة وبأهل بيته

---

(١٩٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٢٩.

(١٩٣) تاريخ الطبري: ٤/ ٦٠٥، الكامل في التأريخ: ٣/ ٢٨٠.

(١٩٤) الخصال: ٣٦ باب الاثنين.

وأصحابه، وعَرَّض حُرَمَ رسول الله(صلى الله عليه وآله) للسبي بيد الأعداء من بلدٍ إلى بلد، وكان يمكنه الاكتفاء بموقعه الديني وامتيازاته التي يحظى بها في المجتمع ويكتفي بالحد الأدنى من العمل، لكنّه(عليه السلام) وهو سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله)وريحانته ووارثه، أصرَّ على اللحاق بركب جده المصطفى صلى الله عليه وآله، قال(عليه السلام) في خطبته على الحرّ وجيشه >أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله)يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله<. وهذا بابٌ ينفتح منه ألفُ باب للحديث عن علاقة العلماء بالسلطة ودورهم في العملية السياسية وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموقع الأمة من كل ذلك وغيره مما لا يسع الحديث لبيان تفاصيله الآن[١٩٥].

صلاح النفس قبل الإصلاح، وكيفية اصلاح النفس:

ولابد لمن يتصدى لهذه المسؤولية أن يبدأ بإصلاح نفسه ويجعل من نفسه فرداً صالحاً قال تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد/١١)، وقد دلّنا أمير المؤمنين(عليه السلام) على آليات الإصلاح في ميدان النفس وعناصر النجاح في هذه العملية فهي تحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى توفيق من الله تعالى، قال(عليه السلام): (التوفيق قائد الصلاح).[١٩٦] ثمّ إلى تقوى من العبد، قال(عليه السلام): (التقوى مفتاح الصلاح). وإلى مداومة على ذكر الله تعالى، قال(عليه السلام): (أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله)، وقال(عليه السلام): >مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح<. وتحتاج إلى مجاهدة للنفس لضمان الاستمرار على العناصر المتقدمة والمحافظة عليها، قال(عليه السلام): (في مجاهدة النفس كمال الصلاح).

خطوات عملية للصلاح:

وهناك خطوات عملية تساعد على إصلاح الباطن، منها:

١- مصاحبة المؤمنين الأخيار الصلحاء، قال(عليه السلام): >أكثرُ الصلاح والصواب في صحبة أولي النهى والألباب<.
٢- مداراة الناس والرفق بهم واللطف معهم، قال(عليه السلام): >الرفق لقاح الصلاح وعنوان النجاح، وقال(عليه السلام) عوّد نفسك السماح وتجنّب الإلحاح يلزمك الصلاح<.
٣- تجنب معاشرة أهل الدنيا والغفلة عن الله تبارك وتعالى، قال(عليه السلام) >في اعتزال أبناء الدنيا جِماع الصلاح<.
٤- عدم الاكثار من المباحات ككثرة الطعام والشراب والنوم ونحوها قال(عليه السلام): >إذا ملئ لبطن من المباح عمي القلب عن الصلاح<.
٥- تجنّب الصفات المذمومة كالكذب وإيذاء الناس، قال(عليه السلام): >أبعد الناس عن الصلاح الكذوب وذو الوجه الوقّاح<.
٦- محاسبة النفس وتدارك ما فاته من تقصير وخلل وردّ المظالم إلى أهلها وقضاء ما فات، قال(عليه السلام): >حسن الاستدراك عنوان الصلاح<.

السعي الحثيث لتحقيق الأهداف الحسينية:

هذه هي رسالة الإمام الحسين(عليه السلام) وارث الأنبياء، فمن أحبَّ نصرته في كل زمان ومكان واللحاق بأصحابه فليمضي على ما مضى عليه(عليه السلام) وليدخل السرور على قلبه الشريف بالسعي الحثيث لتحقيق الهدف من رسالته، على هذا النحو من الوعي وهذه المعرفة. لكن مع الالتفات إلى ما نبهنا عليه مراراً من الدعوة إلى هذا المستوى من فهم النهضة الحسينية، لا يعني إلغاء الأنماط الأخرى من التعاطي معها كالشعائر التي يؤديها عامة الناس ما دامت منضبطة بالحدود الشرعية. لأن

---

(١٩٥) حُرر هذا البحث في كتاب (فقه المشاركة في السلطة) والمجلد الثاني من كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

(١٩٦) الحديث وما بعده في غرر الحكم وصفحاتها على الترتيب ٢٥، ٤١، ١٦٠، ٦٦١، ٤٦٩، ثمّ ١٦٢، ٧٩، ٤٤٩، ٤٧١، ١٧٠، ٣١٠، ٣٦٥.

لكل فئة مستواها من التربية والسير في طريق الكمال، ولا يحق لأحد أن يسقط الآخر.

الربط العزائي (الكورين):

لقد تجلّت هذه الأهداف في فكر سيد الشهداء (عليه السلام) وفي عمله أيضاً، وكذلك لدى أنصاره و أتباعه. ومن جملة خطب الإمام الحسين (عليه السلام) المعبرة عن أهدافه، هي قوله: (..إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي، أريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي و أبي علي بن أبي طالب) وكتب إلى وجوه أهل البصرة: (أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإنّ السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت فإن تسمعوا قولي أهدِكم سبيل الرشاد) وأرسل مع مسلم بن عقيل كتاباً إلى أهل الكوفة حدّد فيه رسالة الإمامة بما يلي: (..فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام..) وفي كربلاء خطب بأنصاره قائلا: (ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً).

وبالفعل تفانى أصحابه في نصرته والذود عن أهداف الإمام الحسين(عليه السلام) الإصلاحية.. فهذا سعد بن حنظلة التميمي، برز وقاتل قتال الأسد الباسل، وبالغ في الصبر على الخطب النازل، حتى سقط صريعاً بين القتلى وقد اثخن بالجراح، فلم يزل كذلك وليس به حراك حتى سمعهم يقولون: قتل الحسين فتحامل، وأخرج سكّيناً من خُفّه وجعل يقاتلهم بها حتى قتل.

ثم برز جابر بن عروة الغفاري، وكان شيخاً كبيراً قد شهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بدراً وحنيناً، فجعل يشدّ وسطه بعمامة، ثم شدّ جبينه بعصابة ثم رفعهما عن عينيه والحسين ينظر إليه ويقولك شكر الله سعيك يا شيخ، فبرز وقاتل حتى قتل ثمانين رجلاً، ثم قتل.

وبرز عبد الله وعبد الرحمن الغفاريان فقالا: السلام عليك يا أبا عبد الله أحببنا أن نقتل بين يديك فقال (عليه السلام): مرحباً بكما أدنوا مني؛ فدنوا منه وهما يبكيان فقال: يا بني أخي ما يبكيكما؟ فوالله أني ارجوا أن تكونا بعد ساعة قريري العين؟ فقالا: جعلنا الله فداك والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك، نراك قد أحيط بك ولا نقدر أن ننفعك، فقال الحسين: جزاكما الله يا بني أخي بوجدكما ومواساتكما إيّاي بأنفسكما أفضل جزاء المتقين، ثم استقدما وقالا: السلام عليك يابن رسول الله، فقال: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته، وقاتلا حتى قتلا.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا).
- عنه (عليه السلام) - لمفضل -: (إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا أبا أيوب، ألا اخبرك وأدلك على صدقة يحبها الله ورسوله ؟ تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتباعدوا).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (المصلح ليس بكاذب).
- عنه (عليه السلام): الكلام ثلاثة: (صدق وكذب وإصلاح بين الناس... تسمع من الرجل كلاما يبلغه فتخبث نفسه، فتلقاه فتقول: سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه).
- فلسفة الحكم عند أهل البيت (عليهم السلام) - الإمام علي (عليه السلام): (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا

منافسة في سلطان، ولا التماس شئ من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك).

- الحسن الصيقل: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): (إنا قد روينا عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول يوسف (عليه السلام): (أيتها العير إنكم لسارقون) فقال: والله ما سرقوا وما كذب، وقال إبراهيم (عليه السلام): (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)؟ فقال: والله ما فعلوا وما كذب. قال: فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ما عندكم فيها يا صيقل ؟ قال: فقلت: ما عندنا فيها إلا التسليم، قال: فقال:... إن إبراهيم (عليه السلام) إنما قال: (بل فعله كبيرهم هذا) إرادة الإصلاح ودلالة على أنهم لا يفعلون، وقال يوسف (عليه السلام) إرادة الإصلاح).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله) - لرجل من ثقيف -: (يا أخا ثقيف ! ما المروءة فيكم ؟ قال: يا رسول الله الإنصاف والإصلاح، قال: وكذلك هي فينا).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (من دين الأئمة الورع والعفة والصلاح... و انتظار الفرج بالصبر).
- الإمام زين العابدين (عليه السلام): (مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح).
- الإمام علي (عليه السلام): (أبعد الناس عن الصلاح المستهتر باللهو).
- وعنه (عليه السلام): (أقرب النيات بالنجاح أعودها بالصلاح).
- الإمام السجاد (عليهما السلام): (مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروة وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

إن المكارم كلها لو حصلت ... رجعت جملتها إلى شيئينِ
تعظيم امر الله جل جلاله ... والسعي في اصلاح ذات البينِ

وقال آخر:

فإذا دعتْكَ إلى الخطيئةِ شهوةٌ فاجعلْ لطَرفِكَ في السَّماءِ سَبيلا
وخفِ الإلهَ فإنَّه لكَ ناظرٌ وكفى بِربّكَ زاجرًا وسؤولا
ماذا تقولُ غدًا إذا لاقَيتَهُ بصغائرٍ وكبائرٍ مسؤولا
لا تركَنَنَّ إلى الرجاءِ فإنَّهُ خَدَعَ القلوبَ وضلَّل المعقولا

ج) القصة:

نُقل في المجالس، أنّ الهلول العباسي مرّ بهارون الرّشيد، وقد بنى قصراً جديداً ، فقال للهلول: اكتب شيئاً على حائط هذا القصر. فأخذ الهلول قطعة من الفحم وكتب: رفعت الطّين ووضعت الدّين، ورفعت الجصّ ووضعت النصَّ، فإن كان من مالك فقد أسرفت، والله لا يُحبّ المُسرفين ، وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت، والله لا يُحبّ الظالمين.

.....

المحاضرة (٢١) بعنوان: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) [الحج: ١١] عدم الثبات على الحق

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج/١١) تصف الآية صنفاً من الناس موجودا في كل زمان، ظاهره متديّن يتكلّم بالدين ويمارس المظاهر الدينية لقوله تعالى في وصف هذا الصنف انه (يَعْبُدُ اللَّهَ) لكن تدينه قلق غير مستند إلى قاعدة متينة و انما هو كالو اقف على حافة الهاوية ويمكن ان يسقط فيها في أي لحظة لأنه ينظر الى الدين من زاوية واحدة ويتعامل معه بمقياس واحد هو مقياس مصالحه والفو ائد التي يجنيها من هذا الدين،(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاه) (الجاثية/٢٣) وإن لم ينتفع منه تركه وتخلى عنه الى غيره حيث يظن وجود المصلحة والمنفعة.

(فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) فإن حصل على نفع دنيوي من مال أو جاه أو منصب أو أي امتيازات يسعى اليها الناس في الدنيا رضي بهذا الدين واستمر عليه وهو في الحقيقة اطمئنان ورضا بمصالحه، (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) أي تعرض لصعوبات الابتلاء والامتحان (انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) بأن يرجع الى حرفه الذي يعبد الله تعالى عليه والوجه الذي كان ينظر من خلاله الى طاعة الله تعالى ويترك هذا الدين وينبذه ويرفضه، ولم يقل تعالى (وإن أصابه شر) لأن ما أصابه قد يكون خيراً إما في العاجل أو الآجل من الدنيا أو الآخرة، ولكنه لنظرته الضيقة الى الامور ولأنانيته وعدم امتلاكه البصيرة والرؤية الصحيحة للأمور اعتبر ما حصل شراً فانقلب على وجهه، وكأنه هو الذي يعرّض الدين للاختبار، فإن جلب له المنفعة كان صدقاً وحقاً والا فلا.

مثلاً انضم الى جماعة المتدينين للحصول على منصب أو مال أو وجاهة اجتماعية فلمّا لم يحصل عليها رفض الدين ، ولعل حرمانه من هذه الامور خير له، لأنه لا ينجح في امتحانها، لكن مدى تفكيره محدود فكانت نتيجته (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)، لأنه حُرِمَ من الدنيا التي كان يسعى للحصول عليها فتنة من الله تعالى له وبقلقه واضطر ابه و انفعاله وعدم استقرار حاله، وخسر الآخرة بتركه لسبب السعادة والفلاح وهو الدين.

وهذا الوصف لحاله في الدنيا سيتجسد على أرض الو اقع والحقيقة في الاخرة حيث تبلى السر ائر وتنكشف البواطن على حقيقتها وأشارت الرو ايات الى ذلك حين وصفت الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحدّ من السيف وإن من الناس من يعبره الى الجنة كالبرق الخاطف وآخر ركضاً وآخر زحفاً بحسب استحقاقاتهم وآخر يتمايل عليه ولا يستقر ثم يهوي منه في نار جهنم لان الصراط ممدود عليها، فهذا الصنف الاخير هو من كان في الدنيا قلقاً في تدينه غير مستقر وينقلب عن الدين إذا اصيب بابتلاء وهذا معنى سقوطه في جهنم.

روى في الدر المنثور عن أبي سعيد قال (أسلم رجل من اليهود فذهب ببصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام فأتى النبي(صلى الله عليه وآله) فقال: أقلني. فقال: إن الإسلام لا يقال، فقال: لم اصب في ديني هذا خيرا، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فقال(صلى الله عليه وآله) يا يهودي الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة، ونزلت الآية)[١٩٧].

وقد وردت عدة رو ايات معتبرة في تفسير الآية في الكافي وغيره منها ما رواه زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (سألته عن قول الله عز وجل (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: هم قوم وحدّوا الله وخلعوا عبادة من يُعْبَدْ من دون الله فخرجوا من الشرك، ولم يعرفوا أن محمداً(صلى الله عليه وآله) رسول الله فهم يعبدون الله على شكٍّ في محمدٍ(صلى الله

---

(١٩٧) الدر المنثور: ٣٤٦/٤.

عليه وآله) وما جاء به[١٩٨]، فأتوا رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقالوا: ننظر فإن كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا أنه صادق و أنه رسول الله، وإن كان غير ذلك نظرنا، قال الله عز وجل (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ) يعني عافية في الدنيا (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) يعني بلاءً في نفسه وماله (انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) انقلب على شكّهِ الى الشرك (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. يدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ) قال: ينقلب مشركاً، يدعو غير الله ويعبد غيره، فمنهم من يعرف ويدخل الإيمان قلبه فيؤمن ويصدّق، ويزول عن منزلته من الشك الى الإيمان، ومنهم من يثبت على شكّه ومنهم من ينقلب الى الشرك)[١٩٩].

فهؤلاء يقفون على الحافة - والحرف هو حد الشيء وحافته ومنتهاه دون أصله وحقيقته كما يقال حرف الجبل أي منتهاه وليس كل حد وجانب حرفاً حتى تكون له قابلية ربط الشيء بغيره كالحرف الهجائي فانه الحد الذي تنتهي اليه الكلمة ولا معنى له في نفسه لكنه يربط بين ما له معنى، ومنه التحريف أي الخروج عن المعنى الوسط المعتدل المعروف الى حافته المشتبهة – متزلزلين غير ثابتين لم يتمكن الدين من قلوبهم ونفوسهم، يسقطون في أول اختبار وامتحان فينقلبون على وجوههم.

وقد شخص الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الظاهرة في حياة المجتمع فقال (عليه السلام): (النّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلى ألسِنَتِهم، يَحُوطُونَهُ ما دَرَّت مَعائِشُهُم، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ).

وهذه الظاهرة الاجتماعية في حياة الناس لا تختص بالكافرين أو المنافقين كما ربما يتصور، بل تشمل الذين يتظاهرون بالشكليات الدينية لكنهم في أخلاقهم وتعاملاتهم وسلوكهم وصفاتهم النفسية أبعد ما يكونون عن الدين، لقوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ) فهم يمارسون الطقوس الدينية لكنهم لا يعملون بحقيقتها، ولا أُريد أن استغرق ببيان النماذج لوضوحها لدى الناس خصوصاً من السياسيين الذين يتسترون بالعناوين الدينية، لكن همهم الاول والاخير دنياهم واهوائهم ومصالحهم وتراهم يُداهنون ويتنازلون عن المبادئ الدينية الثابتة إذا أضرت بمصالحهم، ومن أمثلة هؤلاء من يقلد مرجعاً دينياً والمفروض أنه قلده بحجة شرعية، فاذا اصطدم هذا التقليد مع مصلحة له أو وجد منفعة دنيوية أفضل عند غيره عدل اليه ولا يسال عن الحجة الشرعية في ذلك.

هذا سلوك غريب لأن المفروض أن تكون العقيدة هي الأصل وهي المسطرة الثابتة التي تقاس صحة الامور وبطلانها على أساسها فما و افقها - وإن اقترن بالمصاعب والبلاءات- فهو حق والا فهو باطل وإن جلب بعض المنافع الدنيوية، وليس العكس كما عليه هؤلاء من الاضطراب والتشتت، فهذا خلل كبير في الايمان الذي يدعيه هؤلاء و انحطاط في فهم الدين ولوازمه، لأن المؤمن الحقيقي لا يأخذ على إيمانه جزاءً دنيويا لأن دينه ليس سلعة قابلة للبيع والشراء وجلب المنافع، و إنما يبتغي بإيمانه والتزامه رضى الله تبارك وتعالى، ويعتبر التزامه بالدين توفيقاً من الله تعالى ولطفاً منه تبارك وتعالى ونعمة لا تجازى ويعجز عن شكرها وبالدقة يرى الملتزم بالدين حقاً ان نفس استمراره وثباته على الدين وما يترشح عنه من اطمئنان وسعادة وسمو هو أفضل جزاء يعطيه الله تعالى له على التزامه بالدين.

والأغرب من ذلك في سلوك هذا الصنف من الناس أنه حينما يتخلى عن المبادئ الدينية والمنهج الالهي الذي لا يوجد أفضل منه فما هو البديل الذي يلتزم به (يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) (الحج/١٢-١٣) هذا هو الضلال المبين أن يتخذ من المخلوقات التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً سواء كانت أصناماً حجريةً أو بشريةً أو أهواء نفسية أو مصالح أو أعراف وتقاليد يتخذ منها المولى والعشير والقائد الذي يتبعه (ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ) الغارق في الضلال والبعيد عن العودة الى الطريق الصحيح.

---

(١٩٨) وكان بعض هؤلاء من الصحابة المعدودين قريبين للنبي(صلى الله عليه وآله) لكنهم كانوا يشككون في تصرفاته ويعترضون ويتمردون كما تنقل كتب الفريقين وفي آخر حياته قالوا (إن الرجل ليهجر) وهؤلاء كانوا مستعدين للانقلاب عن الدين والرجوع الى جاهليتهم كما أخبر عنهم الله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (آل عمران : ١٤٤) فرأى امير المؤمنين (عليه السلام) ان الصبر على المظالم التي لحقت به أحجى وقد سجل ذلك كله في خطبه المأثورة.

(١٩٩) تفسير البرهان: ٦/٣١٠ عن الكافي: ٢/٣٠٣ ح ١ ، ٢.

الربط العزائي (الكوربين):

ويروي التاريخ شواهد كثيرة لمثل هؤلاء كعبيد الله بن الحر الجعفي الذي كان مواليا لأمير المؤمنين (عليه السلام) ولما طلب الامام الحسين (عليه السلام) منه النصرة وهو في طريقه الى الكوفة امتنع وأهدى له سيفه وفرسه فرفضهما الإمام الحسين (عليه السلام) ثم ندم على خذلانه وصار قائداً في جيش المختار الثقفي ثم انشق عنه والتحق بمصعب بن الزبير وقاتل معه المختارَ حتى انتصروا ثم تمرد عليه بجمع من الجيش وغادر الكوفة.

ومثل شبث بن ربعي الذي كان في جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين ثم سقط في فتنة الخوارج، وبعدها كان ممن كاتب الإمام الحسين (عليه السلام) طالباً منه المجيء الى الكوفة لكنه انخدع بمناصب الولاة والتحق بجيش بن زياد لقتال الإمام الحسين (عليه السلام) وكان قائداً للمقاتلين المشاة (الرجّالة) يوم عاشوراء وقد ذكره الإمام الحسين (عليه السلام) باسمه في احتجاجه على الجيش المعادي حين نادى: (يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا لي أن أينعت الثمار واخضرّ الجناب، و إنما تقدم على جند لك مجندة)(٢٠٠).

ومما جرى من الحوارات يوم عاشوراء لما خطب الحسين (عليه السلام) واحتج عليهم بالكثير مما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله)ورواه أصحابه قاطعه الشمر قائلاً عن نفسه: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول. فقال له حبيب بن مظاهر: والله اني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً و أنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك[٢٠١].

ولما كانت الامور تعرف بأضدادها، فمن ضد هذا الوصف وهذه الصورة نتعرف على ما يجب أن تكون عليه قيمة الدين في حياة الانسان فهو مستقر في قلبه ووجدانه، سعيد به ثابت عليه، يلجأ اليه في كل اموره، ويجعله قائداً له في حياته يستهدي به ويزن به الامور، فيفرّق به بين حقها وباطلها، وهذا الثبات والاستقرار في العقيدة تجسّد في أصحاب الحسين (عليه السلام) وأهل بيته بحيث يفرحون ويستبشرون حينما يُعْلِمَهُمْ الامام الحسين (عليه السلام) بالقتل.

شواهد مُعزِزة أخرى:

الروايات الشريفة:

- جاء في تفسير قوله تعالى: ((وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُد الله على حرف) في بصائر الدرجات: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: علّم رسول الله(صلى الله عليه وآله) عليّاً(عليه السلام)حرفاً يفتح ألف حرف، كلّ حرف منها يفتح ألف حرف).
- عن الفضيل وزرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عزوجل: " (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب عن وجهه خسر الدنيا و الآخرة " قال زرارة: سألت عنها أبا جعفر (عليه السلام) فقال: هؤلاء قوم عبدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله وشكوا في محمد (صلى الله عليه وآله) وما جاء به، فتكلموا بالإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) و أقروا بالقرآن، وهم في ذلك شاكون في محمد (صلى الله عليه وآله) وما جاء به وليسوا شكاكاً في الله، قال الله عزوجل: " ومن الناس من يعبد الله على حرف " يعني على شك في محمد وما جاء به (صلى الله عليه وآله) " فإن أصابه خير" يعني عافية في نفسه وماله وولده " اطمأن به " ورضي به " وإن أصابته فتنة " بلاء في جسده أو ماله تطير وكره المقام على الاقرار بالنبي فرجع إلى الوقوف والشك، فنصب العداوة لله ولرسوله والجحود بالنبي (صلى الله عليه وآله) وما جاء به).

---

(٢٠٠) الارشاد للمفيد: فصل: خروج مسلم ابن عقيل - رحمة الله عليه - بالكوفة يوم الثلاثاء.

(٢٠١) مقتل الحسين للسيد المقرم: ٢٧٩.

- عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام): سألته عن قول الله عزوجل : ((ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال: هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله ، فخرجوا من الشرك ولم يعرفوا ان محمدا صلى الله عليه واله رسول الله ، فهم يعبدون الله على شك في محمد وما جاء به ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه واله وقالوا : ننظر فان كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا انه صادق و انه رسول الله ، وان كان غير ذلك نظرنا ، قال الله عزوجل: (فإن اصابه خير اطمأن به) يعنى عافية في الدنيا "وإن اصابته فتنة " يعنى بلاء في نفسه " انقلب على وجهه " انقلب على شكه إلى الشرك خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه قال ينقلب مشركا يدعو غير الله ويعبد غيره ، فمنهم من يعرف فيدخل الايمان قلبه فيؤمن ويصدق ويزول عن منزلته من الشك إلى الايمان ، ومنهم من يثبت على شكه ومنهم من ينقلب إلى الشرك).

الشعر:

قال الشاعر:

دُمْ لِلْخَليلِ بِوُدِّهِ ... ما خَيرُودٍّ لاَ يدُومُ

وقال آخر:

ولا خير في ودّ إذا لم يكن له ... على طول مرّ الحادثات بقاء

وقال آخر:

ولا خير في ود امرئ متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

القصة:

كان أحمد بن هلال العبرتائي من كبار العلماء والرواة فقد قال عنه الشيخ الطوسي: (روى أكثر أصول أصحابنا) ناهز التسعين من العمر (١٨٠-٢٦٧)، حجّ (٥٤) حجة، عشرون منها ماشياً على قدميه، قال عنه الكشي (وقد كان رواة أصحابنا بالعراق لقوه، وكتبوا منه) وقال العلامة (قدس سره) أنه سمع منه (جل أصحاب الحديث واعتمدوه فيها). وكان من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) إلاّ أنّه مرّ بامتحان بعد استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) ففشل فيه وغلبه هواه وحسده وحبّه للرئاسة والزعامة فورد التحذير أولاً من الإمام المهدي (عليه السلام) من الانخداع بظاهره فقد كتب الإمام (عليه السلام) إلى نوابه (قوّامه) بالعراق في ابتداء أمره (احذروا الصوفي المتصنّع) ثم جاء لعنه من الإمام المهدي (عليه السلام)، فقد ورد في كتاب الغيبة في ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية (قال أبو علي بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد(عليه السلام)، فأجمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رضي الله عنه) بنص الإمام الحسن (عليه السلام) في حياته، ولما مضى الحسن (عليه السلام)، قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان، وترجع إليه، وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم لم أسمعه ينصّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه، يعني عثمان بن سعيد، فأمّا أن أقطع أنّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعهُ غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرئوا منه، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم حسين بن روح، بلعنه، وبالبراءة منه في جملة من لُعن). ولم يتحمل كثير من الأصحاب هذا الخبر في حق ابن هلال لما ذكرنا من منزلته عندهم و أنكروا ما ورد في مذمّته (فحملوا القاسم

بن العلاء على أن يُراجع في أمره فخرج إليه توقيع طويل جاء فيه (ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ابن هلال لا رحمه الله وممن لا يبرأ منه، فأعلم الإسحاقي وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه).

.....

المحاضرة (٢٢) بعنوان: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) [الإسراء: ١٩]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

الأمور بخواتيمها:

مما يوجب حذر المؤمن في هذه الحياة الدنيا ويجعله في توجّس ويدفعه إلى مزيد من الاعتصام بالله تعالى، هو أن لا يختم له بخير، وإن كان عمله بحسب الظاهر صالحاً الآن إلاّ أنه لا تعرف خاتمته والأمور بخواتيمها، روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قوله: (لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له)[٢٠٢].

وقد ينجح الإنسان في امتحانات عديدة لكنه يسقط في أحدها سقوطاً نهائياً والعياذ بالله، عن النبي(صلى الله عليه وآله): (أن العبد ليعمل عمل أهل الجنة فيما يرى الناس وإنه لمن أهل النار، وإنه ليعمل عمل أهل النار فيما يرى الناس وإنه لمن أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم)(٢٠٣) وعنه(صلى الله عليه وآله): (الأمور بتمامها والأعمال بخواتيمها).

قصة أحمد بن هلال العبرتائي:

وهذه الحقيقة لها شواهد قرآنية تاريخية كثيرة، ولنذكر مثالاً (حوزوياً) وهو أحمد بن هلال العبرتائي من كبار العلماء والرواة فقد قال عنه الشيخ الطوسي (روى أكثر أصول أصحابنا) ناهز التسعين من العمر (١٨٠-٢٦٧)، حجّ (٥٤) حجة، عشرون منها ماشياً على قدميه، قال عنه الكشي (وقد كان رواة أصحابنا بالعراق لقوه، وكتبوا منه) وقال العلامة (قدس سره) أنه سمع منه (جل أصحاب الحديث واعتمدوه فيها).

وكان من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) إلاّ أنّه مرّ بامتحان بعد استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) ففشل فيه وغلبه هواه وحسده وحبّه للرئاسة والزعامة فورد التحذير أولاً من الإمام المهدي (عليه السلام) من الانخداع بظاهره فقد كتب الإمام (عليه السلام) إلى نوابه (قوّامه) بالعراق في ابتداء أمره (احذروا الصوفي المتصنّع) ثم جاء لعنه من الإمام المهدي (عليه السلام)، فقد ورد في كتاب الغيبة في ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية (قال أبو علي بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد(عليه السلام)، فأجمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رضي الله عنه) بنص الحسن (عليه السلام) في حياته، ولما مضى الحسن (عليه السلام)، قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان، وترجع إليه، وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم لم أسمعه ينصّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه، يعني عثمان بن سعيد، فأمّا أن أقطع أنّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعهُ غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرئوا منه، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم حسين بن روح، بلعنه، وبالبراءة منه في جملة من لُعن).

---

(٢٠٢) بحار الأنوار: ٣٦٦/٧١ ح١٣.

(٢٠٣) كنز العمال ح٩٥٠.

ولم يتحمل كثير من الأصحاب هذا الخبر في حق ابن هلال لما ذكرنا من منزلته عندهم و أنكروا ما ورد في مذمّته (فحملوا القاسم بن العلاء على أن يُراجع في أمره فخرج إليه توقيع طويل جاء فيه (ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ابن هلال لا & وممن لا يبرأ منه، فأعلم الإسحاقي وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه)[٢٠٤].

أهمية حسن الخاتمة:

فهذا وأمثاله كثير ممن كان له ظاهر تمتد إليه الأعناق، لكن قدمه زلّت ولم يتب ولم يصلح خطأه وأصرّ عليه فكان من الملعونين لذا ورد في الحديث النبوي الشريف (لا عليكم أن تُعجبوا بأحدٍ حتى تنظروا بما يُختمُ له، فإنّ العاملَ يعمل زماناً من عمره أو بُرهة من دهره بعملٍ صالحٍ لو مات عليه دخل الجنة، ثمّ يتحوّل فيعمل عملاً سيئاً)[٢٠٥] وعنه(صلى الله عليه وآله): (إنّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثمّ يختم له بعمل أهل النار)[٢٠٦].

ولأهميّة حسن الخاتمة فقد أشير إليها كثيراً في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وتكرّر طلبها في الأدعية المباركة، وأجاب القرآن الكريم باختصار عن كيفية ضمان الفوز بحسن الخاتمة في قوله تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص/٨٣) وبتفصيل أكثر قال تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) (الإسراء/١٩).

متطلبات الفوز بالآخرة:

فالفوز بالآخرة يتطلب بحسب الآية الشريفة:

١- إرادة جديّة وقصد حقيقي لنيل رضوان الله تبارك وتعالى وليس مجرد لقلقة لسان كما وصفهم الإمام الحسين (عليه السلام) (الناس عبيد الدُنيا، والدين لعقٌ على ألسنتهم يحيطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الديانون)، وأن تكون إرادته مبنية على قصد الوصول إلى الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى وليس طاعة لغيره أو لأي هدفٍ آخر سواه.

٢- السعي الجاد الدؤوب بما يصلح الآخرة ويضمن الفوز فيها، فقوله تعالى (وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) يتضمن عدة خصائص لهذا السعي منها كونه حثيثاً ودؤوباً فقد قيل في معنى السعي أنّه (المشي السريع ويستعمل للجد في الأمر)، (وأكثر ما يُستعمل السعي في الأفعال المحمودة) ولتأكيد ذلك فقد أضافت الآية السعي إلى الآخرة أي أن يكون السعي مناسباً للآخرة بكل ما يعني ذلك، لتختصر كل ما تطلبه الآخرة من نوع السعي ومقداره وخصوصياته، قال السيّد صاحب الميزان: (والمعنى وسعى وجدّ للآخرة السعي الذي يختص بها ويُستفاد منه أنّ سعيه لها يجب أن يكون سعياً يليق بها ويحقّ لها كأن يكون يبذل كمال الجهدِ في حسن العملِ وأخذه من عقلٍ قطعي أو حجة شرعية)[٢٠٧].

٣- أن يقترن ذلك بالإيمان بالله تعالى وبرسول الله (صلى الله عليه آله) لأنّه شرط القبول ونيل الجزاء لأنّ باب الله الذي لا يُؤتى إلاّ منه (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) (البقرة/١٨٩) وأن يتعزز الإيمان بالمعرفة بالله تعالى وإخلاص النية له سبحانه، وهذا الإيمان والمعرفة لابد أن تكون لها حقيقة، فيعتقد أن هذا كله لطفٌ من الله تعالى و أنّه لا يستقل بشيء عن ربّه، وأن يكون خائفاً مشفقاً إذا نظر إلى العمل من زاويته الشخصية، فإذا قُبل عمله بفضل الله ورحمته وهذا ما أكدته الآية اللاحقة (كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً) (الإسراء/٢٠) ونحو ذلك من المعاني.

---

(٢٠٤) هذه النصوص نقلها من مصادرها: السيد الخوئي (رحمه الله) في معجم رجال الحديث: ٢/٣٦٧- ٣٧٠.

(٢٠٥) منتخب ميزان الحكمة: ٢٠٦ عن كنز العمّال: ٥٤٥، ٥٨٩.

(٢٠٦) السابق.

(٢٠٧) الميزان في تفسير القرآن: ١٣/٦٥.

ما يؤمنك من سوء العاقبة:

وقد بيّنت الروايات الشريفة بعض مظاهر هذه المعرفة وهذه الأعمال الصالحة: عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إذا أردت أن يؤمنك الله سوء العاقبة فاعلم أن ما تأتيه من خير فبفضل الله وتوفيقه، وما تأتيه من سوء فبإمهال الله و إنظاره إياك وحلمه وعفوه عنك).(٢٠٨) ومن كلام الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض الناس (إن أردت أن يُختم بخير عملك حتّى تُقبض و أنت في أفضل الأعمال فعظّم لله حقّه أن تبذل نعمائه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كلّ من وجدته يذكر منّا أو ينتحل مودّتنا).(٢٠٩) عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إنّ خواتيم أعمالكم قضاء حوائج اخوانكم والإحسان إليهم ما قدرتم وإلاّ لم يُقبل منكم عمل، حنّوا على اخوانكم وارحموهم تُلحقوا بنا)(٢١٠). فمثل هؤلاء يكون سعيهم مشكوراً، وقد أطلق لفظ الشكر ليكون لا حدود له لأنّ صفات الله تبارك وتعالى لا حدود لها، ومن أسمائه الشكور.

لا بد أن يقترن الدعاء بالسعي:

وشدّدت الآية على أن الجزاء لا يتخلف عن السعي بل يكون نتيجة حتمية له، بعكس من يطلبون الدُنيا الذين ذكرتهم الآية السابقة على هذه، قال تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً) (الإسراء/١٨) فلا يتحقق له ما يريد بل ما يريده الله تبارك وتعالى، وليس لكل أحدٍ بل لمن يشاء الله تعالى أن يعطيه.

وبهذا المعنى الذي شرحناه لسعي الآخرة لابد أن نفهم معنى انتظار الإمام صاحب الأمر (عليه السلام) والدعاء بقيام دولته المباركة، فلابد أن يقترن بالسعي الخاص به والمناسب له، فتقيّد أحاديث ثواب الانتظار والمنتظرين بأن يُسعى له سعيه. وهكذا كل قضية في حياتنا يُراد تحقيقها فلابد أن يسعى لها سعيها المناسب لها كمن يريد أن يصبح طبيباً أو مهندساً فلابد أن يبذل الجهد المطلوب كماً ونوعاً ويسير وفق الآليات التي توصله إلى هدفه، ولا ينال كل ذلك إلاّ بلطف الله تعالى وتوفيقه ومدده.

الربط العزائي (الكورين):

فقد سعى الإمام الحسين(عليه السلام) وأصحابه إلى نيل رضا الله والفوز بالجنة في الآخرة وعلى المستويين العبادي والرسالي فما على المستوى الأول فقد ورد إنه لما رأى الإمام الحسين(عليه السلام) حرص القوم على تعجيل القتال وقلة انتفاعهم بالوعظ والمقال قال لأخيه العباس(عليه السلام): «إن استطعت أن تصرفهم عنا في هذا اليوم فافعل، لعلنا نصلي لربنا في هذه الليلة، فانه يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه». فبات(عليه السلام) هو وأصحابه ليلة العاشر من المحرم، ولهم دوي كدوي النحل، ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً وهذا هو السعي العملي نحو الآخرة. أما على المستوى الجهادي فقد قاتلوا قتالاً مستميتاً حتى الشهادة... فلما لم يبق معه إلا أهل بيته، خرج علي بن الحسين عليه السلام. وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً. فاستأذن أباه في القتال، فأذن له. ثم نظر إليه نظرة آيسٍ منه، وأرخى عليه السلام عينيه وبكى. ثم قال: «اللهم اشهد، فقد برز إليهم غلامٌ أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك صلى الله عليه وآله، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه». فصاح وقال: «يابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي». فتقدم (عليه السلام) نحو القوم، فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً. ثم رجع إلى أبيه وقال: يا أبه، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل؟ فبكى الحسين عليه السلام وقال: « واغوثاه يا بني، من أين آتي بالماء قاتل قليلاً، فما أسرع ما تلقى جدك محمداً عليه السلام، فيسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظلمأ بعدها فرجع عليه السلام إلى موقف النزال،

---

(٢٠٨) بحار الأنوار: ٣٩٢/٧٠ ح٦٠.

(٢٠٩) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٤/٢ ح٨.

(٢١٠) بحار الأنوار، ٣٧٩/٧٥.

وقاتل أعظم القتال، فرماه منقذ بن مرة العبدي بسهمٍ فصرعه، فنادى: يا أبتاه عليك مني السلام، هذا جدي يقرؤك السلام ويقول لك: عجل القدوم علينا، ثم شهق شهقة فمات. فجاء الحسين (عليه السلام) حتى وقف عليه، ووضع خده على خده وقال: «قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، على الدنيا بعدك العفاء».

شواهد مُعزِزة أخرى:

الروايات الشريفة:

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لايتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت).
- الإمام علي (عليه السلام): (إن ختم لك بالسعادة صرت إلى الحبور، و أنت ملك مطاع، وآمن لا يراع، يطوف عليكم ولدان كأنهم الجمان بكأس من معين، بيضاء لذة للشاربين).
- عنه (عليه السلام): (كل مخلوق يجري إلى ما لا يدري).
- عن السيد المسيح (عليه السلام): (إن الناس يقولون: إن البناء بأساسه و أنا لا أقول لكم كذلك، قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟ قال: بحق أقول لكم: إن آخر حجر يضعه العامل هو الأساس قال أبو فروة - وهو راوي الحديث -: إنما أراد خاتمة الأمر).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (خير الأمور خيرها عاقبة).
- عنه (صلى الله عليه وآله): (ملاك العمل خواتيمه).
- الإمام علي (عليه السلام): (مكروه تحمد عاقبته خير من محبوب تذم مغبته).
- عنه (عليه السلام): (إن حقيقة السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة، وإن حقيقة الشقاء أن يختم للمرء عمله بالشقاء).
- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بما يختم له، فإن العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

إذا رُمت أن تحيا سليماً من الرَّدى * ودينك موفور وعرضك صيّنُ
فلا ينطق منك اللِّسان بسوأةٍ * فكلُّك سوءات وللناس ألسُنُ
وعيناك إن أبدت إليك معائباً * فدعها ، وقل يا عين للناس أعين

ج) القصة:

قصة في السعي لطلب رضا الله تعالى:

يروي لنا التأريخ عن عبد الله بن المبارك أنه كان يحج سنة ويعمر سنة، وداوم عليه على ذلك خمسين سنة، فخرج في بعض سني الحج وأخذ معه خمسمائة دينار إلى موقف الجمال بالكوفة ليشتري جمالاً للحج، فرأى امرأة علوية على بعض

المزابل تنتف ريش بطة ميتة، قال: فتقدمت إليها فقلت: ولم تفعلين هذا؟ فقالت: يا عبد الله لا تسأل عما لا يعنيك، قال: فوقع في خاطري من كلامها شيء، فألححت عليها فقالت: يا عبد الله قد ألجأتني إلى كشف سري إليك. أنا امرأة علوية ولي أربع بنات يتامى، مات أبوهن من قريب وهذا اليوم الرابع ما أكلنا شيئاً، وقد حلت لنا الميتة، فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها إلى بناتي يأكلنها، قال: فقلت في نفسي: ويحك يا ابن المبارك أين أنت عن هذه؟ فقلت: افتحي حجرك، ففتحت فصببت الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت، قال: ومضيت إلى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحج في ذلك العام ثم تجهزت إلى بلادي فأقمت حتى حج الناس وعادوا، فخرجت أتلقى جيراني وأصحابي، فجعل كل من أقول له: قبل الله حجك وشكر سعيك، يقول لي: وأنت قبل الله حجك وشكر سعيك، إنا قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا، وأكثر الناس علي في القول، فبت متفكرا فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام وهو يقول لي: يا عبد الله لا تعجب فإنك أغثت ملهوفة من ولدي، فسألت الله أن يخلق على صورتك ملكاً يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة، فإن شئت أن تحج وإن شئت لا تحج.

.....

المحاضرة (٢٣) **بعنوان**: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) [إبراهيم: ٤٢] عاقبة الظلم

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

الوصية الأخيرة تختزل ما يريده الموصي:

في ذكرى الإمام السجاد (عليه السلام) التي تقترن مع ذكرى أبيه الحسين (عليه السلام) نستفيد درساً من حياتهما المباركة، روى الإمام الباقر (عليه السلام) قال لما حضر علي بن الحسين (عليه السلام) الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال (يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بنيّ إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله)[٢١١] وقد روي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (يقول الله عزوجل: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري)[٢١٢]، أي ظلم من لا يمتلك القوّة والنفوذ لاسترداد حقّه إمّا لضعفه كالمرأة واليتيم والمستضعف أو لغيبته وعدم علمه أو لترفعه عن ردّ الإساءة بمثلها.

وتكتسب هذه الوصية أهمية كبيرة من جهة كونها الوصية الأخيرة في الحياة وعادة ما تتضمن مثل هذه الوصية أهم ما يريد أن يقوله الموصي، ومن جهة تواتر الوصية بها من معصوم الى معصوم (عليهم السلام) , وهم أبعد ما يكونون عن الظلم مطلقاً ,وهو ما دلت عليه الآية الشريفة (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة/١٢٤) فبلوغهم مقام الإمامة يعني انهم منزهون عن الظلم، وإنما أريد من التأكيد على هذه الوصية ترسيخها في ذهن الأمة حتى تصبح لهم شعاراً في حياتهم.

تجنب الظلم الأخلاقي: من أخلاق أهل البيت عليهم السلام:

وكانوا (صلوات الله عليهم أجمعين) ينزهون أنفسهم عن الظلم بكل أشكاله ومستوياته حتى إذا لم يصل الى مستوى المخالفة الشرعية لكنه لا يليق بأخلاقهم العظيمة , روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه السجاد (عليه السلام) قوله (إني حججتُ

---

(٢١١) الكافي: ٣٣١/٢ ح٥.

(٢١٢) ميزان الحكمة: ٣٠٤/٥ عن عدة مصادر.

على ناقتي هذه عشرين حجة لم أقرعها بسوط)[٢١٣]. هذا هو ديدن الأئمة في الترفع عن الظلم مهما كان ضئيلاً وفي أي مستوى من مستوياته، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (والله لأَن أبيتَ على حسكَ السعدان مسهّداً، أو أُجرَّ في الأغلال مصفّدا أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلمُ أحداً لنفس يُسرعُ إلى البلى قُفولُها، ويطول في الثرى حُلولُها)[٢١٤] وذكر (عليه السلام) حادثته مع أخيه عقيل عندما أحمى له حديدة، ثم قال (عليه السلام) (والله لو أعطيتُ الأقاليمَ السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جُلبَ شعيرة ما فعلته)[٢١٥].

وكان الإمام السجاد (عليه السلام) يترفع عن الانتقام ومقابلة من ظلمه بالمثل لأنه يرى المقابلة بالمثل ومعاقبة المسيء سيئة وان الأليق بخصاله الكريمة العفو والصفح والإحسان إلى المسيء، تأدباً بقوله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) (المؤمنون/٩٦) وقوله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت/٣٤) وقوله تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور/٢٢) فالذي يرجو عفو الله تعالى وإحسانه وفضله وكرمه لابد أن يتعامل مع الناس على هذا الأساس.

روي: إن مولى لعلي بن الحسين (عليه السلام) يتولى عمارة ضيعة له، فجاء ليطلعها فأصاب فيها فسادا وتضييعا كثيرا غاضه من ذلك ما رآه وغمه، فقرع المولى بسوط كان في يده، وندم على ذلك، فلما انصرف إلى منزله أرسل في طلب المولى، فأتاه فوجده كاشفاً عن ظهره والسوط بين يديه، فظن أنه يريد عقوبته , فاشتد خوفه. فأخذ علي بن الحسين السوط ومد يده إليه وقال: يا هذا قد كان مني إليك ما لم يتقدم مني مثله، وكانت هفوة وزلة فدونك السوط و اقتص مني. فقال: يا مولاي، و الله لقد ظننت أنك تريد عقوبتي، و أنا مستحق للعقوبة، فكيف أقتص منك؟! قال: (ويحك اقتص).

فقال: معاذ الله، أنت في حل و سعة، فكرر ذلك عليه مرارا، والمولى كل ذلك يتعاظم قوله ويجلله، فلما لم يره يقتص، فقال (عليه السلام) له: أما إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك، وأعطاه إياها)[٢١٦].

وفي رواية الطبقات الكبرى لابن سعد، ان عبد الله بن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: لما عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن ولاية المدينة وأوقفه الوليد إلى الناس ليقتصوا منه، وكان يسيء إلى أبي، جمعنا أبي علي بن الحسين وقال: إن هذا الرجل قد عزل وقد أوقفه الوليد للناس فلا يتعرض له أحد بسوء، فقلت يا أبت، والله إن أثره عندنا لسيء وما كنا نطلب إلا مثل هذا اليوم. قال: يا بني نكله إلى الله، فوالله ما تعرض أحد بسوء من آل الحسين حتى تصرم أمره)[٢١٧]. وروي في ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (أوحى الله إلى نبي من أنبيائه .. إذا ظُلمتَ بمظلمةٍ فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك)[٢١٨]. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (لا يكبرّن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرّته ونفعك وليس جزاء من سرّك أن تسوءَه) .

التغاضي هو بلحاظ المظالم الشخصية لا الحقوق العامة:

ولابد أن نلتفت إلى أن هذا التغاضي وعدم الرد فيما يتعلق بالمظالم الشخصية، أما إذا كان الظلم يتعلق بالحقوق العامة خصوصاً إذا انتهكت محارم الله تعالى فالنهي عنه واجب والسكوت قبيح، روى في كنز العمال عن عائشة قالت: ما رأيت

---

(٢١٣) المحاسن للبرقي: ٢/٦٣٥.

(١) الى (٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢١. بيان: الحسك: الشوك، والسعدان نبت ترعاه الإبل له شوك، والمسهَّد: السهران، والمصفّد: المقيَّد، والقفول: الرجوع، وجِلب الشعيرة: غطاؤها.

(٢١٦) بحار الأنوار: ج٤٦ ص٩٩.

(٢١٧) موسوعة المصطفى العترة ٦٤/٧ عن عدة مصادر ذكرها.

(٢١٨) بحار الأنوار: ٣٢١/٧٥ ح٥٠.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) منتصراً من ظلامة ظلمها قطّ إلا أن يُنتهك من محارم الله شيء، فإذا انتُهك من محارم الله شيء كان أشدَّهم في ذلك)[٢١٩].

في ذم الظلم:

والأحاديث الواردة في ذم الظلم والتحذير منه كثيرة فعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (إياكم والظلم، فإن الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة) وعنه (صلى الله عليه وآله) قال(لا تظلم أحداً، تُحشر يوم القيامة في النور)[٢٢٠]، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الظلم في الدنيا بوار وفي الآخرة دمار)، وعنه (عليه السلام) قال: (من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) وعنه (عليه السلام): (بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد) وعنه (عليه السلام): (إياك والظلم فإنه أكبر المعاصي)، وعنه (عليه السلام) قال (ألا وإنّ الظلمَ ثلاثةٌ: فَظلمٌ لا يُغفرُ، وظُلمٌ لا يُترك، وظُلمٌ مغفورٌ لا يُطلَبُ، فأمّا الظُّلمُ الذي لا يُغفرُ فالشِّركُ بالله... وأمّا الظُلمُ الذي يُغفرُ فَظلمُ العبدِ نفسهُ عندَ بعضِ الهّناتِ، وأمّا الظُلمُ الذي لا يُتركُ فظلمُ العِبادِ بَعضِهِم بعضاً)[٢٢١].

عاقبة الظلم:

وروي عن النبي في بيان عاقبة الظالم قال: (إنّه ليأتي العبدُ يومَ القيامةِ وقد سرّته حسناتُهُ ، فيجيء الرجلُ فيقول : يا ربّ ظلمني هذا ، فيؤخذ من حسناتِهِ فيجعل في حسناتِ الذي سأله ، فما يزال كذلك حتّى ما يبقى له حسنةٌ، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل ، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار)[٢٢٢]. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (من ظلم قُصِم عمره) ,وقال (عليه السلام) (بالظلم تزول النعم).

مديات الظلم:

ويتضح من الروايات التي ذكرنا جملة منها إن مديات الظلم واسعة لا ينجو منها أحد الاّ من عصم الله تبارك وتعالى ,لان الظلم هو عدم الوفاء بتمام الحق ,وأول حق لا نستطيع الوفاء به ونقصّر فيه حق الله تعالى في طاعته وعبادته مخلصين له الدين (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان/١٣).

ومن الظلم ظلم النفس باتّباع هواها وعدم مسك زمامها فتوقعه في المعاصي وتتمرد على الطاعات وهو مفتاح الظلم للآخرين, عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من ظلم نفسه كان لغيره أظلم) فيقع في ظلم الأهل وعموم الناس سواء في تعامله معهم أو خلال تقصيره في المسؤوليات المناطة به كالطبيب الذي لا يلتزم بشرف مهنته في المستشفى ليراجعوه في العيادة الخاصة، أو المدرّس الذي يقصّر في المدرسة حتى يلتحقوا بدروسه الخصوصية والموظف الذي لا يعمل بمهنية ونزاهة، والأم التي تقصّر في تربية أولادها وحفظ بيتها وشرف زوجها، أو السياسي في الحكومة والبرلمان الذي لا يبذل كل جهده في خدمة الشعب الذي ائتمنه على هذه المواقع والأمثلة تطول , فهذا كله ظلم. حتى إن الظلم يمكن أن يقع في أمور بسيطة لا نتصورها كالتحكيم بين كتابتين أو رسمين أيهما أجمل إذا لم يكن منصفاً في حكمه كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن أمير المؤمنين (عليه السلم) ألقى صبيان الكتّاب ألواحهم بين يديه ليُخيّر بينهم، فقال: أما إنها حكومة والجور فيها كالجور في الحكم)[٢٢٣].

سبيل التخلص من الظلم:

---

(٢١٩) ميزان الحكمة: ٣٠٨/٥ عن كنز العمال: ١٨٧١٦.

(٢٢٠) هذه المجموعة من الروايات وغيرها في ميزان الحكمة: ٢٩٩/٧ وما بعدها.

(٢٢١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٠٣.

(٢٢٢) ميزان الحكمة ج٧ ص٢٩٩.

(٢٢٣) وسائل الشيعة، كتاب الحدود والتعزيرات، أبواب بقية الحدود، باب٨ ح٢.

ولا سبيل إلى التخلّص منها جميعاً إلاّ بالطلب من الله تعالى أن يرضي الخصماء عنه ويتولى ذلك بنفسه لأنه ولي الخلق جميعاً، ورد عنه (عليه السلام) في دعاء يوم الاثنين (وَأَسْأَلُكَ فى مَظالِمِ عِبادِكَ عِنْدي، فَاَيَّما عَبْد مِنْ عَبيدِكَ اَوْ اَمَة مِنْ اِمائِكَ كانَتْ لَهُ قِبَلي مَظْلِمَةٌ ظَلَمْتُها اِيّاهُ، في نَفْسِهِ اَوْ في عِرْضِهِ اَوْ في مالِهِ، اَوْ في اَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، اَوْ غيبَةٌ اغْتَبْتُهُ بِها، اَوْ تَحامُلٌ عَلَيْهِ بِمَيْلٍ اَوْ هَوىً، اَوْ اَنَفَة اَوْ حَمِيَّة اَوْ رِياء اَوْ عَصَبِيَّة. غائِباً كانَ اَوْ شاهِداً، وَحَيّاً كانَ اَوْ مَيّتاً، فَقَصُرَتْ يَدى وَضاقَ وُسْعى عَنْ رَدِّها اِلَيْهِ وَالْتَحَلُّلِ مِنْهُ، فَأَسْأَلُكَ يا مَنْ يَمْلِكُ الْحاجاتِ، وَهِيَ مُسْتَجيبَةٌ لِمَشِيَّتِهِ وَمُسْرِعَةٌ اِلى اِرادَتِهِ اَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاَنْ تُرْضِيَهُ عَنّي بِما شِئْتَ، وَتَهَبَ لي مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً، اِنَّهُ لا تَنْقُصُكَ الْمَغْفِرَةُ وَلا تَضُرُّكَ الْمَوْهِبَةُ، يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ).[٢٢٤] ومن دعا ء له (عليه السلام)(اللهم اني اعتذر اليك من مظلومٍ ظلم بحضرتي فلم أنصره)[٢٢٥] . ومن دعائه (عليه السلام)(اللهم فكما كرهت إلي أن أظلم، فقني من أن أظلم)[٢٢٦].

الربط العزائي (الكورين):

وعلى مر التأريخ البشري لم يحصل أن ظُلم إنسان بمثل مظلمة الإمام الحسين(عليه السلام) التي اعترف بها حتى أعدائه، تقول الرواية إن الإمام الحسين(عليه السلام) خاطب معسكر الأعداء قائلاً: يا أهل الكوفة فانسبوني فانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ الستُ ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه وأول مصدّق لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) بما جاء به من عند ربّه؟

أوليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي؟

أوليس جعفر الطيّار في الجنة بجناحين عمّي؟

أولم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: (هذان سيدا شباب أهل الجنة).

فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمّدتُ كذبً منذ علمتُ أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي؛ وزيد بن أرقم؛ وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي... أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ يا قوم فإن كنتم في شكٍ من ذلك، أفتشكّون أني ابن بنت نبيّكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم! أتطالبوني بقتيل منكم قتله أو مالٍ استملكته، أو بقصاص من جراح؟

فأخذوا لا يكلّمونه، ونادى بأعلى صوته فقال: أنشدكم الله هل تعرفونني؟

قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه.

فقال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب؟

قالوا: اللهم نعم.

فما زال يناشدهم وهو يعترفون له بصدق قوله إلى أن قال(عليه السلام): فبم تستحلّون دمي وأبي الذائدُ عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء، ولواءُ الحمد في يد أبي يوم القيامة؟! قالوا: قد علمنا ذلك كلّه ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشانا). فلما خطب بهذه الخطبة وسمعت بناته وأخته زينب كلامه بكين وندبن ولطمن خدودهن، وارتفعت أصواتهن، فوجّه إليهن أخاه العباس وابنه عليّاً، وقال لهما: أسكتاهنّ فلعمري ليكثرن بكاؤهن.

---

(٢٢٤) الصحيفة السجادية/ دعاء يوم الاثنين.

(٢٢٥) الصحيفة السجادية/ الدعاء٣٨ .

(٢٢٦) الصحيفة السجادية/ دعاؤه (عليه السلام): (إذا اعتدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب) ص ٩٥.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إياكم والظلم، فإنه يخرب قلوبكم).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (بين الجنة والعبد سبع عقاب، أهونها الموت، قال أنس: قلت: يا رسول الله فما أصعبها؟ قال: الوقوف بين يدي الله عزوجل إذا تعلق المظلومون بالظالمين).
- عنه (صلى الله عليه وآله): (إنه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرته حسناته، فيجئ الرجل فيقول: يا رب ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار).
- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (قال الله تعالى : وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلمُ ظالمٍ ولو كفّاً بكفّ ، ولو مسحة بكفّ، ونطحة ما بين الشّاة القرناء إلى الشّاة الجمّاء. فيقتصّ الله للعباد بعضهم من بعض، حتّى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثمّ يبعثهم الله إلى الحساب).
- وعنه (عليه السلام): (الظلم ألأم الرذائل).
- عنه (عليه السلام): (الظلم يزل القدم، ويسلب النعم ويهلك الامم).
- عنه (عليه السلام): (الظلم تبعات موبقات).
- عنه (عليه السلام): (الله الله في عاجل البغي، وآجل وخامة الظلم، وسوء عاقبة الكبر).
- عنه (عليه السلام): (إياك والجور، فإن الجائر لا يربح رائحة الجنة).
- عنه (عليه السلام) - فيما تبرأ من الظلم -: (والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا، أو اجر في الأغلال مصفدا، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشئ من الحطام، وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها).
- عنه (عليه السلام): (أخسركم أظلمكم).

ب) الشعر:

يا ظالماً جارَ فيمن لا نصيرَله إلا المهين لا تغترَّ بالمهلِ
غداً تموتُ ويقضي الله بينكما بحكمةِ الحق لا بالزيغِ والحيلِ.

وقال آخر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً فالظلمُ مرتعُه يفضي إلى الندمِ
تنامُ عينكَ والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ.

وقال آخر:

ولقد رأيت الأُسد أكرم خلّة من فعل هذا النّاطق المُتمرّد
النّاس يقتل كل يوم بعضها والأُسد تقتل غيرها إذ تعتدي

ج) القصة:

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) خارجاً في جيش له فرمى أحد أصحابه قطة بحصاة فقال له (صلى الله عليه وآله) استعد للمساءلة يوم القيامة، وفي حادثة مماثلة رأى (صلى الله عليه وآله) طائراً يحوم فوق رأس الجيش ويتابعهم في المسير فسأل (صلى الله عليه وآله) عن حاله فقال أحدهم إنه أخذ صغاراً من عش هذا الطائر فهو يحوم لعدم صبره على فراقها، فأمر (صلى الله عليه وآله) الجيش بالتوقف وأن يعود ذلك الرجل بالصغار إلى العش، ثم قال لأصحابه، إن الله تبارك وتعالى أرحم بعباده من هذا الطائر بصغاره! فأين طواغيت الحضارة المادية والمتسلطون الذين يسحقون شعوباً بأكملها من أجل نزواتهم ومطامعهم؟ إن هذه الدعوة لابد أن تكون بآليات وبلغة مقبولة لديهم ومؤثرة فيهم،

قصة أخرى:

جاء في كتاب حياة الحيوان عند ذكر الحِجَّل: إنّ أحدهم حضر على سماط بعض الأُمراء ، وكان على السّماط حجَّلتان مشويّتان، فعندما نظر الرجل إليهما ضحك ، فسأله الأمير عن سبب ضحكه. فقال : قطعت الطّريق في عنفوان شبابي على تاجر، فلمّا أردت قتله تضرَّع فما أفاد تضرُّعه ، فلمّا رآني أقتله لا محالة ، التفت إلى حِجَّلتين كانتا في الجبل فقال: اشهدا عليه أنّه قاتلي. فلمّا رأيت هاتين الحِجَّلتين تذكرت حمقه. فقال الأمير: قد شهدتا، ثمّ أمر بضرب عُنقه. /كشكول البهائي.

قصة أخرى:

جاء الشعبي يوماً إلى الحجّاج ليمنعه من الظلم والتعدِّي ، فطلب الحجّاج ديناراً ولاحظ وزنه ومعياره ، وقال للشعبي : خُذه معك إلى السوق واسأل الصيارفة عنه، فذهب الشعبي إلى الصيارفة فقال بعضهم : إنّه خفيف الوزن . وقال آخرون : إنّه ناقص العيار . وقال ثالث: إنّه مغشوش . وكان كلام كل واحد منهم يُخالف الآخر ، فعاد الشعبي بالدينار وحدّث الحجّاج بما قاله الصيارفة، فقال الحجّاج : اذهب به إلى الصرّاف الفلاني وأرِه إيّاه ، فذهب الشعبي إليه وأراه الدينار، فقال الصرّاف: هذا الدينار كامل الوزن والعيار، وهو صحيح ، وإذا رغبت أعوّضك به دراهم من فضّة. فتعجّب الشعبي من ذلك ، وشرح القضيّة للحجّاج ، فقال الحجّاج: أردت أن تعرف أنّ أهل هذا الزمان يظلم أحدهم حقّ الآخر ؛ فسلّط الله عليهم مَن يظلمهم ولا يَرحمهم .

.....

المحاضرة (٢٤) بعنوان: (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا) [إبراهيم: ٢٨]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

يرجون وعده ويخشون عذابه:

من آداب تلاوة القرآن الكريم أن نقف عند كل آية عذاب وتحذير وتخويف وتهديد لنتوقع استحقاقنا لها، وأن نقف عند كل آية وعد وترغيب وتكريم ونعيم لنرجو أن نكون مشمولين بها، ولا نتصور أننا في مأمن ومنأى من آيات التخويف والتهديد، ورد في وصف سيرة الإمام الرضا(عليه السلام) إنه كان: (يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنة

أو ناربكى وسأل الله الجنة وتعوّذ من النار)[٢٢٧] وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في صفة الذين يتلونه حق تلاوته قال (عليه السلام) (ويرجون وعده ويخشون عذابه)[٢٢٨] ولنأخذ ذلك مثلاً قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) (إبراهيم/٢٨).

كم من مُنعَم عليه وهو لا يعلم

يتصور أكثر الناس أن النعمة هي المال والحياة المرفّهة، وهذا لا شك مصداق مهم للنعمة لكن مصاديقها أوسع من ذلك بكثير مما لا يلتفت إليه أغلب الناس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان) وعنه (صلى الله عليه وآله) (نِعمتان مكفورتان: الأمن والعافية) وعنه (صلى الله عليه وآله) (نعمتان مفتون فيهما كثير من الناس: الفراغ والصحة).[٢٢٩] وكل نعمة من هذه النعم تتحلل إلى ما لا يعد ولا يحصى من النعم، قال تعالى (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا) (النحل/١٨) وقد شرحنا في بعض خطبنا السابقة أمثلة على ذلك، ولكن الإنسان يغفل عنها غالباً، عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال (كم من مُنعَم عليه وهو لا يعلم) ولا يحسّ بقيمتها إلا إذا فقدها لا سامح الله، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من كان في النعمة جهل قدر البليّة) وعن الإمام الحسن (عليه السلام) قال (تجهل النعم ما أقامت، فإذا ولّت عُرفت)، وإن كان في غنى عن الوصول إلى هذه المرحلة، إذ يكفي تذكرها والالتفات إليها أو تخيّل أضدادها لمعرفة قيمتها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إنما يُعرف قدر النعم بمقاساة ضدّها).

نعمة الإيمان بالله ورسوله وولاية أهل البيت عليهم السلام:

ولابد أن نلتفت إلى أن الأهم من النعم المادية المذكورة النعم المعنوية، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن من النعم سعة المال، و أفضل من سعة المال صحة البدن، و أفضل من صحة البدن تقوى القلب) وعن الإمام الباقر(عليه السلام) قال (لا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق). ومن النعم المعنوية اجتماع الكلمة على الإيمان بالله تعالى وبرسوله وولاية أهل البيت (عليهم السلام) كما ورد في تفسير قوله تعالى (وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) (آل عمران/١٠٣) قالت الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها (فأنقذكم الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله)) وروى العياشي في تفسيره قال: كان أبو عبد الله (عليه السلام) إذا ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (بأبي وأمّي ونفسي وقومي وعترتي عجبٌ للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله يقول في كتابه (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) فبرسول الله (صلى الله عليه وآله) والله أنقذوا)[٢٣٠] ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) في تفسير قوله تعالى (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان/٢٠) (أما ما ظهر فالإسلام وما سوّى الله من خلقك، وما أفاض عليك من الرزق، وأما ما بطن فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به)، وعن الإمام الباقر(عليه السلام) (النعمة الظاهرة النبي (صلى الله عليه وآله) وما جاء به النبي من معرفة الله عزوجل وتوحيده، وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقدُ مودتنا) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (ما أنعم الله على عبد أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله عزوجل غيره) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن من النعمة تعذّر المعاصي)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) (النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب).

كيفية الحفاظ على النعمة:

---

(٢٢٧) عيون أخبار الرضا: ١٨٢/٢ ح٥.

(٢٢٨) تنبيه الخواطر: ٢٣٦/٢.

(٢٢٩) تجد مصادر هذه الروايات في: ميزان الحكمة: ٧٢/٩.

(٢٣٠) تفسير العياشي: ٢١٨/١ ح١٢٦.

وبعد الاطلاع على سعة النعمة وتنوعها وأهميتها ينفتح السؤال عن كيفية الحفاظ عليها وإدامتها لأنها معرضة للزوال – والعياذ بالله- فلابد من الحذر، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (أحسنوا مجاورة النعم، لا تملّوها ولا تنفرّوها، فإنها قلما نفرت من قوم فعادت إليهم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها، فإنها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها).

شكر النعمة:

والذي يوجب بقاء النعمة ودوامها ويمنع من نفورها شكر النعمة، والذي يوجب نفور النعمة وزوالها كفر النعمة، وهما معنيان متضادان يعرف معنى كل منهما بعكس معنى الآخر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أحسن الناس حالا في النعم من استدام حاضرها بالشكر وارتجع فائتها بالصبر) وعنه (عليه السلام) (إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (لا تدوم النعم إلاّ بثلاث: معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شكرها، والتعب فيها) وعن الإمام الهادي (عليه السلام) (القوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها).

أشكال الشكر والكفر بالنعم:

إن كفر النعمة وما يقابله من شكرها له معانٍ وأشكال عديدة:

١- عدم استعمالها في طاعة الله تعالى كما مرّ في الأحاديث الشريفة التي وصفت الفراغ والصحة والأمن بأنّها نعم مكفورة لأنّها لم تُستثمر في طاعة الله تعالى، والأسوأ أن تستخدم في معاصيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أقل ما يلزمكم لله ألاّ تستعينوا بنعمه على معاصيه) وعنه (عليه السلام) قال (استتموا نِعم الله عليكم بالصبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته). وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن أردت أن يُختم بخير عملك حتى تُقبض و أنت في أفضل الأعمال فعظّم لله حقّه أن لا تبذل نعماءه في معاصيه).

٢- عدم أداء حقوق النعمة كمن لا يؤدي ما بذمته من الحقوق الشرعية أو يهمل أداء فريضة الحج وهو مستطيع أو لا يصوم شهر رمضان وهو قادر وهكذا، وفي ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً، أو غنيّاً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقّ الله وفرا)[٢٣١] ومحل الشاهد تطبيق الإمام الآية بالنص على من لم يؤدي حقوق الله تعالى في أمواله، وعنه (عليه السلام) قال: (يا أيّها الناس: إنّ لله في كلّ نعمة حقّاً، فمن أدّاهُ زاده، ومن قصّر عنه خاطر بزوال النعمة وتعجّل العقوبة، فليراكم الله من النعمة وجلين كما يراكم من الذنوب فرقين) ويشرحها الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله: (إنّ صاحب النعمة على خطر، إنه يجب عليه حقوق الله فيها، واللهِ إنّه لتكون عليَّ النعم من الله عزّوجل فما أزال منها على وجل-وحرّك يده- حتّى أخرج من الحقوق التي تجب لله عليّ فيها). فكلّ نعمة تستوجب حقّاً، الوالدان نعمة ولهم حقوق، والمرجعية المخلصة العاملة نعمة ولها حقوق، والجاه والموقع نعمة وعلى صاحبه حقوق، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعم)، وهكذا.

ومن كفر النعمة التقصير باستعمال ما أنعم الله تعالى عليه في خدمة الناس وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إن لله عباداً اختصهم بالنعم يُقرّها فيهم ما بذلوها للناس فإذا منعوها حوّلها منهم إلى غيرهم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء). فالذي يمكّنه الله تعالى في الأرض ويضع تحت تصرفه موارد الدولة والشعب وهو يسخّرها لمصالحه الشخصية والحزبية

---

(٢٣١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩ في ذكر المكايبل والموازين.

فهو ممن بدّل نعمة الله كفراً، والذي يستعمل الوسائل العلمية الحديثة التي أنعم الله تعالى بها على عباده في غير مرضاة الله فهو ممن بدّل نعمة الله كفرا وهكذا.

٣- عدم التحديث بها ونشرها قال تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى/١١) روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (إنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سُمّي حبيب الله محدثاً بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبدٍ بنعمة فلم تظهر عليه سُمي بغيض الله مكذّباً بنعمة الله) فاعتباره مكذّباً بنعمة الله مبغوضاً عند الله تعالى لأنّه لم يحدّث بنعمة الله ولم يظهرها، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّي لأكره للرجل أن يكون عليه نعمة من الله فلا يظهرها).

كمال النعمة وتمامها:

وإنّ أعظم النعم على الإطلاق الإسلام كما دلّت عليه الروايات الشريفة عن الإمام الحسين (عليه السلام) في قوله تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى/١١) قال (عليه السلام) (أمره أن يحدّث بما أنعم الله به عليه في دينه)، وتمام هذه النعمة التي كمُل بها الإسلام نعمة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) بدلالة النصوص القرآنية ومنها الآية الشريفة التي نزلت في واقعة الغدير وتنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) إماماً وهادياً للأمة وخليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فنزل قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة/٣) وما ورد في تفسير قوله تعالى {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }التكاثر٨ من حديث الإمام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة قال: (نحنُ –أهل البيت- النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم اخواناً بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله إلى الإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته)[٢٣٢] فأهل البيت ليسوا نعمة فقط بل نعمة باقية ثابتة مقيمة فتكون كثيرة مباركة لذا وصفهم بالنعيم. ومن مجموع هذه المقدمات نصل إلى نتيجة: أن أوضح مصاديق تبديل نعمة الله كفراً هم الذين لم يؤمنوا بالإسلام وأشركوا بالله تعالى وأنكروا نبوة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

الإعراض عن ولاية أهل البيت عليهم السلام:

وممن تنطبق عليهم الآية كلّ من أعرض عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يلتزم بوصية النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عمّن ظلم أهل البيت (عليهم السلام) ونصب لهم العداوة والبغضاء فهو ممن بدّل نعمة الله كفراً. وهذه النتيجة مذكورة نصّاً في القرآن الكريم بلفظ الانقلاب الذي هو معنى آخر لتبديل النعمة كفراً قال تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران/١٤٤) فالألفاظ المستعملة نفسها وهي الانقلاب المرادف للتبديل والشكر المقابل للكفر. ووردت في ذلك روايات عديدة ففي الكافي بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعدلوا عن وصيّه لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب) ثمّ تلا هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جهنّم يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) (إبراهيم/٢٨-٢٩) ثمّ قال (نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز)[٢٣٣].

وعلينا أن نتذكر أن من كفر النعمة عدم إظهارها والتحديث بها وعدم القيام بحقوقها كما دلّت عليه الروايات المتقدّمة، فمن قصّر في إظهار نعمة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ولم يتحرّك لإقناع الناس بها بأيّ وسيلة خصوصاً مع توسّع وسائل تبادل المعلومات ونقلها، أو لم يحفظ حرمة أهل البيت (عليهم السلام) في سلوكه وصفاته فهو ممّن لم يشكر هذه النعمة وربّما انطبقت عليه الآية بمعنى من المعاني.

---

(٢٣٢) راجع الروايات في تفسير البرهان: ١٠/٢٣٠.

(٢٣٣) الكافي: ١/١٦٩ ح١.

فليتفقّه كلّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في دينهم وليطلعوا على سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وفضائلهم ومحاسن كلامهم ليوصلوها إلى البشرية جمعاء إذا أردنا أن نكون من الشاكرين على هذه النعمة، وحتى نكون صادقين مع الله تعالى ومع أنفسنا حينما نتبادل التهاني والتبريكات في مثل هذه الأيام ونحمد الله تعالى على التشرّف بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ومباهلة النبي (صلى الله عليه وآله) ونزول سورة هل أتى والتصدّق بالخاتم وغيرها من المناقب الكثيرة.

وعلينا أن نُحيي أمر أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً الشعائر الفاطمية والحسينية شكراً لله تعالى على نعمة مودّتهم وولايتهم وقد كثرت الروايات عنهم (عليهم السلام) أنّهم هم النعمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وبهم يفوز من فاز، وقد مرّ في الأحاديث الشريفة أن شكر النعمة يتحقق بإظهارها والتحدّث بها.

الربط العزائي (الكوريز):

فقد كان أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يحرصون على على إظهار مظلومية الإمام الحسين(عليه السلام) في كل مناسبة وفي كل فرصة تسنح لذلك. فقد روى الرواة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (ما وضع بين يدي جدي علي بن الحسين طعام الا وبكى بكاء شديدا وان احد مواليه قال له : جعلت فداك اني اخاف عليك ان تكون من الهالكين ، فقال: انما اشكو ثبتي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون اني لم اذكر مصارع بني فاطمة إلى وخنقتني العبرة).

وأحيانا كان الإمام السجاد(عليه السلام) يطلب المناسبة ويخلقها احيانا ليحدث الناس بما جرى للحسين وأهل بيته فيذهب الى سوق القصابين في المدينة ليسألهم عما اذا كانوا يسقون الشاة قبل ذبحها و انه ليعلم انهم يفعلون ذلك لانه من السنن المأثورة ولكنه يريد ان يحدثهم عما جرى لابيه ليبعث في نفوسهم النقمة على الظلم والظالمين ، فيقول لهم : لقد ذبح ابو عبدالله عطشانا كما تذبح الشاة فيجتمعون عليه ويبكون لبكائه ، وكان اذا رأى غريباً دعاه إلى بيته لضيافته ثم يقول : لقد ذبح ابو عبدالله غريباً جائعاً ، واستمر طيلة حياته حزيناً كئيباً ، وهكذا كان غيره من الائمة يحرصون على بقاء تلك الذكرى حية في نفوس الاجيال خالدة خلود الدهر لانها لا تنفصل بمعانيها السامية عن اهداف الاسلام العليا ومقاصده الكريمة .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) روي أن قال لجماعة من أصحابه دخلوا عليه في اليوم العاشر من المحرم: أتجتمعون وتتحدثون؟ فقالوا : نعم يا ابن رسول الله، فقال: أتذكرون ما صنع بجدي الحسين لقد ذبح والله كما يذبح الكبش وقتل معه عشرون شاباً من أهله وبنيه وأخوته ما لهم على وجه الأرض من مثيل.[٢٣٤]

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- الإمام علي (عليه السلام): (إن لله تعالى في السراء نعمة الإفضال، وفي الضراء نعمة التطهير).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (أحسنوا جوار النعم، واحذروا أن تنتقل عنكم إلى غيركم، أما إنها لم تنتقل عن أحد قط فكادت أن ترجع إليه).
- الإمام الرضا (عليه السلام): (أحسنوا جوار النعم، فإنها وحشية ما نأت[٢٣٥] عن قوم فعادت إليهم).
- وعنه (عليه السلام): (إستعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعمة).
- الإمام علي (عليه السلام) - في وصيته لكميل: (يا كميل إنه لا تخلو من نعمة الله عزوجل عندك وعافيته، فلا تخل من تحميده وتمجيده وتسبيحه وتقديسه وشكره وذكره على كل حال).

---

٢٣٤ من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسني.

٢٣٥ أي بعدت عنه.

- وعنه (عليه السلام): (لم تخل من لطفه مطرف عين، في نعمة يحدثها لك، أو سيئة يسترها عليك، أو بلية يصرفها عنك).
- وعنه (عليه السلام): (لو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والبصائر مدخولة).
- الإمام علي (عليه السلام): (نعم الله على العبد مجلبة لحوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء).
- عنه (صلى الله عليه وآله): (تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار).
- الإمام علي (عليه السلام): (كل نعيم دون الجنة فهو محقور، وكل بلاء دون النار عافية).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله) - لرجل يدعو ويسأل الله تمام النعمة: (أي شئ تمام النعمة ؟ قال: دعوة دعوت بها أرجو بها الخير، قال: فإن من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها فإن المعاصي تزيلُ النعمْ
وحافظْ عليها بتقوى الإلهِ فإن الإلهَ سريعُ النقمْ

وقال آخر:

آلاء ربي لا يحصيها عددُ وإن يجعلوا البحرَ في عدِّها مددُ
البحر ينفذ والآلاء لا تحصى فسبحانه ربُ، واحدُ، أحدُ
فمن مسَّتهُ نعماء يحمده فشر الناس قد نعموا وما حمدوا

وقال آخر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام و اتصل العمر
إذا عم بالسراء عم سرورها وإن خص بالضراء أعقبها الأجر

ج) القصة:

يروى أن شخصاً ثرياً تعرّض لسجن واضطهاد في بعض البلدان وكانت له أموال وتجارات فهاجر مع أهله إلى كربلاء قبل سبعين عاماً تقريباً وبسبب تلك الضغوط والآلام أصيب بلوثة في عقله فكان إذا أراد أن يسخّن الماء ليصنع قدحاً من الشاي يحرق الدنانير –كان كل دينار يعادل مثقالاً من الذهب يومئذٍ- في الموقد إلى أن ينضج الشاي، ثم يحتسي القدح فرحاً منتشياً ويقول هذا القدح من الشاي قيمته عشرة آلاف دينار. ربما نسخر من هذا ونستقبح فعله ولا نعلم –وشر البلية ما يضحك- أننا أسوأ حالاً منه لأننا نحرق ساعاتنا و أيامنا ولياليا التي هي رأس المال في التجارة التي لن تبور مع الله تعالى ويمكن أن نحصل بها على الدرجات العليا في الجنان والنعم العظيمة ومصاحبة النبي وآله الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) نحرقها في ما لا قيمة له، بل أحياناً في ما يسخط الله تبارك وتعالى ويوجب عقابه والعياذ بالله.

قصة آخرى:

كَانَ قَارُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ من أقرباء النبي مُوسَى(عليه السلام)، وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَكَثْرَةً فِي الأَمْوَالِ حَتَّى فَاضَتْ بِهَا خَزَائِنُهُ، وَاكْتَظَّتْ صَنَادِيقُهُ بِمَا حَوَتْهُ مِنْهَا، فَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ حَمْلَ مَفَاتِيحِهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ الأَقْوِيَاءِ، وَكَانَ يَعِيشُ بَيْنَ قَوْمِهِ عِيشَةَ التَّرَفِ، فَكَانَ يَلْبَسُ الْمَلابِسَ الْفَاخِرَةَ وَلا يَخْرُجُ إِلاَّ فِي زِينَتِهِ، وَيَسْكُنُ الْقُصُورَ، وَيَخْتَارُ لِنَفْسِهِ الْخَدَمَ وَالْعَبِيدَ، وَيَسْتَمْتِعُ بِمَلَذَّاتِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ. لَكِنْ قَارُونُ لَمْ يَكُنْ عَبْدًا شَكُورًا، فَبَدَلاً مِنْ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ، أَخَذَ يَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ وَيَتَكَبَّرُ عَلَى قَوْمِهِ وَيَفْتَخِرُ بِكَثْرَةِ مَا ءَاتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الأَمْوَالِ وَالْكُنُوزِ، فَنَصَحَهُ النُّصَحَاءُ مِنْ قَوْمِهِ وَوَعَظُوهُ وَنَهَوْهُ عَنْ فَسَادِهِ وَبَغْيِهِ وَلَكِنَّهُ أَجَابَهُمْ جَوَابَ مُغْتَرٍّ مَفْتُونٍ مُسْتَكْبِرٍ مُدَّعِيًا أَنَّهُ لا يَحْتَاجُ إِلَى نَصَائِحِهِمْ لأَنَّهُ اكْتَسَبَ مَالَهُ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ مُعْتَقِدًا عَلَى زَعْمِهِ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ وَلِذَلِكَ أَعْطَاهُ الْمَالَ الْكَثِيرَ. وَيُرْوَى أَنَّهُ عِنْدَمَا أُنْزِلَتْ فَرْضِيَّةُ الزَّكَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عليه السلام أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لِقَارُونَ مُذَكِّرًا إِيَّاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَقِّهِ عَلَيْهِ إِنَّ عَلَى كُلّ أَلْفِ دِينَارٍ دِينَارًا، وَعَلَى كُلّ أَلْفِ دِرْهَمٍ دِرْهَمًا، فَحَسَبَ قَارُونُ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ زَكَاةٍ فَاسْتَكْثَرَهُ، فَشَحَّتْ نَفْسُهُ فَكَفَرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عليه السلام. ثُمَّ جَمَعَ قَارُونُ بَعْضَ مَنْ يَثِقُ بِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مُوسَى أَمَرَكُمْ بِكُلّ شَيْءٍ فَأَطَعْتُمُوهُ، وَهُوَ الآنَ يُرِيدُ أَخْذَ أَمْوَالِكُمْ، فَقَالُوا لَهُ: مُرْنَا بِمَا شِئْتَ. قَالَ: ءَامُرُكُمْ أَنْ تُحْضِرُوا "سِبَرْتَا" الْعَاصِيَةَ فَتَجْعَلُوا لَهَا أُجْرَةً عَلَى أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ مُوسَى أَرَادَ الزِّنَى بِهَا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَأَرْسَلُوا لَهَا طَسْتًا مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءًا قِطَعًا ذَهَبِيَّةً.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ لَهُمْ أَتَى قَارُونُ لَعَنَهُ اللَّهُ إِلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عليه السلام مُتَظَاهِرًا بِالْوِدّ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَكَ لِتَأْمُرَهُمْ وَتَنْهَاهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عليه السلام فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ سَرَقَ قَطَعْنَا يَدَهُ، وَمَنْ زَنَى وَهُوَ غَيْرُ مُتَزَوِّجٍ جَلَدْنَاهُ، وَإِنْ تَزَوَّجَ وَزَنَى رَجَمْنَاهُ حَتَّى يَمُوتَ. فَقَالَ لَهُ قَارُونُ: وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ؟ قَالَ مُوسَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، إِنِّي لا أَقْرَبُ هَذِهِ الْفَوَاحِشَ.

فَقَالَ لَهُ قَارُونُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ فَجَرْتَ بِـ"سِبَرْتَا"، فَقَالَ عليه السلام: ادْعُوهَا، فَلَمَّا جَاءَتْ اسْتَحْلَفَهَا مُوسَى عليه السلام بِاللَّهِ الَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ أَنْ تَصْدُقَ، فَتَدَارَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ فَتَابَتْ وَتَبَرَّأَتْ مِمَّا نَسَبُوا إِلَى مُوسَى وَقَالَتْ: كَذَبُوا، بَلْ جَعَلَ لِي قَارُونُ أُجْرَةً عَلَى أَنْ أَتَّهِمَكَ بِالزِّنَى، فَسَجَدَ مُوسَى عليه السلام وَدَعَا اللَّهَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: مُرِ الأَرْضَ بِمَا شِئْتَ فَإِنَّهَا مُطِيعَةٌ لَكَ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي خَرَجَ قَارُونُ كَعَادَتِهِ فِي مَوْكِبٍ كَبِيرٍ يَضُمُّ ءَالافَ الْخَدَمِ وَالْحَشَمِ وَقَدْ تَزَيَّنَتْ ثِيَابُهُمْ بِالذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَرَكِبُوا عَلَى بِغَالِهِمْ وَأَفْرَاسِهِمْ وَهُوَ يَتَقَدَّمُهُمْ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ زَيَّنَهَا وَقَدِ ارْتَدَى أَجْمَلَ ثِيَابِهِ وَأَفْخَرَهَا مَزْهُوًّا بِنَفْسِهِ مُتَطَاوِلاً، وَالنَّاسُ عَلَى الْجَانِبَيْنِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ بِدَهْشَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنِ اغْتَرَّ بِهِ فَقَالَ: هَنِيئًا لِقَارُونَ إِنَّهُ ذُو حَظٍ عَظِيمٍ، مَالٌ وَجَاهٌ. فَلَمَّا سَمِعَهُمْ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مِنْ قَوْمِهِمْ نَصَحُوهُمْ أَنْ لا يَغْتَرُّوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَّارَةٌ.

وَقِيلَ إِنَّ قَارُونَ مَرَّ فِي مَسِيرِهِ عَلَى مَجْلِسٍ لِسَيِّدِنَا مُوسَى عليه السلام فَأَوْقَفَ الْمَوْكِبَ وَخَاطَبَهُ قَائِلاً: يَا مُوسَى أَمَا لَئِنْ كُنْتَ فُضِّلْتَ عَلَيَّ بِالنُّبُوَّةِ، فَلَقَدْ فُضِّلْتُ عَلَيْكَ بِالْمَالِ، وَلَئِنْ شِئْتَ فَاخْرُجْ فَادْعُ عَلَيَّ وَأَدْعُو عَلَيْكَ، فَخَرَجَ سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام ثَابِتَ الْقَلْبِ مُتَوَكِّلاً عَلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبَدَأَ قَارُونُ بِالدُّعَاءِ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، وَدَعَا سَيِّدُنَا مُوسَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ مُرِ الأَرْضَ فَلْتُطِعْنِي الْيَوْمَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتِ الأَرْضُ قَارُونَ الْمَلْعُونَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْخُبَثَاءِ إِلَى أَقْدَامِهِمْ ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكَبِهِمْ ثُمَّ إِلَى مَنَاكِبِهِمْ ثُمَّ قَالَ: أَقْبِلِي بِكُنُوزِهِ وَأَمْوَالِهِ، فَاهْتَزَّتِ الأَرْضُ تَحْتَ دَارِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالٍ، ثُمَّ أَشَارَ مُوسَى عليه السلام بِيَدِهِ فَقَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ فَابْتَلَعَتْهُمْ جَمِيعًا. وَلَمَّا حَلَّ بِقَارُونَ مَاحَلَّ مِنْ خَسْفِ الأَرْضِ وَذَهَابِ الأَمْوَالِ وَخَرَابِ الدَّارِ وَخَسْفِهَا نَدِمَ مَنْ كَانَ تَمَنَّى مِثْلَ مَا أُوتِيَ وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي لَمْ يَجْعَلْهُمْ كَقَارُونَ طُغَاةً مُتَجَبِّرِينَ مُتَكَبِّرِينَ فَيَخْسِفَ بِهِمُ الأَرْضَ.

.....

المحاضرة (٢٥) **بعنوان**: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: ٦٠] الدعاء: فضله وظروف استجابته

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

الأعمال بآثارها وخواتيمها:

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (من أحبَّ أن يعلم قُبلت صلاته أم لم تقبل، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر؟ فبقدر ما منعته قُبلت صلاته)[٢٣٦]. والإمام (عليه السلام) ناظر إلى قوله الله تبارك وتعالى: [أُتلُ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِن الكِتَابِ وَ أَقِم الصَلاةَ إنَّ الصَلاةَ تَنهَى عَن الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكرُ اللهِ أكبَرُ وَاللهُ يَعلَمُ مَا تَصنَعُون] (العنكبوت: ٤٥). وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله): (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً). وروي أن فتىً من الأنصار كان يصلي الصلوات مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) ويرتكب الفواحش فوُصِف ذلك لرسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال: (إن صلاته تنهاه يوماً ما)[٢٣٧]. فقيمة العمل تقاس بما يحقق من الغرض الذي جُعل من أجله، وبمقدار ما يحسن من العمل ويرتب عليه الآثار المرجوّة تزداد قيمة العمل وتزداد تبعاً له قيمة الإنسان العامل نفسه وإلا فلا قيمة للعمل، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (قيمة كل امرئٍ ما يحسنه)[٢٣٨].

تحصيل التقوى هو الغرض من التشريع:

والمتتبع لأغراض الشارع المقدس من جعل الأعمال والتكاليف يجد أن الهدف هو تحصيل ملكة التقوى وذكر الله تبارك وتعالى ومر اقبته في السر والعلن، كما تقدم في أثر الصلاة على سلوك الإنسان، وقال الله تبارك وتعالى في الصوم: [يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلى الذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ] وقال عز من قائل في الهدي الذي يتقرب به الحاج: [لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُها وَلَكِن يَنَالُه التَقوَى مِنكُم] وقال تعالى في عموم الشعائر من حج وغيره: [ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّم شَعَائِرَ اللهِ فإنَّهَا مِن تَقوَى القُلُوبِ] حتى في المعاملات فإن الله تبارك وتعالى يذكّر عباده بالتقوى ففي سورة الطلاق المؤلفة من اثنتي عشرة آية وردت مفردة التقوى خمس مرات.

وهذا التركيز على التقوى لأنها خير وسيلة لتحصيل الكمال والفوز والفلاح قال تعالى: [وَتَزَوَّدُوا فإن خَيرَ الزَادِ التَقوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولِي الألبَابِ] وقال تعالى: [إنَّ اللهَ مَعَ الذِينَ اتَقَوا وَالذينَ هُم مُحسِنُونَ] وإذا كانت الأمور والأعمال بخواتيمها فإن الله تبارك وتعالى يقول: [وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ].

يوم عرفة يوم التوبة:

.. يوم عرفة هو يوم دعاء وتوبة واستغفار فإذا أردنا أن نعرف أننا ممن قبلهم الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم واستجاب لهم وجعلهم من أهل طاعته فلا بد أن تنعكس آثار هذا اليوم على سلوكنا وتصرفاتنا بالندم عما تقدم منا مما لا يليق بوظائف العبودية لله تبارك وتعالى وعقد العزم على أن لا نعود لأمثالها وأن نبذل الوسع لرد المظالم إلى أهلها والاستحلال منهم والبدء بصفحة جديدة بفضل الله تبارك وتعالى.

ومن وسائل تحصيل التقوى بل تحقيق كل أمنية وطلب: الدعاء قال تعالى: [ادْعُونِي أستَجِبْ لَكُم] وقال تعالى: [وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَاعِ إذَا دَعَانِ فَليَستَجِيبُوا لِي وَليُؤمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ] (البقرة: ١٨٦). ورد

---

(٢٣٦) هذا الحديث والذي يليه من البحث الروائي الملحق بتفسير الآية (٤٥) من سورة العنكبوت في كتاب الميزان في تفسير القرآن.

(٢٣٧) البحار: ج٧٩ ص١٩٨.

(٢٣٨) نهج البلاغة: الحكمة: ٨١.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: [مَا يَفتَحِ اللهُ للنَاسِ مِنْ رَحمَةٍ فَلا مُمسِك لَهَا] قال (عليه السلام): (الدعاء)[٢٣٩].

الدعاء أيسر الوسائل إلى أعظم الخزائن:

هذه حقيقة نغفل عنها وهي امتلاكنا لهذه الوسيلة التي تفتح خزائن رحمة الله تبارك وتعالى التي وسعت كل شيء من خلال الدعاء، تصوروا لو أن لأحدكم وسيلة إلى مسؤول كبيروشخصية ذات نفوذ وقوة فإنه سيكون حريصاً على إبقاء تلك الوسيلة والاستفادة منها، وها نحن نمتلك أيسر الوسائل إلى أعظم الخزائن وهو الدعاء، ولا نستثمره، يقول الإمام السجاد (عليه السلام): (ولو دلّ مخلوق مخلوقاً من نفسه على مثل الذي دللت عليه عبادك منك، كان موصوفاً بالإحسان ومنعوتاً بالامتثال ومحموداً بكل لسان، فلك الحمد ما وُجِد في حمدك مذهب، وما بقي للحمد لفظ تُحمد به، ومعنى ينصرف إليه)[٢٤٠]، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، فإنه ليس من باب يكثر قرعه إلا أوشك أن يُفتح لصاحبه).

وللدعاء أهمية كبرى في كتاب الله تبارك وتعالى والأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم) ففي خبر صحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قول الله تبارك وتعالى: [إِنَّ الذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] (غافر: ٦٠) قال (عليه السلام): (هو الدعاء و أفضل العبادة الدعاء) ويشهد لذلك صدر الآية [ادْعُونِي أَستَجِبْ لَكُم]، وفي تفسير قوله تعالى: [إِنَّ إِبرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ] (التوبة: ١٤٤) قال (عليه السلام): (الأواه هو الدَعّاء) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (وكان أمير المؤمنين رجلاً دَعّاءً). وقال تعالى: [قُلْ مَا يَعبَؤ بِكُم رَبّي لَولا دُعاؤُكُم فَقَد كّذّبتُم فَسَوفَ يَكونُ لِزَاماً] (الفرقان: ٧٧) وقال تعالى: [وَاسأَلُوا اللهَ مِن فَضلِهِ، إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيماً] (النساء: ٣٢).

الدعاء لكل حاجة:

والدعاء لكل حاجة مهما صغرت ونحن في كل نفس وكل طرفة عين محتاجون إلى الله تبارك وتعالى الغني فلا نتوقف عن اللجوء إلى الله تبارك وتعالى في كل شيء حتى إذا كان تافهاً بنظرك أو أن الحصول عليه سهل يسير فقد روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال: (سلوا الله عزوجل ما بدا لكم من حوائجكم حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لم يتيسر) وقال: (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع) وعنه(صلى الله عليه وآله) قال: (ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من عدوكم ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: نعم، قال: تدعون بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء) وروي أن الإمام الكاظم سئل عما قيل: لكل داء دواء فقال (عليه السلام): (لكل داء دعاء فإذا أُلهم العليل الدعاء فقد أُذن في شفائه)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تسألوها فإن صاحب الصغائر هو صاحب الكبائر).

الدعاء في كل زمان:

والدعاء في كل زمان حتى زمان اليسر والرخاء ويشتد في زمان العسر والضيق والبلاء، يروي أحد أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) الثقات في شدة المحنة التي فرضها المنصور العباسي بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) وسيفه يقطر دماً من شيعة أهل البيت يقول: (دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) بالمدينة وكان معي شيء فأوصلته إليه فقال: أبلغ أصحابك وقل لهم: اتقوا الله عزوجل فإنكم في إمارة جبار-يعني أبا الدوانيق- فأمسكوا ألسنتكم وتوقّوا على أنفسكم وادفعوا ما تحذرون علينا وعليكم منه بالدعاء، فإن الدعاء -والله- والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدّر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعي الله وسئل: صُرف البلاء صرفاً، فألحوا في الدعاء أن يكفيكموه الله، قال أبو ولاّد: فلما بلّغت أصحابي مقالة أبي

---

(٢٣٩) الروايات الواردة في الخطبة موجودة في كتاب بحار الأنوار، المجلد التاسع عشر، عن مصادرها الأصلية، وأصول الكافي.

(٢٤٠) الصحيفة السجادية، من دعائه (عليه السلام) في وداع شهر رمضان.

الحسن (عليه السلام) قال: ففعلوا ودعوا عليه وكان ذلك في السنة التي خرج فيها أبو الدوانيق إلى مكة فمات عند بئر ميمون قبل أن يقضي نسكه فأراحنا الله منه، قال الراوي: وكنت تلك السنة حاجاً فدخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقال: يا أبا ولاد كيف رأيتم نجاح ما أمرتكم به وحثثتكم عليه من الدعاء على أبي الدوانيق، يا أبا ولاد: ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء).

وقد ورد عن الإمام الهادي(عليه السلام) في حق دعاء (يا من تُحَلُّ به عُقَدُ المكاره) وهو من أدعية الصحيفة السجادية: (إن آل محمد صلى الله عليهم أجمعين يدعون بهذه الكلمات عند إشراف البلاء وظهور الأعداء وخوف الفقر وضيق الصدر وغيرها).

الدعاء يمنع اليأس والإحباط:

ولمنع الإنسان من الوقوع في حالة اليأس والإحباط والقنوط والاستسلام لما يصيبه فقد نبّه الأئمة سلام الله عليهم إلى أن الدعاء يبقى مؤثراً وكفيلاً بتغيير الحال حتى لو أحكم القضاء والقدر ومهما كان التغيير عسيراً قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ادعُ ولا تقل: إن الأمر فُرغ منه، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعطَ شيئاً فسل تعطَ) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (الدعاء يرد القضاء بعدما أُبرم إبراماً).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما زالت نعمة عن قوم ولا نضارة عيش إلا بذنوب اجترحوها، إن الله ليس بظلاّم للعبيد، ولو أنهم استقبلوا ذلك بالدعاء والإنابة لم تنزل، ولو أنهم إذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فزعوا إلى الله بصدق من نيّاتهم ولم يهنوا ولم يسرفوا: لأصلح الله لهم كل فاسد ولرد عليهم كل صالح).

ظروف استجابة الدعاء:

ولا شك أن ليس كل لقلقة لسان هو دعاء بل لا بد من توفّر ظروف لاستجابة الدعاء، روي أن رجلاً من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) (قال: إني لأجد آيتين في كتاب الله أطلبهما فلا أجدهما، قال (عليه السلام): وما هما؟ قال الرجل: [ادْعُونِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ] فندعوه فلا نرى إجابة، قال: أفتَرى الله أخلف وعده؟ قلت: لا، قال (عليه السلام): فمه؟ قلت: لا أدري، قال (عليه السلام): لكني أخبرك: من أطاع الله فيما أمر به ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه، قال الرجل: وما جهة الدعاء؟ قال (عليه السلام): تبدأ فتحمد الله وتمجّده وتذكر نعمه عليك فتشكره ثم تصلّي على النبي(صلى الله عليه وآله) ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها ثم تستغفر منها فهذه جهة الدعاء، ثم قال (عليه السلام): وما الآية الأخرى؟ قلت: قوله: [وَمَا أَنفَقتُم مِن شَيءٍ فهُوَ يُخلِفُهُ] وأراني أنفق ولا أرى خلفاً، قال (عليه السلام): أفتَرى الله أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فمه؟ قلت: لا أدري، قال: لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حقه لم ينفق درهما إلا أخلف الله عليه).

إشكال ورد:

وهنا نصحح فكرة وهي أننا حينما نقول: إن لاستجابة الدعاء ظروفاً فهذا لا يعني تضييقاً في كرم الله تبارك وتعالى وأنه سبحانه يشترط شيئاً لعطائه فإن نعمه تفضلٌ ويبتدئ بها من لا يستحق كما ورد في أدعية شهر رجب (يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة)، والإنسان الكريم لا يشترط ثمناً لعطائه فكيف يشترطها الكريم الحقيقي، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة: (إلهي تقدس رضاك أن يكون له علّة منك، فكيف يكون له علة مني) وهكذا كل صفاته عز شأنه ومنها الكرم تقدست أن يكون لها علة منه تبارك وتعالى لأنها ذاتية فكيف يكون لكرمه سبب من خلقه.

وإنما أراد الأئمة (عليهم السلام) بذكر تلك الظروف تربية الإنسان وتكامله ليسعد وليكون لائقاً بمقام العبودية لله تبارك وتعالى ومحلاً قابلاً لنزول الفيوضات الإلهية، هذا المقام الذي يفخر به أمير المؤمنين (عليه السلام) حين يقول: (إلهي كفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً، وكفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب).

ظروف الاستجابة بحسب الأحاديث:

ويمكن من خلال الأحاديث الشريفة الحصول على ظروف الاستجابة.

فمنها: زمانية، كليلة الجمعة ويومها وما بين الطلوعين وعند الزوال و أيام الأعياد كهذا اليوم وغيرها من المذكورات في كتب السنن والمستحبات.

ومنها: مكانية، كالروضات الشريفة للمعصومين (سلام الله عليهم) والمساجد خصوصاً الأربعة المعظمة وعند قبر الوالدين ونحوها.

ومنها: حالية، كحال نزول المطر وإذا كان الدعاء جماعياً وإذا كان يدعو لغيره.

ومنها: ذاتية مرتبطة بنفس الشخص، ككونه متطهراً وفي حالة السجود وبعد الصلاة خصوصاً الفريضة فإن للمؤمن دعوة مستجابة إثر كل صلاة مفروضة[٢٤١] وأن يسبق الدعاء بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) وأن يعترف بذنبه ويستغفر وأن يكون متوجهاً لما يقول وليس ساهياً[٢٤٢] غافلاً ويلحّ في الدعاء ولا يمل من تكراره وأن يكون بحال الاضطرار ومن تقطعت به الأسباب و اثقاً بالإجابة وإن تأخرت فلعل تأخيرها خير له[٢٤٣] وأن يدعو لإخوانه المؤمنين أولاً بالمغفرة والرحمة وقضاء الحوائج[٢٤٤] وأن يطلب من الغير أن يدعو له[٢٤٥] خصوصاً الإمام العادل والوالدين[٢٤٦].

إن من مفاخر شيعة أهل البيت (سلام الله عليهم) هذا العطاء المبارك الوفير من الأدعية التي صدرت عن أهل بيت العصمة وغطّت كل حاجات الإنسان، ولولا أنهم (سلام الله عليهم) علّمونا كيف ندعو الله تبارك وتعالى وأدب الوقوف بين يديه لما علمنا كيف نناجي ربنا، وماذا تقتضي وظائف العبودية لله العظيم سبحانه.

لقد تضمنت تلك الأدعية أرقى معاني المعرفة بالله تبارك وتعالى وأسمى الأخلاق الكريمة و أفضل العلاقات الإنسانية وأعمق العلوم مما لا يمكن صدوره عن غيرهم (سلام الله عليهم) وليتأمل من يطلب الشواهد على ذلك في الأدعية الواردة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين والإمام الحسين والإمام السجاد (سلام الله عليهم أجمعين) ومنها الأدعية التي ورد الحث على المواظبة عليها كدعاء كميل ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

---

(٢٤١) عن النبي(صلى الله عليه وآله): (من أدّى فريضة فله عند الله دعوة مستجابة).

(٢٤٢) عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساهٍ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة).

(٢٤٣) في صحيحة البزنطي عن الإمام الرضا (عليه السلام): (والله لَمَا أخَّرَ اللهُ عن المؤمنين مما يطلبون في هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم منها) ثم قال (عليه السلام) له: (أخبرني عنك لو أني قلت قولاً كنت تثق به مني؟ قلت له: جعلت فداك: وإذا لم أثق بقولك فبمن أثق و أنت حجة الله تبارك وتعالى على خلقه، قال: فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله، أليس الله تبارك وتعالى: [وَإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَاعِ إذا دعَانِ] وقال: [وَلا تَقنَطُوا مِن رَحمَةِ اللهِ] وقال: [وَاللهُ يَعِدُكُم مَغفِرَةً مِنهُ وفَضلاً] فكن بالله عز وجل أوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنكم مغفورٌ لكم.

(٢٤٤) عن النبي(صلى الله عليه وآله): (إذا دعا أحد فليعم فإنه أوجب للدعاء ومن قدم أربعين رجلاً من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه) وعنه(صلى الله عليه وآله): (ما من مؤمن أو مؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آتٍ إلى يوم القيامة إلا وهم شفعاء لمن يقول في دعائه: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات وإن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب، فيقول المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي كان يدعو لنا فشفّعنا فيه فيشفعهم الله فينجو).

(٢٤٥) روي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى (عليه السلام): (يا موسى ادعني على لسان لم تعصني به، فقال: أنى لي بذلك؟ فقال: ادعني على لسان غيرك)، وبذل الإمام الهادي (عليه السلام) مالاً لأحد أصحابه كي يذهب إلى كربلاء ويزور جده الحسين (عليه السلام) ويدعو له.

(٢٤٦) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أربع لا ترد لهم دعوة: الإمام العادل لرعيته، والأخ لأخيه بظهر الغيب يوكل الله به ملكاً يقول له ولك مثل ما دعوت لأخيك، والوالد لولده، والمظلوم يقول الرب عز وجل: وعزّتي وجلالي لأنتقمن لك ولو بعد حين).

فوائد الدعاء:

إن الأدعية المأثورة لا تتلى فقط لأنها عبادة بل أفضل العبادة كما ذكرنا ولا طلباً للثواب المرصود لها وإن كان عظيماً و إنما للتزود مما فيها من علوم ومعارف، وللتعرض للنفحات والألطاف الإلهية المودعة فيها فيطلب من الله تبارك وتعالى أن يحققها له ويتحفه بها، ولمعرفة الحلول لكل المشاكل والعقد النفسية والاجتماعية والفكرية والعقائدية والأخلاقية، بل حتى السياسية والاقتصادية.

وخلاصة ما تقدم أن نكثر من الدعاء في كل صغيرة وكبيرة وأن نحرص على توفير ظروف استجابته وهي يسيرة ومتوفرة و أيسرها أن لا ننفتل من صلاتنا المفروضة حتى نسبّح تسبيح الزهراء (عليها السلام) ونسجد شكراً لله تعالى ثم نقول: (يا أرحم الراحمين) سبعاً ونصلّي على النبي وآله أجمعين ثم نستغفر الله تعالى مما صدر منا ونطلب العصمة منه تبارك وتعالى لما يأتي وندعو لإخواننا المؤمنين والمؤمنات بحوائجهم العامة والخاصة ثم ندعو لأنفسنا. والأفضل أن نضم إليه مجالس الدعاء الجماعي في المساجد وعقيب صلاة الجماعة وغيرها وبذلك تحققون أكثر ظروف الاستجابة المذكورة.

و أفضل الدعاء و أكمله لسيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان (أرواحنا له الفداء) أن يجمع الله تبارك وتعالى له الخير كله.

الربط العزائي (الكورين):

ومن المواطن التي يلجأ فيها العبد إلى الله تعالى ويضج إليه بالدعاء هي ساعات نزول البلاء وضيق الصدر، وهذا ما ظهر جلياً في سلوك إمامنا الحسين(عليه السلام) حيث تقول الرواية بعد ما قتل أصحابه البررة فعند ذلك وصلت النوبة إلى بني هاشم فبرز ولده علي الأكبر وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً وخُلقاً وأشبههم برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاستأذن أباه في القتال فنظر إليه الإمام الحسين(عليه السلام) نظر آيس منه، وأرخى عينيه وبكى، ورفع سبابتيه أو شيبته الشريفة نحو السماء ودعى قائلاً: (اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجه هذا الغلام، اللهم امنعهم بركات الأرض وفرّقهم تفريقاً ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً ولا تغفر لهم أبداً، ولا ترضي الولاة عنهم أحداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا).

ثم صاح(عليه السلام): (يابن سعد ما لك قطع الله رحمك ولا بارك الله في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك بعدي على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله، ثم رفع صوته وتلا: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)). فحمل علي الأكبر(عليه السلام)على القوم وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي***نحن وبيت الله أولى بالنبي

أطعنكم بالرمح حتى يثني***أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علويّ***والله لا يحكم فينا ابن الدعي

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ترك الدعاء معصية).
- عنه (صلى الله عليه وآله): (الدعاء مخ العبادة، ولا يهلك من الدعاء أحد).
- الإمام علي (عليه السلام): (الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح).
- عنه (عليه السلام): (الدعاء مقاليد الفلاح ومصابيح النجاح).

- عنه (عليه السلام): (الدعاء مفتاح الرحمة ومصباح الظلمة).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض).
- عنه (صلى الله عليه وآله): (يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملا واحدا، فيرى أحدهما صاحبه فوقه، فيقول: يا رب بما أعطيته وكان عملنا واحداً؟ فيقول الله تبارك وتعالى: سألني ولم تسألني).
- الإمام علي (عليه السلام): (أحب الأعمال إلى الله عزوجل في الأرض الدعاء).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ما من شئ أكرم على الله تعالى من الدعاء).
- عنه (صلى الله عليه وآله): (إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء).
- الإمام علي (عليه السلام): (أكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان).
- عنه (صلى الله عليه وآله): (عمل البر كله نصف العبادة، والدعاء نصف).
- الإمام علي (عليه السلام): (الدعاء ترس المؤمن).
- الإمام الباقر (عليه السلام) - لزرارة -: (ألا أدلك على شئ لم يستثن فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قلت: بلى، قال: الدعاء يرد القضاء، وقد ابرم إبراما - وضم أصابعه –).
- الإمام الكاظم (عليه السلام): (عليكم بالدعاء، فإن الدعاء لله، والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعي الله عزوجل وسئل صرف البلاء صرفة).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (عليك بالدعاء، فإن فيه شفاء من كل داء).
- الإمام علي (عليه السلام): (ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، للبلاء أسرع إلى المؤمن من انحدار السيل من أعلى التلعة إلى أسفلها، ومن ركض البراذين).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: صوت معروف ولم يحجب عن السماء، ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء وقالت الملائكة: إن ذا الصوت لا نعرفه).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحوا من دعائه في الشدة).
- عن محمد بن مسلم عن أحد الإمامين الصادقين(عليهما السلام) قال قلت له: (إنا نرى الرجل من المخالفين عليكم له عبادة واجتهاد وخشوع فهل ينفعه ذلك شيئا فقال يا محمد إنما مثلنا أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل وكان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلا دعا فأجيب وإن رجلا منهم اجتهد أربعين ليلة ثم دعا فلم يستجب له فأتى عيسى ابن مريم (عليه السلام) يشكو إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء له فتطهر عيسى وصلى ثم دعا فأوحى الله إليه يا عيسى إن عبدي أتاني من غير الباب الذي أوتي منه إنه دعاني وفي قلبه شك منك فلو دعاني حتى ينقطع عنقه وتنتثر أنامله ما استجبت له فالتفت عيسى (عليه السلام) فقال تدعو ربك وفي قلبك شك من نبيه قال يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت فاسأل الله أن يذهب به عني فدعا له عيسى (عليه السلام) فتقبل الله منه وصار في حد أهل بيته كذلك نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد وهو يشك فينا).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

قد مسَّنا قرحٌ وجار بلاءُ وتعاظمتْ في أرضنا البأساءُ
وأصابنا ضرٌّ تمادى حسرة في القلب منها لوعةٌ وبكاءُ
والمسلمون بكل أرضٍ يشتكو ن: إلهنا اشتدتْ بنا البلواءُ

فرِّجْ كروبَ المؤمنين برحمةٍ إنَّا إليكَ إلهنا فقراءُ
واكشفْ مصائبَ مَنْ أتوك تذللًا وقلوبُهم لك رغبة ورجاءُ
سيجودُ ربي بالغياث تكرمًا وسيُعقب الداءَ الأليمَ دواءُ
وسيكشف الضرَّ العظيمَ بنظرةٍ وتحل مِنْ بعد الضنى النعماءُ
فخزائنُ الرحمن ملأى للعبا دِ إذا ارتجوه وكفُّه سحَّاءُ

وقال آخر:

يامن يرى مافي الضمير ويسمع.....أنت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها.....يامن إليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه في قول كن امنن.....فأن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة.....فبالافتقار اليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة.....فأن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه....إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك أن يقنط عاصياً.....الفضل أجزل والمواهب أوسع

ج) القصة:

روي عن محمد بن الحنفية: أن البراء بن عازب قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أسألك بالله ما خصصتني بأفضل ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وآله مما خصه به جبرئيل مما بعث به إليه الرحمن، قال يا براء إذا أردت أن تدعو الله باسمه الاعظم فاقرأ من أول الحديد عشر آيات وآخر الحشر ثم قل: يا من هو هكذا، وليس شئ هكذا غيره، أسألك أن تفعل بي كذا وكذا، فوالله يا براء لو دعوت علي لخسف بي.

قصة أخرى:

نُقل أنّ رجلاً رأى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في منامه ، وهو يقول : امض إلى فلان المجوسي وقل له : قد أجيبت الدّعوة . فامتنع الرجل من تبليغ الرّسالة ؛ لئلا يظنّ المجوسي أنّه يتعرّض له ، وكان الرجل في دنيا واسعة، فرأى الرجل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثانياً وثالثاً فأصبح فأتى المجوسي ، وقال له في خلوة من النّاس : أنا رسول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إليك ، وهو يقول لك : قد أُجيبت الدّعوة . فقال له : أتعرفني؟ قال : نعم . قال : فإنّي أُنكر دين الإسلام ونبوّة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : أنا أعرف هذا ، وهو الذي أرسلني إليك مرّة ومرّة ومرّة . فقال : أنا أشهد ألاّ إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . ودعا أهله وأصحابه ، فقال لهم : كنت على ضلال وقد رجعت إلى الحقّ ، فأسلموا ، فمَن أسلم فما في يده فهو له ، ومَن أبى فلينزع عن ما لي عنده ، فأسلم القوم وأهله ، وكانت له ابنة مزوَّجة من ابنه . لأنّ المجوس يُجيزون ذلك . ففرّق بينهما ، ثمّ قال لي : أتدري ما الدّعوة ؟ فقلت : لا والله ، وإنّي أُريد أن أسألك الساعة . فقال : لمّا زوّجت ابنتي صنعت طعاماً ودعوت النّاس فأجابوا ، وكان إلى جانبنا قوم أشراف فقراء لا مال لهم ، فأمرت غلماني أن يبسطوا لي حصيراً في وسط الدار، فسمعت صبيّة لهم تقول لأمّها : يا أمّاه ، لقد آذانا هذا المجوسي برائحة طعامه . قال : فأرسلت إليهنّ بطعام كثير، وكسوة ودنانير للجميع ، فلمّا نظروا إلى ذلك قالت الصبيّة للباقيات : والله ، ما نأكل حتّى ندعو له فرفعن أيديهنّ وقلن : حشرك الله مع جدّنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . وأمّن بعضهنّ ، فتلك الدّعوة التي أُجيبت.

.....

المحاضرة (٢٦) **بعنوان**: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُون) [الزمر: ٣٠] دروس وعبر من وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله)

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

تستوقفنا في ذكرى وفاة رسول الله[٢٤٧] (صلى الله عليه وآله) عدة أمور:

الأول: كانت وفاته(صلى الله عليه وآله) شهادة على أن البقاء لله وحده قال تعالى: [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ] (الزمر:٣٠) وقال الإمام الحسين (عليه السلام) ليلة عاشوراء لأخته العقيلة زينب (عليها السلام): (إن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون) ولو استحق أحد أن يبقى لكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنه أكمل الخلق و أفضلهم وجعل الكون بما فيه طوع إرادته وهو عند الله تعالى أكرم من نبيه سليمان بن داود الذي قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): (ولو أن أحداً يجد إلى البقاء سلّماً، أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود (عليه السلام)، الذي سُخّر له مُلك الجن والإنس، مع النبوة وعظيم الزلفة. فلما استوفى طُعمته، واستكمل مدّته، رمَته قِسيُّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية والمساكن معطّلة، وورثها قومٌ آخرون)[٢٤٨] وفي ذلك موعظة للخلق جميعاً.

الثاني: هوان الدنيا على الله تبارك وتعالى حين يُخليها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فما قيمتها بدونه(صلى الله عليه وآله) فأصبحت الدنيا بفقده مظلمة، والآخرة بنوره مزهرة، وفي ذلك عبرة لمن تطمح عينه إلى الدنيا ويجعلها هدفاً لحياته، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ولقد كان في رسول الله(صلى الله عليه وآله) كافٍ لك في الأسوة، ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قُبضت عنه أطر افها، وَوُطِّئت لغيره أكنافها، وفُطمَ عن رضاعها، وزوي عن زخارفها) (فتأسَّ بنبيّك الأطيب الأطهر(صلى الله عليه وآله) فإن فيه أسوةً لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى. وأحبُّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيه والمقتصّ لأثَرِه) (عُرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلمَ أن الله سبحانه أبغضَ شيئاً فأبغضه، وحقَّر شيئاً فحقّره، وصغّر شيئاً فصغّره. ولو لم يكن فينا إلا حبُّنا ما أبغضَ اللهُ ورسولُه وتعظيمُنا ما صغّرَ اللهُ ورسولُه، لكفى به شقاقاً لله، ومحادَّةً عن أمر الله)[٢٤٩]

الثالث: انقطاع جملة من البركات كانت مرتبطة بشخصه المبارك ووجوده بين الناس (منها) الوحي المباشر الذي كان ينزل عليه(صلى الله عليه وآله) (ومنها) ارتفاع ألوان من العذاب، قال تعالى: [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] (الأنفال:٣٣) وورد في أخبار الفريقين أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: (أنزلَ الله عليَّ أمانين لأمتي: [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة)[٢٥٠] ومع ذلك فإن خيره وبركاته متواصلة حتى بعد وفاته، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول

---

(٢٤٧) حديث سماحة الشيخ اليعقوبي من قناة (أهل البيت) الفضائية ليلة وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) في ٢٨ صفر ١٤٣٠ المصادف ٢٠٠٩/٢/٢٤.

(٢٤٨) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢، صفحة ٢٦٢، شرح د. صبحي الصالح، بيروت ١٩٦٧.

(٢٤٩) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠، صفحة ٢٢٦-٢٢٨.

(٢٥٠) الميزان في تفسير القرآن، في ذيل الآية ٣٣ من سورة الأنفال.

الله(صلى الله عليه وآله): مقامي بين أظهركم خيرلكم فإن الله يقول: [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ]، ومفارقتي إياكم خيرلكم. فقالوا: يا رسول الله مقامك بين أظهرنا خيرلنا فكيف يكون مفارقتك خيرلنا؟ فقال: أما مفارقتي لكم خيرلكم فإن أعمالكم تعرض علي كل خميس و اثنين فما كان من حسنة حمدت الله عليها، وما كان من سيئة أستغفر الله لكم)[٢٥١].

الرابع: انفتاح باب الظلم والعدوان على آل بيت النبي (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وقد قال(صلى الله عليه وآله) لأهل بيته: (أنتم المستضعفون بعدي) وحصل ما حصل على دارعلي وفاطمة (صلوات الله عليهما وآلهما) - لذا لا يكاد ينفك الحديث عن وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) من الحديث عما تعرضت له الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)- مخالفين بذلك قول الله تبارك وتعالى: [قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] (الشورى: ٢٣) ووصايا نبيه الأكرم(صلى الله عليه وآله) الكثيرة.

الخامس: الانقلاب على الأعقاب ومخالفة وصية رسول الله(صلى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين (عليه السلام) بالإمامة والخلافة، قال تعالى: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ] (آل عمران:١٤٤) وهذه أهم قضية بلّغها رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأدّاها عن ربه بنص القرآن الكريم قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ] (المائدة:٦٧).

وكل واحد من هذه الأموريستحق أن نطيل الوقوف عنده والتأمل فيه، ولكن الوقت لا يسع لذلك فنقتصر على الأخير لأهميته.

إن قضية الإمامة والخلافة أعظم قضية في الإسلام فهي مفتاح كل خيرلو أن الأمة اهتدت إليها وأخذت بها، ومفتاح كل شرّ - والعياذ بالله- من سفك دماءٍ وتخريب ديارو انحرافٍ عن الدين، عندما يتخلفون عنها، وقد كان النبي(صلى الله عليه وآله) بدأ التصريح بها والدعوة إليها منذ أيام الإسلام الأولى عندما نزلت الآية الشريفة [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ] (الشعراء:٢١٤) فقد روى الفريقان أن النبي(صلى الله عليه وآله) جمع بني عبد المطلب وكانوا أربعين رجلاً ودعاهم إلى الإيمان ومؤازرته واختارعلياً ليكون وصيه وخليفته[٢٥٢] ثم والى(صلى الله عليه وآله) الإعلان والتبليغ بها حتى دعاه الله تبارك وتعالى إلى إكمال الدين و إتمام النعمة بإلزام المؤمنين بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) في غديرخم قبل وفاته(صلى الله عليه وآله) بشهرين وعشرة أيام، لكن بعض الصحابة ولأسباب معلومة نكثوا البيعة، وعندما حاول (صلى الله عليه وآله) تأكيدها قبل وفاته بأربعة أيام أي يوم الخميس الذي سبق وفاته يوم الاثنين حصل لغط وخلاف بين الصحابة فقال (صلى الله عليه وآله) لهم: قوموا، ثم أوصى أهل بيته بالاستعداد للبلاء و اتخاذ الصبر جلباباً، هذه الحادثة التي أطلق عليها عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن: (رزيّة يوم الخميس) لأنها أساس المصائب والانحراف عن خط الرسالة.

الانحراف الذي –كأي خط مائل عن الصراط المستقيم- يزداد بعداً كلما تقدم الزمن فبدأت عُرى الإسلام تُنقَض، ومقدساته تنتهك ولم تبق حرمة له حتى آلت الخلافة إلى أناس يقتلون أولاد النبيين ويحرقون الكعبة ويشربون الخمر ويفعلون المنكرات جهاراً على منابر المسلمين، ونشأت أجيال من المسلمين لا تفقه من أحكام الإسلام شيئاً لأن الناس على دين ملوكهم، ولا سبيل للوصول إلى الأئمة الهداة الحقيقيين فهم معتقلون ومعذبون ومحاصرون، وكان الداخلون الجُدد في الإسلام من الأمم التي غزاها المسلمون لا يرون من الإسلام إلا ما يظهرعلى سلوك الأمراء، ولولا جهاد وجهود الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والثلة المباركة من أصحابهم لما بقي للدين عين ولا أثركأبان بن تغلب الذي قال فيه الإمام

---

(٢٥١)الميزان في تفسير القرآن: ٨٦/٩.

(٢٥٢) الميزان في تفسير القرآن: ذيل تفسير الآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

الصادق (عليه السلام) لما بلغه موته: (لولا أبان لمات فقه أبي).

وكان لهذا الانقلاب على وصية رسول الله(صلى الله عليه وآله) في مستحقي الإمامة والخلافة من بعده و إقصاء القادة الحقيقيين للأمة آثار[٢٥٣] كارثية وويلات عظيمة على الأمة:

منها: تصدي غير المؤهلين للخلافة بل الفاسدين من بني أمية وبني العباس وأضرابهم مما أدى إلى:

١- تشوّه صورة الإسلام نفسه لأن أي دين أو نظام أو آيديولوجية تُقيَّم من خلال سلوك القائمين عليها لعدم التفكيك بين النظرية والممارسة والتطبيق، فلما يتصدى للحكم باسم الإسلام قتلةٌ ومجرمون وفاسدون فإنهم يشوّهون صورته.

٢- طمع أعداء الإسلام في الكيد له واستئصال قواعده وتعاليمه حيث وجدوا لهم منفذاً بل حظوة لدى أولئك المتسلطين الجبابرة.

٣- ضياع مقاييس ومعايير الاستحقاق لهذا المنصب العظيم فأصبحت هدفاً لكل الطامعين في السلطة والحكم ولو بالقهر والسيف ما دام الحكم لمن غلب.

ومنها: ابتداع وسائل من صنع الإنسان للوصول إلى التشريعات كالقياس والشورى وأمثالها لابتعادهم عن مصادر التشريع الأصلية ولحاجتهم إلى قوانين تؤصّل لسلطتهم وتعطيهم الشرعية؛ لذا تبدلت الأحكام وصارت القوانين التي تحكم الحياة وضعية وليست إلهية.

ومنها: عرقلة تربية البشرية وتكاملها، لأن المعلم يجب أن يكون عالماً والواعظ متّعظاً والمصلح صالحاً فكيف يربي الأمة من يتبع هواه ويطلق لنفسه الأمارة بالسوء العنان وقد جعل الشيطان ولياً له من دون الله العظيم فافتقدت الأمة الأسوة الحسنة والمربي الصالح الحنون إلا القليل ممن اهتدى إلى الحق ورزقه الله اتباعه، وعلى العكس من ذلك فقد شجعت تلك السلطات الفساد والانحراف وكانت تمارسه علناً وتوفّر أسبابه.

ومنها: تمزّق الأمة وتشتتها إلى فرق وأحزاب وطوائف متناحرة يستحل بعضهم دماء البعض الآخر [كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] (المؤمنون: ٥٣) ولم يلتفتوا إلى وصية الله تبارك وتعالى: [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٣) وقوله تعالى: [وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] (الأنفال:٤٦) وقد فسّرت الأحاديث الشريفة حبل الله بالقرآن الكريم وعترة النبي(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته.

ومنها: انحسار دور الدين عن التأثير في حياة الأمة، فبعد أن كانت رسالته تنظيم شؤون الحياة كلها اقتصر أثره على عدد من المتدينين من خلال طقوس وعبادات يؤدونها، وقد عمل الطغاة على ذلك لأنهم يعلمون أن إعطاء دور شامل للدين يعني الحاجة إلى الرجوع إلى القيّمين الحقيقيين عليه مما يعني خسارة الحكام الجائرين لسلطتهم ومواقعهم فقرروا عزل الدين ليعزلوا أئمته والأدلاّء عليه.

ومنها: تأخر ركب الحضارة الإنسانية، لأن أوصياء النبي(صلى الله عليه وآله) كان لديهم كل ما تحتاجه البشرية من علوم وقد احتوت المصادر على نظريات علمية في الفيزياء والفلك والرياضيات والفسلجة والكيمياء والطب وغيرها لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) (راجع كتاب قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) وتوحيد المفضّل ورسائل جابر بن حيّان في الكيمياء) فلو أُتيحت الفرصة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) لإظهار علومهم وثنيت لهم الوسادة، لما احتجنا إلى أربعة عشر قرناً لنصنع الطائرة والكومبيوتر والإنسان الآلي والتكنولوجيا النووية وغيرها مما يضمن للبشرية حياةً أفضل وأهنأ وأسعد.

الربط العزائي (الكورين):

وعلى أي حال فقد كانت خسارتنا برسول الله(صلى الله عليه وآله) عظيمة بعظم النتائج التي حصلت بوفاته(صلى الله عليه وآله) فما أصيبت البشرية بمثل رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعلى مثله فليبك الباكون ولينذب النادبون:

أنسَتْ رزيّتُكم رزايانا التي سلفتْ وهوّنت الرزايا الآتية

---

(٢٥٣) تجد تفصيل هذه النقاط في قبس آخر من الجزء الثالث بعنوان {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران : ١٤٤].

روي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أدعوا لي أخي وصاحبي فقالت أم سلمة أدعوا له علياً (عليه السلام) فو الله ما يريد غيره بعدما دعو له الأول والثاني وأعرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم.. فدعي له الإمام علي(عليه السلام) فلما رآه (صلى الله عليه وآله) أومى إليه بالدنو منه فدنا منه فانكب عليه من تحت الثوب فناجاه طويلاً ثم قام، وقال الناس له بعد ذلك: ما الذي ناجاك به قال: أوعز لي ألف باب من العلم وفتح لي من كل باب ألف باب واوصاني بما أنا فاعله انشاء الله تعالى (ثم ان ام سلمة استأذنت على رسول الله فأذن لها فدخلت وسلمت عليه، وقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله مالي أراك متغير اللون فقال نعيت لي نفسي فسلام لك مني فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمد أبداً فقالت ام سلمة واحزناه عليك حزناً لا تدركه الندامة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها: أدعي لي حبيبتي وقرت عيني فاطمة الزهراء فدعيت له فلما رأته اخذت رأسه ووضعته في حجرها وقالت نفسي لنفسك الفداء وروحي لروحك الوقاء واكرباه لكربك يا أبتاه ففتح عينيه وقال لا كرب على أبيك بعد هذا اليوم يا فاطمة، فقالت: يا أبتاه اني أراك مفارق الدنيا فقال لها اني مفارقك يا بنية فسلام لك مني...

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أول ما عصي الله تبارك وتعالى بست خصال: حب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الطعام، وحب النساء، وحب النوم، وحب الراحة).
- الإمام علي (عليه السلام): (إن الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد طياتكم، زائر غير محبوب، وقرن غير مغلوب، وواتر غير مطلوب، قد أعلقتكم حبائله... فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام علله).
- عنه (عليه السلام): (إن لله ملكاً ينادي في كل يوم: لدوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب).
- الإمام زين العابدين (عليه السلام): (أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإما إلى الجنة، وإما إلى النار).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (إن قوما أتوا نبيا فقالوا: ادع لنا ربك يرفع عنا الموت، فدعا لهم فرفع الله تبارك وتعالى عنهم الموت، وكثروا حتى ضاقت بهم المنازل وكثر النسل، وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وأمه وجده وجد جده ويرضيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن ويوضيهم أي ينظفهم. طلب المعاش، فأتوه فقالوا: سل ربك أن يردنا إلى آجالنا التي كنا عليها، فسأل ربه عزوجل فردهم إلى آجالهم).
- الإمام علي (عليه السلام) - من وصاياه لابنه الحسن (عليه السلام) -: (اعلم يا بني أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنك في قلعة ودار بلغة وطريق إلى الآخرة، وأنك طريد الموت الذي لاينجو منه هاربه، ولا يفوته طالبه، ولابد أنه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك).
- وعنه (عليه السلام): (عجبت لمن نسي الموت، وهو يرى الموتى).
- وعنه (عليه السلام): (آفة العلماء حب الرئاسة).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (لا تطلبن أن تكون رأسا فتكون ذنبا).
- الإمام الصادق (عليه السلام): - فيما ناجى الله تعالى به موسى (عليه السلام) -: (لا تغبطن أحدا برضى الناس عنه حتى تعلم أن الله راض عنه، ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له فإن طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحق هلاك له ولمن اتبعه).

- وجاء في الزبور-: (ليست الرئاسة رئاسة الملك، إنما الرئاسة رئاسة الآخرة).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع هذا في أولها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حب المال والشرف في دين المؤمن).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه، إنه لابد من كذاب أو عاجز الرأي).

ب) الشعر:

مما ينسب للإمام علي(عليه السلام):

ولو أنا إذا مِتْنا تركنا * لكانَ الموتُ راحةَ كُلِّ حيّ
ولكنا إذا مِتْنا بُعِثْنا * ونسألُ بعد ذا عن كُلِّ شيّ

ذُكر عَن أبي الْعَتَاهِيَة أَنه دخل يَوْمًا على هارون العباسي فَقَالَ لَهُ هارون أَنْشدني فَقَالَ اجْعَل لي الْأمان قَالَ أَنْت آمن فَأَنْشَأَ وَأنْشد:

لَا تأمن الْمَوْت فِي طرف وَلَا نفس ... وَإِن تسترت بالحجاب والحرس
وَاعْلَم بِأَن سِهَام الْمَوْت قاصدة ... لكل مدرع منا ومترس
مَا بَال دينك ترْضى أَن تدنسه ... وثوبك الدَّهْر مغسول من الدنس
ترجو النجَاة وَلم تسلك مسالكها ... إِن السَّفِينَة لَا تجْرِي على اليبس

وقال آخر:

لا دارَ للمرءِ بعدَ الموت يسكنُها إلا التي كانَ قبلَ الموتِ يبنيها
فإن بناها بخيرٍ طابَ مسكنها وإن بناها بشرٍ خابَ بانيها
لكلِّ نفسٍ وإن كانت على وجلٍ من المنيةِ آمالٌ تقويها
فالمرءُ يبسُطها والدهرُ يقبضُها والنفسُ تنشرُها والموتُ يَطْويها.

وقال آخر:

الموتُ لا والداً يبقي ولا ولدا هذا السبيلُ إلى أن لا ترى أحدا
كان النبيُّ ولم يخلدْ لأمتهِ لو خلدَ اللهُ خلقاً قبلَه خَلُدا
للموتِ فينا سهمٌ غيرُ خاطئةٍ من اليومَ سهمٌ لم يَفُتْنه غَدا.

وقال آخر:

يا نفسُ توبي فإن الموتَ قد حانا واعصِ الهوى فالهوى مازال فَتَّانا
في كل يوم لنا مَيْتٌ نشيعهُ ننسى بمصرعهِ آثارَ مَوْتانا.

ج) القصة:

يحكى أنه كان هناك تاجر غنى عرف عنه التقوى والورع وحب الله عزوجل وفى يوم من الأيام قام التاجر بشراء كيلوين من العنب الأخضر وطلب من خادمة أن يحملهم معه إلى بيت زوجته وأولاده، وبالفعل أرسل الخادم العنب إلى زوجة التاجر الغنى وذهب، وعند الظهيرة توجه التاجر إلى منزله ليستريح قليلاً قبل العودة إلى دكانة مرة أخرى، وعندما وصل إلى منزلة طلب من زوجته أن تحضر له بعض العنب ليأكله، فقالت الزوجة لقد نفذ العنب تماماً حيث أكلته أنا وأولادك، تعجب التاجر وقال: لقد اشتريت لكم كيلوين من العنب ولم تفكروا أن تتركوا لي حتى حبة عنب واحدة قام الرجل وخرج من بيتة وزوجته تناديه لترضيه، فتوجه التاجر فوراً إلى مكتب عقارات وطلب شراء قطعة من الأرض وبناء مسجد كبير عليها فوراً، وبالفعل حضر العمال وقاموا بالبدء في بناء المسجد للتاجر، وعندما اطمأن التاجر على بداية بناء المسجد، عاد إلى منزلة، فاستقبلته الزوجة في قلق تسأله أين كنت؟ فأجابها : الآن أموت و أنا مرتاح البال وراضى الضمير، فقد عملت إلى آخرتي بنفسي، لأنكم لم تتركوا لي حبة عنب واحدة و أنا على قيد الحياة وموجود بينكم، فكيف آمنكم على حالي بعد موتى.

.....

المحاضرة (٢٧) **بعنوان**: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) [الأحزاب : ٧٢] مصاديق أداء الأمانة

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) منزلة عند الله تبارك وتعالى ورسوله(صلى الله عليه وآله) لا يعرفها إلا الله تعالى ورسوله، كما ورد في الحديث الشريف: (يا علي لا يعرفك إلا الله و أنا)، ونختصرها بأنه نفس رسول الله(صلى الله عليه وآله) بنص القرآن الكريم في آية المباهلة: [وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ] (آل عمران: ٦١)، فبمَ بلغ علي (عليه السلام) هذه المنزلة؟ وأي طالب للكمال لا يريد أن يعرف كيف أصبح علي (عليه السلام) بهذه المنزلة ليتأسى به ويقتفي آثاره.

لا يحق لنا أن نجيب لأننا لا نعرف علياً (عليه السلام) حق معرفته، ولولا أن الجواب جاءنا عن أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) لما أجبنا، فقد روى الكليني (رضوان الله عليه) بسنده عن أبي كهمس (الهيثم بن عبد الله الشيباني) قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): عبد الله بن أبي يعفور يقرؤك السلام، قال: وعليك و(عليه السلام)، إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) فالزمه، فإن علياً (عليه السلام) إنما بلغ ما بلغ عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) بصدق الحديث وأداء الأمانة)[٢٥٤].

تعاليم السلوك الى الله تعالى:

وهذا جزء من برنامج عملي ومنهج للتكامل وضعه رسول الله(صلى الله عليه وآله) لتربية أمير المؤمنين (عليه السلام) وصناعته [وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيني] (طه: ٣٩) ومن أهل البيت (عليهم السلام) تؤخذ وسائل التكامل وليس من أدعياء السلوك والمعرفة الذين يبتدعون مناهج وبرامج لا وجود لها في سنة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وهذه الوصفة الإلهية التي قدّمها النبي(صلى الله عليه وآله) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) رويت بسند صحيح في أصول الشيعة كالكافي ومن لا يحضره الفقيه والتهذيب وكتاب المحاسن للبرقي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): يا علي

---

(٢٥٤) وسائل الشيعة: كتاب الوديعة، باب ١، ح١.

أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها، ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى: فالصدق لا يخرجن من فيك كذبة أبداً، والثانية الورع لا تجترين على خيانة أبداً، والثالثة الخوف من الله كأنك تراه، والرابعة كثرة البكاء من خشية الله عزوجل يبنى لك بكل دمعة بيت في الجنة، والخامسة بذل مالك ودمك دون دينك، والسادسة الأخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي، أما الصلاة فالخمسون ركعة، وأما الصوم فثلاثة أيام في كل شهر خميس في أوله، وأربعاء في وسطه، وخميس في آخره، وأما الصدقة فجهدك حتى يقال: أسرفت ولم تسرف، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بقراءة القرآن على كل حال، وعليك برفع يديك في الصلاة، وتقليبهما، وعليك بالسواك عند كل وضوء وصلاة، وعليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، وعليك بمساوئ الأخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا تلومنّ إلا نفسك)[٢٥٥].

معنى الأمانة ومصاديقها:

ونعود إلى الحديث الذي بدأنا به وأن علياً (عليه السلام) بلغ ما بلغ بالصدق وأداء الأمانة، وحينئذٍ قد يقال بأن هاتين الخصلتين مما يتيسر الاتصاف بهما مع أن منزلة علي مما لا يبلغها أحد من بعده كما قال (عليه السلام): (ألا و أنكم لا تقدرون على أن تصيروا مثلي) لذا فإن الأمر يحتاج إلى شيء من الإيضاح والتفصيل، وسنتحدث هنا عن أداء الأمانة، حيث ينصرف الذهن إلى قضية وضع أموال الناس وممتلكاتهم عند بعضهم واستردادهم عند مطالبة أصحابها، فأداء الأمانة يعني رد الحقوق و إيصالها إلى أهلها. وبهذا المعنى يتساوى كثيرون مع علي بن أبي طالب، لكن الأمانة لها معنى أوسع من هذا بكثير وأداء الأمانة يقتضي مسؤوليات كبرى.

أمانة العهد والميثاق:

وأول أمانة وأعظمها هي تلك التي عرضها الله تبارك وتعالى على جميع المخلوقات فاعتذرت عن تحملها وحملها الإنسان قال تعالى: [إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً] (الأحزاب:٧٢) وهي أمانة العهد والميثاق الذي أخذه الله تبارك وتعالى على عباده ليمنحهم بمقتضاه خلافة الله تعالى في الأرض بأن يكون الإنسان مخلوقاً عاقلاً رشيداً ويُسخَّر له الكون كله على أن يكون موحداً لله تبارك وتعالى ومن ثم تعريضه للجزاء والحساب ليثاب على إحسانه بجنة عرضها السماوات والأرض ويحاسب على سيئاته، قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ] (الأعراف:١٧٢). ويعيد الإنسان التأكيد على هذا الميثاق عندما يصافح الحجر الأسود فيقول: (اللهم أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة).

تخلقوا بأخلاق الله:

تلك الخلافة التي تعني أن يكون الإنسان مظهراً للصفات الإلهية والأسماء الحسنى فيجعل الله تعالى المثل الأعلى الذي يبذل وسعه للاتصاف بصفاته [وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى] (النحل: ٦٠) وورد في الحديث الشريف (تخلقوا بأخلاق الله) وهي لا تقتصر على الأسماء الحسنى كالرحيم والكريم والغفار والعليم، بل تشمل كل الصفات الإلهية التي نطق بها القرآن الكريم والأدعية الشريفة والروايات المأثورة كقوله (عليه السلام) في دعاء الافتتاح: (فلم أرَ مولىً كريماً أصبرَ على عبدٍ لئيمٍ منك عليّ يا ربِّ إنك تدعوني فأولّي عنك، وتتحبب إليّ فأتبغّضُ إليك، وتتودد إلي فلا أقبل منك، كأن لي التطول عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إلي، والتفضل علي بجودك وكرمك)، فهذه صفة لله تبارك وتعالى علينا أن نسعى للتخلق بها وهكذا غيرها.

---

(٢٥٥) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٤، ح٢.

وبأداء هذه الأمانة أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) من خطبة له: (ثم أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها، إنها عُرضت على السماوات المبنية والأرضين المدحوة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها. ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن، وهو الإنسان [إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً])[٢٥٦].

وقد تمثلت في رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) كل الصفات الحسنى المتاحة للمخلوقات فقد ورد في الحديث أن أهل البيت (عليهم السلام) حازوا اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأعظم ذي الثلاثة والسبعين حرفاً وبقي حرف واحد اختص تبارك وتعالى به لنفسه وكانوا مظهراً لكل الصفات الإلهية المتاحة لهم كمخلوقين، فأدى أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأمانة خير أداء.

ويعني أداء هذه الأمانة الإيمان والالتزام بكل العقائد الحقة التي أشهد الله تبارك وتعالى عباده عليها [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ] (الأعراف:١٧٢) والأحكام الشرعية التي حدها لعباده والشهادة لرسول الله(صلى الله عليه وآله) بالرسالة والنبوة ولأمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية ولأهل بيته بالمودة والإتباع، ولذا ورد في الكافي تفسير الآية أن (الأمانة هي ولاية أمير المؤمنين).

نفسك التي بين جنبيك:

ومن مصاديق الأمانة نفسك التي بين جنبيك، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (عباد الله، الله الله في أعز الأنفس عليكم، وأحبها إليكم: فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق و أنار طرقه، فشقوةٌ لازمة، أو سعادة دائمة! فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء، قد دُللتم على الزاد وأمرتم بالظعن وحُثثتم على المسير)[٢٥٧] فهي أعز أمانة استودعك الله إياها أو ائتمنك عليها لتهذبها وتحميها من إتباع الهوى ونزغات الشيطان وأن لا تسلس القياد لها فتوردك موارد الهلكة فإن إعطاءها ما تريد –وهي الأمارة بالسوء- يقود إلى الهلاك. في دعاء الصباح لأمير المؤمنين (عليه السلام): (فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها، فواهاً لها لما سولت لها ظنونها ومناها).

وهي قد تبدو مفارقة أن تكون رعاية النفس والإحسان إليها بمنعها مما تشتهيه وكبح جماحها، وعدم إطلاق العنان لها في اللهو واللعب كالذين قضوا ساعات شهر رمضان المباركة –التي جعلها الله تبارك وتعالى ميداناً لأوليائه يتسابقون فيها إلى رضوانه- يقضونها بمتابعة المسلسلات الماجنة ولعبة المحيبس وأمثالها، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في المناجاة الشعبانية: (إلهي قد جُرتُ على نفسي في النظر لها، فلها الويل إن لم تغفر لها) ويقول (عليه السلام): (و إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبُت على جوانب المزلق)[٢٥٨]، وقال (عليه السلام): (و أيمُ الله - يميناً أستثني فيها بمشيئة الله- لأرُوضَنَّ نفسي رياضةً تَهِشُّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً)[٢٥٩] وفي ذلك يوصي الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته خصوصاً الذين يسوّفون التوبة والندم والاستغفار والذين يتلفون أنفسهم فيما يسمونه (جهاداً) أو (ثورة) أو (مقاومة) ونحوها دون الرجوع إلى البصير بأمور الشريعة وما يصلح الأمة، قال (عليه السلام): (عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له و انظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل لَيكون له الغنم فيها الراعي، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجه ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها، والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها، ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة، فأنتم أحقّ أن تختاروا لأنفسكم، إن أتاكم آتٍ منّا فانظروا على أي شيء تخرجون) (فنحن نشهدكم أنا

---

(٢٥٦) نهج البلاغة من الخطبة (١٩٩).

(٢٥٧) المصدر، الخطبة (١٥٧).

(٢٥٨) نهج البلاغة، قسم الرسائل، العدد: ٤٥.

(٢٥٩) المصدر السابق، نفس الموضع.

لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمع منا)[٢٦٠].

الجسد من مصاديق الأمانة:

ومن مصاديق الأمانة: جسدك الذي ائتمنك الله تبارك وتعالى وصنعه لك بأحسن تقويم لتتخذه وسيلة للكمال والوصول إلى الغاية وأمرك بالاعتناء به وحفظه وتوظيفه لهذا الهدف السامي وهو طاعة الله تبارك وتعالى وعبادته فهو وسيلة وليس غاية، ومما ورد في مناجاة الخائفين للإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي هل تسوّدُ وجوهاً خرَّتْ ساجدة لعظمتك، أو تُخرسُ ألسنةً نطقت بالثناء على مجدك وجلالتك، أو تطبع على قلوبٍ انطوت على محبتك، أو تُصِمُّ أسماعاً تلذذت بسماع ذكرك في إرادتك، أو تغلّ أكفاً رفعتها الآمال إليكَ رجاء رأفتك، أو تعاقب أبداناً عملت بطاعتك حتى نحلت في مجاهدتك، أو تعذب أرجلاً سعت في عبادتك).

فمن الخيانة توظيف الجسد في الحرام كاللواتي يتاجرن به أو الذين يستخدمون بعض جوارحهم في الحرام ومن الخيانة إيلام الجسد و إيذاؤه ولو بمثل التدخين الضار فضلاً عن المحرمات كشرب الخمر والزنا أو إيذاؤه تحت عناوين مبتدعة كبعض ما يأمر به أدعياء السلوك إلى الله تعالى والمعرفة ولو كان في ما يفعلونه خيراً لما توقف الأئمة المعصومون (عليهم السلام) عن بيانه وهم كجدهم(صلى الله عليه وآله) [بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ] فلا يحبسون عنهم ما ينفعهم، ومن الإيذاء ما يفعله البعض باسم شعائر الحسين (عليه السلام) والتفجّع لمصابه وهي براءٌ منه [قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ] (يونس: ٥٩).

ومن الخيانة إغراق الجسد في الراحة والترف والاعتناء بمتع الجسد وكمالياته بعيداً عن الهدف، لأنه وسيلة وليس غاية، فلا يعقل إمضاء الوقت المقرر للسفر بالاعتناء بواسطة النقل وترتيبها وتجميلها حتى ينتهي الوقت المقرر لبلوغ الغاية. وهكذا عمر الإنسان المخصص للسفر إلى الملكوت فلا يقضيه في إمتاع الجسد وراحته، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أريحوا أجسادكم بالتعب ولا تتعبوها بالراحة)، وكان (عليه السلام) لا يعطي لجسده إلا ما يقويه على طاعة الله تبارك وتعالى لذلك كان جسده قوياً متيناً قادراً على الانسجام مع ما يقتضيه مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) من الفناء في طاعة الله تبارك وتعالى والجهاد في سبيله حتى قال بعض المتخصصين عندما اطلع على نظام حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) وغذائه: (لولا ضربة ابن ملجم لكان من الممكن أن يعيش علي (عليه السلام) إلى آخر الدهر) ويجيب (عليه السلام) على من يستشكل عليه ويرى أن قوة الجسد في الترف والتنعم، قال (عليه السلام): (وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، ألا وإن الشجرة البرّيّة أصلب عوداً والروائع الخضرة أرق جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً و أبطأ خموداً)[٢٦١]، ويقول (عليه السلام): (فما خُلقتُ ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقمُّمها تكترش من أعلافها وتلهو عما يُراد بها، أو أترك سدى، أو أهملَ عابثاً، أو أجُرُّ حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة)[٢٦٢].

أداء الأمانة:

وإذا انتقلنا إلى أداء الأمانة للآخرين؛ فمن مصاديقها الزوجة فإنها أمانة عند زوجها كما ورد في الدعاء المأثور عند إدخال الزوجة على زوجها: (اللهم على كتابك تزوجتها، وفي أمانتك أخذتها، وبكلماتك استحللت فرجها) إلخ، ولم تأتِ إلى بيت الزوج إلا بعقد وصفه الله تبارك وتعالى بأنه ميثاق غليظ قال تعالى: [وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً] (النساء: ٢١) وهو وصف ميثاقه تبارك وتعالى مع الأنبياء والرسل [وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً] (الأحزاب:٧) وواجبه تجاه هذه الأمانة إكرامها ومعاشرتها بالمعروف ففي الحديث: (خيركم

---

(٢٦٠) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد العدو، باب ١٣، ح١.

(٢٦١) نهج البلاغة قسم الرسائل، العدد: ٤٥.

(٢٦٢) نهج البلاغة، قسم الرسائل، نفس الموضع.

خيركم لأهله و أنا خيركم لأهله) (ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم) فمن ظلم زوجته وقصّر في إكرامها فقد خان الأمانة.

وعيالك أمانة عندك تنفق عليهم وتهذبهم وتحسن تربيتهم وتوجيههم إلى الأخلاق الفاضلة وفعل الخير.

والزوج أمانة عند زوجته تحفظه في ماله ونفسها وتطيعه إذا أمرها.

والعلم أمانة تعمل به وتبذله لمن يستحقه فإن بذل العلم لأهله صدقة وفي قصص بني إسرائيل أن جليساً لموسى (عليه السلام) وعى علماً كثيراً عذّبه الله تبارك وتعالى بمسخه قرداً في عنقه سلسلة فسأل موسى (عليه السلام) ربه عنه فأوحى إليه: (إني كنت حمّلته علماً فضيّعه وركن إلى غيره).

أمانة الموقع السياسي والاجتماعي:

والموقع السياسي والإداري والاجتماعي والعشائري هو أمانة يُسأل الإنسان عن أدائها والقيام بحقوقها وليس غنيمة يستأكل بها، وإن الله تبارك وتعالى مسائله عن حسن سيرته مع من ولاه عليهم، وهذا المعنى ركّز عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) لرسوخ معنى الغنيمة و(تقاسم الكعكة) –بمصطلح الحكام والسلطات- ففي كتابه إلى عامله على آذربيجان أشعث بن قيس يقول (عليه السلام): (وإن عملك ليس لك بطعمةٍ ولكنه في عنقك أمانة، و أنت مسترعىً لمن فوقك. ليس لك أن تفتات في رعية، ولا تخاطرَ إلا بوثيقة، وفي يديك مالٌ من مال الله عزوجل، و أنت من خزانه حتى تسلمه إليّ، ولعلي ألا أكون شرّ ولاتك لك، والسلام)[٢٦٣].

ويعلّم (عليه السلام) مالك الأشتر أوصاف الذين يختارهم للولاية والإدارة والحكم: (ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباةً و أثَرة، فإنهم جِماعٌ من شعب الجوروالخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء)[٢٦٤].

وكان يحاسب عماله أشدَّ المحاسبة إذا علم منهم تقصيراً أو خيانة، ولم ينقل التأريخ خيانة بعض عمال أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا من خلال كشفه (عليه السلام) لهم، في حين أن الحكام الآخرين كانوا فاسدين لكنهم لم يحاسبهم من هو فوقهم، فقد كتب إلى زياد بن أبيه وهو خليفةُ عاملِه على البصرة وتوابعها كالأهوازوفارس وكرمان عبد الله بن عباس: (و إني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خُنتَ من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدَّنَّ عليك شدةً تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر، والسلام)[٢٦٥].

وكتب (عليه السلام) إلى المنذربن الجارود العبدي، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله: (أما بعد، فإن صلاح أبيك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله، فإذا أنت –فيما رُقّيَ إليّ عنك - لا تَدَعُ لهواك انقياداً ولا تُبقي لآخرتك عتاداً، تعمر دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك، ولئن كان ما بلغني عنك حقاً، لَجَمَلُ أهلك وشسع نعلك خير منك، ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يُسَدَّ به ثغر أو يُنفَذَ به أمر، أو يُعلى له قدر أو يُشركَ في أمانة، أو يؤمن على جباية، فأقبل إليَّ حين يصل إليك كتابي هذا، والسلام)[٢٦٦].

معيار المؤمن:

أيها الأحبة: هذا بعض ما يمكن أن نفهمه من معنى الأمانة التي أُمرنا بأدائها، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا] (النساء:٥٨) والتي ورد في فضلها وأهميتها الكثيركقول الصادق (عليه السلام): (لا تغترّوا بكثرة صلاتهم ولا بصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة)[٢٦٧].

---

(٢٦٣) المصدر، العدد: ٥.

(٢٦٤) المصدر، العدد ٥٣.

(٢٦٥) المصدر، العدد ٢٠.

(٢٦٦) المصدر، العدد ٧١.

(٢٦٧) وسائل الشيعة: كتاب الوديعة، باب ١، ح٢.

الخيانة قبال الأمانة:

وبإزاء هذا المعنى الواسع للأمانة وأدائها يكون معنى الخيانة واسعاً فهي تشمل كل تفريط أو تقصير في أداء حق واجب على الإنسان، وهو ظاهر قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (الأنفال:٢٧) فعن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية: (فخيانة الله والرسول معصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل إنسان مأمون على ما افترض الله عزوجل)[٢٦٨]. وقد وردت في الروايات أمثلة لخيانة الأمانة تتجاوز المعنى المتعارف كقول الصادق (عليه السلام): (أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)[٢٦٩] وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الخائن من شغل نفسه بغير نفسه وكان يومه شراً من أمسه)[٢٧٠].

وأعظم الخيانة خيانة الأمة في أي موقع ديني أو اجتماعي أو سياسي أو مالي أو إداري. ومما كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بعض عماله بعد أن بيّن له ما يجب فعله قال (عليه السلام): (وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤسىً لمن خصمه عند الله: الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابن السبيل. ومن استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها؛ فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذلّ وأخزى، وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة، و أفظع الغش غش الأئمة، والسلام)[٢٧١].

الربط العزائي (الكورين):

وللأسف فإن الأمة خانت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أهل بيته(عليهم السلام) فظلموهم وشردوهم وقتلوهم وغصبوا حقهم بعدما أوصاهم(صلى الله عليه وآله) بهم خيراً حيث قال: (و أنا تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي) فخانوا الأمانة وضيعوا حق أهل البيت(عليهم السلام) حتى أصبحت نساء الرسالة أسارى بيد الأرجاس كما تصف هذه الحالة السيدة زينب(عليها السلام) حيث تقول وهي تخاطب الطاغية يزيد: أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك إماءك ونساءك وسوقك بنات رسول الله سبايا؟!، قد هتكت ستورهن، و أبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المنازل والمناهل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي. وكيف ترتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟! وكيف يستظل في ظلمنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان؟! ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

---

(٢٦٨) تفسير نور الثقلين:٢/١٤٤.

(٢٦٩) بحار الأنوار: ٧٢/١٧٧.

(٢٧٠) غرر الحكم للآمدي، الحديث ٢٠١٣.

(٢٧١) نهج البلاغة، قسم الرسائل، العدد ٢٦.

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحج، والمعروف، وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الأمانة تجلب الغناء، والخيانة تجلب الفقر).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (لم يخنك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن).
- الإمام علي (عليه السلام): (أفضل الإيمان الأمانة، أقبح الأخلاق الخيانة).
- وعنه (عليه السلام): (أدوا الأمانة ولو إلى قتلة أولاد الأنبياء (عليهم السلام)).
- وعنه (عليه السلام): (لا تخن من ائتمنك وإن خانك، ولا تذع سره وإن أذاع سرك).
- وعنه (عليه السلام): (اقسم لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لي قبل وفاته بساعة مرارا ثلاثا: يا أبا الحسن أد الإمام علي (عليه السلام): من لا أمانة له لا إيمان له).
- وعنه (عليه السلام): (الأمانة تجر الرزق، والخيانة تجر الفقر).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (الأمانة غنى).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (إن ضارب علي بالسيف وقاتله لو ائتمنني واستنصحني واستشارني ثم قبلت ذلك منه لأديت إليه الأمانة).
- وعنه (عليه السلام): (اتقوا الله وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم، فلو أن قاتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ائتمنني على أمانة لأديتها إليه).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (من عرف من عبد من عبيد الله كذبا إذا حدث وخيانة إذا ائتمن ثم ائتمنه على أمانة الله كان حقا على الله عزوجل أن يبتليه فيها، ثم لا يخلف عليه ولا يأجره).
- عن لقمان الحكيم (عليه السلام): (يا بني، أد الأمانة تسلم لك دنياك وآخرتك، وكن أمينا تكن غنياً).

ب) الشعر:

وما حُمِّلَ الإنسانُ مثلَ أمانةٍ أشقَّ عليه حينَ يحملُها حملا
فإن أنتِ حُملتَ الأمانةَ فاصطبره عليها فقد حُمِّلْتَ من أمرِها ثِقْلا
ولا تقبَلْن فيما رَضْيتَ نَميمةً وقلْ للذي يأتيكَ يحملها مَهْلا

وقال آخر:

إذا ما كنت مُتّخذاً خليلاً فلا تأمن خليلك أن يخونا
فإنّك لم يخنك أخٌ أمين ولكن قلَّما تلقى أمينا

وحُكي أنّ أبا العلاء المعرّي اعترض يوماً على سيّدنا المرتضى (رضي الله عنه) في حدّ السّارق الذي قرّره الشارع المقدّس، و أنشأ يقول شعراً:

يدّ بخمس مئين عسجداً وُدْيتْ ما بالها قُطعت في ربع دينار

فأجابه السيّد (رحمه الله) بهذا البيت :

عِزُّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذِلُّ الخيانة فأفهم حِكمة الباري

وفي رواية :

حراسة الدم أغلاها وأرخصها حراسة المال فانظر حِكمة الباري

وأجابه رجل آخر من أهل المجلس بقوله :

هناك مظلومة غالت بقيمتها وهنا ظَلَمَت هانت على الباري

وقال رجل آخر: لمّا كانت أمينة كانت ثمينة . فلمّا خانت هانت ، ونظم آخر هذا المعنى بقوله :

خيانتها أهانتها وكانت ثمينة عندما كانت أمينه

ج) القصة:

عدم التأثر النفسي: أحيانا يكون الحكم الفقهي غير مجمع عليه لكن يتبناه الأكثر فيسمى (مشهوراً) ولا تكون الشهرة حجة ودليلاً ولا تملك التأثير على الفقيه عند الاستنباط، خصوصاً إذا كان شجاعاً وحازماً ومقتنعاً بما توصل إليه من نتيجة، وهذا هو موقف الفقهاء من كل المؤثرات النفسية والاجتماعية وغيرها التي يتعرض لها لأنه أمام مسؤولية كبرى أمام الله تعالى ورسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم). و أنقل لك حادثة عن الفقيه الكبير صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ هجرية، فقد نقل عنه انه لما كان يبحث في مسألة نجاسة ماء البئر إذا وقعت فيه نجاسة وكمية ما ينزح منه حتى يطهر، أغلق بئراً كان في بيته حتى يفكر بحرّية من دون الضغط النفسي الذي يوجهه لعدم القول بنجاسة البئر لأنها مصدره لاستقاء الماء داخل البيت فلما أنهى البحث عاد وفتحها. وكذا لا يخضعون للضغوط السياسية رغم شدة ما عانوه من الطواغيت ولا للضغوط الاقتصادية رغم شظف العيش الذي لازم أكثرهم، وهذه النزاهة والأمانة والسمو والدقة في ضبط النفس شروط في مرجع التقليد.

قصة أخرى:

إن رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار، وقالا: لا تدفعيها إلى أحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولاً، ثم جاء أحدهما إليها، و قال:إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير، فأبت، فثقل عليها بأهلها، فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولا آخر فجاء الآخر فقال: ادفعي إلي الدنانير. فقالت: إن صاحبك جاءني، و زعم أنك قدمت فدفعتها إليه. فاختصما إلى عمر فأراد أن يقضي عليها، و قال لها: ما أراك إلا ضامنة، فقالت: أنشدك الله، أن تقضي بيننا و ارفعنا إلى علي بن أبي طالب، فرفعها إلى علي و عرف أنهما قد مكرا بها، فقال: «أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟». قال: بلى. قال: «فإن مالك عندنا، اذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليكما» فبلغ ذلك عمر، فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب.

.....

المحاضرة (٢٨) بعنوان: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [التوبة : ١٨]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

البركات المعنوية والمادية لبناء المساجد:

للمساجد أهمية كبيرة في الشريعة من خلال الحث الأكيد على إعمار المساجد مادياً - ببنائها وتشييدها- ومعنوياً - بإقامة

الصلوات والشعائر الدينية والحلقات العلمية ونحوها فيها- وفضل الصلوات فيها خصوصاً لصلاة الجماعة، وثواب المواظبة على الحضور فيها حتى أن مجرد الوجود في المسجد عبادة يثاب عليها وإن لم يفعل شيئاً، ومن خلال بيان بركة الآثار المترتبة على التواصل مع المساجد وغيرها، وسأنقل لكم بعض الروايات الشريفة في ذلك:

١- في بناء المساجد ولو برصف أحجار لتحديد أرض المسجد، صحيحة أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة. قال أبو عبيدة: فمر بي أبو عبد الله (عليه السلام) في طريق مكة وقد سويت بأحجار مسجداً فقلت له: جعلت فداك نرجو أن يكون هذا من ذاك؟ قال: نعم)[٢٧٢].

٢- فضل صلاة الجماعة والسعي إليها في المساجد، صحيحة زرارة قال: (قلت لأبي عبد الله: ما يروي الناس أن الصلاة في جماعة أفضل من صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين صلاة، فقال: صدقوا)[٢٧٣].

وفي خبر آخر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله): (فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلا خفف الله عليه أهوال يوم القيامة، ثم يؤمر به إلى الجنة).

وفي فضل المشي إلى المساجد عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: (من مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس إلا سبحت له الأرض إلى الأرضين السابعة)[٢٧٤] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما عُبد الله بشيء مثل الصمت والمشي إلى بيته) وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: (من مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات).

٣- المتواصل مع المسجد ولو بالنية في ظل الله تبارك وتعالى، فعن رسول الله(صلى الله عليه وآله): (سبعة في ظل عرش الله عزوجل يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل، ورجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله، ورجل ذكر الله عزوجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله، ورجل لقي أخاه المؤمن فقال: إني لأحبك في الله عزوجل ورجل خرج من المسجد وفي نيته أن يرجع إليه، ورجل دعته امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين)[٢٧٥].

٤- سر عظمة المساجد وكرامة زائرها: عن أبي بصير قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن العلة في تعظيم المساجد فقال: إنما أمر بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله في الأرض)[٢٧٦] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: مكتوب في التوراة أن بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ألا أن على المزور كرامة الزائر) وعن الصادق (عليه السلام) أيضاً أنه قال: (عليكم بإتيان المساجد فإنها بيوت الله في الأرض ومن أتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه وكُتب من زواره فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء وصلوا من المساجد في بقاع مختلفة فإن كل بقعة تشهد للمصلي عليها يوم القيامة)[٢٧٧].

٥- الجلوس في المسجد عبادة: عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (صلوات الله عليهم) قال: (قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتياب)[٢٧٨]. وعنه (عليه السلام) عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)قال: (من كان القرآن

---

(٢٧٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٨، ح١.

(٢٧٣) هذا الحديث والذي يليه تجدهما في وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، باب ١، ح٣، ١٠.

(٢٧٤) هذا الحديث والحديثان بعده في وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٤، ح١، ٢، ٣.

(٢٧٥) بحار الأنوار: ٢/٨٤، أبواب مكان المصلي وما يتبعه، باب فضل المساجد وأحكامها وآدابها.

(٢٧٦) الحديث والذي يليه تجدهما في بحار الأنوار: ٦/٨٤.

(٢٧٧) بحار الأنوار: ٣٨٤/٨٣.

(٢٧٨) بحار الأنوار: ٣٨٤/٨٣.

حديثه والمسجد بيته بنى الله له بيتاً في الجنة)[٢٧٩].

٦- فوائد التردد على المساجد: عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه كان يقول: (من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو يسمع كلمة تدل على هدى، أو رحمة منتظرة، أو كلمة ترده عن ردى، أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً)[٢٨٠].

٧- تحذير من لم يحضر الصلاة في المسجد من غير علة: عن علي (عليه السلام): (لا صلاة لمن لم يشهد الصلوات المكتوبات من جيران المسجد إذا كان فارغاً صحيحاً)[٢٨١] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (اشترط رسول الله(صلى الله عليه وآله) على جيران المسجد شهود الصلاة وقال: لينتهين أقوام لا يشهدون الصلاة أو لآمرنّ مؤذناً يؤذّن ثم يقيم ثم لآمرن رجلاً من أهل بيتي وهو علي بن أبي طالب فليحرقنّ على أقوام بيوتهم بحزم الحطب لأنهم لا يأتون الصلاة).

٨- الجلوس في المسجد خير من الجلوس في الجنة: عن علي (عليه السلام) قال: (الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة، لأن الجنة فيها رضا نفسي والجامع فيه رضا ربي)[٢٨٢].

٩- المسجد أحب البقاع إلى الله وفضل تطويل البقاء فيها: ففي الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لجبرائيل (عليه السلام): يا جبرائيل أي البقاع أحب إلى الله عزوجل؟ قال: المساجد وأحب أهلها إلى الله أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً منها)[٢٨٣].

الصحوة باتجاه كيان المسجد في الإسلام:

هذا بعض ما ورد في عظمة المساجد وبركتها على الفرد والمجتمع، وقد لمسنا ذلك على أرض الواقع، لذا فنحن مطالبون اليوم بـ (صحوة) و (يقظة) من هذه الغفلة والتقصير في حق المساجد بل في حق أنفسنا إذ لم نستثمر هذه الفرصة العظيمة للطاعة التي أتاحها الله تبارك وتعالى حتى لا نكون ممن يشكوهم المسجد كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام): (ثلاثة يشكون إلى الله عزوجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه)[٢٨٤].

إن الفرصة متاحة اليوم لنشر المساجد ومحالّ العبادة و إقامة الشعائر الدينية ومجالس الوعظ والإرشاد في كل مكان ولو بأبسط صورها من دون تصور الأبنية الضخمة، مثلا يوجد كثير من الساحات المتروكة يمكن تسويتها وتحديدها أو تسقيفها لتكون محلاً لاجتماع المؤمنين، أو تهيئة بعض غرف الاستقبال والمضايف في الدور لتؤدي الغرض، أو الوصول إلى مستوى تبرع الأشخاص أو الجهات بإنشاء المساجد وتأسيسها على التقوى [لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ] (التوبة:١٠٨).

أهمية الإعمار المعنوي:

والأهم من الإعمار المادي هو الإعمار المعنوي الذي تشكو منه المساجد في الحديث المتقدم، وإعمارها يكون بإقامة الصلوات فيها والذكر والدعاء وبيان الأحكام الشرعية والأخلاق الفاضلة وتهذيب النفوس ومجالس الوعظ والإرشاد وذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومظلوميتهم والشعائر الدينية وتجنيبها ما ينافي قدسيتها من المحرمات واللغو واللهو

---

(٢٧٩) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٣، ح٢.

(٢٨٠) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٣، ح١.

(٢٨١) الحديثان تجدهما في وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أحكام المساجد، باب ٢، ح٣، ٦.

(٢٨٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٣، ح٦.

(٢٨٣) الكافي: ج٣، صفحة ٤٨٩، ح١٤، باب النوادر.

(٢٨٤) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب حكام المساجد، باب ٥، ح١.

وأعمال الدنيا، وفي ذلك ورد عن أبي ذر(رضوان الله عليه) عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: (يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، يا أبا ذر من أجاب داعي الله وأحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة، فقلت: كيف يعمر مساجد الله؟ قال: لا ترفع الأصوات فيها ولا يُخاض فيها بالباطل ولا يشترى فيها ولا يباع و اترك اللغو ما دمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومن يوم القيامة إلا نفسك)[٢٨٥]. وفي الحديث الشريف: (يأتي في آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعدون حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة)[٢٨٦]. ومن وصايا النبي(صلى الله عليه وآله) لأبي ذر(رضوان الله عليه): (يا أبا ذر: كل جلوس في المسجد لغو إلا ثلاثة: قراءة مصلٍّ أو ذكر ذاكر الله تعالى أو سائل عن علم)[٢٨٧].

من بركات إعمار المسجد:

إن من بركات إعمار المساجد وإحيائها دفع البلاء عن الأمة وما أحوجنا إليه، روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى ليريد عذاب أهل الأرض جميعاً حتى لا يحاشي منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشيّب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات، والوُلدان يتعلمون القرآن رحمهم اله فأخّر ذلك عنهم)[٢٨٨] ومن وصايا النبي(صلى الله عليه وآله) لأبي ذر: (يا أبا ذر: يقول الله تعالى: إن أحب العباد إليّ المتحابون بجلالي المتعلقة قلوبهم بالمساجد المستغفرون بالأسحار، أولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم)[٢٨٩]. فسارعوا أيها المؤمنون [إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] (آل عمران:١٣٣) [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلاَةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ] (التوبة:١٨) [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً] (الجن:١٨).

ولنستثمر التوجه الحاصل في شهر رمضان فنديمه ونخلق الحوافز الإضافية له وليقم طلبة العلوم الدينية والخطباء والمبلغون بدورهم وواجبهم في هذه الحركة المباركة. ويحسن مراجعة كتاب (شكوى المسجد) وآخر فصل من كتاب (نحن والغرب) لمعرفة أسباب عزوف الناس عن المساجد وكيفية علاجها وأمور مفيدة أخرى.

الربط العزائي (الكورين):

وقد راعى الإمام الحسين(عليه السلام) حرمة بيت الله ومسجده الحرام ولم يجعل لبني أمية ذريعة في هتك حرمته بقتلة فخرج منه نحو العراق مجاهداً أعداء الدين، تقول الرواية إن عبدالله بن الزبير قال للإمام الحسين(عليه السلام): ان شئت ان تقيم(أي في مكة) اقمت فوليت هذا الامر، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك. فقال له الإمام الحسين(عليه السلام): ان ابي حدثني ان بها كبشا يستحل حرمتها فما احب ان اكون انا ذلك الكبش، فقال له ابن الزبير: فاقم ان شئت وتوليني انا الامر فتطاع ولا تعصى، فقال: وما اريد هذا ايضا. ثم طاف الإمام الحسين(عليه السلام) بالبيت وبين الصفا والمروة وقص من شعره وحل من عمرته ثم توجه نحو الكوفة... لأن يزيد دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلا من شياطين بني امية وامرهم بقتل الإمام الحسين(عليه السلام) على اي حال اتفق فلما علم الإمام(عليه السلام) بذلك عزم على التوجه إلى العراق وكان قد أحرم بالحج .. فحفظ الإمام الحسين(عليه السلام) حرمة قبلة المسلمين فجعل الله تعالى قبره الشريف قبلة للقلوب الوالهة كيف لا وهو صريع العبرة

---

(٢٨٥) المصدر، باب ٢٧، ح٣.

(٢٨٦) المصدر، باب ١٤، ح٤.

(٢٨٧) بحار الأنوار: ٨٣/٣٧٠.

(٢٨٨) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٣، ح٣.

(٢٨٩) بحار الأنوار: ٨٣/٣٧٠.

الساكبة، وقرين المصيبة الراتبة... فحمل عيالة ونسائه وأهل بيته على المحامل وخرج من مكة والنساء والاطفال بأفضل ما يكون من العزوالرعاية والحجاب...

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله) - في التوراة مكتوب -: (أن بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إن على المزور كرامة الزائر، ألا بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) - وقد سأله أبو ذر عن كيفية عمارة المساجد -: (لا ترفع فيها الأصوات، ولا يخاض فيها بالباطل، ولا يشترى فيها ولا يباع واترك اللغو ما دمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومن يوم القيامة إلا نفسك).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (جنبوا مساجدكم مجانينكم وصبيانكم ورفع أصواتكم إلا بذكر الله تعالى، وبيعكم وشراءكم وسلاحكم، وجمروها في كل سبعة أيام، وضعوا المطاهر على أبوابها).
- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، وإن مات وهو على ذلك وكل الله به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره، ويؤنسونه في وحدته، ويستغفرون له حتى يبعث).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (يا أبا ذر إن الله تعالى يعطيك مادمت جالساً في المسجد بكل نفس تنفست درجة في الجنة، وتصلي عليك الملائكة، وتكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات، وتمحي عنك عشر سيئات).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (يا أباذر صلاة في مسجدي هذا تعدل مائة ألف صلاة في غيره من المساجد، إلا المسجد الحرام، صلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره، و أفضل من هذا كله صلاة يصليها الرجل في بيته حيث لا يراه إلا الله عزوجل يطلب به وجه الله تعالى).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة، ما لم يحدث، قيل: يا رسول الله وما الحدث ؟ قال: الاغتياب).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (عليكم بإتيان المساجد فإنها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهرا طهره الله من ذنوبه وكتب من زواره فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء).
- وعنه (عليه السلام): (كان علي (عليه السلام) قد جعل بيتا في داره ليس بالصغير ولا بالكبير لصلاته).
- وعنه (عليه السلام) - في كتاب له إلى مسمع -: إني احب لك أن تتخذ في دارك مسجدا في بعض بيوتك، ثم تلبس ثوبين طمرين غليظين، ثم تسأل الله أن يعتقك من النار وأن يدخلك الجنة ولا تتكلم بكلمة باطلة ولا بكلمة بغي).
- وعنه (عليه السلام): (شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها، فأوحى الله عزوجل إليها: وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة واحدة، ولا أظهرت لهم في الناس عدالة، ولا نالتهم رحمتي، ولا جاوروني في جنتي).
- الإمام علي (عليه السلام): (ليس لجار المسجد صلاة إذا لم يشهد المكتوبة في المسجد، إذا كان فارغا صحيحاً).
- وعنه (عليه السلام): (لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، إلا أن يكون له عذر أو به علة، فقيل: ومن جار المسجد يا أمير المؤمنين؟ قال: من سمع النداء).
- وعنه (عليه السلام): (حريم المسجد أربعون ذراعا، والجوار أربعون دارا من أربعة جوانبها).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

منابرها دومًا تبث مواعظًا وتهدي الرشاد والنصيح لمرشد
وتسدي العلوم منتجات جلية لطالب علم شاقه عذب مورد
وحلقاتها روضات جنة ربنا بها الذكر والخير الوفير لورد
تحف بها الأملاك توقًا ولهفة رضا بصنيع من تلاه الممجد
أعيدوا بني الإسلام سامق مجدها ورعيا لآداب وحسن تعبد
وقوموا بها كنسا وطهرا ورفعة وصونا لها من عابث متمرد
وعمرا لها بالذكر والرشد والتقى وترتيل قرآن ينجي من الردى
فإن بيوت الله عنوان فخرنا وأمجادنا في سالف الدهر والغد
وصلوا على خير الأنام نبينا شفيع الورى زاكي النهى والمحامد

وقال آخر:

قم باسم ربك بانيا ومشيدا وارفع على تقواه هذا المسجدا
واسمع نداء الله فوق مناره لحنا سماويا وطيرا منشدا
ينساب في أعماق كل موحد فيضا ونورا للحياة مجددا
لا صوت أكبر منه أو أعلى ولا تفنى جلالته على طول المدى
خير البقاع مساجد معمورة تلقى بها الأرواح أفضل منتدى

جافت جنوب الصالحين مضاجعا وقضوا ليالهم قياما سجدا
وسعوا إليها في الظلام يحثهم شوق يهز قويهم والمقعدا
يتلون آي الله في محرابها والفجر يوشك نوره أن يولدا
ورأيتهم صفا وقلبا وأحدا ولسان حب السلام مرددا

في المسجد، الاسلام ربى جيله وبه احتمى ممن تمرد واعتدى
ومساجد الاسلام خير مدارس قد أشرقت منها مصابيح الهدى
ومن المساجد شع نور محمد وبنى فكأن بنأوه المتعبدا

ج) القصة:

قال أبو بصير للإمام الباقر (عليه السلام): ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج، فقال: بل ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج، أتحب أن تعلم صدق ما أقوله، وتراه عيانا؟ فمسح يده على عينيه ودعا بدعوات فعاد بصيرا فقال: انظر يا أبا بصير إلى الحجيج قال: فنظرت فإذا أكثر الناس قردة وخنازير، والمؤمن بينهم مثل الكوكب اللامع في الظلماء فقال أبو بصير: صدقت يا مولاي ما أقل الحجيج و أكثر الضجيج؟ ثم دعا بدعوات فعاد ضريراً، فقال أبو بصير في ذلك، فقال عليه السلام: ما بخلنا عليك يا أبا بصير، وإن كان الله تعالى ما ظلمك، و إنما خارلك، وخشينا فتنة الناس بنا وأن يجهلوا فضل الله علينا، ويجعلونا أربابا من دون الله، ونحن له عبيد، لا نستكبر عن عبادته، ولا نسأم من طاعته، ونحن له مسلمون.

قصة أخرى:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: همّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإحراق قوم في منازلهم كانوا يصلّون في منازلهم ولا يصلّون الجماعة، فأتاه رجل أعمى فقال: يا رسول الله، أني ضرير البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): شد من منزلك إلى المسجد حبل واحضر الجماعة.

.....

المحاضرة (٢٩) **بعنوان**: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [المائدة: ٥٤] الحُب الإلهي

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

حببوا الله تعالى للناس:

ورد في حديث نبوي شريف أنه توجد فئة من الناس لهم مقام رفيع يوم القيامة يغبطهم عليه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وتشرأبُّ أعناق طالبي الكمال إزاء مثل هذه الأحاديث ويقبلون عليها بكلّهم، والحديث الشريف عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: (إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يحبّون الله ويحببونه إلى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله)[٢٩٠].

فمن الغريب أنك تجد بعض الناس يتحمّس في الدعوة إلى محبة حزبه أو فريقه الرياضي الذي يشجعه، أو الشخص الذي يعجبه، ويغفل عن الدعوة إلى محبة خالقه الكريم ويزهد في هذا المنزلة الرفيعة وهي منزلة قد لا يبدو من الصعب وصول الإنسان إليها بلطف الله تبارك وتعالى وتوفيقه إذ ليس عليه إلا أن يحبّبَ الله تعالى إلى مخلوقاته. يأمر الله تعالى النخبة من عبادة ليكونوا من الدعاة إلى محبة الله تعالى، ففي حديث عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام): أحببني وحببني إلى خلقي، قال موسى: يا رب إنك لتعلم أنه ليس أحدٌ أحبُّ إلي منك فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فذكّرهم نعمتي وآلائي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً)[٢٩١]، وورد مثله[٢٩٢] عن النبي داود (عليه السلام).

كيف تحبب الله تعالى؟

وهذا الحديث يبين طريقاً لتحبيب الله تعالى إلى خلقه بتذكيرهم بنعمه التي لا تُعدّ ولا تحصى، ولا تحتاج معرفتها إلى مؤونة كبيرة، وليقم الإنسان بمراجعة لنفسه وحاله ليعرف سعة النعم، فمثلاً إذا جلس على الطعام ورأى أنواع المواد الداخلة في إعداده، وكم بُذل عليها من جهود لتصل إليه بهذا الشكل، ولننظر في الخبز الذي هو طعام مشترك لكل الناس كيف تعب الزرّاع لإنتاج حبات القمح ثم طحنت وعُجنت وخبزت، وكل مرحلة من هذه المراحل يقوم عليها عمال ومكائن ولوازم أخرى كالوقود والماء وغيرها، فإذا تأمل الإنسان في هذه المنظومة الواسعة من النعم التي تشترك لتقدم له رغيف الخبز، أحبَّ الإنسان خالقه الذي هيّأ له كل هذه الأسباب وذلّل له كل الصعوبات، وإذا تأمل في الأنواع الأخرى من طعامه وشرابه فإنه سيعجز عن إدراكها فضلاً عن استقصائها. لذلك حكي عن البعض أنه كان يبكي حينما يقدَّم له الطعام لما يراه من أعظم النعم.

---

(٢٩٠) مجمع الزوائد للهيثمي: ١٢٦/١.

(٢٩١) بحار الأنوار: ٣٥١/١٣.

(٢٩٢) بحار الأنوار: ٣٨/١٤.

وهذا لا يعني اقتصار النعم على المطعم والمشرب، ومن ظن ذلك فهو جاهل، فإن لله تبارك وتعالى على عبده نعماً لا تحصى على رأسها الإيمان بالله تعالى وتوحيده ونعمة الإسلام وولاية النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وقد تضمن دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفه جملة من تلك النعم من قبل خروجنا إلى هذه الدنيا، ولو تعرّف الإنسان على عجائب بدنه لرأى عجباً. في أمالي الشيخ الطوسي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: (من لم يعلم فضل الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قصر علمه ودنا عذابه)[٢٩٣] فإذا علم الإنسان بعض ما أنعم عليه ربه –وهي لا تعد ولا تحصى- أحبه، لأن الإنسان مجبول فطرياً على حب من أحسن إليه، ولو أن شخصاً وفّر لآخر واحدة من نعم الله كالحياة بإنقاذه من غرق أو موت محقق أو وفّر له نعمة البصر أو السمع أو الطعام لأحبه وكان مديناً له طول حياته بذلك الإحسان. فكيف لا يحب الله تعالى الذي وفّر له كل هذه النعم.

عرّفوا الله تعالى بما هو أهله من الكمال:

ومن الوسائل الأخرى لتحبيب الله تعالى إلى خلقه بيان صفاته الحسنى وتعريفه إلى خلقه بما هو أهله من الكمال فإن الإنسان ينجذب فطرياً إلى الجمال والكمال، وذلك يتطلب معرفة فإنه لا حب إلا بمعرفة، فنحن لم نرَ رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولا أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة المعصومين والأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) ولم نعايشهم ولكنهم وُصفوا لنا بمحاسن الأخلاق واطلعنا على سيرتهم الكريمة وسمو ذواتهم ومواقفهم النبيلة فأحببناهم، أما الجاهل بهم فإنه لا يعرفهم حتى يحبهم، وهكذا العلماء من السلف الصالح (قدس الله أرواحهم) فإن العامي الذي لا يعرف قيمة إنجازاتهم العظيمة يكون حبه هامشياً مجملاً، أما العلماء الذين وقفوا على مؤلفاتهم وسبروا أغوار علومهم وعلموا قوة ملكاتهم والجهود المضنية التي بذلوها فإنهم يحملون لهم كل الحب والإجلال والتعظيم.

وهكذا إذا تعرّف الإنسان على الصفات الحسنى لخالقه أحبّه، فمثلاً إذا عرف سعة عفوه عن المذنبين وقرأ قوله تعالى: [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] (الزمر:٥٣) وقرأ بعض الروايات في ذلك كقول الإمام الكاظم (عليه السلام) في الشاب الذي قتل مائة بريء وكان يائساً من عفو الله عنه فقال (عليه السلام): (إن يأسه من رحمة الله أعظم من قتله مائة نفس محرمة).

أو عرف سعة رحمة الله تبارك وتعالى بعباده وأنه تعالى وزّع جزءاً من مائة جزء من رحمته على مخلوقاته فبها تتراحم)، تصوروا أن رحمة الأمهات والآباء بأبنائهم لدى الإنسان والحيوان والمشاعر النبيلة التي تتدفق عند رؤية مبتلى أو عاجز أو ذوي عاهة، تشكّل هذه كلها جزء من مائة جزء من رحمة الله تعالى التي لا حدود لها، والقصص في رحمة الله تعالى وتدبيره لأمر خلقه ورعايتهم عجيبة.

أو عرف كيف أن الله يستر على المذنبين والخاطئين ويحفظ كرامتهم ويصون سمعتهم بين الناس كقصة السيد بحر العلوم (قدس سره) الذي أمره الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) بأن يزور رجلاً عادياً من عامة الناس ويبشره بعلو منزلته لخصلة أحبّها الله تعالى فيه وهي أنه لما تزوج امرأة لم يجدها باكراً فطلبت منه الستر عليها وعدم فضحها فاستجاب لطلبها قربة إلى الله تعالى.

أقول: إذا تعرف الإنسان على مثل هذه الصفات لخالقه أحبه قطعاً.

التعرّف على سيرة الأنبياء والرسل والأوصياء:

ومما يحبّب الله تعالى إلى عباده التعرف على سيرة أنبيائه ورسله وأوصيائهم المنتجبين وسمو أخلاقهم وطهارة نفوسهم، فإن رباً يكون رسله وسفراؤه إلى خلقه مثل نبينا الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله) ويكون أولياؤه مثل علي بن أبي طالب

---

(٢٩٣) بحار الأنوار: ٦٩/٢٠.

(عليه السلام) لجدير بأن يستأثر بحب عباده، لأنهم يعكسون صورة عن صفات ربهم. وكمثال على ذلك أن بعض الناس يحبون مرجعية ما ويقلدونها لأن وكيلها ومعتمدها عندهم حسن السيرة محبوب عندهم.

أحبوا الله تعالى ثم حببوه الى الآخرين:

ولا بد للإنسان قبل أن يحبب الله تعالى إلى خلقه أن ينطوي قلبه على حب الله تعالى، ويظهر من الآيات الكريمة والروايات الشريفة أن هذا الحب علامة الإيمان، بل لا يؤثر عليه حب غيره، قال تعالى: [قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (التوبة:٢٤) وقال تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ] (البقرة: ١٦٥) وقال تعالى: [فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ] (المائدة: ٥٤).

متى يحصل الحب الإلهي؟

وروي أنه سئل رسول الله(صلى الله عليه وآله): (يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليك مما سواهما)[٢٩٤] وفي حديث آخر (لا يؤمن العبد حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين). ويحصل الحب لله تبارك وتعالى بعد تحقق مقدمتين، كلما قويتا قوي الحب وكمُل:

الأولى: تطهير القلب من حب الدنيا وتهيئته بتفريغه لحب الله تعالى، فإن القلوب أوعية لا تستوعب أمراً ما حتى تخليها من غيره، قال تعالى: [مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ] (الأحزاب: ٤) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن كنتم تحبون الله فأخرجوا من قلوبكم حب الدنيا) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله تعالى) ولذا وردت الوصية فيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله).

وروي أن النبي(صلى الله عليه وآله) نظر إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال(صلى الله عليه وآله): (انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبويه يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون)[٢٩٥].

الثانية: المعرفة بالله تعالى، فإنه لا حب إلا بعد المعرفة، ولا يحب الإنسان شيئاً يجهله؛ ويكرر القرآن الكريم كثيراً الأمر بالتدبر والتأمل والتفكر في آيات الله للوصول إلى المعرفة، قال تعالى: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] (فصلت:٥٣). وتفاوت الناس في حبهم لله تبارك وتعالى بمقدار تفاوتهم في هاتين المقدمتين، وتبعاً لذلك تتفاوت درجاتهم عند الله تبارك وتعالى.

آثار حب الإنسان لله تعالى وعلاماته:

إذا كان الحب صادقاً فإن آثاره ستظهر على سلوك الإنسان وعلاقته بالآخرين، فهذه الآثار تكون علامات على صدق الحب، ومن دون تحققها يكون ادعاء الحب وهماً:

١- طاعة المحبوب والقيام بكل ما يقربه من محبوبه ويطبّق ما يكسبه رضاه ويجتنب ما يسخطه، ففي الحديث: (قال رجل للنبي(صلى الله عليه وآله): يا رسول الله علّمني شيئاً إذا أنا فعلته أحبني الله من السماء وأحبني الناس من الأرض، فقال(صلى الله عليه وآله) له: ارغب فيما عند الله عزوجل يحبّك الله، وازهد فيما عند

(٢٩٤) الحديث والذي يليه تجده في مجموعة ورّام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر): ٢٢٣/١.

(٢٩٥) المحجة البيضاء، كتاب مقامات القلب: ١١٤.

الناس يحبّك الناس)[٢٩٦] قال الله تبارك وتعالى: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (آل عمران:٣١)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما أحب الله عزوجل من عصاه، ثم تمثّل فقال:

تعصي الإله و أنت تُظهرُ حبّهُ هذا لعمري في الفعال بديعُ
لو كان حبّك صادقاً لأطعتَه إن المحب لمن أحبَّ مطيعُ[٢٩٧]

ولا يجتنب المحرمات فقط بل يترك المكروهات لأن الله تعالى لا يحبها.

٢- إدامة ذكر الله تبارك وتعالى، فإن المحب لا يغفل عن ذكر حبيبه ومن أحب شيئاً أكثر ذكره بلسانه أو بقلبه وعقله وأحبّ ذكر الله تعالى، عن الرسول(صلى الله عليه وآله): (علامة حب الله تعالى حب ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله تعالى)[٢٩٨]، ودوام ذكر الله تعالى حصن الإنسان من الوقوع فيما يسخط الله تعالى ويبعد منه ومفتاح الارتقاء في الكمالات وسبب لذكر الله تعالى إياه [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] (البقرة: ١٥٢).

٣- إيثار محبة الله على ما يحبه العبد، فإذا خُيِّر بين أمرين اختار أرضاهما لله تبارك وتعالى وإن كان على خلاف هواه وما تشتهيه نفسه، لأن المحب يؤثر رضا محبوبه على رضا نفسه ففي البحار عن الإمام الصادق (عليه السلام): (دليل الحب، إيثار المحبوب على من سواه).

٤- إنه سيحب كل من يرتبط بمحبوبه فيحب الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) لأنهم مبعوثون من الله تبارك وتعالى، ويحب الأئمة والأوصياء (عليهم السلام) لأنهم منتجبون من الله تبارك وتعالى، ويحب القرآن لأنه رسالة ربه إلى عباده، عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: (قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) للناس وهم مجتمعون عنده: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لله عزوجل وأحبوا قرابتي لي)[٢٩٩] ويحب العلماء والفقهاء لأنهم يهدونه إلى الله تبارك وتعالى، ويحب الشعائر والمشاعر المقدسة لأنها تذكّره بالله تعالى، ويحب المؤمنين لأنهم أهل طاعة الله تعالى، عن الإمام الباقر(عليه السلام): (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله عزوجل ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب).

٥- وإذا أحبَّ العبدُ ربَّه نشطت الأعضاء للعبادة ولم يستثقلها واستزاد منها فلم يقتصر على الواجبات، بل يكثر من المستحبات لأنها محبوبه عند الله تعالى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان فيما ناجى الله عزوجل به موسى بن عمران (عليه السلام) أن قال: يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، هذا أنا ذا يا بن عمران مطلع على أحبائي إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور، يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل وادعني فإنك تجدني قريباً مجيباً)[٣٠٠].

٦- ومن علامات حب الله تعالى أن العبد لا يكره الموت قال تعالى: [قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (الجمعة:٦) في الرد على زعمهم [وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ] (المائدة:١٨)، وكيف يكرهه وبه ينتقل الإنسان من سجن الدنيا إلى حظيرة القدس ولقاء ربه وأوليائه (وإذا علم أنه لا وصول إلى هذا اللقاء إلا بالارتحال عن الدنيا بالموت، فينبغي

---

(٢٩٦) بحار الأنوار: ٥/٧٠ عن ثواب الأعمال والخصال.

(٢٩٧) بحار الأنوار: ١٥/٧٠ عن أمالي الصدوق.

(٢٩٨) ميزان الحكمة: ٥١٠/١.

(٢٩٩) بحار الأنوار: ١٦/٧٠ عن علل الشرائع والأمالي للصدوق.

(٣٠٠) بحار الأنوار: ١٤/٧٠ عن أمالي الصدوق.

أن يكون محباً للموت غير فارٍ منه، فالمحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته. والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة قال النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله): (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه))[٣٠١].

نعم قد يحب الإنسان البقاء في الدنيا للاستزادة من طاعة الله تبارك وتعالى ونيل رضاه وهذا لا ينافي الحب ((وفي الخبر المشهور أن إبراهيم (عليه السلام) قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه، فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض))[٣٠٢].

٧- ومن علامات حب الله تعالى و آثاره أنه يسعى للاتصاف بصفاته الحسنى، فالمحب يتمثل في حياته كل حركات وسكنات بل رغبات محبوبه، كما نجد من يحب عالماً أو بطلاً فيقلّده في ملبسه ومشيته ومطعمه وحركاته ونحوها، فالعبد إذا أحب ربه اتصف بصفاته الحسنى.

٨- ومن علامات حبّ الله تعالى حبّ عباده ومخلوقاته والرحمة بهم والشفقة عليهم لأنهم من صنع ربه و إبداعه ولأنهم رعاياه فيسعى لإسعادهم وقضاء حوائجهم وتفريج كربهم ورفع الظلم عنهم. فالذي يقابل حاجة الناس ومعاناتهم بقسوة قلب وعدم اكتراث لا يحلّ في قلبه حبّ الله تعالى.

٩- ومن علامات حب الله تعالى الرضا بقضائه والتسليم لأمره روي (إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) مرّ بقومٍ فقال لهم: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون. فقال: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال(صلى الله عليه وآله): مؤمنون برب الكعبة)[٣٠٣] وقال أيضاً: (إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم حساباً؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزتم على الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة من أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد(صلى الله عليه وآله)، فيقولون: نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلّغنا الله هذه المنزلة بفضله ورحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا)[٣٠٤].

١٠- وأن يكون الحب ممزوجاً بالخوف من الإعراض أو الإبعاد أو أن يستبدل به غيره، يروى أن الإمام (عليه السلام) إذا أحرم ولبى وقال: (لبيك اللهم لبيك) كانت ترتعد فرائصه ويقول: أخشى أن يجيبني الله تبارك وتعالى: لا لبيك). وقد يكون الخوف من التوقف وعدم التوفيق لمزيد القرب من الله تعالى فيكون من أهل الحديث: (من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون)[٣٠٥].

جزاء من يحب الله تبارك وتعالى:

١- إذا أحب العبد ربه أحبه وقرّبه منه وأدخله جنته قال تعالى: (يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ)، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده)[٣٠٦] ويشرح الحديث الآخر كيفية معرفة ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب كذلك منزلته عند الله تبارك وتعالى)، وفي حديث آخر عن علي (عليه السلام) قال: (من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف

---

(٣٠١) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني، كتاب مقامات القلب.

(٣٠٢) مجموعة ورام: ٢٢٣/١.

(٣٠٣) مجموعة ورام: ٢٢٩/١.

(٣٠٤) مجموعة ورام: ٢٣٠/١.

(٣٠٥) معاني الأخبار للصدوق: ٢٤٢.

(٣٠٦) الحديث وما بعده في بحار الأنوار: ١٨/٧٠ عن معاني الأخبار والخصال.

منزلته عنده فإن كل من خيّرله أمران أمر الدنيا وأمر الآخرة فاختار أمر الآخرة على الدنيا فذلك الذي يحب الله ومن اختار الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده)[٣٠٧]. وروي في أخبار داود (عليه السلام) (يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب من أحبني، ما أحبني أحد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحببته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي و آنسوني أؤ انسكم وأسارع إلى محبتكم)[٣٠٨].

٢- وإذا أحب الله عبده: وفقه لطاعته وجنّبه معصيته، روي أن موسى (عليه السلام) قال: (يا رب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه: إذا رأيتني أهيئ عبدي لطاعتي وأصرفه عن معصيتي فذلك آية رضاي)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا أحب الله عبداً ألهمه طاعته). وفي حديث آخر (إذا أحبّ الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه).

٣- وإذا أحب الله عبده: تولى أمره وتدبير شؤونه، ونصره على أعدائه، وأولهم نفسه التي بين جنبيه فلا يخذله ولا يكله إلى نفسه وشهواته، وفي الحديث عن النبي(صلى الله عليه وآله): (عن جبرئيل قال: قال الله تبارك وتعالى: وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده، وإن من عبادي المؤمنين لمن لم يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك)[٣٠٩] إلى آخر الحديث.

٤- وإذا أحب الله عبده: كان دليله وسدد خطاه و أنار بصيرته وما أحوجنا إلى دليل يسدّدنا ويميّز بين الحقّ والباطل ويبصّرنا بحقائق الأمور، في الحديث النبوي المتقدم: قال الله تبارك وتعالى: (وما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يبتهل إليّ حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموئلاً إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته)[٣١٠].

٥- وإذا أحبّ الله عبداً حشره مع من أحب، جاء إعرابي إلى النبي(صلى الله عليه وآله) (فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال(صلى الله عليه وآله): ماذا أعددت لها؟ فقال: ما أعددت كثير صلاة ولا صيام إلا أنّي أحب الله ورسوله، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): المرء مع من أحب. قال: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك)[٣١١].

ما يحببكم إلى الله تعالى:

من خلال استقراء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تحصل على قائمة طويلة بما يحببك إلى الله تعالى، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] (البقرة: ٢٢٢) وقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ] (الصف:٤). ومن الأحاديث الشريفة[٣١٢] عن النبي(صلى الله عليه وآله): (ثلاثة يحبها الله سبحانه: القيام بحقه، والتواضع لخلقه والإحسان لعباده) وعنه(صلى الله عليه وآله): (ثلاثة يحبها الله: قلة الكلام، وقلة المنام، وقلة الطعام، ثلاثة يبغضها الله: كثرة الكلام، وكثرة المنام، وكثرة الطعام) وعنه(صلى الله عليه وآله) قال: (يقول الله تعالى: إنّ أحبَّ العباد إلي المتحابون بجلالي المتعلقة قلوبهم بالمساجد المستغفرون بالأسحار، أولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة

---

(٣٠٧) بحار الأنوار: ٢٦/٧٠.

(٣٠٨) الحديث والذي يليه في بحار الأنوار: ٢٦/٧٠.

(٣٠٩) علل الشرائع: ١٢ الباب ٩، ح٧.

(٣١٠) وفي المحاسن: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) (بحار الأنوار: ٢٢/٧٠).

(٣١١) مجموعة ورام: ٢٢٣/١.

(٣١٢) هذه الأحاديث نقلت من بحار الأنوار ومجموعة ورام.

ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم).

وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله): (أحب العباد إلى الله عزوجل رجل صدوق في حديثه محافظ على صلو اته وما افترض الله عليه مع أدائه للأمانة) وعنه(صلى الله عليه وآله): (أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة نبيه وتفكّر في عيوبه و أبصروعقل وعمل) وعن الإمام الباقر(عليه السلام): (ما عبد الله بشيء أحب إلى الله عزوجل من إدخال السرور على المؤمن) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقيرمن الفقرفي دنياه ومعاشه ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين)، وعن الإمام الباقر(عليه السلام) عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: (ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عزوجل من التزويج)[٣١٣].

أوثق عرى الإيمان:

إن الله تبارك وتعالى يحبُّكم لأنه خالقكم وصانعكم و أبدع في صنعكم وجعلكم في أحسن تقويم وكرّمكم وفضلكم على كثير ممن خلق وسخّر لكم ما في الأرض جميعاً ويباهي بكم ويتحدى بكم من اتخذوهم أرباباً من دونه و أنداداً له [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] (لقمان:١١) يروى أن أبا تمام الشاعر المشهوريقول إن كل بيت من شعري عندي كابني، أقول: هذا وهو بيت من الشعر مهما كان بديعاً، فما هو محل هذا الكائن العجيب عند خالقه ومبدعه.

أتحسب أنّك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

فأحبوا الله تبارك وتعالى وحببوه إلى عباده وأحبوا عباد الله ومخلوقاته، واجعلوا دليلكم في من تحبون ومن تبغضون حب الله لهم وبغضه إياهم، في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (مِن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله)[٣١٤] وفي المحاسن عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من أحب لله و أبغض لله وأعطى لله ومنع له فهو ممن كمل إيمانه).

الربط العزائي (الكورين):

والذي حدى بالإمام الحسين(عليه السلام) أي يُقدم نفسه وأهل بيته وأصحابه قرابين لله تعالى هو حبه العظيم له...وكأن لسان حال الإمام الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء:

تركتُ الخلقَ طُرّاً في هواكا و أيتمتُ العيالَ لكي أراكا

فلو قطّعتَني بالحبّ إرباً لَما مال الفؤادُ إلى سواكا[٣١٥]

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (ثلاثة يحبهم الله عزوجل: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فاستقبل العدو).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا أحب الله عبدا ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه).

---

(٣١٣) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، باب استحبابه، ح٤.

(٣١٤) الحديث والذي يليه في بحار الأنوار: ٦٩/٢٣٨-٢٣٩.

٣١٥ يُقال إنها تُنسَب لإبراهيم بن الأدهم، المتصوّف المعروف.

- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا أحب الله عبدا من أمتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته ليحبوه فذلك المحب حقا).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، و اقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (يا رب وددت أني أعلم من تحب من عبادك فأحبه؟ قال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك و أنا احبه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته عن ذلك و أنا أبغضته).
- وعنه(صلى الله عليه وآله): (إن أحبكم إلى الله جل ثناؤه أكثركم ذكرا له، و أكرمكم عند الله عزوجل أتقاكم له).
- وعنه(صلى الله عليه وآله): (أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده، و أقومهم بحقه، الذين يحبب إليهم المعروف وفعاله).
- وعنه(صلى الله عليه وآله): (يقول الله تبارك وتعالى: إن أحب العباد إلي المتحابون من أجلي، المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، اولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيت سروراً).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله، ونصح لامة نبيه، وتفكر في عيوبه، و أبصروعقل وعمل).
- وعنه(صلى الله عليه وآله): (ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب، وما من شئ أبغض إلى الله تعالى من شيخ مقيم على معاصيه) .
- وعنه(صلى الله عليه وآله): (إن الله تعالى يباهي بالشاب العابد الملائكة، يقول: انظروا إلى عبدي ترك شهوته من أجلي).
- الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): -(لما سمع ضجة أصحابه في المسجد وهم يقرأون القرآن -: طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)).
- وعنه (عليه السلام): (أحب العباد إلى الله تعالى المتاسي بنبيه صلى الله عليه و آله وسلم , والمقتص اثره).
- وعنه (عليه السلام): (أحب العباد إلى الله أطوعهم له و أتقاهم).
- وعنه (عليه السلام): (أحب الناس الى الله اشفقهم على عياله).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبداً ألهمه العلم).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبدا ألهمه رشده و وفقه لطاعته).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبدا ألهمه حسن العبادة).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبدا ألهمه الصدق).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبدا حبب إليه الأمانة).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبدا زينه بالسكينة و الحلم).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبدا وعظه بالعبر).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله عبدا رزقه قلبا سليما وخلقا قويماً).

- وعنه (عليه السلام): (أحب الناس إلى الله سبحانه العامل فيما انعم به عليه بالشكر, و ابغضهم اليه العامل في نعمه بكفرها).
- وعنه (عليه السلام): (أحب الناس إليك من كثرت أياديه عندك , فان لم يكن فمن كثرت أياديك عنده).
- وعنه (عليه السلام): (أحب الناس إلى الله سبحانه العامل فيما أنعم به عليه بالشكر و أبغضهم إليه العامل في نعمه بكفرها).
- وعنه (عليه السلام): (إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه).
- وروي أن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن الحب والبغض، أمن الإيمان هو؟ أجاب(عليه السلام): (وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟!).
- الإمام الباقر(عليه السلام): (الدين هو الحب، والحب هو الدين).
- عن السيد المسيح (عليه السلام) - لما سئل عن عمل واحد يورث محبة الله: (ابغضوا الدنيا يحببكم الله).
- في حديث المعراج: (يا محمد وجبت محبتي للمتحابين في، ووجبت محبتي للمتعاطفين في، ووجبت محبتي للمتواصلين في، ووجبت محبتي للمتوكلين علي، وليس لمحبتي علم ولا غاية ولا نهاية، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم علماً).
- الإمام الصادق (عليه السلام): قال الله تبارك وتعالى: (ما تحبب إلي عبدي بأحب مما افترضت عليه).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (الحب أفضل من الخوف).
- الإمام زين العابدين (عليه السلام): (إن الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله، من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه، ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين).
- وعنه (عليه السلام): (إن أحب الخلائق إلى الله تعالى شاب حدث السن في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله في طاعة اللهّ تعالى، ذاك الذي يباهي اللهّ تعالى به ملائكته فيقول : هذا عبدي حقاً).
- وعنه (عليه السلام): (إذا أحب الله تعالى عبدا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وقواه باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف).
- وعنه (عليه السلام): (أحب العباد إلى الله عزوجل رجل صدوق في حديثه، محافظ على صلاته وما افترض الله عليه، مع أداء الأمانة) .
- وعنه (عليه السلام): (قال الله عزوجل: الخلق عيالي، فأحبهم إلي ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم) .
- وعنه (عليه السلام): (...وإن أحب الناس إلى الله تعالى أسخاهم كفا ، وأسخى الناس من أدى زكاة ماله ، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله).

ب) الشعر:

يُنسب إلى الإمام الباقر(عليه السلام):

تُعصي الاله و انت تظهرُحَبه هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إنّ المحب لمن أحب مُطيع

وقال عبد الله بن المبارك :

إذا ما الليل أظم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع.

ج) القصة:

إنّ الله أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام): (إنّك لمّا سلّمت مالَك للضِيْفان، وولَدك للقُربان، ونفسك للنّيران، وقلبك للرّحمان، اتَّخذناك خليلاً). (كذب من ادّعى محبتي): أوحى الله تعالى إلى داوود سعد: يا داود كذب من ادّعى محبتي، وإذا جنّه الليل نام عني، أليس كلّ محب يحب الخلوة بحبيبه؟

قصة أخرى:

جاء في كتاب (ربيع الأبرار) أن إبليس قال: إلهي إن عبادك يحبونك ويعصونك، ويبغضونني ويطيعونني. - عنهم أطاعوك بما أبغضوك منهم فأتاه الجواب : إني عفوت ما ، وقبلت إيمانهم وإن لم يطيعوني ما أحبوني) ./ كشكول البهائي.

.....

المحاضرة (٣٠) بعنوان: (لِيَبْلُوَكُمْ) [الملك : ٢] سُنة الابتلاء

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

سنة الابتلاء:

ما دام الإنسان في هذه الدنيا فهو في امتحان و ابتلاء قال تعالى: [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً] فالابتلاء سنة ثابتة من السنن الإلهية، ولا يفهم منها معنى القهر وإظهار الغلبة والانتقام، فإن الله تعالى غني عن ذلك، و إنما أجرى هذه السنة لمصلحة العباد، واضرب لكم مثلاً من الحياة الأكاديمية فإن السنة الدراسية تشتمل على امتحانات متنوعة من أولها إلى آخرها، ومهما أشكل بعض التربويين وعلماء النفس على الامتحانات وتأثيرها على نفسية الطالب، وإنها ليست معبّراً حقيقياً عن مستويات الطلبة، إلا أن هذا الإجراء هو لمصلحة الطالب من أكثر من جهة:

١- إن الامتحان يميّز مستويات الطلبة ويبين استحقاق كل طالب ليكرّم الناجح ويُحفَّز الفاشل ويأخذ كل ذي حق حقه.

٢- أنه يحفز الطلبة على القراءة والمراجعة، ولو خلت الدراسة من الامتحانات فإن النادر من الطلبة سيبذل جهداً لمراجعة دروسه واستيعابها حباً للعلم لا أكثر.

وهذا الابتلاء الذي يجري على الإنسان في هذه الدنيا فإنه لمصلحته لكي يثاب المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته، وليلتزم الناس بالحقوق والواجبات، ولو شعر الناس بأنه لا ثواب ولا عقاب ينتظرهم لانتشر الظلم والعدوان والفساد، ولعمَّ اليأس الحياة.

الابتلاءات متفاوتة كالامتحانات الاكاديمية:

وكما أن الدروس تتفاوت في ثقل احتسابها لإخراج المعدل العام للدروس - وهذا يعرفه طلبة الجامعات- أو تفاوت الدرجات الموضوعة بإزاء الأسئلة في الامتحانات فسؤال عليه درجة كاملة، وآخر فرع بمثابة نصف سؤال وآخر أقل منه، فكذلك الابتلاءات التي يمر بها الإنسان متفاوتة الدرجات والتأثير في ميزان الأعمال، فقد ورد في الحديث عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر عند الطاعة، وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين درجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش)[٣١٦]. فهذه الأمور كلها تحتاج إلى الصبر لكن درجات الصبر متفاوتة فالصبر على الطاعة .كالقيام من النوم اللذيذ الدافئ في الشتاء لأداء صلاة الصبح، وكبذل المال وفراق الأحبة وتحمل أعباء السفر لأداء الحج .أعلى من الصبر على الحرام .كمن تعرض له امرأة متبرجة فيصرف نظره عنها أو الذي يعرض له مال مغري إلا أنه من طريق غير مشروع فلا يمدُّ يده إليه .وهذا أعلى من الصبر على النوائب كفقد عزيز.

وكما أن الامتحانات في الدراسة الأكاديمية على نوعين، فبعضها ثابتة معلومة مسبقاً ومحدّدة المواعيد كالامتحانات الفصلية والنهائية، وبعضها يفاجئ الأستاذ بها الطالب من دون إشعار مسبق كالامتحانات اليومية ليكشف عن الاستعداد المتواصل والتحضير اليومي، ولا يعذر الطالب فيه أن يقول: لا أعلم بموعده و أنني لو علمت لحضّرت له، لأن وظيفته التحضير باستمرار والاستعداد لمثل هذه الامتحانات فكذلك الامتحانات التي تمر بالإنسان في الحياة الدنيا ويراد منه تأديتها بنجاح على نوعين:

فبعضها ثابتة معلومة كالصلوات اليومية وصوم شهر رمضان والحج عند الاستطاعة وحرمة الخمر والزنا ووجوب بر الوالدين ونحوها. وبعضها تعرض له وتتهيأ فرصتها أمامه امتحاناً له، قال تعالى [إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ] (القمر:٢٧)، فإن أحسن استغلال الفرصة فقد أصاب الخير وأدركته الرحمة، وإلا فقد ضاعت عليه الفرصة وإضاعتها غصّة، كما لو قصده صاحب حاجة وهو يقدر على قضائها ولو بالتعاطف مع صاحب الحاجة والتفاعل مع قضيته، وكالشاب الذي يتعرض لغواية امرأة متبرجة فيتركها خوفاً من الله وحباً وطاعة لله تبارك وتعالى فهذه كلها امتحانات عارضة له.

وكما أن بعض الامتحانات في الدراسة الأكاديمية ذات أنماط معروفة متداولة كالامتحانات التحريرية والشفهية، وبعضها لا يشعر بها الطالب و إنما يحدّد معايير التقييم فيها المدرّس البصير كمشاركاته في المناقشات خلال الدرس ونوعية أسئلته وإشكالاته وهكذا، فإن من الامتحانات في هذه الدنيا ما تخفى على صاحبها، ولكنها لا تخفى على الله تبارك وتعالى (فإن الناقد بصير)، كما ورد في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)، وشبّهت بعض الأحاديث خفاء الشرك في النفس بأنه أخفى من دبيب النملة بين الصخور في الليلة الظلماء، ويوم تبدو السرائر وتنكشف الحقائق سيتفاجأ الإنسان مما يجده في كتابه الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهذه الامتحانات هي الأخطر لعدم الالتفات إليها إلا ممن بصّره الله تبارك وتعالى.

الفتنة والابتلاء في الأحاديث الشريفة:

وقد ورد ذكر الفتنة والابتلاء التي هي بمعنى الامتحان في آيات كريمة وروايات شريفة كثيرة كما ورد نفس لفظ الامتحان في كثير من الموارد، نذكر واحداً منها لإلفات النظر إلى أننا فعلاً في امتحان مستمر أولاً ومنوّع في أشكاله ثانياً، ومتفاوت في درجاته ثالثاً.

---

(٣١٦) الوسائل: ج١٥ ص٢٣٨.

في الخصال بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدوّنا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها)[٣١٧].

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً:

وإزاء هذه الامتحانات فإن وظيفتكم هو إحسان العمل و إتقانه والإتيان به على وجهه، فإن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة الأعمال بل إلى حسنها كما في الآية التي أوردنا في بداية الكلمة [لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً] وليس أكثرولا أي شيء آخر، وأمامكم الآن. وانتم على أبواب العطلة الصيفية فرص للعمل فاغتنموها، لأن الشباب منتظرون لعودتكم إليهم حتى تقيموا لهم الدورات الصيفية لتعلموهم فيها الفقه والقرآن والأخلاق والعقائد وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) وهي تتزامن مع هذه الأشهر المباركة (رجب وشعبان ورمضان) مما يزيد الحافز إلى العمل ويوجب عظيم الأجر.

الدعوة لإعمار المساجد و إقامة الشعائر:

وعندكم الكثير من المساجد والحسينيات المعطلة فالفرصة متاحة لإعمارها بصلوات الجماعة والشعائر الدينية ومجالس الوعظ والإرشاد، وفي المجتمع انحرافا ت ومفاسد وتقصيرات يراد منكم أن تعالجوها وتصلحوا أحوال الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وتوجد بينهم نزاعات ومشاكل تستطيعون التوسط لحلّها والإصلاح بين المتخاصمين، ومن الناس من هم أصحاب حوائج يطلبون مساعدتكم بما تقدرون عليه فهذه كلها امتحانات تمر بكم ليبلوكم الله تعالى كيف تتصرفوا إزاءها، وهكذا كل الشرائح في المجتمع لها امتحاناتها، فالشباب ممتحن بوالدين يراد منه البر بهما والإحسان إليهما بأقصى الدرجات، وممتحن بشهوات تعرض له والمطلوب منها اجتنابها، وهكذا.

فرصة لعمل الخير:

ونؤكد ما قلناه سابقاً من أن هذه الامتحانات ليست لقهر الإنسان و إثبات الغلبة عليه و إفشاله والانتقام منه، بل هي لإعطائه المزيد من الكرامات والألطاف الإلهية وإظهار جدارته واستحقاقه لها.

وقد عرضت عليكم فرصة ثمينة لعمل الخير مع بساطتها، وهي أن يقوم كل واحد بتعميم رسالة قصيرة على من يحتفظ بأرقام هواتفهم المحمولة ويوصيهم بتعميمها تتضمن الرسالة القصيرة تعليم مسألة شرعية أو موعظة أو إرشاد إلى عمل الخير كالتنبيه على زمن شريف قريب. كالأول من رجب، والنصف منه، والمبعث الشريف أو آخر أيام من رجب. والأعمال الواردة فيه ليستعد لها ولا تفوته بسبب الغفلة عنها، أو تتضمن الرسالة مسألة شرعية غير ملتفت إليها فيتورط فيها الناس. كحرمة الزواج بأخت وبنت من لاط به آخر على اللائط، أو حرمة الزواج بامرأة لم تطلق بشكلٍ صحيح. فإن الالتفات إلى مثل هذه المسائل لاحقاً يوقع الزوجين في الحرج وهكذا. أو يبعث بموعظة قصيرة توقظه وتحيي قلبه من الأحاديث الشريفة المباركة المؤثرة في النفوس، كأن يبعث على الشباب المبتلين بالنظر إلى النساء الأجنبيات قوله (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها لله تعالى أبدله نوراً يجد حلاوته في قلبه) فلعل شاباً يتأمل بهذه الكلمات فيستحقر هذه النظرة ويتركها لاكتساب ذلك النور الإلهي.

والخلاصة أن الإنسان المؤمن الواعي الراغب بالكمال عليه أن يكون ملتفتاً دائماً إلى أن كل ما يجري له ويتعرض إليه هو امتحان له وعليه أن يحسن في اتخاذ التصرف المناسب بإزائه وان ينتهز فرص الخير بلطف الله تبارك وتعالى.

الربط العزائي (الكورين):

(٣١٧) البحار: ج٧١ ص٣٩١.

وإذا اردنا ان نتعلم كيف يجب أن نتعامل مع البلاء وكيف ينبغي أن نصبر على تحمل أذاه وأن نخرج من الامتحان ناجحين فعلينا أن نتأسى بالإمام الحسين(عليه السلام) الذي كان كالجبل في تحمل البلايا والمصائب، فلاحظ صبره وهو يقول(عليه السلام) لأخته: (يا اختاه تعزي بعزاء الله فان سكان السموات يفنون واهل الارض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون " ثم " قال للنساء: إذا انا قتلت فلا تشققن علي جيبا ولا تخمشن علي وجها ولا تقلن هجرا...

وروي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) .. آني لجالس في تلك الليلة التي قُتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني إذ اعتزل ابي في خباء له وعنده جون مولى ابي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه و أبي يقول: (يا دهر اف لك من خليل) إلى آخر الابيات المتقدمة فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرف ما اراد فخنقتني العبرة فرددها ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد نزل واما عمتي فانها لما سمعت ما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع لم تملك نفسها ان وثبت تجر ثوبها حتى انتهت إليه ونادت و اثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة و ابي علي واخي الحسن يا خليفة الماضي وثمال الباقي فنظر إليها الإمام الحسين(عليه السلام)فقال لها يا اخية لا يذهبن حلمك الشيطان فقالت بابي وامي تستقل نفسي لك الفداء فردت عليه غصته وترقرقت عيناه بالدموع ثم قال (لو ترك القطا ليلا لنام) فقالت يا ويلتاه افتغتصب نفسك اغتصاباً...

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، ونفس تنازعه، وشيطان يضله).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله ليتعهد عبده المؤمن بأنواع البلاء كما يتعهد أهل البيت سيدهم بطرف الطعام).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (لا تكون مؤمنا حتى تعد البلاء نعمة والرخاء محنة، لأن بلاء الدنيا نعمة في الآخرة، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة).
- الإمام علي (عليه السلام): (إذا رأيت ربك يوالي عليك البلاء فاشكره، إذا رأيت ربك يتابع عليك النعم فاحذره).
- وعنه (عليه السلام): (إن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض).
- وعنه (عليه السلام): (لا تفرح بالغناء والرخاء، ولا تغتم بالفقر والبلاء، فإن الذهب يجرب بالنار، والمؤمن يجرب بالبلاء).
- الإمام زين العابدين (عليه السلام): (ما من مؤمن تصيبه رفاهية في دولة الباطل إلا ابتلى قبل موته ببدنه أو ماله، حتى يتوفر حظه في دولة الحق).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (إن المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة، إلا أنه لا يقتل نفسه).
- الإمام الصادق (عليه السلام) - وقد سئل: (عن ابتلاء المؤمن بالجذام والبرص وأشباه هذا ؟ -: وهل كتب البلاء إلا على المؤمن)؟
- وعنه (عليه السلام): (إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل).
- وعنه (عليه السلام): (إن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة، أما إن ذلك إلى مدة قريبة وعافية طويلة).
- وعنه (عليه السلام): (المصائب منح من الله، والفقر مخزون عند الله).
- وعنه (عليه السلام): (البلاء زين المؤمن، وكرامة لمن عقل، لأن في مباشرته والصبر عليه والثبات عنده تصحيح نسبة الإيمان).

- الإمام الكاظم (عليه السلام): (لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة، وذلك أن الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عند الرخاء).
- الإمام العسكري (عليه السلام): (ما من بلية إلا ولله فيها نعمة تحيط بها).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

قد يُنْعِمُ الله بالبَلوى وإنْ عظمت ويبْتلي الله بعْض القوم بالنِّعم

وقال آخر:

هون عليك فكل الأمر ينقطع وخل عنك ضباب الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج وكل كرب إذا ضاق يتسع
إن البلاء وإن طال الزمان به الموت يقطعه أو سوف ينقطع

ج) القصة:

كان الإمام الحسين (عليه السلام) متوجهاً بأصحابه وعياله من مكة إلى العراق، لاقاه الحر الرياحي على رأس ألف فارس من أتباع الأمويين وهم مأمورون باعتقال الإمام (عليه السلام) ومن معه وجلبهم إلى عبيد الله بن زياد والي يزيد على الكوفة وقد بلغ بهم العطش أشده وأشرفوا على الهلاك فسقاهم الإمام (عليه السلام) بيده الشريفة عن آخرهم وسقى خيولهم، والتقى بهم الإمام (عليه السلام) يوم عاشوراء وقد حبسوا عنه الماء وطلب منهم شربة ماء لرضيعه واحتجّ عليهم أنواع الحجج، ولكنه لم يذكر أبداً إنني ألم أسقكم في الطريق وكدتم تهلكون فقابلوا ذلك الإحسان بسقي هذا الطفل الرضيع؟...لم يقل الإمام (عليه السلام) شيئاً من هذا لأنه فعل ما فعل لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا وهي الكلمة التي قالها قبل أكثر من خمسين عاماً. فالأئمة (عليهم السلام) أخلصوا للأمة ولم يدخروا عنها جهداً، فهل قابلتهم الأمة بأن أعطت كل ما عندها في طاعة الإمام (عليه السلام) يقول الإمام الباقر (عليه السلام) (بليتنا في شيعتنا عظيمة، إن أمرناهم لم يطيعونا، وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا).

قصة أخرى:

سمع رجل في بغداد أنّ أحد زهّاد مصر يعرف اسم الله الأعظم ، فقصد مصر، وخدم ذلك الزاهد سنة، ثمّ طلب منه أن يُعلِّمه الاسم الأعظم ، فأبى الزّاهد، فخدمه سنة ثانية، وهو يظهر الخشوع والعبادة والتبتُّل ، والإعراض عن الدّنيا والزّهد ، وبعد تمام السنتين ، طلب منه أن يعلّمه الاسم الأعظم ، فأبى الزاهد تعليمه، فخدمه سنة ثالثة، وهو على عبادته وزهده وتبتُّله و انقطاعه إلى الله سبحانه وتعالى ، حتّى صار كالشّنِّ البالي . ثمّ إنّ الزاهد في يوم من الأيام أعطاه إناءً وقال له: اذهب بهذا الإناء إلى المكان الفلاني، وسلّمه فلاناً . فأخذ الرجل الإناء وذهب به نحو المقصد، وفي أثناء الطريق رأى شيئاً في الإناء يتحرّك ، فعجب وتصوّر أنّه حيوان ، فلم تتركه نفسه ألاّ يطّلع إلى ما في الإناء، فرفع غطاءه وإذا بفأرة تقفز منه، فغضب الرجل غضباً شديداً، ورجع إلى الزاهد قائلاً: هل جزائي بعد خدمتك ثلاث سنوات الاستهزاء والسخرية بي، فقال الزّاهد: وكيف ذلك ؟ فحدّثه الرجل أنّه رفع غطاء الإناء ، فقفزت منه فأرة، وهل هذا إلاّ سخرية بي، فقال الزّاهد: يا هذا، إنّك لا تؤمَّن على فأرة ، فهل تؤمَّن على اسم الله الأعظم؟! فإنّي أردت أن أمتحنك ، و أُثبت لك أنّك لست أهلاً لذلك، فما حملك على أن تخون الأمانة وترفع الغطاء، فذهب خائباً.

قصة أخرى:

راجعها في شواهد المحاضرة رقم (٣٦) من هذا الكتاب والتي هي بعنوان: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء).

.....

المحاضرة (٣١) بعنوان: (وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) [الرعد: ٢١]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

موعظة عن سوء الحساب:

لا يمكن أن يتصور أمثالنا –ونحن حبيسو الدنيا المادية- حقيقة سوء الحساب وحالاته وأوصافه إلا بمقدار ما تتحمله أفهامنا من كلام الله تعالى والمعصومين (سلام الله عليهم)، وقد أعد سوء الحساب حقيقة للذين أعرضوا عن ربهم ولم يلتزموا بالمنهج الربّاني، قال تعالى: (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (الرعد: ١٨) ويعرف بعض الوان هذا الحساب من آيةٍ مماثلة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة: ٣٦)، وقد روى الطبرسي في مجمع البيان في معنى سوء الحساب عن أبي عبد الله (عليه السلام): (هو أن لا يقبل منهم حسنة ولا يغفر لهم سيئة)[٣١٨] لأن هؤلاء حبطت أعمالهم.

ما المراد من سوء الحساب الذي يخافه المؤمنون؟

لكن هذا المعنى لسوء الحساب قد لا يتلاءم مع سياق الآية التي نحن بصددها لأنها تصف قوماً على مستوى عالٍ من الإيمان، قال تعالى: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) (الرعد: ١٩-٢١).

فما المراد بسوء الحساب الذي يخافه هؤلاء وهم بهذه الدرجة من الإيمان، يشرح لنا الإمام الصادق (عليه السلام) وجهاً للمراد، فقد روي بسند معتبر عن حماد بن عثمان في تفسير قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) (الرعد:٢١) قال: (دخل رجل على أبي عبد الله (عليه السلام) فشكا إليه رجلاً من أصحابه، فلم يلبث أن جاء المشكو، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): ما لفلان يشكوك؟ فقال له: يشكوني أني استقضيت[٣١٩] منه حقي، قال: فجلس أبو عبد الله مغضباً، ثم قال: كأنك إذا استقضيت حقك لم تسئ؟! أرأيت ما حكى الله عزوجل في كتابه: (يَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) أترى أنهم خافوا الله أن يجور عليهم أو يظلمهم؟ لا والله ما خافوا إلا الاستقضاء، فسمّاه الله عزوجل: (سُوءَ الحِسَابِ) فمن استقصى فقد أساء)[٣٢٠].

---

(٣١٨) مجمع البيان: ٤٤٢/٦، تفسير البرهان: ٢٠٥/٥.

(٣١٩)أي طلبت منه أن يقضي حقي، وفي معاني الأخبار وتفسير القمي (استقصيت) أي بلغ بالمسألة النهاية في طلبها، وهو الأقرب لمضمون الرواية.

(٣٢٠) الكافي: ١٠٠/٥، ح١، تفسير القمي: ٣٦٣/١، ومعاني الأخبار: ٢٤٦، وتفسير البرهان: ٢٠١/٥، وفي المعاني: (ولكنهم خافوا الاستقصاء والمداقّة) أي الحساب بدقة.

التدقيق في التعامل:

أقول: يظهر من الرواية أن سوء الحساب الذي يخافونه هو التدقيق في التعامل بمقتضى العدالة والمقابلة بالمثل فيحتسب الحسنات والسيئات كما هي، ففي تفسير العياشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في سوء الحساب قال: (أن تحسب عليهم السيئات وتحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء)، ولذا ورد في الأدعية أن الله تعالى إذا عاملنا بعدله هلكنا ((ومن عدلك مهربي)) ((ولا تعاملني بعدلك بل بفضلك))، وفي الدعاء عند الصعود على الصفا والمروة عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (اللّهم لا تفعل بي ما أنا أهله، فإنك إن تفعل بي ما أنا أهله تعذبني ولن تظلمني، أصبحت أتقي عدلك، ولا أخاف جورك فيا من هو عدلٌ لا يجور ارحمني)[٣٢١].

الدرس العملي:

والدرس العملي الذي نستفيده هنا أننا كما نسأل الله تعالى أن لا يدقّق معنا في الحساب وأن يعاملنا بفضله وكرمه ونخاف من المداقّة في الحساب، علينا أن نتأدب بهذا الأدب الإلهي في تعاملاتنا فإن سوء الحساب يعني المطالبة باستيفاء الحق كاملاً غير منقوص من دون مراعاة لما يحسن فعله بلحاظ حالة الطرف الآخر وظروفه وإمكانياته، ، لذا سُمّيَ أخذ الحق في بعض[٣٢٢] الحالات عدواناً عندما يكون الأليق هو التسامح والعفو والتكرّم، والعدوان هو التجاوز والقيام بما ينافي الفعل الذي يناسب صدوره منه على ذلك الحال قال تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة : ١٩٤)، فكأن المرجو والفعل اللائق بناءاً على هذا التفسير هو تعامله بالعفو والصفح كما أمر تعالى، فكان ما يخالفه عدواناً أي تجاوزا للمتوقع منه وإن كان محقاً. وهو أحد وجوه تفسير قوله تعالى: (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (الشورى: ٤٠) فسمّى الرد على السيئة بمثلها سيئة، مع أن مقتضى العدالة المقابلة بالمثل.

وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

وقد حثّنا الله تبارك وتعالى على أن نتعامل بيننا –كإخوة مؤمنين- بهذا الأسلوب، قال تعالى: (وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٣٧)، أي لا تنسوا معاملة الاخرين بالتفضل والتسامح في كل المعاملات والعلاقات ففي الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (رحم الله عبداً سَمِحاً إذا باع، سَمِحاً إذا اشترى، سَمِحاً أذا قضى، سَمِحاً أذا اقتضى)[٣٢٣] ولما كان الجزاء يوم القيامة منسجماً مع سلوك الإنسان وعمله في الدنيا، فإن كان متسامحاً في تعامله مع الناس حوسب باليسر والكرم، وإلا شدد عليه مقاصة له لأنه التزم بهذه الطريقة من التعامل في الدنيا، قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً) (الانشقاق: ٧-٩) وفي مقابلهم أصحاب الشمال (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً) (الطلاق: ٨).

من اللطائف أن الله تعالى لم يسم نفسه بالعادل:

والملفت أن الله تعالى لم يصف نفسه في القران الكريم بأنه عادل ولم يرد هذا الاسم في الأسماء الحسنى على كثرتها لأن كرمه ورحمته وفضله سبقت عدله، فهو تعالى لا يؤاخذ بالمثل ولا يعاملنا بهذا المعنى من العدل، نعم وصف تعالى نفسه بما يلزم من العدل وهو إنصاف المخلوقين وعدم بخسهم اشيائهم وعدم الجور في الحكم عليهم وهو حسنٌ دائماً (وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَمٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت-٤٦) فالعدل المقصود هو عدم الجور والظلم وأن من حقه تعالى الجزاء بالمثل إنْ أراد. ولذا أردف الله تعالى الإحسان بالعدل حينما لخّص جوهر الرسالات السماوية وما يريده الله تبارك و تعالى, قال سبحانه: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ

---

(٣٢١) وسائل الشيعة: ١٣/٤٧٨ باب ٤: استحباب الصعود على الصفا حتى يرى البيت، ح ٣.

(٣٢٢) وليس مطلقاً لان العقوبة والرد بالمثل والحزم مطلوب احيانا للردع والاستقامة والاصلاح.

(٣٢٣) بحار الانوار: ١٠٣/٩٥ ح ١٧ ، كنز العمال: ٩٤٥٣، ميزان الحكمة: ١ / ٤٩٣.

بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) (النحل: ٩٠) لأن العدل قد يكون منافياً لمقتضى الإنصاف والإحسان فيكون غير محبوب بل قد يكون ظلما في بعض المراتب ولو أخلاقيا، وقد بحثتُ ذلك مفصلاً في مسالة توريث أولاد الاولاد مع وجود الاولاد[٣٢٤].

إن قلتَ قلتُ:

إن قلت: كيف يكون العدل ظلماً وهل هذا الا من اجتماع الضدين. قلت: ليس هذا من اجتماع الضدين لأن ما يقابل العدل لغةً ليس هو الظلم بل الجوروهو الحيف في الحكم، فيمكن اجتماع العدل مع الظلم بمرتبة من المراتب ولو أخلاقياً، أي أن الحكم يكون عادلاً، الا أنه لا يكون منصفاً أو إنه خالٍ من الإحسان بلحاظ طرف آخر، كما في الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى: (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) (الأنبياء:٧٨-٧٩). فقد حكم داوود بالغنم ضماناً لصاحب الزرع لأن صاحبها لم يحبسها ليلاً وهذا ما جرت به شرائع الأنبياء السابقين أما سليمان (عليه السلام) فقد حكم بالضمان لكن بنحو آخر وهو أن يدفع الضامن غنمه إلى صاحب الزرع ليستفيد من لبنها وصوفها ويغرم هو صلاح الأرض حتى تعود إلى ما كانت عليه فيعيد كلٌ منهما إلى الآخر ماله، وهنا حافظ سليمان (عليه السلام) على مقتضى العدل لكن من دون إضرار بالضامن خصوصاً و أنه ليس معتدياً و إنما كان مقصّراً.

لكي نستوعب الدرس في حياتنا:

ولو استوعبنا هذا الدرس الأخلاقي وطبقناه في حياتنا لاستطعنا تجنب الكثير من المشاكل في المجتمع التي منشأها التدقيق في محاسبة الآخرين على كل صغيرة وكبيرة ومطالبة كل طرف باستقصاء حقه من الآخر من دون مراعاة لحاله وظروفه، وأمثلة ذلك من الواقع كثيرة، كما يحصل بين الورثة حينما يطالب البعض مثلاً بحصته من الدار التي يسكنها الورثة الآخرون وهو يعلم أنهم لا يتمكنون من إعطائه وأن بيع الدار فيه مشقّة عليهم ولكنه يصرّ على طلبه.

أو الزوج يحاسب زوجته على كل تقصير أو غفلة والزوجة تراقب زوجها وتسأله عن كل تصرفاته ويحاول كل منهما أن يفرض إرادته ورأيه على الآخر فيتخاصمان وتذهب المودّة بينهما وقد يخرب بيتهما بسبب إصرار كل منهما على انتزاع ما يتصور أنها حقوقه دون مراعاة لظروف الآخر. أو دائن يلحّ على المدين بالتسديد وهو في حرج وصعوبة وقد يضطر لبيع داره أو حاجاته الشخصية فهذا من سوء الحساب ومخالف لسيرة المعصومين (عليهم السلام) وأصحابهم البررة كمحمد بن أبي عمير وهو من أجلاء أصحاب الإمام الكاظم والرضا والجواد (عليهم السلام) وقد ألّف عشرات الكتب وكان عالماً عاملاً مخلصاً، وعرض عليه هارون العباسي منصب القضاء فرفضه فأمر الطاغية بحبسه وتعذيبه فقضى سبعة عشر عاماً في السجن لاقى فيها صنوف التعذيب والوحشية، وكان قبل أن يسجن تاجراً ثرياً وخرج من السجن في عوز شديد وقد أنهكته الأمراض، وكان أحد زبائنه مديناً له بعشرة آلاف درهم فرأى من الوفاء أن يرد إليه دينه ولكنه لا يملك هذا المقدار فباع داره وجاء بالمبلغ إلى ابن أبي عمير، فسأله ابن أبي عمير عن كيفية تدبيره هذا المبلغ الكبير هل وهبه له أحد أو ورثه من قريب له؟ فأجاب الرجل بالنفي و أنه باع داره ليقضي بثمنها دينه فرفض ابن أبي عمير قبضها وقال: ((حدثني ذريح المحاربي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (لا يُخرَج الرجل من مسقط رأسه بالدين)[٣٢٥] ، ارفعها فلا حاجة لي فيها، والله إني محتاج في وقتي هذا إلى درهم، وما يدخل ملكي منها درهم))[٣٢٦].

سوء الحساب له مراتب:

---

(٣٢٤) راجع المجلد العاشر من موسوعة فقه الخلاف.

(٣٢٥) أي لا يجوز إجبار المدين على بيع دار سكنه من اجل تسديد الدين.

(٣٢٦) بحار الأنوار: ٢٧٣/٤٩، تأريخ الإمام الرضا (عليه السلام)، عن علل الشرائع: باب ٣١٣، ح٢.

ومما تقدم يظهر أن سوء الحساب له مراتب فبعضه حقيقي في أدنى مراتبه كالذي أُعد للمعرضين عن الله تعالى، وبعضه نسبي بلحاظ درجات الكمال، فإن البعض يرى أن مجرد إيقافهم للحساب، أو لمجرد معاتبتهم على شيء أنه من سوء الحساب.

روى في مجمع البيان حديثاً فيه (من نوقش في الحساب عُذِّب) بغضّ النظر عن أي عقوبة فبمجرد مناقشة الشخص وتعريضه للحساب والمساءلة تعذيب وفي مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام): (لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحقَّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف). ولذا فإن أهل المعرفة لا يركنون إلى طاعة ويرون أن حسابهم سيئ لو عاملهم الله تعالى بعدله وحاسبهم كما هم أهله وليس بما هو أهله من الفضل والكرم والرحمة (فاني لم آتك ثقةً بعملٍ صالحٍ عملته)[٣٢٧]، ويعدّون طاعتهم سيئات يطلبون الإقالة منها بلحاظ ما يليق برب العزة والجلال، تأمّل في ما ورد في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة (إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيّدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك)[٣٢٨].

فهذه المراتب كلها يخافونها ويعدون هذا الحساب سيئاً بالنسبة لهم وهم يطمحون إلى أن يكونوا من الذين لا يرون حساباً أصلاً ويدخلهم الله تعالى في رضوانه بغير حساب، كعدة اصناف ورد في حقهم ذلك (منهم) الصابرون، قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر:١٠).

(ومنهم) الذين يحبون الله تبارك وتعالى ويحبّبونه الى خلقه ويرضون بقضائه روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (اني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يُحبّون الله ويحببونه الى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله)[٣٢٩] وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم حساباً؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزتم على الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة من أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد (صلى الله عليه وآله)، فيقولون: نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلّغنا الله هذه المنزلة بفضله ورحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا)[٣٣٠].

(ومنهم) الشهداء فأن الله تعالى يُسقط كل حق له وفي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كل ذنب يكفّره القتل في سبيل الله عزوجل إلا الدَيْن لا كفارة له إلا أداؤه، أو يقضي صاحبه أو يعفو الذي له الحق)[٣٣١]، فأن الدَين من حقوق الناس ولابد من أدائه إليهم أو استرضائهم،

الربط العزائي (الكورين):

روي أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يأذن بالقتال معه لمن كان عليه دين إلا أن يوصي بقضائه . حيث نقل موسى بن عمير، عن أبيه قال: أمرني الإمام الحسين(عليه السلام) قال: نادِ أَنْ لا يُقتل معي رجلٌ عليه دَينٌ وناديها في الموالي فإنّي سمعتُ رسولَ الله

---

(٣٢٧) مصابيح الجنان: ٦١٩ من ادعية ليلة الجمعة وليلة عرفة وأوله (اللهم من تهيأ وتعبأ.....).

(٣٢٨) مفاتيح الجنان: ٣١٥.

(٣٢٩) مجمع الزوائد للهيثمي: ١ /١٢٦ وللتفصيل اكثر راجع خطاب المرحلة: ٦/ ١٥١ - ١٦٥.

(٣٣٠) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، المعروف بمجموعة ورّام: ١/ ٢٣٠.

(٣٣١) الكافي: ٥/ ٩٤، ح٦.

صلى الله عليه وآله يقول: من مات وعليه دين أُخذ من حسناته يومَ القيامة.[٣٣٢] وروي أيضاً أن رجلاً قال للحسين(عليه السلام): إنَّ عليَّ ديناً قال(عليه السلام): لا يُقاتلُ معي مَنْ عليه دين.[٣٣٣] وكان أصحابه (عليه السلام) من خيرة عباد الله ومن صفوة الناس، ومن خصائص شهداء الطفّ (عليهم السلام) انهم كُشف لهم الغطاء فراءوا جزاء ثباتهم وشجاعتهم وإصرارهم على التضحية مع ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث راءوا منازلهم في الجنّة وذلك بعد سلسلة الامتحانات التي امتحنهم الا مام (عليه السلام) بها فكانوا أهلاً لهذا الكشف المبين واحقَّ به، فقد روي أحدهم عن الإمام الصادق (عليه السلام)، أنه قال: قلت له: أخبرني عن أصحاب الحسين(عليه السلام) و إقدامهم على الموت! فقال (عليه السلام): (إ نّهم كُشف لهم الغطاء حتّى راءوا منازلهم من الجنّة ، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنّة !) ولقد اشير إلى ذلك في زيارة الناحية المقدّسة : (اشهد لقد كشف الله لكم الغطاء، ومهّد لكم الوطاء، واجزل لكم العطاء..). وقد اعترف الا عداء انفسهم بشجاعة وعجيب ثبات انصار الا مام (عليه السلام)،فهذا عمرو بن الحجّاج الزبيدي لعنه الله ، وهو من قادة الجيش الامويّ في كربلاء يوم عاشوراء، يخاطب جيش الضلالة قائلاً: (ياحمقى أتدرون من تقاتلون !؟ إ نّما تقاتلون نقاوة فرسان أهل المصر، وقوماً مستقتلين مستميتين ، فلا يبرزنّ لهم منكم أحد...).[٣٣٤]

شواهد مُعزِزة أخرى:

الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (شيئان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت راحة للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (حسن خلقك يخفف الله حسابك).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) - في قوله تعالى: ((ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا...): فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (أمتي ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكشفون).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (اقنع بما اتيته يخف عليك الحساب),
- الإمام علي (عليه السلام): (والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشيء، و إنما الحساب هناك على من تلبس بها هاهنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (إن صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة، ثم قرأ: ([الذين] يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) .
- وعنه (عليه السلام): (إن استطعت أن لا تنال من الدنيا شيئا تسأل عنه غدا فافعل).

الشعر:

دَعْ عَنْكَ ما قَدْ فات في زَمَنِ الصِّبا واذكر ذنوبكَ و ابكها يا مذنب

---

٣٣٢ إحقاق الحق : ج ١٩ ص ٤٢٩، موسوعة كلمات الامام الحسين : ص ٤١٧

٣٣٣ سير أعلام النبلاء للذهبي : ج ٣ ، ص ٣٠١.

٣٣٤ يُنظر مع الركب الحسيني من المدينة الي المدينة - عزة الله الطبسي.

واخْشَ مناقَشَةَ الحِسَابِ فإنَّه لا بدّ يحصى ما جنيت ويكتب
لم يَنْسَهُ المَلِكانِ حين نَسِيْتَه بَلْ أَثْبَتَاهُ وَ أَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ
و الروح فيك وديعة أودعتها سنردّها بالرغم منك وتسلب
وَغُرورُدُنْياكَ التي تَسْعَى لها دارٌحَقِيقَتُها متاعٌ يَذْهَبُ
و الليل فاعلم والنهار كلاهما أَنْفَاسُنا فيها تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
وجميعُ ما حَصَّلْتَهُ وَجَمَعْتَهُ حَقًّا يَقِينا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
تَبًّا لدارٍ لا يَدُومُ نَعيمُها ومشيدها عما قليلُ يخرب
فاسمعْ ، هُديتَ ، نصائحا أَوْلاكها برٌلبيبٌ عاقلٌ متأدب
صَحِبَ الزَّمانَ وَأَهْلَه مستبصرا ورأى الأمورَ بما تؤوب وتُعْقَبُ
أَهْدى النَّصيحةَ فاتَّعظ بمقالة فهو التقيُّ اللوذعيُّ الأدرب
لا تأمن الدهر الصروف فإنه لا زال قدماً للرحال يهذب
وكذلك الأيام في غدواتها مرت يذلُّ لهاالأعزُّالأنجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفزْ إنَّ التّقِيَّ هو البهيُّ الأَهْيَبُ
واعْمَلْ لطاعته تَنَلْ مِنْهُ الرِّضا نَّ المطيع لربه لمقرب

القصة:

عن الإمام الباقر (عليه السلام): (مرّ نبيٌّ من بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج منه ، وقد عشّشته الطير، ومزّقته الكلاب ، ثمّ مضى فعرضت له دار فدخلها ، فإذا هو بعظيم من عظمائها ميّت على سرير مسجّى بالدّيباج ، حوله المجامر، فقال : يا ربّ ، أشهد أنّك حَكَمٌ عدل لا تجور، هذا عبدك لم يُشرك بك طرفة عين ، أمتَّه تلك الميتة ، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمتَّه بهذه الميتة؟! فقال تبارك تعالى: عبدي أنا .كما قلت .حَكَمٌ عدل لا أجور، ذلك عبدي كانت له سيّئة وذنب أمتَّه بتلك الميتة ؛ لكي يلقاني وليس عليه شيء ، وهذا عبدي كانت له حسنة فأمتّه بهذه الميتة ؛ لكي يلقاني وليس له عندي حسنة) .

قصة أخرى:

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال : (سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : كان فيما مضى ملكان، مؤمن وكافر، فمرض الكافر، فاشتهى سمكة في غير أوانها .لأنّ ذلك الصنف من السمك كان يومئذ في اللّجج ، حيث لا يقدر عليه أحد .فأيّسته الأطبّاء من نفسه ، وقالوا: استخلف مَن يقوم بالمُلك ، فإنّ شفاءك في هذه السمكة، ولا سبيل إليها . فبعث الله مَلَكاً ، أمره أن يُزعج السمك إلى حيث يسهل أخذها ، فأُخذت له ، فأكلها وبرئ . ثمّ إنّ ذلك المؤمن مرض .في وقت كان صنف ذلك السّمك لا يُفارق الشّطوط .مثل علّة الكافر، فوصف له الأطبّاء تلك السمكة ، وقالوا : طِبْ نفساً ؛ فهذا أوان وجودها . فبعث الله ذلك المَلَك ، وأمره أن يُزعج ذلك السّمك ، حتّى يدخل اللّجج، حيث لا يقدر على صيده ، فعجب من ذلك ملائكة السّماء وأهل الأرض ، حتّى كادوا يُفتنوا ، فأوحى الله تعالى إلى ملائكة السّماء ، وإلى نبيّ ذلك الزّمان في الأرض : إنّي أنا الكريم المُتفضّل القادر، لا يضرّني ما أُعطي ولا ينفعني ما أمنع ، ولا أظلم أحداً مثقال ذرّة ، أمّا الكافر، فإنّما سهّلت له أخذ السمكة في غير أوانها ؛ ليكون جبراً على حسنة كان عملها ؛ إذ كان حقّاً عليّ أن لا أُبطل لأحد حسنةً، حتّى يرد القيامة ولا حسنة في صحيفته ، ويدخل النّار بكفره، ومنعت العابد من تلك السمكة بعينها ؛ لخطيئة كانت منه أردت تمحيصها عنه بمنع تلك الشهوة ، وإعدام ذلك الدّواء ليأتيني ولا ذنب عليه ، فيدخل الجنّة).

قصة أخرى:

يُحكى أنّ والد المقدّس الأردبيلي مرّذات يوم ببستان ، فأكل منه تفّاحة ، ثمّ انتبه إلى عدم حِلّيّة العمل، فسأل عن صاحب البستان فُدلَّ عليه، فطلب منه المسامحة، فقال: البستان مشترك بيني وبين أخي ، وهو في منطقة أُخرى، فأمّا بالنسبة لي فقد سامحتك، وأمّا بالنسبة لأخي فعليك أن تذهب إليه. فذهب إلى تلك المنطقة والتقى بالرجل، وسأله المسامحة ، فقال بشرط. قال: وما الشرط؟ قال: عندي بنت عمياء خرساء صمّاء تتزّوجها. فبقي الرجل تلك الليلة مُفكّراً ، كيف يستطيع الزّواج من امرأة هذه صفتها؟ وأخيراً فضّل الزواج منها ؛ لأنّه أهون من النار. جاء في الصباح وأخبر الرجل بمو افقته على الزّواج، فعقد له عليها ، ولمّا دخل عليها وجدها من أجمل نساء الدّنيا ، وتوقّف عن الدّنوّ منها ، ورجع إلى أبيها يسأله عن الحال ؛ فقد ذكر له عيوباً بينما المرأة التي رآها تكاد تكون من الحور العين. قال الأب: نعم، هي نفسها التي أخبرتك عنها ، وهي عمياء عن النظر إلى المحرّمات، وهي صمّاء عن كلّ ما لا يحلّ ، وهي خرساء عن كلّ كلام محرّم، و إنّي ربيّتها تربية خاصّة ، وما أطعمتها طيلة حياتها إلاّ حلالاً ، و إنّي ابتهلت إلى الله أن يرزقها زوجاً صالحاً ، فلم أجد أفضل منك ، فبورك لك في زوجتك .

.....

المحاضرة (٣٢) بعنوان: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الأعراف : ١٥٦] موجبات الرحمة الإلهية

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

سعة الرحمة الإلهية:

ورد في الدعاء الشريف (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك)[٣٣٥] وطلب الرحمة أمر طبيعي لأنه لا نجاة ولا توفيق إلا برحمة الله تعالى، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله، قالوا: ولا أنت؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني)[٣٣٦]. فما هي موجبات الرحمة الإلهية؟ وهل تحتاج الرحمة الإلهية إلى موجبات وأسباب وقد وسعت كل شيء؟

في الحديث الشريف عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال (لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسعة رحمة الله عزوجل)[٣٣٧]. (وقيل له (عليه السلام) يوماً أن الحسن البصري قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك، و إنما العجب ممن نجا كيف نجا، فقال (عليه السلام): أنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا، و إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله)[٣٣٨]. وتصديق هذا في كتاب الله تعالى فإن السؤال يوم القيامة لا يكون عن الناجين كيف نجوا، و إنما [عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ] (المدثر: ٤١-٤٢). وقد أشارت عدة آيات كريمة إلى سعة رحمة الله تبارك وتعالى، قال عز من قائل [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] (الأعراف١٥٦). وقال تعالى [ربَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ] (غافر:٧).

---

(٣٣٥) البحار: ج٨٣ ص٦٣.

(٣٣٦) كنز العمال: ١٠٤٠٧.

(٣٣٧) بحار الأنوار: ٧٨/ ١٥٩.

(٣٣٨) المصدر: ٧٨/ ١٥٣.

مثال في الرحمة الإلهية:

ويقرّب لنا النبي (صلى الله عليه وآله) سعة رحمة الله تعالى بقوله (إنّ لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخّر الله تعالى تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)[٣٣٩] فتصوروا سعة رحمة الله تعالى التي كتبها على نفسه وألزم تبارك وتعالى نفسه بها، قال تعالى [قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] (الأنعام:١٢) وقال تعالى [وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] (الأنعام:٥٤) بل إن الله تعالى إنما خلق الخلق ليرحمهم بأن يجعلهم أمة واحدة متفقة على التوحيد، قال تعالى [وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ] (هود ١١٨- ١١٩).

الرحمة العامة والخاصة:

ولكن - اعلموا أيها الأحبة- أن لله تبارك وتعالى رحمة عامة لكل مخلوقاته وهي التي أشير إليها في موارد كثيرة كما في أدعية رجب (يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة)[٣٤٠]، وفي دعاء آخر (ورزقك مبسوط لمن عصاك، وحلمك معترض لمن ناواك، عادتك الإحسان إلى المسيئين وسبيلك الإبقاء على المعتدين)[٣٤١] فجميع خلقه حتى الذين يبارزونه بالمعصية والإنكار يرفلون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وهناك رحمة خاصة يمنُّ بها على عباده المؤمنين الذين عرفوه ودلّهم عليه بفضله وكرمه وهداهم إلى طاعته فراحوا يتحروّن رضاه، وهي التي أشير إليها في الحديث النبوي الشريف (اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرّضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده) وعنه (صلى الله عليه وآله) (تعرّضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته)[٣٤٢] والتعرض لها يعني التعرض لأسبابها وموجباتها، كما في الدعاء (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك)[٣٤٣].

تعرضوا لرحمة الله تعالى:

وقد ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ذكر الكثير من هذه الموجبات للرحمة الإلهية، فنحن لا يمكن أن نعرفها ونهتدي إليها إلا أن يهدينا الله تبارك وتعالى [الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ]. وبعض هذه الأسباب لا يكون الإنسان مسؤولاً عن توفيرها و إنما جعلها الله بكرمه وفضله وليس على العاقل الكيّس إلا استثمارها والتعرض لها كالأضرحة المقدسة للمعصومين (سلام الله عليهم) وقد حبانا الله تعالى نحن العراقيين بالعديد من أبواب الرحمة هذه، ومنها عموم المساجد، ومنها صلاة الجمعة والجماعة وحلقات العلم والمذاكرة، وعموم التجمعات الإيمانية، والأزمنة الشريفة كليلة الجمعة ويومها، ومنها هذا الشهر الشريف: شهر رجب الذي لقب في الأحاديث الشريفة بالأصبّ لأن الرحمة تُصبّ فيه صبّاً.

ما تستدر به الرحمة الإلهية:

ومن أسباب الرحمة الإلهية ما يوفرها الإنسان بفضل الله تبارك وتعالى، وقد وجدت من أهل تلك الموجبات الاتصاف بالرحمة بحيث تكون محركة لأفعاله ومنبعاً لمشاعره وتبنى عليها علاقاته مع الآخرين من خلال الرحمة بهم والشفقة عليهم والرفق بهم ومداراتهم والتفاعل مع قضاياهم وحوائجهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أبلغ ما تُستدر به الرحمة أن

---

(٣٣٩) كنز العمال: ج٤ ص٢٤٩، ح١٠٣٨٢.

(٣٤٠) إقبال الأعمال: ج٣ ص٢١١.

(٣٤١) السابق: ص٢١٠.

(٣٤٢)تنبيه الخواطر: ج٢ ص١٢٠.

(٣٤٣) البحار: ج٨٣ ص٦٣.

تضمر لجميع الناس الرحمة)[٣٤٤]، لأن الرحمة من صفات الله تبارك وتعالى، وقد وصف الله عباده الذين رضي عنهم بأنهم [رُحَمَاء بَيْنَهُمْ] (الفتح:٢٩) [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ] (البلد:١٧) [وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً] (الحديد: ٢٧) وقال تعالى [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ] (الأعراف: ٥٦).

وفي الأحاديث الشريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله): (من لا يرحم لا يُرحم)[٣٤٥] (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)[٣٤٦] (من رحم ولو ذبيحة عصفور&)[٣٤٧] (الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة، أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء)[٣٤٨] (قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله): أحب أن يرحمني ربّي قال (صلى الله عليه وآله): ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله)[٣٤٩].

والرحمة بالآخرين تبدأ من رحمة نفسه بأن يجنبّها ما يضرّها في الدنيا ككثير من الحماقات والأفعال اللاعقلائية كالتدخين وصرف الأموال الطائلة في اللهو والعبث، وما يضرّها في الآخرة كارتكاب المعاصي والعياذ بالله وصرف العمر في التفاهات وعدم التفقه في أمور الدين والمعرفة الضرورية. ثم تتوسع الرحمة إلى من يليه في بيته كوالديه، قال تعالى [فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً] (الإسراء ٢٣-٢٤). ثم الرحمة بالزوجة والزوج بالنسبة للمرأة، قال تعالى ممتناً على عباده [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم:٢١) وورد في الحديث الشريف (اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة)[٣٥٠] ثم الرحمة بالأقرباء وقد اشتق لهم اسم من الرحمة فيقال لهم الأرحام والأوامر في صلة الرحم كثيرة والنواهي عن قطعه شديدة.

ثم الرحمة بالآخرين خصوصاً إذا كانوا من ذوي الحاجة والمرضى والفقراء والمبتلين ببلاء ما، وهكذا حتى يمتلئ قلبه رحمة وشفقة على كل الموجودات، ومنبع هذه الرحمات كلها تقوى الله تبارك وتعالى وحب الله تبارك وتعالى، فالتقوى تردعه عن ظلم الآخرين والإساءة إليهم والتقصير في أداء حقوقهم وحب الله يترشح منه حب الخير لجميع الخلق حتى أعدائه بأن يسأل الله تعالى لهم الصلاح والهدى لأن الجميع عيال الله تبارك وتعالى، وخلقه فيحبهم حباً لخالقهم وربّهم ومدبر شؤونهم وفي بعض الأحاديث ما مضمونه (الخلق عيال الله، فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله) وفي حديث آخر عن الإمام الكاظم عن مثل هذا الشخص أنه معنا في درجتنا.

كالوالد الرحيم:

وكلما ازدادت ساحة مسؤولية الفرد، ازداد مقدار الرحمة الواجب توفرها، سواء كانت المسؤولية دينية - كالمرجعية الدينية ومعتمديها- أو سياسية - ككبار مسؤولي الدولة- أو اجتماعية - كزعماء العشائر أو وجهاء المجتمع- أو إدارية - كمدير الدائرة أو المدرسة- أو تعليمية- كالمدرس مع طلبته- في كتاب الخصال بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال (إن الإمامة لا تصلح إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من وُلّيَ حتى يكون له كالوالد الرحيم)[٣٥١] والحديث مطلق يشمل أي إمامة ورئاسة وزعامة مما ذكرنا.

---

(٣٤٤) ميزان الحكمة: ج٢ ص١٠٥٠.

(٣٤٥) الوسائل: ج٤ ص١٩٧.

(٣٤٦) البحار: ج٧٩ ص٩١.

(٣٤٧) كنز العمال: ج٦ ص٢٦٣.

(٣٤٨) البحار: ج٧٤ ص١٦٧.

(٣٤٩) كنز العمال: ج١٦ ص١٢٨.

(٣٥٠) البحار: ج٧٦ ص٢٦٨.

(٣٥١) الكافي: ج١ ص٤٠٧.

من موجبات الرحمة:

وللرحمة الإلهية موجبات أخرى، وهي كثيرة نذكر منها شيئاً مختصراً لإلفات نظركم.

منها: طاعة الله ورسوله قال تعالى [وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] (آل عمران: ١٣٢) وقال تعالى [وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] (النور: ٥٦) وقال تعالى [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً] (النساء: ١٧٥).

ومنها: الصبر على المصائب قال تعالى [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ] (البقرة: ١٥٦-١٥٧).

ومنها: الاستغفار قال تعالى [لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] (النمل:٤٦).

ومنها: الإصلاح بين الإخوة المتخاصمين، قال تعالى [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ](الحجرات: ١٠).

ومنها: ما ورد في الأحاديث الكثيرة من قولهم (عليهم السلام) رحم الله امرءاً كذا وكذا، كقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (رحم الله امرءاً أحيا حقاً وأمات باطلاً، وأدحض الجور و أقام العدل) وقوله (رحم الله امرءاً علم أن نفسه خطاه إلى أجله فبادر عمله وقصّر أمله).

ومنها: ما عن النبي (صلى الله عليه وآله)أنه قال (سبعة يُظلهم الله عزوجل في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلُّه: إمام عادل، وشابٌ نشأ في عبادة الله عزوجل، ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان كانا في طاعة الله عزوجل فاجتمعا على ذلك وتفرّقا، ورجل ذكر الله عزوجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله عزوجل، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: إني أخاف الله عزوجل، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما يتصدق بيمينه)[٣٥٢].

الربط العزائي (الكورين):

وكان من رحمة أهل البيت(عليهم السلام) بالأمة أن الإمام الحسين(عليه السلام)كما يروى يبكي يوم عاشوراء على تلك الفئة الضالة التي اجتمعت لقتاله ولم تنفع معها الموعظة ولما سُئِل عن سبب بكائه، قال: أبكي لهؤلاء فانهم يدخلون النار بسببي، وكان (عليه السلام) يقول لمن يلقاه في الطريق ولا يستجيب لدعوته: (اذهب ولا ترني وجهك فإن من سمع واعيتنا أهل البيت ولم يجبنا أكبّه الله على منخريه في نار جهنم)...ومن هؤلاء الذين أراد الإمام الحسين(عليه السلام) ان تنالهم الرحمة الإلهية ولا يحل بهم الغضب الإلهي (عبيد الله بن الحر الجعفي) تقول الرواية لما وصل الإمام الحسين(عليه السلام)إلى قصر بني مقاتل فنزل به وقيل إلى القطقطانه فرأى فسطاطاً مضروبا فسأل عنه فقيل انه لعبيد الله بن الحر الجعفي وكان من شجعان أهل الكوفة فارسل إليه الحسين عليه السلام يدعوه فاسترجع وقال والله ما خرجت من الكوفة الاكراهية ان يدخلها الحسين و انا بها و أبي ان يأتي فجاء إليه الحسين السلام ودعاه إلى نصرته فاستعفاه فقال له الحسين (عليه السلام) فأن لم تكن ممن ينصرنا فاتق ان تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعيتنا احد ثم لا ينصرنا الا هلك فقال اما هذا فلا يكون ابدا ان شاء الله تعالى " وفي رواية " انه قال للحسين عليه السلام ولكن هذا فرسي خذه اليك فوالله ما ركبته قط و انا اروم شيئا الا بلغته ولا ارادني احد الانجوت عليه فاعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه وقال لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك ثم تلاوما كنت متخذ المضلين عضداً...

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

---

(٣٥٢) الخصال للصدوق: ٣٤٢/٢

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله، قالوا: ولا أنت؟، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله تعالى خلق مائة رحمة، فرحمة بين خلقه يتراحمون بها، وادخر لأوليائه تسعة وتسعين).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (لو تعلمون قدر رحمة الله تعالى لاتكلتم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (ما خلق الله من شئ إلا وقد خلق له ما يغلبه، وخلق رحمته تغلب غضبه).
- عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (بذكر الله تستنزل الرحمة).
- عنه (عليه السلام): (بالعفو تستنزل الرحمة).
- عنه (عليه السلام): (ببذل الرحمة تستنزل الرحمة).
- عنه (عليه السلام): (رحمة الضعفاء تستنزل الرحمة).
- الإمام الكاظم (عليه السلام): (ما ظنك بالرؤوف الرحيم الذي يتودد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه، وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يترضاه ويختار عداوة الخلق فيه).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

إن كنتَ تغدو في الذنوبِ جليدا ... وتخافُ في يومِ المعادِ وعيدا
فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهَيْمِنِ عَفْوُهُ ... و أفاضَ من نعمٍ عليكَ مزيدا
لاَ تَيْأَسَنْ مِنْ لطفِ رَبِّكَ في الْحَشَا ... في بطنِ أمكَ مضغةً ووليدا
لو شاءَ أن تصلى جهنم خالدا ... ما كانَ ألهمَ قلبكَ التوحيدا

وقال آخر:

وَلَمّا قَسا قَلبي وَضاقَت مَذاهِبي ... جَعَلتُ الرَجا مِنّي لِعَفوِكَ سُلَّما
تَعاظَمَني ذَنبي فَلَمّا قَرَنتُهُ ... بِعَفوِكَ رَبّي كانَ عَفوُكَ أَعظَما
فَما زِلتَ ذا عَفوٍ عَنِ الذَنبِ لَم تَزَل ... تَجودُ وَتَعفو مِنَّةً وَتَكَرُّما
فَلَولاكَ لَم يَصمُد لِإبليسَ عابِدٌ ... فَكَيفَ وَقَد أَغوى صَفِيَّكَ آدَما
أَلَستَ الَّذي غَذَّيتَني وَهَدَيتَني ... وَلا زِلتَ مَنّاناً عَلَيَّ وَمُنعِما
عَسى مَن لَهُ الإِحسانُ يَغفِرُ زَلَّتي ... وَيَستُرُ أَوزاري وَما قَد تَقَدَّما

فساد كبير عالم متهتك ... و أكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة في العالمين عظيمة ... لمن بهما في دينه يتمسك

ج) القصة:

كان المرحوم الميرزا النائيني مرجع الشيعة قبل حوالي ثمانين عاماً (توفي سنة ١٣٥٥ هجرية المو افق ١٩٣٦) وهو من العلماء المحققين وأستاذ لعدد كبير من المراجع والعلماء كالسيد الحكيم والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي وأمثالهم (قدس الله أرواحهم جميعاً) وكان يحضر بحثه أكثر من (٤٠٠) طالب بمختلف المستويات، لكن الذين يفهمون مطالبه العلمية

المعمّقة لا يتجاوز عشرة بالمئة من العدد، وبين الحضور كثير لا يفقه شيئاً إلا أنه يحضر للتبرك ونحو ذلك، وإذا شارك في سؤال أو مناقشة فإنه ينكشف أمره أمام الحاضرين.

وكان من هؤلاء المتدنين في العلم شخص متوسط العمر إلا أنه فاجأ أستاذه والعلماء الحاضرين ذات يوم بمناقشات وتحقيقات أذهلتهم لأنها لا تتصور من أمثاله و إنما من العلماء المحققين الذين أمضوا سنين في البحث والتحقيق فانبهر الأستاذ وأوقف بحثه وطلب من الحاضرين الهدوء والإنصات لهذا الشيخ ليعرف سرّ هذه القفزة الكبيرة في مستواه العلمي، وهنا تحدّث الشيخ.

قال: خرجت ليلة أمس لأشتري الخبز فمررت على خربة يصدر منها أنين ظننت أنهم جراء لكلبة ولدتهم، فلما دخلت وجدت هرة مطروحة على الأرض ميتة و أفراخها يلوذون بها ليمتصوا منها اللبن فلا يجدون ويتألمون من الجوع، فانكسر قلبي ودمعت عيني وذهلت عن الغرض الذي خرجت من أجله، وعلى الفور ذهبتُ إلى السوق فاشتريت لبناً وقنينة إرضاع الأطفال وأخذت أملأها باللبن وأرضع صغار الهرّة حتى شبعوا وهدأوا وناموا، ثم ذهبت في الصباح الباكر وكررت ذلك، وشعرت حينئذٍ أن شيئاً ما حصل في قلبي أحسست ببرده وسكينته وعندما جئت إلى البحث وجدت نفسي أفهم كل ما تلقونه وكأنني واظبت عليه منذ سنين، فتأثر الشيخ النائيني والحاضرون وأجهش بعضهم بالبكاء وقال (قده): إنّها معاملة مع الله، والله يقول: (وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) (الأنفال/٦٠).

ونستطيع أن نستخلص عدة دروس تربوية وأخلاقية من هذه الحادثة:

١- الاطمئنان بما نعتقد به جزماً من أن الله تعالى لا يهمل أي عمل فيه خير وإحسان بل يجازيه بما هو أحسن منه ويكافئ صاحبه قال تعالى (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (الكهف/٣٠) وقال تعالى (إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (الأعراف/١٧٠) وقال تعالى (أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى) (آل عمران/١٩٥) وهذا الجزاء والثواب يكون في الدنيا والآخرة، ونحن لا نعلم شكله وكيفيته، فصاحب هذه الحادثة أعطي علماً جماً لأن وظيفته طلب العلم، ويمكن أن يكافئ آخر بسعة في الرزق أو بزوجة صالحة أو بذرية طيبة أو بجاه اجتماعي ومكانة بين الناس وغير ذلك.

٢- سعة رحمة الله تعالى، فإذا كان الإنسان وهو مخلوق ضئيل لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً يحمل هذا القلب الكبير والرحمة الواسعة وتهتز مشاعره لهذه الهررة مع أنها لا توجد رابطة ولا مناسبة بينهما فكم هي سعة رحمة الله تعالى بعباده الذين خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه واعتبرهم عياله كما في الحديث (الخلق عيال الله)، وإن نسبة رحمة الإنسان إلى رحمة ربه لا تساوي شيئاً، ففي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (: الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنَّه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد (صلى الله عليه وآله) ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة).

فمجموع هذه الرحمات التي يتراحم بها الجن والإنس والحيوانات فيما بينهم هي كالجزء من مئة جزء من رحمة الله تعالى.

٣- أن نكون مطمئنين إلى أن الرزق مكفول للعباد وأن أي نفس خلقها الله تعالى لا تخرج من هذه الدنيا حتى تستوفي رزقها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (لكل ذي رمق قوت) وعنه (عليه السلام) قال: (عياله الخلائق، ضَمِنَ أرزاقهم، وقدّر أقواتهم) فيجب أن لا ننهمك في طلب الدنيا والمال وربما تطلّب ذلك غض النظر عن مصدر هذا المال و أنه من حرام أو حلال كالذي ابتلي به مجتمعنا من انتشار الفساد وخيانة المال العام وسلوك الطرق الملتوية للاستزادة منه فيجرّون على أنفسهم نار جهنّم ولو أنّهم صبروا وكبحوا جماح نزواتهم لأتاهم رزقهم لأن الله تكفّل بذلك.

وفي هذه الحادثة شاهد على ذلك، لأن قططاً حديثة الولادة لا تقدر على شيء وفي خربة قد ماتت أمها التي تغذيها واحتمال بقائها حية ضعيف جداً ومع ذلك سخّر الله تعالى لها من يطعمها ويسقيها فكيف بالإنسان الذي زودّه الله تعالى بكل ما يعينه على طلب الرزق الحلال الذي يضمن له حياة كريمة لذا وردت الموعظة والنصيحة في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حِلّه، فإنه لا يُدرَك ما عند الله إلا بطاعته).

٤- أن لا تستصغر شيئاً من عمل الخير والإحسان فقد يكون عظيماً عند الله ويكافئك بأعظم الأجر، فمجتمعنا البعيد عن أخلاق الإسلام لا يرى ما فعله هذا الشيخ شيئاً له قيمة وربما يستهزئ به، لأن السائد هو العبث بهذه الحيوانات الضعيفة ورميها بالحجارة واللعب بإيذائها وهكذا، لكن ما فعله هذا الشيخ لقي قبولاً ورضا عند الله تعالى فكافأه بالأجر العظيم.

٥- أن لا ييأس الإنسان من تكرار التجربة إذا حصل له الفشل فيمكن أن ينجح في المرة الثانية أو العاشرة أو أزيد من ذلك ولا يجعل الشعور بالإحباط ينفذ إلى قلبه وعقله، فهذا الشيخ لم يكن يفهم الدرس مدة لكنه بقي متواصلاً مع الحضور إلى أن جاءت الساعة التي فتح الله تعالى عليه بها وسجّل الإنجازات، فلنستفد من هذا الدرس في كل شؤون حياتنا في الدراسة أو في العمل أو عند إصلاح الآخرين أو في حل المشاكل وفك العقد وغيرها وكذلك في الدعاء فلا نشك ولا نحبط من عدم الإجابة ونظل نطرق الباب إلى أن يأذن الله تعالى بفتحها، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (أكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا يُنال ما عند الله إلا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه).

٦- إن قنوات تحصيل العلم عديدة لا تقتصر على الطرق الطبيعية المتعارفة من الدراسة ومطالعة الكتب فقد يلهم الله تعالى العلوم والمعارف للشخص بأن يقذفها دفعة واحدة في قلبه وعقله عندما يطهرهما وينقيهما الإنسان فتصبح مرآة نقية تعكس الحقائق الواقعية (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الجمعة/٤) كما أوحى الله تعالى إلى أمّ موسى (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) (القصص/٧) بل إلى الحيوان كالنحل (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) (النحل/٦٨) فالشيخ صاحب القصة المذكورة لم ينل علمه بدراسة وقراءة كتب وسماع من أستاذه بل أُلقي في قلبه حتى شعر ببرودته المعنوية وطمأنينته، قال تعالى (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ) (البقرة/٢٨٢) وقال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) (الأنفال/٢٩).

وهذا يزرع الأمل في قلوب طلاب العلم والمعرفة حتى لا يقولوا لسنا مؤهلين ولا نفهم شيئاً أو ما يقال في المثل الشعبي السيئ (عكّب ما شاب ودّوه للكتّاب) أي بعد أن بلغ سن المشيب بعثوه إلى الكتاتيب –على الطريقة القديمة- والمدارس ليتعلم، فهذا المثل وأمثاله يركّز ثقافة خاطئة تدخل اليأس من التعلم لدى من تقدّم بهم العمر فيستمرون على حرمانهم من قراءة القرآن والأدعية المباركة وضروريات حياتهم بينما هذه الحادثة تعلمنا أن كل شيء ممكن مع الإخلاص والصدق والأمل.

وهذا يدفع طلبتنا الأعزّاء الذين يتعسر عليهم فهم بعض الدروس إلى القيام بالمزيد من أعمال البر والإحسان كخدمة والديهم وإدخال السرور عليهم أو قضاء حوائج الناس أو مساعدتهم فيفتح الله عليهم بسبب ذلك.

٧- ومن خلال هذه الحادثة وأمثالها نتعرف على سبق شريعة الإسلام إلى وضع قوانين حقوق الحيوان والرفق بها ورعايتها مما يتبجّح بوضعه الغرب مؤخراً وهذا دليل على عظمة الإسلام وسمو تعاليمه، بحيث أن الله تعالى يكرّم هذا الشيخ ويعطيه الجزاء الكبير في الدنيا والآخرة لأنه أشفق على حيوانات ضعيفة وأطعمها وسقاها.

والأحاديث في ذلك كثيرة كالمروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (من قتل عصفوراً عبثاً عجَّ إلى الله يوم القيامة ويقول: يا ربِّ عبدُك قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة). وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إن امرأة عُذِّبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشاً).

وروي عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال (مرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قوم نصبوا دجاجة حية وهم يرمونها بالنبل، فقال: من هؤلاء لعنهم الله). وقصة العابد الذي خسفَ الله تعالى به الأرض فهو يهوي أبد الآبدين لأنه رأى أطفالاً يعبثون بديك وينتفون ريشه ولم ينههم عن ذلك.

٨- إن الأعمال التي يقوم بها الإنسان لا يثاب عليها ولا يؤجر إلاّ إذا نوى بها القربة إلى الله تعالى وبدون هذه النية لا يكون عملاً تعبدياً فلا يعطى الأجر كمن انشغل بشيء فلم يأكل ولم يشرب من الفجر حتى الغروب فإنه لا يعتبر له صوماً حتى ينويه صوماً قربة إلى الله تعالى. ويستثنى من ذلك الأعمال الإنسانية التي فيها خير وإحسان للآخرين حتى الحيوانات فإن الله تعالى يكافئ عليها حتى لو لم ينوي صاحبها القربة إلى الله تعالى، كهذا الشيخ فإنه اندفع إلى إطعام القطط الصغيرة بداعي الشفقة وربما لم يلتفت إلى نية القربة لكن الله تعالى جازاه خيراً، لأنّ الله تعالى خالق كل الموجودات وكلهم عياله

فالإحسان الذي يقدمه الإنسان إلى أي مخلوق يعتبره إحساناً إليه (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن/٦٠)، في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (قال الله عز وجل: الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم وأسعاهم في حوائجهم)( ) فكلما كان الإنسان أشفق وأرحم بعباد الله تعالى كان أقرب إلى رحمة الله وفضله (إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف/٥٦).

هذه عدة دروس ولعلكم تلتفتون إلى غيرها بالتأمل والتدبّر، وإنما اخترت هذا الحديث لأحفّز أخواني المدرسين والمعلمين ليكونوا أكثر رحمة وشفقة على طلبتهم، وأن يكونوا أكثر شعوراً بالمسؤولية عنهم (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) وأن لا يقصروا في أداء واجبهم فإن كل إحسان مدّخر لهم عند الله تعالى ويكافئهم عليه.

وأيضاً لأحفّز الطلبة لبذل مزيد من الجهد والإصرار والمثابرة على تحصيل العلم وأن يتوقعوا من الله تعالى كل مزيد من حيث لا يحتسبون ولا يتسرب الإحباط والملل إلى نفوسهم، وأن يكونوا بارّين بآبائهم ومعلميهم وإخوانهم وسباقين إلى فعل الخير، فربما جازاهم الله تعالى على فعل واحد من أفعال الخير بأن يفتح عقولهم لدروس كانت مقفلة عليها.

وأن لا يقصّر جميع المربين والخطباء والمعلمين وأولياء الأمور من إعطاء هذه الجرعات الأخلاقية لتهذيب النفوس وتطهير القلوب معززة بالقصص والحوادث لمواجهة حملات الإفساد والتخريب الأخلاقي والفكري والاجتماعي والله المستعان.

.....

المحاضرة (٣٣) **بعنوان**: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) [هود: ١٠٨] حقيقة السعادة

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

أهمية السعادة:

السعادة: حلم كل الناس والهدف الذي تسعى إليه البشرية، ولذلك كان كل اهتمام الأنبياء والرسل والفلاسفة والمفكرين والعلماء هو الوصول إلى ما تتحقق به السعادة، ونحن حينما نتبادل التهاني في العيد، يدعو بعضنا لبعض: (أسعد الله أيامكم) وإن كنا نحن في العراق نقولها وقلوبنا تعتصر ألماً لما يمرُّ به شعبنا من قتل ودمار ونقص مريع في الخدمات الأساسية، وانتشار الفقر والبطالة والمرض والجهل والفساد وأمثالها من الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تنخر بنية المجتمع وتدمره إلا من عصم الله تعالى. ولا زالت دماء الضحايا والأبرياء لم تجف ... والزعماء السياسيون منهمكون بالصراع على السلطة وغنائمها وامتيازاتها. و أقل من هذه البلاءات بكثير دفعت شاعراً مثل المتنبي إلى القول:

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ بما مضى أم بأمرٍ فيكَ تجديدُ

ويوجد اليوم في الكتّاب والمثقفين من يخاطب العيد بقول المتنبي، ويسخر ممن يقول: (أيامك سعيدة) و(أسعد الله أيامكم) مع أنها كلمات دعاء وطلب من الله تعالى بجعل أيام العمر سعيدة وهانئة وليست إخباراً عن الواقع المعاش حتى يجد البعض أنها غير لائقة وغير منطبقة على هذا الواقع المؤلم.

الفوز الحقيقي:

وأين المتنبي وأمثاله من سمو أهل البيت (عليهم السلام) وحياتهم السعيدة وهم الذين لم يؤذَ أحدٌ كما أوذوا، انظروا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يسقط مضرجاً بدمائه في محراب مسجد الكوفة وهو يقول: (فُزتُ وربّ الكعبة)، والإمام الحسين (عليه السلام) يقول وهو يرى جمع الأعداء كالسيل وقد يبلغوا عشرات الآلاف وهو وأصحابه لا يتجاوزون المائة يقول (عليه السلام):

(ليرغب المؤمن في لقاء الله، و إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً)[٣٥٣]. والإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) يشكر الله تعالى وهو في قعر السجون وظلمات المطامير ويقول (إلهي طالما طلبت منك أن تفرّغني لعبادتك وقد فعلتَ).

روى صالح بن سعيد قال: (دخلت على أبي الحسن - الهادي- (عليه السلام) يوم وروده - سامراء- فقلت له: جُعلتُ فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا المكان الأشنع خان الصعاليك. فقال (عليه السلام): ها هنا أنت يا ابن سعيد، ثم أومأ بيده فإذا أنا بروضات أنيقات وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبي، فقال (عليه السلام) لي: حيثُ كنّا فهذا لنا، يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك)[٣٥٤].

علامة السعادة:

إنها الحياة السعيدة في رحاب الله تبارك وتعالى التي تشغله عن كل شيء [أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] (الرعد:٢٨) فاطمئنان القلب الذي هو علامة السعادة يتحقق بأن تجعل الله تعالى محور حركاتك وسكناتك وهدفك الذي تسعى إليه، ولا تنال تلك السعادة إلا بالتقوى؛ لذا يعلمنا الأئمة (عليهم السلام) أن نطلبها في الدعاء كما طلبوها لأنفسهم، من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقواك). فالسعادة الحقيقية هي الفوز بالجنة وهي ثمرة التقوى والعمل بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه، قال تعالى: [وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ] (هود:١٠٨).

متى تحصل الشقاوة؟

وتحيط الشقاوة بالإنسان - والعياذ بالله- حينما يعصي الله تبارك وتعالى ويبتعد عنه قال تعالى: [وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ] (الزخرف: ٣٦-٣٨). فتصوروا أي حياة شقية تكون للشخص الذي يلازمه فيها شيطان يكون قريناً له يخلّي الله بينه وبينه ليرديه في الضلالات والمهالك وفي حياة تعيسة ضيقة يصفها قوله تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإن لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤) ولذا تكون النتيجة يوم القيامة قوله تعالى: [فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ] (هود:١٠٦-١٠٧).

السعادة والشقاوة تنبعان من النفس:

إن السعادة والشقاوة تنبعان من داخل الإنسان، وهي من حالات عالمه المعنوي ووصف لباطنه، فالسعيد من كان كذلك في باطنه، والشقي من كان كذلك في داخله؛ فلا تتحقق إلا بأمور من جنسها أي معنوية، وليس بأمور مادية كالمال والجنس وترف الدنيا، فكم من شخص لا تتوفر له أسباب السعادة المادية الدنيوية بفقر أصابه أو مرض ابتلي به أو مصيبة نزلت به لكنك تراه سعيداً متفائلاً مبتسماً، وآخر يعيش في ترف وتتوفر له كل أسباب المتعة والعيش الرغيد لكنه عبوس كئيب وقد ينتهي به الأمر إلى الانتحار، وهذه النشرات والإحصائيات تطلعنا باستمرار على أن أكثر حالات الانتحار موجودة في أكثر الدول رفاهية.

الدنيا للعبور والسعادة من المساعدة:

---

(٣٥٣) بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤.

(٣٥٤) بحار الأنوار: ٢٠٢/٥٠ رواها الشيخ المفيد والكليني (رضوان الله عليهما).

ولا يعني كلامنا هذا تقليلاً من أهمية توفير متطلبات الحياة الهنيئة السعيدة، فإن لها دوراً في تحقيق تلك السعادة إذا أُخذ منها بالمقدار المناسب للحاجة ووُظّفت لتحقيق الهدف، فإنها خير معين لها بفضل الله تبارك وتعالى. و إنما اشتق اسم السعادة أصلاً من المساعدة وهي المعاونة على ما تتحقق به السعادة الحقيقية التي سميت سعادة لما فيها من معاونة الألطاف الإلهية للإنسان حتى وُفق إلى الخير والجنة ورضا الله تبارك وتعالى، ولذا نجد في الرو ايات الشريفة المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام) إرشادات إلى ما تتحقق به السعادة الأخروية وما يستعان به على تحقيقها من أمور الدنيا.

مخاطبة عوالم الإنسان:

وهذا الانسجام مع الفطرة والتوازن في مخاطبة كل عوالم الإنسان، وتلبيته كل احتياجاته الروحية والنفسية والعقلية والجسدية هي من مختصات شريعة الله تبارك وتعالى الخالق العظيم والبصير بما يصلح حال الإنسان ويسعده، بينما تاهت النظريات البشرية في تفسير السعادة وبيان ما تتحقق به لأن تحقيق السعادة حلم كل البشر ولم تنته بهم تلك النظريات إلا إلى الشقاء والقلق والخوف والكآبة والصراعات والشرور والآثام، بين أصحاب النظريات المادية الذين حددوا السعادة بالمتعة وتلبية الغر ائز واحتياجات الجسد إلى حد الإفراط –كما في الغرب- من دون التفات إلى حاجة الروح إلى الكمال، ونزوع النفس إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، وبين أصحاب النظريات الفلسفية والروحية الذين جعلوا السعادة في تحقق الكمالات النفسية ولو على حساب التفريط في احتياجات الجسد، بل يجعل بعض أهل الرياضات الروحية تعذيب الجسد و إيلامه سبباً لنيل تلك الكمالات وتحقيق السعادة.

السعادة بالتوازن بين الإفراط والتفريط:

ويتغافلون بذلك عن حقيقة أن من تمام السعادة تحقيق التوازن في متطلبات كل جو انب الإنسان. وهذا ما وجدناه في شريعة الإسلام دين الفطرة [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ] (الروم:٣٠) ففي الوقت الذي تؤكد فيه على الجو انب المعنوية والكمالات الروحية حين تجعل التقوى وتهذيب النفس أساس السعادة والفلاح [قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا] (الشمس:٩-١٠) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وإن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم)[٣٥٥].

فإنها تدعو إلى الأخذ بأسباب الحياة التي توفر الطمأنينة والراحة والسكون للنفس فنرى الحث الأكيد على العمل والكسب بالتجارة أو الزراعة أو غيرهما وتجعل العمل لطلب الرزق الحلال من أفضل القربات إلى الله تعالى ففي الحديث النبوي الشريف (طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة)[٣٥٦] وقال (صلى الله عليه وآله): (من أكل من كد يده كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ويأخذ ثواب الأنبياء) وفي الحديث: (الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله) وفي حديث آخر (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم الفسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها) وفي حديث نبوي شريف (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة).

وتجعل تلبية الحاجة الجنسية من طرقها المحللة - أي الزواج- من آيات الله تبارك وتعالى وسننه التي يُتقرب إليه تبارك وتعالى بإقامتها، وإن الإعراض عنه خروج عن هذه السنة قال تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم:٢١) وقال النبي (صلى الله عليه وآله): (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني) ويقول (صلى الله عليه وآله): (شرار أمتي العزاب).

ونرى رفض الرهبنة والانعزال وحرمان النفس والجسد من بعض ما تشتهيه بالمعروف وبما أحل الله تعالى: [يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ

---

(٣٥٥) نهج البلاغة، خطبة رقم (٢٢٣) قالها عند تلاوته [يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ].

(٣٥٦) بحار الأنوار: ٩/١٠٣، ح٣٥.

مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] (الأعراف: ٣١-٣٢). هذا التوازن والنهي عن الإفراط والتفريط معاً لتحقيق السعادة يظهر جلياً مما ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره قال: (ما كنتَ تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا؟ أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج! وبلى، إن شئتَ بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة. فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال (عليه السلام): وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا، قال (عليه السلام): عليَّ به، فلما جاء قال (عليه السلام): يا عُدَيَّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. قال: يا أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال (عليه السلام): ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس لكيلا يتبيغ بالفقير فقره)[٣٥٧].

كيف نحقق السعادة؟

ونذكر هنا مجموعة من الروايات الشريفة التي أرشدتنا إلى ما تتحقق به السعادة في الآخرة وما يعين عليها من أمور الدنيا:

١- عن جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) أنه قال: (حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء)[٣٥٨]، فإن الإنسان لا تكتمل سعادته إلا عندما يختم عمله بخير فإننا نرى كثيرين يعملون عمل السعداء لكنهم في منعطف من حياتهم ينقلبون ويغويهم الشيطان ويلتحقون بالأشقياء وقد يحصل العكس أحياناً كما في قضية الحر الرياحي حتى قال فيه الإمام الحسين (عليه السلام): (أنت حرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة) فلا تتحقق السعادة إلا بالمداومة على الخير والثبات عليه.

٢- قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من سعادة المرء خفة لحيته)[٣٥٩] أي قلة أتباعه ورعيته سواء كان على صعيد العائلة أو السلطة أو الزعامة الدينية أو الاجتماعية؛ لأن التابع يتمسك بلحية المتبوع -كما يقال في العرف- وقد يتحمل المتبوع مسؤولية تكثير أتباعه بتكبير لحيته الظاهرية فيتبعه من يراعي تلك المقاييس. وفي (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) قراءة أخرى للحديث (خفة عارضيه) أي خفة لحييه وعارضيه بذكر الله تعالى وعدم غفلته عن ربّه.

٣- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ثلاثة من السعادة: الزوجة المؤاتية، والولد البار، والرجل يرزق معيشة يغدو على إصلاحها ويروح على عياله)[٣٦٠]. وعن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن آبائه عن علي (عليهم السلام) قال: (من سعادة المرء المسلم الزوجة الصالحة والمسكن الواسع والمركب الهنيء والولد الصالح)[٣٦١]. فالزوجة الصالحة المطيعة المتوددة، والمسكن اللائق بشأن الإنسان، والأولاد البارّون الصالحون، ووسيلة التنقل المناسبة التي تغنيه عن الطلب من الناس وغيرها من الحاجات الأساسية في الحياة يؤدي توفّرها إلى الحياة السعيدة المعينة على طاعة الله تعالى ونيل السعادة الحقيقية. على أن لا تتحول هذه الأمور إلى هدف وشاغل عن الله تعالى بل يجعلها الإنسان وسائل مساعدة ومعينة على الوصول إليه تبارك وتعالى قال عز من قائل: [رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلاةِ وَ إِيتَاء الزَّكَاةِ] (النور:٣٧) فالمشكلة ليست في وجود تجارة أو مال و إنما في تحولها إلى مانع عن الوصول إليه تبارك وتعالى، وقال: [إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ] (التغابن: ١٤). وفي كتاب غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام): (السعيد من استهان بالمفقود)؛

---

(٣٥٧) نهج البلاغة، خطبة رقم (٢٠٩).

(٣٥٨) بحار الأنوار: ١٥٤/٥ عن الخصال: ٥ ب١ ح١٤.

(٣٥٩) بحار الأنوار: ١١٣/٧٣.

(٣٦٠) بحار الأنوار: ٦/١٠٣ عن أمالي الشيخ الطوسي.

(٣٦١) بحار الأنوار: ٩٨/١٠٤، ح٦٤.

لأن الحزن على ما فات موجب للشقاء والنكد والسعيد من صبروتسلّى عنه واحتسبه عند الله تعالى. وقال (عليه السلام): (في لزوم الحق تكون السعادة) لأن معرفة الحق و اتباعه هو أساس السعادة الحقيقية الموجبة للفوز. وقال (عليه السلام): (من حاسب نفسه سعد) لأنه بالمحاسبة يستطيع تصحيح الأخطاء وتلافي النقص ورد المظالم إلى أهلها ويقرّر حياة أفضل وكل ذلك يوجب السعادة.

وقال (عليه السلام): (خلوّ الصدر من الغل والحسد من سعادة العبد) فإن أشقى الناس من امتلأ قلبه حقداً وحسداً وغلاً وخيانة وحياته تكون معذبة ويعيش مهموماً. وقال (عليه السلام): (السخاء إحدى السعادتين). وقال (عليه السلام): (سعادة المرء –في- القناعة والرضا) فإذا قنع استقرورضي ولم يحزن على فوات شيء أو يقلق حرصاً على تحصيل شيء.

وقال (عليه السلام): (سعادة الرجل في إحرازدينه والعمل لآخرته) لأن العمل بما يرضي الله تعالى والسير على هدى أوليائه يحقق السعادة الأبدية. وقال (عليه السلام): (إذا اقترن العزم بالحزم كملت السعادة). وقال (عليه السلام): (أمَارة السعادة إخلاص العمل) لأن عمله إن لم يكن بنية مخلصة لم يكن مقبولاً ولم يحقق السعادة المطلوبة، فعلامة سعادته كون عمله مخلصاً لله تبارك وتعالى. في كتاب مكارم الأخلاق (من سعادة المرء دابة يركبها في حو ائجه ويقضي عليها حو ائج إخو انه)[٣٦٢]؛ لأنه بها يستغني عن الحاجة للآخرين ويتمكن من قضاء حو ائج الناس التي هي من أعظم القربات.

٤- عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (من سعادة المرء المسلم أن يكون متجره في بلاده ويكون خلطاؤه صالحين ويكون له وُلدٌ يستعين بهم)[٣٦٣]. فمن كان متجره في بلاده كفاه الله مؤونة الغربة والبعد عن الأهل والوطن ومخاطر الأسفار، ومن كان شركاؤه و أقر انه في العمل صالحين تجنب المشاكل والخصومات والخوض في الباطل، ومن كان له ولد يعينه خفّت أعباء الحياة عليه وسعد برؤيتهم.

٥- (من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة إلى دار الخلود)[٣٦٤]. (ليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن فهناك تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه) فهكذا تجتمع الأسباب لتحقق السعادة: الإرادة من الإنسان وتيسير الأسباب والوسائل الطبيعية لإنجاز العمل وتوفيق الله سبحانه.

٦- (ولو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته- على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه)[٣٦٥] فالإلفة بين المؤمنين وتواددهم وتراحمهم سبب قوي لسعادتهم ونزول الرحمة عليهم.

كيف نحذر من الشقاوة؟

ونذكر بعض الروايات الواردة في الشقاوة لتعرف الأمور بأضدادها:

قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله): اعدلْ، فقال (صلى الله عليه وآله): (لقد شقيتَ (شقيتُ) إن لم أعدل)[٣٦٦]. وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (أشقى الناس الملوك)[٣٦٧] بعكس ما يتصور أغلب الناس فيحسدونهم على ما هم عليه فإذا انكشف لهم الو اقع تبرأوا منه كما في قصة قارون التي حكاها الله تبارك وتعالى: [وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ

---

(٣٦٢) مكارم الأخلاق: ١٣٨.

(٣٦٣) بحار الأنوار: ٧/١٠٣ ح ٢٧ عن الخصال: ١٥٩/١ باب الثلاثة.

(٣٦٤) بحار الأنوار: ٤٦/٦.

(٣٦٥) الاحتجاج: ج٢، رسالة الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد.

(٣٦٦) رواه البخاري: ٣١٣٨.

(٣٦٧) بحار الأنوار: ٣٤٠/٧٥.

وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] (القصص:٨٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (أربع خصال من الشقاء: جمود العين وقساوة القلب وبعد الأمل وحب البقاء)[٣٦٨].

سئل أمير المؤمنين (عليه السلام): أي الخلق أشقى؟ قال (عليه السلام): (من باع دينه بدنيا غيره)[٣٦٩].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام): (إن الشقي من حُرم ما أوتي من العقل والتجربة)[٣٧٠].

ومن كلماته (عليه السلام) في غرر الحكم: (من علامات الشقاء غش الصديق) (من الشقاء فساد النية) (من الشقاء أن يصون المرء دنياه بدينه).

حاصل إشكال ورد:

وننبه هنا إلى شبهة يثيرها الغارقون في المعاصي العاجزون عن التغلب على أهوائهم فيصوّرون لأنفسهم أنه مكتوب عليهم الشقاء ولا يمكن تغييره، وقد دعمت هذا الاتجاه الفكري جهات سياسية منذ عصر صدر الإسلام لتمنع الأمة من الحركة نحو الإصلاح وتغيير الواقع الفاسد وإزالة الظلم، وينقل القرآن الكريم عنهم قولهم: [قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ] (المؤمنون:١٠٦) لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) فسر الآية بقوله: (بأعمالهم شقوا)[٣٧١]. فالإنسان باختياره عمل ما يوجب شقاءه، وقد جرى القضاء الإلهي - أي مجموعة القوانين والسنن الإلهية- بأن من يعصي ويعرض عن الله تعالى يشقى، قال (عليه السلام) في دعاء كميل: (إلهي ومولاي أجريتَ عليَّ حكماً اتبعتُ فيه هوى نفسي ولم أحترس فيه من تزيين عدوي فغرّني بما أهوى وأسعده على ذلك القضاء) فالعبد باختياره اتبع الشيطان وساعد على غوايته السنة الإلهية بإيكاله إلى نفسه وسلب التوفيق منه.

وفي احتجاج الإمام الصادق (عليه السلام) على الزنادقة لما سألوه: (فما السعادة وما الشقاوة؟ قال: السعادة سبب خير تمسّك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان تمسك به الشقي فجرّه إلى الهلكة، وكلٌّ بعلم الله تعالى)[٣٧٢] فالله تبارك وتعالى قضى تلك الأسباب، والإنسان بإرادته تمسك بهذا أو ذاك منها، وروى البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (أما أهل السعادة فييسّرون لعمل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة) ولذا فُسرت السعادة بما يناسب أصلها المأخوذ منه وهي المساعدة فقيل أن السعادة والسعد: (معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ويضادّه الشقاوة وأعظم السعادات الجنة)[٣٧٣].

تلخيص السعادة الحقيقية:

نستطيع تلخيص أسباب السعادة الحقيقية بالإيمان بالله تعالى وتقواه والالتزام بطاعته وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) بإخلاص ونشاط وعزيمة لا تلين، وتطهير القلب من أمراض الحسد والحقد والبغضاء والبخل والحرص والخوف والقلق وتنقية العقل، من الشبهات والشكوك والظنون والتهم والأوهام والوساوس (فإن الشكوك والظنون لو اقع الفتن ومكدرة لصفو المنائح والمنن) وتهذيب النفس من الأهواء المنحرفة وضبط الغرائز على وفق ما يصلح حال الإنسان في دنياه وآخرته وتجنب الإفراط والتفريط.

والزواج بالمرأة الصالحة الودودة الجميلة وطلب الأولاد وتربيتهم ليكونوا صالحين، والسعي لطلب الرزق الحلال الذي

---

(٣٦٨) بحار الأنوار: ١٦٤/٧٣.

(٣٦٩) بحار الأنوار: ٣٠١/٧٥.

(٣٧٠) شرح نهج البلاغة: ٧٤/١٨.

(٣٧١) بحار الأنوار: ١٥٧/٥.

(٣٧٢) بحار الأنوار: ١٨٤/١٠.

(٣٧٣) المفردات للراغب: مادة (سعد).

يسدّ احتياجاته ويغنيه عما في أيدي الناس ويوفّر له فرص الطاعة والقرب من الله تبارك وتعالى. وقد وجدت في الأحاديث الشريفة أن أكثر ما يوجب السعادة بعد التقوى محبة الآخرين ومواددتهم وبذل الوسع في إسعادهم وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم ابتداءً من الوالدين والزوجة والأولاد إلى الجيران والأرحام ثم عامة الناس.

وإن أكثر ما يوجب الشقاء بعد الإعراض عن الله تعالى هو الحزن والقلق، الحزن على ما فات من عزيز أو مال أو شهوة أو شيء حريص عليه، والقلق مما يأتي كالتاجر يخاف أن يخسر والمرأة تقلق أن يفوتها قطار الزواج أو يتزوج عليها زوجها امرأة ثانية. فينكد عيشهم باحتمالات لم تقع، والحل في تجنب هذه الحالات، و إيكال الأمر إلى الله تبارك وتعالى والأخذ بالأسباب المتيسرة قال تعالى في علاج هذه الحالة: [مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] (الحديد:٢٢). ولم تحصل هذه الحالات إلا بسبب الحرص والفخر والاختيال بما في اليد.

الربط العزائي (الكورين):

وقد نال ثلة من الناس السعادة الأبدية مع أهل البيت(عليهم السلام) في روضات الجنان، ووفقوا لسعادة وخير لم ينالها أحد قبلهم ولا بعدهم، وهم أصحاب الإمام الحسين(عليه السلام)، فبعدما جمعهم الإمام(عليه السلام) وقام فيهم خطيباً قال لهم: (فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عنّي خيراً، فلقد بررتم وعاونتم، ألا: و إني لا أظن يوماً لنا من هؤلاء الأعداء إلا غداً، ألا: و إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ من بيعتي ليس عليكم مني حرج ولا ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري.

فقال له اخوته و أبناؤه و أبناء عبد الله بن جعفر: و لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا، وتكلّم اخوته وجميع أهل بيته فقالوا: يابن رسول الله: فما يقول لنا الناس وماذا نقول لهم؟ نقول: إنا تركنا شيخنا وكبيرنا و ابن بنت نبيّنا لم نرم معه بسهم، ولم نطعن معه برمح، ولم نضرب معه بسيف لا والله يابن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكن نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ونرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك. ثم قام مسلم بن عوسجة وقال: نحن نخلّيك هكذا وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدو؟! لا والله لا ير اني الله و أنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولا أفارقك حتى أموت معك. ثم قام زهير بن القين فقال: والله يابن رسول الله لوددت أني قتلت ثمّ نشرت ألف مرة وإن الله قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من اخوتك وولدك وأهل بيتك.

وقام الأصحاب وتكلّموا بما تكلّموا، فلما رأى الحسين ذلك منهم قال لهم: إن كنتم كذلك فارفعوا رؤوسكم و انظروا إلى منازلكم. فكشف لهم الغطاء . بإذن الله . ورأوا منازلهم وحورهم وقصورهم، فقال لهم الحسين: يا قوم إني غداً أقتل وتقتلون كلكم معي، ولا يبقى منكم واحد. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك، أو لا ترضى أن نكون في درجتك يابن رسول الله؟

فقال: جزاكم الله خيراً. فقال له القاسم بن الإمام الحسن المجتبى: و أنا في يمن يُقتل؟ فاشفق عليه الحسين وقال: يا بني كيف الموت عندك؟ قال: يا عمّ فيك أحلى من العسل. فقال الحسين: إي والله . فداك عمّك . إنك لأحدُ من يقتل من الرجال معي، بعد أن تبلوا بلاءً حسناً، ويقتل ابني عبد الله. فقال: يا عمّ ويصلون إلى النساء حتى يقتل وهو رضيع؟ فقال الإمام الحسين: أحمله لأدنيه من فمي فيرميه فاسق فينحره.

ثم قال الحسين: ألا ومن كان في رَحْلِهِ امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد. فقام علي بن مظاهر وقال: لماذا يا سيدي؟

فقال: إنّ نسائي تُسبى بعد قتلي، وأخاف على نسائكم من السبي، فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته فقامت زوجته واستقبلته وتبسّمت في وجهه، فقال لها: دَعيني والتبسّم فقالت: يابن مظاهر إني سمعتُ غريب فاطمة طب فيكم خطبة وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة فما علمتُ ما يقول؟

قال: يا هذه إن الحسين قال لنا: ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني أسد، لأني غداً اقتل ونسائي تسبى.

فقالت: وما أنت صانع؟ قال: قومي حتى ألحقك ببني عمّك. فقامت ونطحت رأسها بعمود الخيمة وقالت: والله ما أنصفتني يابن مظاهر أيسرّك أن تسبى بنات رسول الله و أنا آمنة من السبي؟ أيسرّك أن يبيّض وجهك عند رسول الله ويسوّد وجهي عند فاطمة الزهراء؟ والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء. فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين وهو يبكي فقال الحسين: ما يبكيك؟ قال: يا سيدي أبتِ الأسدية إلا مواساتكم، فبكى الحسين وقال: جُزيتم منّا خيراً.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها، على فانية لا ينفد عذابها، وقدم لما يقدم عليه مما هو في يديه قبل أن يخلفه لمن يسعد بإنفاقه وقد شقي هو بجمعه).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) - لأمير المؤمنين (عليه السلام) -: (إن السعيد حق السعيد من أحبك وأطاعك).
- الإمام علي (عليه السلام): (السعادة ما أفضت إلى الفوز).
- وعنه (عليه السلام): (السعيد من أخلص الطاعة).
- وعنه (عليه السلام): (فاتقوا الله - عباد الله - تقية ذي لب شغل التفكر قلبه... قد عبر معبر العاجلة حميداً، وقدم زاد الآجلة سعيدا).
- وعنه (عليه السلام): (عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه).
- وعنه (عليه السلام): (إنما السعيد من خاف العقاب فأمن، ورجا الثواب فأحسن، واشتاق إلى الجنة فأدلج).
- وعنه (عليه السلام): (السعيد من وعظ بغيره فاتعظ).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (السعيد من وجد في نفسه خلوة يشغل بها).
- وعنه (عليه السلام): (السعادة سبب خير تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان تمسك به الشقي فجره إلى الهلكة، وكل بعلم الله تعالى).
- وعنه (عليه السلام): (لا ينبغي لمن لم يكن عالما أن يعد سعيداً).

ما يوجب السعادة:

- الإمام علي (عليه السلام): (اعملوا بالعلم تسعدوا).
- وعنه (عليه السلام): (هيهات من نيل السعادة السكون إلى الهوينا والبطالة).
- وعنه (عليه السلام): (جالس العلماء تسعد).
- وعنه (عليه السلام): (بالإيمان يرتقى إلى ذروة السعادة ونهاية الحبور).
- وعنه (عليه السلام): (لن تعرف حلاوة السعادة حتى تذاق مرارة النحس).
- وعنه (عليه السلام): (من أجهد نفسه في إصلاحها سعد، من أهمل نفسه في لذاتها شقي وبعد).

- وعنه (عليه السلام): (ثلاث من حافظ عليها سعد: إذا ظهرت عليك نعمة فاحمد الله، وإذا أبطأ عنك الرزق فاستغفر الله، وإذا أصابتك شدة فأكثر من قول: " لا حول ولا قوة إلا بالله).

أسباب السعادة والشقاوة؛

- الإمام علي (عليه السلام): (عصم السعداء بالإيمان، وخذل الأشقياء بالعصيان من بعد اتجاه الحجة عليهم بالبيان، إذ وضح لهم منار الحق وسبيل الهدى).
- وعنه (عليه السلام): (لا يسعد امرء إلا بطاعة الله سبحانه، ولا يشقى امرء إلا بمعصية الله).
- وعنه (عليه السلام): (لا يسعد أحد إلا بإقامة حدود الله، ولا يشقى أحد إلا بإضاعتها).

ما يعد من السعادة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من سعادة ابن آدم استخارة الله، ورضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن الإمام علي (عليه السلام): (من السعادة، التوفيق لصالح الأعمال).
- آدم تركه استخارة الله، وسخطه بما قضى الله).
- وعنه (عليه السلام): (التوفيق من السعادة، والخذلان من الشقاوة).
- وعنه (عليه السلام): (الكتمان طرف من السعادة).

أمارة السعادة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا استحقت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين وذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين وذهب الأجل وراء الظهر).
- الإمام علي (عليه السلام): (دوام العبادة برهان الظفر بالسعادة).
- وعنه (عليه السلام): (درك السعادة بمبادرة الخيرات والأعمال الزاكيات).

حقيقة السعادة:

- وعنه (عليه السلام): (إن حقيقة السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة، وإن حقيقة الشقاء أن يختم للمرء عمله بالشقاء).
- وعنه (عليه السلام): (عند العرض على الله سبحانه تتحقق السعادة من الشقاء).

ب) الشعر:

ولستُ أرى السعادةَ جمْعَ مال ... ولكنَّ التقي هُوَ السعيدُ
وتَقوَى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخْرًا ..... وعندَ اللهِ للأتقى مَزِيدُ
قد بحثنا عن السعادة لكن ..... ما عثرنا بكوخها المسحور

وقال شاعر آخر:

اعمل لدار البقاء رضوان خازنها ..... الجار احمد والرحمن بانيها
ارض لها ذهب والمسك طينتها ..... والزعفران حشيش نابت فيها

انهارها لبن محض ومن عسل ..... والخمر يجري رحيقا في مجاريها
والطير تجري على الاغصان عاكفة ..... تسبح الله جهرا في مغانيها
من يشتري الدار بالفردوس يعمرها ..... بركعة في ظلام الليل يخفيها
أو سد جوعة مسكين بشبعته ..... في يوم مسغبة عم الغلا فيها
النفس تطمع في الدنيا وقد علمت ..... ان السلامة منها ترك ما فيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ..... ودارنا لخراب البوم نبنيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ..... الا التي كان قبل الموت يبنيها
فمن بناها بخير طاب مسكنه ..... ومن بناها بشر خاب بانيها
والناس كالحب والدنيا رحى نصبت ..... للعالمين وكف الموت يلهيها
فلا الاقامة تنجي النفس من تلف ..... ولا الفرار من الاحداث ينجيها
تلك المنازل في الافاق خاوية ..... اضحت خرابا وذاق الموت بانيها
أين الملوك التي عن حظها غفلت .... حتى سقاها بكاس الموت ساقيها
أفنى القرون و افنى كل ذي عمر..... كذلك الموت يفني كل ما فيها
نلهو ونامل امالا نسربها ..... شريعة الموت تطوينا وتطويها
فاغرس اصول التقى ما دمت مقتدرا ... واعلم بانك بعد الموت لاقيها
تجني الثمار غدا في دار مكرمة ..... لا من فيها ولا التكدير ياتيها
الاذن والعين لم تسمع ولم تر..... ولم يجر في قلوب الخلق ما فيها
فيالها من كرامات اذا حصلت ..... ويا لها من نفوس سوف تحويها

ج) القصة:

نال بُكير بن أعين السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، وكان أبوه عبداً رومياً لرجل من بني شيبان تعلم القران ثم اعتقه فكان من موالي بني شيبان ولم يلتحق بنسبهم وكان جده راهبا في بلد الروم، و أنجب اعين أولاد فقهاء أفذاذ وهم زرارة وبكير وعبد الملك وحمران، ورووا عن الإمام السجاد و الباقر و الصادق (صلوات الله عليهم أجمعين)، لما بلغ خبر موت بكير الإمام الصادق (عليه السلام) قال (أما والله لقد أنزله الله بين رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما).

.....

المحاضرة (٣٤) بعنوان: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) [الصافات : ٢٤] المسؤوليات الثابتة والمتحركة

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

لكي نؤدي مسؤوليتنا:

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ] (الصافات: ٢٤)؛ فمسؤولية الإنسان إذن لا تنتهي بالموت، بل لا بد من وقوفه في يومٍ للسؤال عن كل ما صدر منه صغيراً كان أو كبيراً [فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى] (طه: ٥٢)

وسيقف الإنسان يومئذٍ مبهوتاً متعجباً مستسلماً [وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً] (الكهف: ٤٩).

ولو أنا إذا مِتنا تُركنا لكان الموتُ غايةَ كل حيّ
ولكنّا إذا متنا بُعثنا ونسألُ بعدها عن كلّ شيّ

فعلى الإنسان أن يستعد ليوم السؤال وأن يحضّر أجوبته عن كل أفعاله ومعتقداته لكي لا يُفاجأ بصحائف أعماله ويجد فيها ما جنت يداه ولا يستطيع التدارك فلا ينفعه الندم [وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ] (ص: ٣) وأن يعي مسؤولياته أي ما سيُسألُ عنه -لأن المسؤولية اسم شيء مشتق مما يُسألُ عنه- لكي يؤديها بالشكل الصحيح.

أصناف المسؤوليات:

والمسؤوليات على صنفين: ثابتة ومتغيرة؛ ولا نعني بالمتغيرة: أن حكمها يتغير لأن (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) و إنما نعني حصول التغيّر في الموضوع والعناوين فيتغير الحكم تبعاً لها، فالخمر حرام لكن إذا عولجت و انقلبت خلاً صارت حلالاً لتغير الموضوع، والميتة حرام ولكن لمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ تكون حلالاً لطروّ عنوان ثانوي عليها وهو الاضطرار، فالتغير ليس في أصل الأحكام و إنما في تطبيقاتها.

والتكاليف الثابتة معلومة على مستوى العقائد كالإيمان بوجود الله تبارك وتعالى ووحدانيته وصفاته الحسنى والأنبياء والرسل والأئمة سلام الله عليهم، وعلى مستوى الأحكام كوجوب الصلاة والصوم والخمس وحرمة شرب الخمر والزنا والغيبة وغيرها أو على مستوى الأخلاق كمحبوبية الصدق والكرم والحلم ومبغوضية الحسد والأنانية والتهور وغيرها.

أما المتغيرة فيمكن أن تتأثر بعناصر عديدة:

التأثر بالموقع:

منها: الموقع؛ فإن الإنسان العادي مسؤول عن نفسه وأهله وما يرتبط به،

وحينما يكون وزيراً مثلاً فإنه مسؤول عن مؤسسات كاملة وإدارة كل الشؤون المرتبطة بوزارته ورعاية مصالح جميع الناس بما يرتبط بوظيفته، وحينما يكون إماماً في مسجد فإنه يكون مسؤولاً عن أبناء تلك المنطقة فيتفقدهم ويصلهم ويقضي حوائجهم ويساعدهم ويهديهم ويصلح شأنهم، فإذا أصبح قائداً أو مرجعاً دينياً شملت مسؤوليته الملايين من الناس في شرق الأرض وغربها؛ ولذا نجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول وهو بالكوفة (ولعلَّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع)،

وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)[٣٧٤]. وكم من فقير وجائع ومكروب ومهجّر ومريض ومسجون بغير حقٍّ ينادي اليوم: يا للمسلمين، يا للحكومات، يا لعلماء الدين، يا للمرجعيات.

فليعلم كل واحدٍ مسؤوليته وإذا عجز عن حل المشكلة وقضاء الحاجة فلا أقل من التفاعل مع القضايا ونصرة أصحابها بالكلمة والموقف؛ عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتمّ بها قلبُه فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه الجنة)[٣٧٥]، أما الذين في موقع يسعهم قضاء حوائج الناس ويقدرون عليها فلا يهتمون ويقصرون في إنجازها فقد خرجوا من ولاية الله تبارك وتعالى، ففي الحديث عن موسى بن جعفر (عليه السلام) (من قصد إليه رجل من إخوانه

(٣٧٤) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب١٨، ح٣.

(٣٧٥) المصدر السابق، ح٤.

مستجيراً به في بعض أحواله فلم يُجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل)[٣٧٦]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لم يَدَعْ رجلٌ معونةَ أخيه المسلم حتى يسعى فيها ويواسيه إلا ابتلي بمعونة من يأثم ولا يؤجر)[٣٧٧].

تأثر المسؤولية بالظروف المحيطة:

ومنها: الظروف المحيطة به؛ فنحن في العراق نعيش حالة احتلال وصراع سياسي وفقر وحرمان وقتل وتهجير واختطاف وفساد إداري وسرقة للمال العام واعتقال للأبرياء وغيرها من القضايا التي تحتم اتخاذ مو اقف بإزائها لم نكن مكلفين بها قبل وجودها، ولا يعذر الإنسان حين يصمّ آذانه عن كل هذه القضايا من دون أن يقوم بواجبه تجاهها، كما لا تعذر الحكومة حين تصمُّ آذانها عن مطالبة عو ائل الأبرياء المعتقلين للإفراج عنهم أو تصمّ آذانها عن سماع الشعب العراقي المحروم الذي يطالب بتوفير مفردات البطاقة التموينية وتحسينها فتَفعل الحكومة العكس وتعلن عزمها على تقليل المفردات إلى النصف.

تأثر المسؤولية بالبلد:

ومنها: البلد الذي يؤثر في نوع المسؤولية، فالشخص الذي يسكن العراق له تكاليف تختلف عن الذي يسكن في بلاد الغرب مثلاً فهذا تبرز عنده وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه يعيش في وسط مجتمع مسلم فوظيفته تقويم الانحراف داخل المجتمع المسلم بهذه الوظيفة، أما المقيم في الغرب فتبرز عنده وظيفة الدعوة إلى الإسلام لأنه يحاور غير المسلمين. ويؤثّر في حجم المسؤولية ومقدارها وجرّبتم لو أن مجموعة من الطلبة الجامعيين ينتمون إلى محافظات متعددة صدر منهم تصرف معين فإن الطالب النجفي يحاسب أكثر من غيره، ومعذّريته أقل.

تأثر المسؤولية بالعلم:

ومنها: العلم؛ فكلما ازداد الإنسان علماً ازدادت مسؤوليته بكلا شقّيها أي من حيث الثواب على الإحسان والعقاب على الإساءة لذا ورد في الحديث أن الجاهل يغفر له سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

نأثر المسؤولية بالمعرفة الإلهية:

ومنها: المعرفة بالله تبارك وتعالى؛ فكلما ازدادت معرفته ازدادت مسؤوليته، فقد تكون حالة مباحة وليست في دائرة المسؤولية ضمن مستوى معين ولكنها تكون ضمن دائرة المسؤولية في المستوى الآخر، لذا ورد في الحديث الشريف (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين) فهي ليست سيئات بالمعنى المتعارف وإلا لما أصبحت حسنات بالنسبة للأبرار، فهي سيئات بالمعنى المناسب للمقربين.

مثلاً يستغفر البعض لأنه غفل فلبس الحذاء الأيسر قبل الأيمن على خلاف الاستحباب، وروي عن بعض العلماء أنه كان يبكي لما دنت منه الوفاة رغم أنه أنفق كل ما عنده لقضاء حو ائج الناس لكنه يبكي لأنه كان يستطيع أن يستعمل جاهه لخدمة مزيد من الناس.

روى سيدنا الشهيد الصدر (قدس سره) أنه صلى ركعتي استغفار ذات مرة لأنه التقى بشخص لم يره منذ مدة فقال له: مشتاقين. ولما عاد إلى نفسه خشي أن لا يكون صادقاً. ومستويات الناس من هذه الناحية متباينة جداً ومتفاوتة بدرجات لا تنتهي لأن الكمال لا ينتهي، وقد ورد ما يدلّ على ذلك في حديث عن الأمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنه جاء إليه رجل فسأله (فقال له: ما الزهد؟ فقال: الزهد عشرة أجزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات

---

(٣٧٦) المصدر السابق، باب ٣٧، ح٤.

(٣٧٧) المصدر السابق: ح٥.

اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإن الزهد في آية من كتاب الله عزوجلّ [لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ])[٣٧٨].

الإيمان عشر درجات:

وقد ورد عن المعصومين (عليهم السلام) عدم جواز استعلاء صاحب الدرجة الأرقى على من هو دونه والاستخفاف به أو عدم مراعاة حاله، ففي كتاب الخصال للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله لأحد أصحابه واسمه عبد العزيز: (يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السُلّم له عشر مراقٍ وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء ... حتى انتهى إلى العاشرة، قال: وكان سلمان في العاشرة، و أبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره)[٣٧٩].

قصة للجد الشيخ اليعقوبي مع الميرزا النائيني:

وروى[٣٨٠] السيد الصدر (قدس سره) أن جدي اليعقوبي كان يقيم مجالس العزاء الحسيني في دار الميرزا النائيني (قدس سره) المرجع الديني في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي فإذا أنهى المجلس قال الناس: أحسنت وأمثالها إلا النائيني فكان يقول: غفر الله لك، فسأله الشيخ اليعقوبي عن سرّ ذلك فقال له النائيني (قدس سره): لأنك تأتي في كلامك بروايات لم تثبت صحتها فأطلب لك المغفرة لذلك، فالتزم الشيخ اليعقوبي (قدس سره) في اليوم التالي بالتحقيق في سند الروايات وعدم ذكر إلا ما يصحّ منها فلم يؤثر في الجالسين ولم تتحرك عواطفهم ولم يتفاعلوا مع المصيبة فأذن له الشيخ النائيني (قدس سره) بالعودة إلى طريقة التسامح في الروايات أي ما يسمى بقاعدة التسامح في أدلة السنن والمستحبات، وعلّق السيد الصدر (قدس سره) بأن (حال) اليعقوبي أو درجته هي (من بكى أو أبكى أو تباكى كان له كذا من الأجر) وحال الشيخ النائيني (قدس سره) [مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] فتكليفهما مختلف.

تأثر المسؤولية بالانتماء:

ومنها: الانتماء؛ فالذي يوالي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) عليه مسؤوليات أكثر من غيره من المسلمين والذي ينتمي إلى المرجعية الناطقة الحركية يشعر بالمسؤولية عن دينه ومجتمعه أكثر ممن ينتمي إلى المرجعيات التقليدية الساكنة لذا تجد الحيوية والاندفاع والسبق إلى تنفيذ المشاريع التي تعلي كلمة الله تبارك وتعالى وترفع راية الإسلام في أتباع المرجعية الأولى أكثر.

مسؤولية الإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام):

ولعل من أهم المسؤوليات التي يتحملها من ينتمي إلى مدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم) هو الإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام) والتفاعل مع قضيته واستشعار مر اقبته ورعايته واطلاعه على أعمال العباد والعمل على تعجيل ظهوره الشريف و إقامة دولته المباركة.

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق، باب العشرة، ص ٤٣٧.

(٣٧٩) الخصال للشيخ الصدوق، أبواب العشرة، ص ٤٤٨.

(٣٨٠) قناديل العارفين: ص٩٢.

ما الذي نفهمه من دعاء الفرج؟

وأشير هنا إلى واحدة من تلك المسؤوليات وهي ما ورد في الدعاء الشريف: (اللهمّ كُنْ لِوليّكَ الحجةِ بن الحسنِ صَلواتُكَ عَليهِ وعلى آبائِهِ) إلى أن يقول (حتى تُسكِنهُ أرضك طوعاً) أي طواعية وسلماً من دون قتال أو صعوبات أو معوقات. والدعاء عند أهل البيت ليس فقط كلمات تتلى للثواب و إنما هو وسيلة لإلقاء العلوم والمعارف إلى شيعتهم. ويمكن أن نفهم هذه الفقرة بعدة أشكال:

١- الطلب من الله تبارك وتعالى أن يذلل للإمام (سلام الله عليه) السماوات والأرض والبحار فتكون في أوضاع مناسبة لحركته المباركة وأن توظف لخدمته وتكون عوامل مساعدة لعمله المبارك كما نصر الله تبارك وتعالى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في معركة بدر بألفٍ من الملائكة والنعاس والمطر والرعب في قلوب الكفّار؛ قال تعالى [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ، إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ] (الأنفال: ٩-١٢) وكيف أرسل الله تبارك وتعالى الرياح العاتية على الأحزاب فقلّعت خيامهم وهزمتهم حتى انسحبوا [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً] (الأحزاب: ٩).

٢- أن يمكّن المؤمنين من الوصول إلى مواقع النفوذ والسلطة والحكم في البلاد التي ينطلق منها الإمام (عليه السلام) لتأسيس دولته الكريمة وهؤلاء يهيئون تسليم الحكم للإمام (عليه السلام) بكل طاعة وولاء أما إذا كانت بأيدي المنافقين والكفار والمعادين فإن الإمام سيبذل كثيراً من الجهد والتضحيات لفتح هذه البلاد، وقد وردت روايات تسمي فيها بعض القيادات الصالحة التي تلتحق بالإمام (عليه السلام) مع قواتها سلماً وتسلّم له القيادة في العراق في حين تحاربه جيوش من بعض الدول المجاورة وبعض المنافقين في هذه البلاد.

٣- إن البشرية ستكون قريباً من الظهور مستعدة لاستقبال المصلح الموعود بسبب الأزمات الخانقة التي تعجز عن حلها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو بيئية أو صحية أو عسكرية وغيرها فحينما تبلغهم دعوة الإمام (عليه السلام) لإقامة الحق والعدل وسعادة البشرية و إنصاف المظلومين والمحرومين واجتثاث أصول الفساد فسينقادون إليه ويؤمنون به، ويساهم السيد المسيح (عليه السلام) بدور فاعل في إذعان الأمم المسيحية للإمام المهدي (عليه السلام)، بحسب ما ورد في الروايات.

تكاليفنا تجاه أحداث الظهور:

فكلّ من هذه المحاور يوجب تكليفاً بإزائه، فالشكل الأول يدعو إلى ديمومة الدعاء للإمام (عليه السلام)، والشكل الثاني يدعو شيعة الإمام (عليه السلام) التواقين لظهوره الميمون أن يزيدوا من خبرتهم في الإدارة والحكم وينظموا صفوفهم ويعبئوا طاقاتهم للوصول إلى هذه المواقع وبذل الوسع في النجاح في أداء مهامهم حتى يتمكنوا في الأرض وينجحوا ثم يسلّموا مقاليد الأمور إلى بقية الله الأعظم (عليه السلام).

والشكل الثالث يقضي بأن لا يقصّر المؤمنون في عرض الإسلام النقي الأصيل كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الطاهرين (عليهم السلام) على شعوب العالم وأن يبينوا لهم محاسنه ويرغبوهم بالدخول فيه ويشوّقونهم إلى اليوم الذي تسود فيه مبادئ الإسلام -التي هي مبادئ الإنسانية- الأرضَ كلها مستفيدين من وسائل الإعلام والاتصالات التي بلغت حداً عظيماً، ويشرحون لهم الحال المزرية التي أوصلتهم إليها أنظمتهم التي وضعها البشر بجهله وغروره من أمراض فتاكة كالآيدز ومن قلق ورعب ومستقبل مجهول وتفكك اجتماعي وضياع وأزمات اقتصادية وتلوث بيئة وغيرها من المشاكل المستعصية.

لا تكونوا من المطففين:

إن كل العناصر السابقة كولاية أهل البيت (عليهم السلام) أو الكون في موقع مهم يمكن أن تكون سبباً لامتيازات يحصل عليها الإنسان في الدنيا والآخرة، ومقتضى العدالة والإنصاف أن يفي بالمسؤوليات التي تقابلها وإلا كان من المطففين الذين يأخذون أكثر مما يعطون فهدّدهم الله تبارك وتعالى بالويل [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ] (المطففين: ١-٦). روي أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يذهب إلى مكة ماشياً على قدميه وإن النجائب المعدّة للركوب تُقاد بين يديه تعظيماً لله تبارك وتعالى، ولكنه كان يتنكب عن الطريق العام فقيل له في ذلك، فقال (عليه السلام): (أخشى أن أأخذ من رسول الله أكثر مما أعطيه) فالحسين (عليه السلام) صاحب أعظم عطاء في البشرية يستقلّ ما يقدم إزاء ما يأخذ من امتيازات كالتقديس والحب والتبرك وغيرها.

لنحاسب أنفسنا على ما أدينا من مسؤوليات:

أمام هذه المديات الواسعة والتنوع الكبير والتباين الهائل في المسؤوليات والاستحقاقات والامتيازات ينبغي للإنسان أن يراجع نفسه ويقيّم أعماله ويجري محاسبة يومية انطلاقاً من الأحاديث الشريفة كقول الإمام الكاظم (عليه السلام): (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)[٣٨١] وقول الإمام الصادق (عليه السلام) (فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقداره ألف سنة، ثم تلا قوله تعالى [فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ])[٢]، ولا أقل من استغلال الأيام الشريفة لهذه المراجعة والتأمل فيما قدّم وأخّر كيوم عرفة يوم التوبة العالمي والاستغفار والإنابة إلى الله تعالى وفي يوم العيد الذي يعني العود والرجوع إلى الله تبارك وتعالى، وكان من المعالم البارزة لإحياء هذه الشعائر الحشد الكبير الذي غصّ بهم الصحن الحسيني المطهّر أمس لتلاوة دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة وهم يبكون ويتضرّعون ونقلته لنا بعض الفضائيات، ومثل هذا الاجتماع المبارك سبب مهم لرفع البلاء عن هذه الأمة.

ما الذي يقتضيه الشعور بالمسؤولية؟

إن الشعور بهذه المسؤوليات والالتفات إليها يقتضي عملين:

الأول: رفع التقصير عما لم يقم به الإنسان والندم عليه وتداركه.

الثاني: شحذ الهمّة والعزيمة ورفع مستوى الطموح ليبلغ أعلى هذه الدرجات ويستوعب أكبر مساحة من المسؤوليات ليحظى بأعلى الامتيازات عند الله تبارك وتعالى [وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة: ٧٢) [قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ] (آل عمران: ١٥-١٧).

الربط العزائي (الكورين):

ومن دواعي شعور الإمام الحسين(عليه السلام) بالمسؤولية الملقاة على عاتقه هو قيامه بمهمة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام طاغية زمانه المنحرف، فقد جاء في الوصية التي كتبها الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: (إنّي ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر

---

(٣٨١) و(٢) وسائل الشيعة: ج١١، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب٦٩، ح١، ٢.

وأسير بسيرة جدّي و أبي علي بن أبي طالب)... لذا ترك الإمام الحسين(عليه السلام) الحجاج يوم التروية أو قبله بيوم بعد أن أحل من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة فخرج من مكة فكان الناس يخرجون إلى منى الإمام الحسين(عليه السلام) يمم وجهه الشريف نحو كربلاء لإداء مسؤوليته الجهادية، وبالفعل أدى ما عليه من واجبات على أكمل وجه، حتى أنه حمل معه النساء وعقائل النبوة لإكمال مسيرته .. فعندما طلب (محمد بن الحنفية) من الإمام(عليه السلام) عدم الخروج نحو العراق قائلاً: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ أجابه الإمام الحسين(عليه السلام): «بلى، ولكن أتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعدما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج، فان الله قد شاء أن يراك قتيلاً»، فقال ابن الحنفية: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة و أنت تخرج على مثل هذه الحال؟ فقال له: «قال لي: إنّ الله شاء أن يراهن سبايا».

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إني مسؤول و أنكم مسؤولون).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عزوجل فيما حملكم من كتابه فإني مسؤول و إنكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم).
- الإمام علي (عليه السلام): (أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون وإليه تصيرون، فإن الله تعالى يقول: (كل نفس بما كسبت رهينة) ويقول: (ويحذركم الله نفسه وإليه المصير) ويقول: (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون)).
- وعنه (عليه السلام): (اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله ولا تعصوه)
- الإمام علي (عليه السلام): (كل امرئ مسؤول عما ملكت يمينه وعياله).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام) - في قوله تعالى: (إن السمع...): (يسأل السمع عما سمع، والبصر عما نظر إليه، والفؤاد عما عقد عليه).
- قال رجل للإمام الصادق (عليه السلام): إن لي جيراناً ولهم جوار يتغنين ويضربن بالعود، فربما دخلت المخرج فأطيل الجلوس استماعاً مني لهن؟... فقال له الصادق (عليه السلام): (تالله أنت أما سمعت الله عزوجل يقول: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً)).
- قيل لعلي بن الحسين (عليهما السّلام): كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ فقال: « أصبحتُ مطلوباً بثمان : الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبي (صلّى الله عليه وآله) بالسُنة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان بالمعصية، والحافظان بصدق العمل ، ومَلَك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فانا بين هذه الخصال مطلوب».

ب) الشعر:

قال الشاعر عن مسؤولية الكلمة والعمل:

تخير قريناً من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل

ولن يصحب الأنسان من قبل موته ... ومن بعده إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الأنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

وقال آخر:

فإذا دعتْكَ إلى الخطيئةِ شهوةٌ فاجعلْ لطَرفِكَ في السَّماءِ سَبيلا
وخفِ الإلهَ فإنَّه لكَ ناظرٌ وكفى بِربّكَ زاجرًا وسؤولا
ماذا تقولُ غدًا إذا لاقَيتَهُ بصغائرٍ وكبائرٍ مسؤولا
لا تركَنَنَّ إلى الرجاءِ فإنَّهُ خَدَعَ القلوبَ وضلَّل المعقولا

وقال آخر:

يا راعيَ النّفسِ لا تُغْفِلْ رِعايَتَها، فأنتَ عن كلّ ما استرْعَيتَ مَسؤولُ

وقال آخر:

أقسم بالله وآلائه ... والمرء عما قال مسؤول

ج) القصة:

يروى أن عبد الملك بن مروان الطاغية المتكبر الذي يمثل الحجاج الثقفي المجرم السفاك إحدى سيئاته اطلع من شرفة قصره قبيل موته فرأى قصّاراً يغسل الثياب على النهر، فتمنى لو كان مثله ولا يتورط بهذا الملك الظالم المهلك، ولما وصلت الكلمة إلى القصّار قال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون ما نحن فيه عندما ينزل بهم الموت ولا نتمنى ما هم فيه إذا نزل بنا الموت.

قصة أخرى:

نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب: قال الشقراني مولى رسول الله(صلى الله عليه وآله): خرج العطاء أيّام أبي جعفر ومالي شفيع، فبقيت على الباب متحيّراً، وإذا أنا بجعفر الصّادق(عليه السلام) فقمت إليه، فقلت له: جعلني الله فداك، أنا مولاك الشقراني، فرحّبني وذكرت له حاجتي، فنزل ودخل وخرج وأعطاني من كمّه، فصبّه في كمّي، ثمَّ قال: يا شقراني إنَّ الحسن من كلِّ أحد حسن، وإنّه منك أحسن لمكانك منّا، وإنَّ القبيح من كلِّ أحد قبيح، وإنّه منك أقبح، وعظه على جهة التعريض لأنّه كان يشرب.

.....

المحاضرة (٣٥) بعنوان: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) [الزخرف/٥٤] قابلية الشعوب على الاستعباد

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

لو قرآنا الآية بمعزل عن السياق لكان ظاهرها ان فرعون أمر قومه ان يخفوا ويسرعوا لنصرته ويبادروا للخروج معه للقضاء على النبي موسى (عليه السلام) و اتباعه وهم أطاعوه واستجابوا لدعوته التي اشير اليها في قوله تعالى (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) (الشعراء/٥٣) وبهذا المعنى ورد في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) (وأطْلَعَ الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً)[٣٨٢] بعكس التثاقل الذي يعني التباطؤ والتكاسل قال تعالى (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) (التوبة/٣٨).

لكننا لو قرآنا الآية ضمن سياقها فإنها تعني ان فرعون استخف بعقول قومه ووجدهم سلسي القياد طائشين نزقين لا حكمة لهم ولا رشد ولا وعي ولا بصيرة ينعقون مع كل ناعق فمضى في مشروعه الاستكباري والاستعلائي واستعباد الناس وتسييرهم وفق هواه، وهم صدّقوا ظنه فيهم حين أطاعوه ورضوا بحالة العبودية فهي هنا كما في قوله تعالى (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) (الروم/٦٠) أي لا يذهبن بحلمك وعقلك ما يفعله المشركون.

وتعلّل الآية الكريمة هذه الحالة عند قوم فرعون بأنهم كانوا فاسقين خارجين عن حدود العقل والفطرة ومجردين من الخصائص الإنسانية الكريمة، ورضوا لأنفسهم حياة الذل والهوان والعبودية، والفسق لغةً هو الخروج، وفي لغة العرب (فسق الرطب) إذا خرج عن قشره، وفي المصطلح: الفسق هو الخروج عن حدود الشريعة والعقل والفطرة.

وهذا يعني انهم لو لم يكونوا فاسقين خارجين عن صراط الحق طائعين لأهوائهم لما استطاع فرعون ان يستعبدهم ويستخف بهم، فالمظالم والكبائر التي يرتكبها الطغاة ليسوا فقط هم المسؤولين عنها، و إنما تتحمل الشعوب جزءاً من المسؤولية إزاء ما يحلّ بها لأنها مكنّتهم من ذلك بفسقها و انحرافها، واستسلموا لخداع ومكر الزعامات والمتسلطين، فأعانوا عدوهم – من شياطين الانس والجن – على أنفسهم، أما المؤمنون المتبعون للقيادة الحقة فأنه يصعب خداعهم وسوقهم.

فالآية تقدّم لنا حقيقة سبق اليها القرآن الكريم وقررّها قبل ان يتوصل اليها علماء الاجتماع بعد قرون طويلة وهي ان الشعوب المستضعفة والمستعبدة من قبل الطواغيت او القوى الخارجية المحتلة لا تسقط في هذه الانتكاسة إلا لأنها تتوفر فيها قابلية الاستعباد، وعلى تعبير بعضهم قابلية الاستعمار، وعلى تعبير آخر: قابلية الاستحمار لان الشعوب حينئذٍ تُقادُ الى حيث يريد مستعبدوها بلا بصيرة ولا وعي وإدراك لمصيرها البائس الذي تسير اليه بحيث تغفل هذه الشعوب عن أشد المظالم وأوضح الجرائم بحقها وتصرّ على السير خلف الظالمين المستبدين فيسوقونهم الى الموت ويسلبون أموالهم ويُسخرونهم لتحقيق نزواتهم وهم يصفّقون لهم ويقدسونهم ويطيعونهم طاعة عمياء.

والتأمل في سلوك فرعون مع شعبه الذي حكته الآيات الشريفة السابقة يشير الى الأساليب التي يتبعها الطواغيت والمستكبرون لتدجين الشعوب واستخفافها وهي لا تختلف عن أساليب اليوم إلا من حيث الشكل والأدوات التي تتغير تبعاً للزمان وإلا فالحقيقة واحدة. قال تعالى (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) (الزخرف:٥١-٥٤). والأساليب هي:

١- سلب حالة الوعي والادراك والفطنة التي عبّر عنها القرآن الكريم بـ(البصيرة) وتكريس حالة الجهل والتخلف والانقطاع عن أسباب المعرفة الحقيقية والاهتمام بالقشور وقلب موازين التقييم من معنوية حقيقية جوهرية الى مادية سطحية زائفة وهكذا ضمن عملية غسل دماغ تسلب عقولهم ووعيهم ويتحولون الى قطيع منفذ للأوامر، ولذا قال لهم (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) فدعاهم الى النظر الحسّي ولم يدعوهم الى التأمل والتدبر والتفكر لئلا

---

(٣٨٢) الاحتجاج: ١/١٣٠

تظهر الحقائق ويُفتضح المخادع، والأمور التي دعاهم فرعون الى إبصارها قريبة محسوسة أما موسى (عليه السلام) فيدعوهم الى الايمان بامورٍ غيبيةٍ بعيدة عن إدراك الناس الغافلين. وتحاط عملية غسل الدماغ احياناً بالقدسية والخطوط الحمراء التي لا تقبل النقاش، وهنا يكون دور لعلماء الدين المحبين للدنيا والواجهات المؤثرة في المجتمع (السحرة ومعبرو الاحلام في قوم فرعون) لإضفاء هذه القدسية وشرعنة ما يفعله الطغاة وإدامة سلطتهم وهيمنتهم وإحكام الطوق على الشعوب المستعبدة باسم الدين وشعائره، لكن أي دين؟ لقد وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنهم (لبسوا الإسلام لبس الفرو مقلوباً)[٣٨٣].

وهذا ما يدفع الزعامات الحريصة على مو اقعها الى استخدام كل أساليب البطش والقسوة المادية والمعنوية بحق المصلحين الواعين الذين ينهضون لإيقاظ الأمة وتبصرتها وترشيد سلوكها, وتحريرها من الاغلال والآصار التي تُحجرّ على عقولهم وتلّوث باطنهم وفطرتهم[٣٨٤].

٢- استحقار الآخر (فرداً او شعباً) والاستهزاء به لسحق شخصيته وإظهار عجزه وضعفه ليقتنع بأنه مخلوق ليكون تابعاً لغيره فموسى (عليه السلام) عند فرعون (مهين) لأنه من بني إسرائيل المستضعفين المواطنين من الدرجة الثانية الذين لا يحق لهم العمل إلا في المجالات المتدنية كرعي الأغنام وخدمة الأغنياء والمترفين، وكان المظهر الخارجي لموسى (عليه السلام) متواضعاً قال أمير المؤمنين في وصفه (وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليه السلام عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ)[٣٨٥].

ووصفه فرعون ثانية بأنه (ولا يكاد يبين) مستغلاً ما كان معروفاً عن موسى (عليه السلام) قبل خروجه من مصر بأنه كانت له عقدة في لسانه فلا يكاد يبّين ما يريد قوله بوضوح فخدعهم بهذه الحالة التي كانت قبل بعثه بالنبوة، فلما بعثه الله تعالى بها شكى حاجته (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ) (الشعراء/١٣) (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً) (القصص/٣٤) ودعا ربّه بإطلاق لسانه (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي) (طه/٢٧-٢٨) وقد استجاب الله تعالى دعاءه وأطلق لسانه (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) (طه/٣٦).

٣- إقناعهم بحاجتهم لهؤلاء المستكبرين وانهم لا يستطيعون الحياة بدونهم وخلق حالة رعب وقلق وخوف (فوبيا) من البديل (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) كان نهر النيل والانهار والجداول المتفرعة عنه التي روي انها وصلت الى ٣٦٠ فرعاً مصدر حياة المصريين ورخائهم وازدهارهم وفخرهم وعزتهم، فصّور لهم ان هذه الشبكة الإروائية تجري بأمره ووفق تدبيره وهي تحت سلطته وقدرته، وموسى (عليه السلام) لا يملك شيئاً من هذا والذهاب معه يحرمكم من هذه العزة والرخاء.

---

(٣٨٣) شرح نهج البلاغة ج٧ ابن أبي الحديد ص١٩١.

(٣٨٤) راجع خطاب المرحلة ج ٩ ص ٢٠٢ تحت عنوان (ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم).

(٣٨٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢ ويشير الامام (عليه السلام) الى الحكمة في ذلك، وقال (عليه السلام) (وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ).

٤- خلق حالة الانبهار به لدى الطرف الآخر وجعله باهتاً امام هذه الجبروت والعظمة التي هي زائفة في الحقيقة فتأخذ بألباب الناس ومجامع قلوبهم وعقولهم ويكون غاية هم الناس أن ينالوا شيئاً من فتات دنياهم (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) وحالة الانبهار تولد تبعية و انقياد لما أنبهر به: ولا يفكر المنبهرون حينئذٍ في الخروج عن طاعتهم فضلاً عن التفكير في إزالتهم و إقامة النظام البديل. فالمستكبرون يوهمون الناس بأن من يتطلّع الى القيادة والأمرة لابد ان يكون كالفراعنة متزيناً بالذهب والفضة ويملك الثروة طائلة، وهذا غاية الاستخفاف بالناس أن يجعل دليل صدق النبوة والسفارة الإلهية وتبليغ رسالة الله تعالى حيازته للثروة والذهب والاعراض عن الآيات والبينات التي جاءهم بها وهو نفس إشكال قريش في الآية (٣١) من سورة الزخرف (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ).

وكان سرد هذه الحكاية عن آل فرعون هو موعظة وتحذير لقريش من سلوك هذا المنهج الضال، ولا شك ان عملية الإصلاح في المجتمع المترف اقتصادياً والمستقر يكون أصعب ويواجه عقبات جمة ورفضاً من عامة الناس فضلاً عن المتسلطين. وكرّر فرعون الاشكال الذي أثارته الأمم المكذّبة على انبيائها بأن الله تعالى لو شاء أن يبعث رسولاً لجعله ملكاً ولو اختاره انساناً فلابد أن تأتي معه الملائكة (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً) (الإسراء/٩٢). ولم يغب عن فرعون إثارة النعرات والعصبيات الجاهلية بقوله (يا قوم) وهم الاقباط المتسيّدون قوم فرعون لعزل موسى ومن معه من بني اسرائيل. وهنا يأتي قوله تعالى (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) وفيه إشارة الى ان فرعون كان يعرف انه مخادع وأن أدلته لا قيمة لها لكنه استخف بعقول قومه واستصغر شأنهم واستعمل وسائل الخداع والمكر مع الاغراء والترهيب فوجدهم طائعين ومسلّمين له.

هذا السلوك الفرعوني هو ديدن الطواغيت والمستكبرين والطامحين الى الزعامة والتسلط على رقاب الناس في كل زمان ومكان وأدواتها في تطور مستمر، لاحظ سلوك الحكومات الغربية تجاه شعوبنا الإسلامية من أجل السيطرة عليها وسلب خيراتها والتحكم في شؤونها مما يسمى بالاستعمار، فهم يسحقون شخصية هذه الشعوب ويشعرونها دائماً بالدونية وجعلهم مستهلكين غير قادرين على بناء حضارة متينة قادرة على البقاء والتقدم وإن كانوا من حيث المظاهر المادية في أرقى صورها – كدول الخليج مثلاً – فهم دائماً مرتهنون لأولئك المتحكمين.

كما استطاعوا أن يبهروا شعوب المنطقة بإبراز مظاهر التقدم العلمي والتكنولوجي وهذا الانبهار أدى الى الانسياق وراء كل ما يصدّرونه الينا من تقاليد و أفكار وسلوكيات كشرب الخمر والانحلال الخلقي تحت شتى العناوين وإشاعة الفاحشة باسم الفن او الرياضة او الحرية، والبحث عن اللهو والعبث واللعب وهكذا في سائر أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، حتى سوقوا أكثر الجرائم انحطاطاً كزواج المثليين بقوانين رسمية تحت عنوان الحرية الشخصية وامثالها والاعتداء على الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) بذريعة حرية التعبير عن الرأي وأمثالها من الامور التي جعلوها مقدسة لا يجوز المساس بها ما دامت تصب في مصالحهم بينما يعاقبون بشدة من يتحدث بمظالمهم ويفضح ادعاءاتهم – كمعاداة السامية – ولا يشفع له حرية التعبير عن الرأي.

واستغلوا أنس الناس الغافلين بالماديات المحسوسة وسرعة التصديق بها لينكروا الغيبيات وما وراء المادة، والناس لا تفرّق بين ما يدرك بالحواس المادية وما يدرك بالعقل والفطرة الإنسانية السليمة. ولجعل الشعوب في غفلة دائمة وإشغال فكرهم اعتمدوا سياسة الالهاء تارة بالسباقات الرياضية التي ما ان تنتهي واحدة حتى تبدأ الأخرى، وبالحرية الجنسية وبوسائل التواصل الاجتماعي وتقنيات وسائل الاعلام والمواقع الالكترونية وشبكة الانترنت التي تقدّم باستمرار الجديد والمثير والجذّاب فينشغل الناس بهذه ولا يفكرون في مناقشة أوضاعهم الاجتماعية وإصلاحها ولا يبقى عندهم وقت للتأمل والتدبر قال تعالى (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) (الأنبياء/٢-٣).

خذ مثلاً تصويت أغلب البريطانيين قبل أيام لصالح انسحابهم من الاتحاد الأوربي مع انه قرار ليس لصالحهم لكن الدوائر الاستكبارية التي تريد تمزيق الاتحاد الأوربي نجحت في خداع هذه الاغلبية بالأكاذيب والمخاوف المفتعلة والغريب ان البريطانيين بعد أن صوتوا للخروج ذهبوا بالملايين الى المواقع الإلكترونية ليسألوا عن ماهية الاتحاد الأوربي والفوائد التي تجنيها بريطانيا من بقاءها فيه، فكيف صوتوا وهم لا يعرفون شيئاً عن أصل الموضوع.

وفي الختام نشير الى ان علاج هذه الحالة –أي قابلية الاستعباد- التي تؤسس للانحطاط يبدأ باجتثاثها من عقل الانسان وقلبه ونفسه وقد اختصره أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)[٣٨٦] أياً كان هذا الغير: أهواء النفس الأمّارة بالسوء او الطواغيت والزعامات المصطنعة، أو شياطين الجن والانس.

الربط العزائي (الكورين):

كانت الأمة زمن يزيد بن معاوية خاوية الإرادة ومستعبدة من قبل بني أمية والأمة مع ذلك لا ترفع عقيرتها في وجه الظلم، لذا خرج الإمام الحسين(عليه السلام) من مكة وبطريقة كان لها صدى إعلامي كبير بين الناس حيث قطع الإمام الحسين(عليه السلام) حجته فجعلها عمرة مفردة وترك الحجيج وذهب نحو العراق مجاهداً الظلم الأموي الذي استسلمت له الأمة وخنعت للذل والهوان، فرفع راية الجهاد في كربلاء وهو ينادي في صفوف الأعداء غير آبه بجمعهم: (لا اعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرُّ إقرار العبيد)... (ويْحَكُم يا شيعة آل أبي سفيان إنْ لم يكنْ لكم دينٌ، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم إن كنتم عَرَباً كما تزعمُون) وقد تربى على هذه المباديء السامية برفض الظلم والضيم حتى صغار وفتيان أهل البيت(عليهم السلام) فهذا القاسم بن الإمام الحسن(عليه السلام) عندما سمع واعية عمه (عليه السلام) جاء إليه وهو غلام لم يبلغ الحلم فقال: يا عم الإجازة لأمضي إلى هؤلاء الكفرة؟ فقل له الإمام الحسين(عليه السلام): يابن أخي أنت من أخي علامة وأريد أن تبقى لي لأتسلّى بك، فلم يزل القاسم يقبّل يديه ورجليه حتى أذن له، فقال له الحسين: يا بني أتمشي برجلك إلى الموت؟ فقال: يا عمّ وكيف لا؟ و أنت بين الأعداء بقيت وحيداً فريداً لم تجد محامياً. فأركبه الحسين على فرسه فخرج القاسم ودموعه تسيل على خديه وهو يقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن سبط النبي المصطفى المؤتمن
هذا حسين كالأسير المرتهن بين أناس لاسقوا صوب المزن

وكان وجهه كفلقة قمر، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل على صغر سنه خمساً وثلاثين رجلاً، وقيل سبعين فارساً، فانقطع شسع نعله، فانحنى ليصلح شسع نعله، فضربه عمرو بن سعد الأزدي على رأسه فوقع الغلام لوجهه ونادى: يا عمّاه أدركني، فجاءه الحسين كالصقر المنقضّ فتخلّل الصفوف، وشدّ شدة الليث المغضب فضرب الحسين عمراً قاتل القاسم بالسيف فاتقاه بيده فأطنّها من لدن المرفق، فصاح اللعين صيحة سمعها أهل العسكر ثم تنحّى عنه الحسين فحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من الحسين، فاستقبلته الخيل بصدورها وشرعته بحو افرها، ووطأته حتى مات إلى جهنم. فلما انجلت الغبرة وإذا بالحسين قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه فقال الحسين: يعز والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يعينك أو يعينك فلا يغني عنك، بعداً لقومٍ قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة جدّك و أبوك، هذا يوم والله كثر و اتره وقلّ ناصره. ثم احتمله على صدره ورجلاه تخطّان في الأرض خطّاً حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته.

شواهد مُعزِزة أخرى:

---

(٣٨٦) غرر الحكم / ح ١٠٣٧١.

أ) الشعر:

قال الشاعر:

من عادةِ الناسِ للأصنامِ تعبدُها مِن خسّةِ الناسِ لا من رفعةِ الصنمِ

وقال آخر:

حريةُ الفكرِ ما زالتْ مهدّدةً في الاجتماعِ بجمهورٍ ودَهْماءِ
وبالنّواميسِ ما كانتْ مفسرةً إلا لصالحِ هيئاتٍ وأَسماءِ

ب) أقوال وحِكم:

- **من أقوال الدكتور الشهيد علي شريعتي:**

١. **إن أكبر قيم الانسان تلك التي بدأ منها وهي الرفض وعدم التسليم وما يلخص بكلمة "لا" حيث منها بدأ ادم أبو البشر , لقد أُمر أن لا يأكل من تلك الثمرة لكنه اكل فصار بعدئذ ادم وصار بشرا وهبط الى الارض ولولا ذلك لصار ملكاً وصار غيره آدم.**

٢. **الأفكار مشلولة.. العقول مخدرة.. الأوفياء يعيشون الوحدة .. الشباب يائس ومنحرف .. كسروا الأقلام .. كمموا الأفواه .. هذه سمات هذا العصر.**

٣. **إن شئت التمرد على الديكتاتورية وعدم الرضوخ للظلم , ما عليك سوى أن تقرأ وتقرأ وتقرأ.**

٤. **إذا كنت لا تستطيع رفع الظلم, فأخبر عنه الجميع على الأقل.**

٥. **كما تصنع الاواني اليوم من مادة المطاط, بعد وضع مادتها الخام في جرة, فتذوب, ثم تصب في حفر أعدت على أشكال الأواني, ليستنتج منها الإبريق والقدح والكأس وغير ذلك من الادوات التي تعرض في السوق للبيع؛ هكذا أخذوا يصنعون الإنسان.**

٦. **إن الشيء الذي ينجي الإنسان والأمة من شؤم الاستنزاف الفكري في طريقته القديمة والحديثة، هو النباهة الإنسانية، التي يتحدث عنها الدين الراقي الذي تجاوز العلم، والدراية الاجتماعية التي تتحدث عنها الرسالة العقائدية النبوية.**

٧. **لا شك أن الجيل الذي يحتقر نفسه بنفسه يكون حقيرا حقا، فسياسة الاستعباد والاسترقاق، تقتضي التحقير اولا، اي ان يُحتَر الذي يراد استرقاقه، حتى يظن انه من طبقة دنيا وأسرة منحطّة، ثم يتقبل الذل بكامل الرحب، ويلجأ للعبودية والاسترقاق.**

- **من أقوال سيد قطب نقلاً عن كتابه دراسات إسلامية:**

١. **ليس العبيد هم الذين تقهرهم الاوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية على ان يكونوا رقيقا يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون في السلع والحيوان انما العبيد الذين تعفيهم الاوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق ولكنهم يتهافتون عليه طائعين.**

٢. **العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع وعندهم كفايتهم من المال ولديهم وسائل للعمل والانتاج ولا سلطان لأحد عليهم في اموالهم او ارواحهم وهم من ذلك يتزاحمون على ابواب السادة ويتهافتون على الرق والخدمة ويضعون بأنفسهم الاغلال في اعناقهم والسلاسل في اقدامهم ويلبسون شارة العبودية في مباهاة واختيال.**

٣. **العبيد هم الذين يقفون بباب السادة يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الاذلاء في الداخل بكعب حذائه كيف يطردهم من خدمته دون انذار او اخطار كيف يطأطئون هامتهم له فيصفع اقفيتهم باستهانة ويأمر**

بألقائهم خارج الاعتاب ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الابواب يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين وكلما امعن السيد في احتقارهم زادوا تهافتا كالذباب.

٤. العبيد هم الذين يهربون من الحرية فاذا طردهم سيد بحثوا عن سيد اخر لان في نفوسهم حاجة ملحة الى العبودية لان لهم حاسة سادسة او سابعة.. حاسة الذل.. لابد لهم من اروائها فاذا لم يستعبدهم احد احست نفوسهم بالظمأ الى الاستعباد وتراموا على الاعتاب يتمسحون بها ولا ينتظرون حتى الاشارة من اصبع السيد ليخروا له ساجدين.

٥. العبيد هم الذين اذا أُعتقوا وأُطلقوا حسدوا الارقاء الباقين في الحظيرة لا الاحرار المطلقي السراح لان الحرية تخيفهم والكرامة تثقل كواهلهم لان حزام الخدمة في اوساطهم هو شارة الفخر التي يعتزون بها ولان القصب الذي يرصع ثياب الخدمة هو ابهى الازياء التي يتعشقونها.

٦. العبيد هم الذين يحسون النير لافي الاعناق ولكن في الارواح الذي لا تلهب جلودهم سياط الجلد ولكن تلهب نفوسهم سياط الذل الذين لا يقودهم النخاس من حلقات في اذانهم ولكنهم يقادون بلا نخاس لان النخاس كامن في دمائهم

٧. العبيد هم الذين لا يجدون انفسهم الا في سلاسل الرقيق وفي حضائر النخاسين فاذا انطلقوا تاهوا في خضم الحياة وضلوا في زحمة المجتمع وفزعوا من مواجهة النور وعادوا طائعين يدقون ابواب الحظيرة ويتضرعون للحراس ان يفتحوا لهم الابواب والعبيد – مع هذا- جبارون في الارض غلاظ على الاحرار شداد يتطوعون للتنكيل بهم ويتلذذون بإيذائهم وتعذيبهم ويتشفون فيهم تشفي الجلادين العتاة

٨. إنهم لا يدركون بواعث الاحرار للتحرر فيحسبون التحرر تمرداً والاستعلاء شذوذا والعزة جريمة ومن ثم يصبون نقمتهم الجامحة على الاحرار المعتزين الذين لا يسيرون في قافلة الرقيق

٩. إنهم يتسابقون الى ابتكار وسائل التنكيل بالأحرار تسابقهم الى ارضاء السادة ولكن السادة مع هذا يملونهم فيطردونهم من الخدمة لان مزاج السادة يدركه السأم من تكرار اللعبة فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الو اقفين على الابواب ومع ذلك كله فالمستقبل للأحرار لا للعبيد ولا للسادة الذين يتمرغ على اقدامهم العبيد المستقبل للأحرار لان كفاح الانسانية كلها في سبيل الحرية لن يضيع ولان حظائر الرقيق التي هدمت لن تقام ولان سلاسل الرقيق التي حطمت لن يعاد سبكها من جديد.

- من أقوال جمال الدين الأفغاني:

١. بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة.

٢. العبيد هم الذين يهربون من الحرية فإذا طردهم سيد بحثوا عن سيد آخر.

٣. لن تنبعث شرارة الاصلاح الحقيقي في وسط هذا الظلام الحالك الا اذا تعلمت الشعوب العربية وعرفت حقوقها، ودافعت عنها بالثورة القائمة على العلم والعقل.

٤. أمة تطعن حاكمها سرا وتعبده جهرا لا تستحق الحياة.

٥. العار الذي لا يمحوه كر الدهر هو أن تسعى الأمة أو أحد رجالها أو طائفة منهم لتمكين أيدي العدو من نواصيهم، إما غفلة عن شئونهم أو رغبة في نفع وقتي.

٦. قالوا لجمال الدين الأفغاني: إن المستعمرين ذئاب، فقال : (لو لم يجدوكم نعاجاً لما كانوا ذئاباً).

- عبد الرحمن الكواكبي: (إن الحرية هي شجرة الخلد، وسقياها قطرات من الدم المسفوك). وقال أيضاً: (الإنسان في ظل الاستبداد لا يحب قومه لأنهم عون الاستبداد عليه، ولا يحب وطنه لأنه يشقى فيه).
- أفلاطون: (لو أمطرت السماء حرية .. لرأيت بعض العبيد يحملون المظلات).
- محمود درويش: (من رضع من ثدى الذل دهرا رأى في الحرية خراباً و شراً).

- مصطفى محمود: (هناك من يناضلون من أجل التحرر من العبودية، وهناك من يطالبون بتحسين شروط العبودية).
- نيلسون مانديلا: (العبيد فقط يطلبون الحرية أما الأحرار فيصنعونها).
- مارتن لوثر كنغ: (إذا لم يجد الإنسان ما يضحي لأجله، فهو لا يستحق العيش). وقال أيضاً: (لا يستطيع أحدٌ ركوب ظهرك إلا إذا انحنيت).
- جورج برنارد شو: (الحرية تعني المسؤولية، ولهذا يخافها معظم الناس).
- جميل شيخو: (العبودية عبر العصور كانت جريمة العبيد أكثر من كونها جريمة الأسياد).
- جان جاك روسو: (لا حرية دون مسؤولية).
- أبراهام لينكون: (انهضوا أيها العبيد، فإنكم لا ترونهم كبارا إلا لأنكم ساجدون).
- مثل انجليزي: (أن تموت جوعاً و أنت حر خير من أن تعيش عبداً و أنت سمين).
- دريه موروا: (الحرية و المسؤولية توأمان، لو انفصل أحدهما عن الآخر ماتا جميعاً).
- من أقوال تشي جيفارا:

١. (إذا فرضت على الإنسان ظروف غير إنسانية ولم يتمرد سيفقد إنسانيته شيئاً فشيئاً).
٢. (إن أبشع استغلال للإنسان هو إستغلاله باسم الدين.. لذلك يجب محاربة المشعوذين والدجالين حتى يعلم الجميع أن كرامة الإنسان هي الخط الأحمر الذي دونه الموت).
٣. (الذي باع بلاده وخان وطنه مثل الذي يسرق من بيت أبيه ليطعم اللصوص فلا أبوه يسامحه ولا اللص يكافئه).
٤. (خير لنا أن نموت ونحن و اقفين مرفوعي الرأس من أن نموت ونحن راكعين).

ج) القصة:

يروى إن مدينة ما كان يحكمها أحد الولاة وكان يجري في منتصفها نهر يقسمها إلى نصفين، ويوجد على هذا النهر جسراً واحداً للعبور، وقد أمر الوالي بأخذ درهم واحد من كل شخص يريد العبور على الجسر وعندما شاهد الوالي عدم اعتراض أهل هذه المدينة أمر بزيادة المبلغ فأصبح خمسة دراهم، و أيضاً لم يشاهد الوالي أي صيحات اعتراض من الشعب، فأمر بزياده المبلغ الى عشرة دراهم ولم يعترض اي من سكان المدينة أيضاً، فاستغرب الوالي، ثم أمر بأخذ عشرة دراهم وضرب كل من يعبر الجسر بعصى، فلم يعترضوا أيضاً، فاستغرب الوالي بشده وأمر بجمع بعض الاشخاص من المدينة لمعرفه إذا كان لهم شكوى، فقام أحدهم معترضاً، ففرح الوالي بذلك وقال: ما هو اعتراضك: فقال: نريد أن تجعل شخصين بدلاً من شخص واحد على الجسر، حتى يقوم أحدهم بأخذ المبلغ والثاني يضرب بالعصى حتى نعبر بسرعة لأننا نتأخر كثيراً جراء وجود طابور طويل من الناس. رغم إن القصة تعود للعصور الغابرة، إلا أنها شديدة الشبهة بو اقع بعض الشعوب للأسف الشديد.

.....

المحاضرة (٣٦) بعنوان: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء) [يوسف: ٢٤]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

درس من عفاف النبي يوسف (عليه السلام):

قصة النبي الكريم يوسف الصدّيق (عليه السلام) معروفة لديكم بما تناوله القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف٢٤) تعقيباً على إنقاذه من مكائد زوجة عزيز مصر، والفحشاء يُراد بها جريمة الزنا، أما السوء فقيل أن المراد به الهم بالمعصية والعزم عليها قبل فعلها. وجاء هذا الصرف استجابة لدعائه الذي ذُكِرَ في موضوع آخر (وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (يوسف٣٣-٣٤).

(لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء):

والتعبير الاعتيادي عن هذه الحالة أن يقال (لنصرفه عن السوءِ والفحشاءِ) لأن ظروف المعصية والجريمة كانت موجودة وليست مصروفة ولكن الله تعالى صرفه عن هذه المعصية وعصمه من الوقوع فيها، وهذه العصمة من التسديدات الالهية والنعم العظيمة. لكن القرآن الكريم وصف حالاً أسمى من هذه فقال تعالى (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء) أي صرفنا عنه أجواء المعصية ومقدماتها وموجباتها فكأنه لم يتعرض لظروف معصية أصلاً حتى يجتنبها، لأنه يعيش في عالم آخر وفي أجواء اخرى غير عالم المعصية هذا الذي يرى في الظاهر و إنما وصفناها بأنها حالة أسمى لأنها ليست فيها تعرض للمعصية أصلاً ولا فيها تكلّف اجتنابها وصرفه عنها حيث لا يجد الانسان فيها شيئاً سيئاً حتى يجتنبه.

في تفسير ما همّ به يوسف (عليه السلام) هو الميل الغريزي، وردّه:

وهذا الالغاء التام للتأثر بالحدث كأنه ليس ممكناً وغير قابل للتصور خصوصاً في مثل الحالة التي تعرض لها النبي يوسف (عليه السلام) (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لك) (يوسف٢٣) ولذا لم يجد بعض المفسرين ممن يعتقد بعصمة النبي يوسف (عليه السلام) ضيراً من تفسير الهم بقوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (يوسف٢٤) بالميل النفسي الغريزي الطبيعي[٣٨٧] لمن يتعرض لمثل هذه المو اقف أي أن غريزته اشتهت و انجذبت باعتبار أن الأنبياء بشر[٣٨٨] لهم غر ائزهم وشهواتهم وميولهم فتنجذب نفسياً طبيعياً ولا إرادياً الى مثيرات الغريزة كانجذاب الجائع

---

(٣٨٧) حكى هذا الرأي عن كثيرين كالسيد المرتضى في (تنزيه الانبياء/٧٨) قال "وأما همّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء" وتبعه على ذلك الشيخ الطوسي (قدس سره) فإنه ذكر للهم عدّة معاني منها العزم ومنها الإخطار ومنها الشهوة وميل الطباع" ثم قال "وإذا احتمل الهم هذه الوجوه نفينا عنه العزم على القبيح وأجزنا باقي الوجوه لأن كل واحد منها يليق بحاله (التبيان ١٢١/٦)" وقال مثله ابن إدريس في (منتخب التبيان:٢٢/٢-٢٣) وقال الطبرسي في (مجمع البيان: ج٥-٣٥٤/٦): "ثالثها أن معنى قوله (همّ بها) اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته اليه" ثم قال "وقد يجوز أن تسمى الشهوة هماً على سبيل التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى" وقال به آخرون ومنهم العلامة المجلسي (قدس سره) قال من ضمن كلام له "فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية" (بحار الانوار: ٣٣٢/١٢)، وقال الملا صدرا في تفسيره "والبرهان هو ما عنده من الصوارف العقلية الزاجرة للنفس عن فعل القبيح، أو المراد من (الهم) الميل الشهوي الحيو اني الموجود في الطبائع البشرية ولولا الزاجر الشرعي لما انتهى عن كل ما يمكنه من القبائح، ولولا المعرفة الكاملة للقوة العقلية المنورة بحقيقة التقوى لوقع منه فعل ما لا ينبغي أحياناً، وليس المراد الهم بالمعصية والقصد اليها....." وقيل هو من باب المشارفة أي شارف أن يهم) (تفسير القران الكريم: ١١٩/٣ و ٢٦٧/٦-٢٦٨)، وقال مثله البيضاوي في تفسيره وقال صاحب "في ظلال القران" (فذكر-القران- طرفي الموقف بين الاعتصام في أوله والاعتصام في نهايته مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما، ليكتمل الصدق والو اقعية والجو النظيف جميعاً وهو أقرب الى الطبيعة البشرية والى العصمة النبوية، وما كان يوسف سوى بشر، نعم إنه بشر مختار، ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسي في لحظة من اللحظات، فلما رأى برهان ربه الذي نبض في ضميره وقلبه بعد اللحظة الطارئة عاد الى الاعتصام والتأبي) (في ظلال القران: مج٧١٢/٤) أقول: لم يغب عن الصديق يوسف (عليه السلام) برهان ربه حتى يعود اليه ونقل عن الزمخشري في الكشاف "فإن قلت: كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها، قلت: المراد أن نفسه مالت الى المخالطة، ونازعت اليها عن شهوة الشباب و... ميلا يشبه الهم به والقصد اليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعز ائم وهو يكسر ما به ويردّه النظر في برهان الله".

(٣٨٨) قال تعالى (قل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلِي) (الكهف١١٠) (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) (إبراهيم١١).

الى الطعام تلقائياً، ولكنه (عليه السلام) حبس نفسه وامتنع ولم يرتقِ ميله النفسي الى مستوى العزم والتوجه الى الفعل فضلاً عن القيام بالفعل نفسه لما رآه من برهان ربه كما في الآية الشريفة، وتفسير الهّم بهذا المقدار لاينافي العصمة. لكن هذا التفسير غير صحيح، لوجوه:

١- لأن الهم لا يطلق على مجرد الميل النفسي الطبيعي بل على قصد الفعل والعزم عليه وقد يشترط فيه ظهور هذا العزم من خلال الإتيان بشيء مما يكشف عنه كمن يهمّ بالضرب فيتوجه الى الطرف الآخر ويتأهب للفعل وهذه كلها لا يمكن نسبتها الى النبي الكريم يوسف (عليه السلام) كما اقروا في كلماتهم السابقة قال في الميزان (الهم هو القصد الى الفعل مع مقارنته لبعض الأعمال الكاشفة عن ذلك من حركة الى الفعل المراد أو شروع في بعض مقدماته كمن يريد ضرب رجل فيقوم اليه وأما مجرد ميل الطبع ومنازعة القوة الشهوانية فليس يسمى هماً البتة والهم بمعناه اللغوي مذموم لا ينبغي صدوره من نبي كريم، والطبع وإن كان غير مذموم لخروجه عن تحت التكليف لكنه لا يسمى هماً)، فلا بد ان تكون المعاني التي ذكروها للهم هنا من باب التجوّز كما اعترف الطبرسي في مجمع البيان لتنزيه النبي يوسف (عليه السلام) عما لا يليق بساحة عصمته. وبتعبير آخر ان تفسير الهم بالميل الطبيعي وهو معنى مغاير لما فسرّوا به همها خلاف الظاهر ولا يصار اليه الا بدليل.

٢- إن الهم –بأي معنى من المعاني- لم يصدر من النبي يوسف (عليه السلام) أصلاً حتى نجتهد في تفسيره بما يناسب عصمة الانبياء، لانه رأى برهان ربّه فلم يهمّ لكن جواب لولا تقدم عليها فيوجد تقديم وتأخير في الآية، نظير قوله تعالى (إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) (القصص ١٠) . وقد أشكل علماء النحو على هذا الوجه لأنهم يمنعون من تقدم جزاء لولا عليها قياساً على إن الشرطية لانها من ادوات الشرط، وهذا الالتزام المتزمت بقواعد النحو التي استنبطوها اوقعهم في هذا التقصير مضافا الى تشبث البعض في الروايات المكذوبة من اسرائيليات وغيرها، لكن القران الكريم حاكم على قواعد اللغة العربية لانه مصدرها ومرشدها وليس العكس، خصوصا و انه قد وردت رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) تفسّر الآية بهذا المعنى رواها الشيخ الصدوق في العيون وفيها (فقال له المأمون: يا بن رسول الله اليس من قولك: ان الانبياء معصومون، قال: بلى، قال: فاخبرني عن قول الله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فقال الرضا (عليه السلام): لقد همّت به ولولا ان رأى برهان ربه لهمَّ بها لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه)[٣٨٩].

أقول: والشاهد على أن الهم الثاني لم يحصل[٣٩٠] و انه جواب لولا:

أ- الاتيان بالهمين منفصلين ليكون الثاني وحده جواب لولا ، ولو حصل الهم من يوسف لما احتاج الى التفصيل بينهما، ونكتة تقديم الجزاء هي ما قلناه من تصوير الحالة بان مقتضي الهم تام ومكتمل لولا لطف الله تعالى مع ما في التعبير من حلاوة البيان لمجاورة الهمّين.

ب- ان (هّم بها) اذا لم تكن جواب لولا بقيت بلا جواب، واذا قيل ان الجواب مقدّر يكشف عنه ما تقدّم قلنا ان التقدير خلاف الاصل وان تقدير الجواب هكذا يؤدي الى تناقض لان(هّم بها) السابقة تثبت الهم وتقديرها في جواب لولا ينفيه. لذا فمحاولة السيد الطباطبائي قدس سره وغيره المحافظة على معنى نفي الهم عن الصديق يوسف (عليه السلام) مع المحافظة على هذه القاعدة النحوية بأن يُقال أن جواب لولا متأخر عنها لكنه محذوف لدلالة قوله السابق (وهمَ بها) عليها فتكون الفقرة السابقة (وهمّ بها) ((ليس جزاء لها بل هو مقسم[٣٩١] به بالعطف على مدخول لام القسم في الجملة السابقة اعني قوله (ولقد همت به) وهو في معنى الجزاء استغنى به عن ذكر

---

(٣٨٩) عيون اخبار الرضا: باب مجلس آخر للرضا (عليه السلام) عند المأمون في عصمة الانبياء.

(٣٩٠) وقد اعترفت زوجة العزيز بأن الهم حصل منها وحدّها (وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) يوسف٣٢.

(٣٩١) باعتبار أن اللام للقسم فالمعنى أقسم لقد همت به لقضاء وطرها.

الجزاء فهو كقولنا ((والله لأضربنه إن يضربني، والمعنى: والله إن يضربني أضربه))، فلولا ما رآه من البرهان لكان الو اقع هو الهم والاقتراب دون الارتكاب والاقتراف))[٣٩٢]. محل نظر، مضافا الى ان فيه إقراراً بحصول الهم من يوسف بأي معنى كان والمفروض نفيه.

٣- وينسجم ما ذكرناه من فهم الآية على انها تقديم وتأخير مع ما قدمناه من تفسير الآية فإنه حتى الميل النفسي بالمقدار الطبيعي الغريزي لم يحصل لا لنقص بايولوجي أو سايكولوجي أو فسيولوجي في جسمه و إنما لأمرين على الأقل:

أ- لأنه كان والهاً بربه مستغرقاً بحبه ولم يكن يرى غيره تبارك وتعالى لا المرأة أمامه ولا غيرها فذوبان النبي يوسف في عشق ربه وفناءه فيه لا يقارن بانجذاب النسوة الى جمال يوسف حتى ذهلن عن السكين وقطع ايديهن، فيوسف اولى بالذهول عن المرأة وغيرها بحيث أنساه ولهه (الاسباب كلها حتى أنساه نفسه فلم يقل: إني أعوذ منك بالله أو ما يؤدي معناه، إنما قال (مَعَاذَ اللّهِ) وكم من الفرق بين قوله هذا وبين قول مريم للروح لما تمثل لها بشراً سوياً (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً) (مريم١٨)) [٣٩٣].

وقد ((استغرق في حب ربه واخلص وصفى ذلك نفسه فلم يترك لشيء في قلبه محلاً غير حبيبه فهو في خلوة مع ربه وحضرة منه يشاهد فيها جماله وجلاله وقد طارت الاسباب الكونية على مالها من ظاهر التأثير من نظره))[٣٩٤].

ب- إن الغرائز والشهوات يستثيرها تزيين الشيطان –وهذه هي وظيفته- وعندما تُسلَبْ قدرة الشيطان على التزيين فإن هذه الشهوات تفقد سبباً رئيسياً لإثارتها مع وجودها في النفس الانسانية، وقد اعترف الشيطان بأنه لا سبيل له على المخلصين وليست له القدرة على إغوائهم فقد حكى الله تبارك وتعالى قوله (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص٨٢-٨٣) وقد قال الله تعالى في الآية محل البحث عن النبي يوسف عليه السلام (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف٢٤) فهو من مأمن من تزيين ابليس وشياطينه، ولا تتحرك غريزته وشهوته نحو الحرام لعدم وجود التزيين.

مضافاً إلى وجود الصوارف عنها – وهو برهان ربه - كما ان الجائع لا يشتهي الطعام عند وجود صوارف كالخوف والقلق والانشغال بمن يحب ونحو ذلك، فالغرائز فيها مقتضي التحرك نحو ما يلبي شهوتها الا أن ذلك مشروط بوجود المقتضي وهو التزيين وبعدم وجود الصارف وكلا الشرطين مفقودان هنا.

في كيفية الحصانة من ضغط الشهوات والمغريات:

أما كيفية حصول هذه الحصانة من ضغط الشهوات والمغريات وتحرره من أسرها والسقوط في هاويتها وعدم تأثره بمثيراتها أصلاً فبالالتفات الى امور صرّح بها الصديق يوسف عليه السلام (قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (يوسف٢٣)، وقد كانت مكتملة عنده لأنه نبي معصوم ولذا ورد في الحديث الشريف (إن برهان ربه كانت النبوّة)[٣٩٥].

أ- والاستعاذة به واللجوء الى حصنه المنيع فالإنسان بمفرده عاجز عن تجاوز الامتحانات السهلة فضلاً عن الصعبة لكنه يستمد التسديد والمعونة والعصمة من الله تالى (لا حول ولا قوة الا بالله). وفي دعاء الصباح لامير المؤمنين عليه السلام (وَإِنْ خَذَلَني نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ فَقَدْ وَكَلَني خِذْلانُكَ اِلى حَيْثُ النَّصَبُ وَالْحِرْمانُ).

---

(٣٩٢) الميزان في تفسير القران: ١٣١/١١ وقد نقل في ١٣٨/١١ هذا المعنى عن الزمخشري في كشافه.

(٣٩٣) الميزان في تفسير القران. ١٢٦/١١.

(٣٩٤) الميزان في تفسير القران: ١٢٥/١١.

(٣٩٥) بحار الانوار: ٣٣٥/١٢.

ب- يقينه أنه مربوب أي مملوك مدبر من قبل الله سبحانه لا يملك لنفسه شيئا الا ما يريده ربه منه ((فلم يقل: لا أفعل ما تأمرونني به ولم يقل: لا أرتكب كذا، ولم يقل: أعوذ بالله منك وما شابه ذلك حذرا من دعوى الحول والقوة واشفاقا من وسمة الشرك والجهالة)[٣٩٦].

ت- الالتفات الى نعم الله العظيمة التي لا تُعد ولا تُحصى ورعايته وتربيته الرحيمة المستمرة (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) (يوسف٢٣) منذ أن ولد وعاش في كنف أبيه النبي يعقوب عليه السلام وجعله من ذرية إبراهيم وإسحاق ونجاته من كيد إخوته الباغين الحاسدين ومن الجب ونقله الى مصر وتمكينه في بيت عزيز مصر وآتاه الله العلم والحكمة وغيرها مما لا يُعد ولا يُحصى ((فكان عليه السلام مملوء الحس مستغرق النفس في مشاهدة الطاف ربه الخفية يرى نفسه تحت ولاية الله محبوراً بصنائعه الجميلة لا يرد الا على خير، ولا يواجه الا جميلا))[٣٩٧].

ث- استحضار سوء عاقبة مرتكب المعصية في الدنيا والآخرة (إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)، وفي هذا الفعل ظلم لربه وظلم لنفسه وظلم لعزيز مصر الذي اكرمه.

في معنى برهان ربّه:

فهذه الامور التي كانت حاضرة في وجدان النبي يوسف عليه السلام وجلية في قلبه الطاهر هي برهان ربه الذي أشرق في نفسه بكل وضوح وجلاء –والبرهان من بَرِه يَبرَه إذا ابيضّ دون مخالطة أي كدورة فأطلق على كل دليل محكم قوي يدل بوضوح على المطلوب- فلم تتطلع نفسه الى المعصية ولم تمل اليها فضلاً عن الوقوع بها (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فلولا أنه كان واجداً لبرهان ربه لصدر منه الهمّ بالمعصية والميل اليها باعتبار الظروف القاهرة في تلك الحال، فهنا تقدم جواب لولا على شرطها لنكتة مجاورة التعبير بالهم او للإشارة الى ان ظروف الوقوع في المعصية قد اكتملت بقوة، وتقديرها لولا انه رأى برهان ربه لهم بها، ولكنه عليه السلام كان يعتقد أنه في محضر ربه في أعلى درجات اليقين فلم يهمّ أصلاً، وقد تقدمت الرواية عن الامام الرضا عليه السلام في هذا المعنى.

فمع هذا الحضور الجليّ اليقيني الذي عبّر عن مثله امير المؤمنين عليه السلام بقوله (ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه)[٣٩٨] كيف يتصورهم يوسف بأي معنى للهم حتى النزوع الغريزي الطبيعي لأنه يحتاج الى ظروف طبيعية ليتوجه ولعدم وجود موانع وصوارف.

هل يصل غير المعصوم الى الحصانة اليوسفية؟

والسؤال هل يتمكن غير المعصوم من الوصول الى هذه الدرجة من الحصانة والعناية الالهية التي أحاطت النبي يوسف عليه السلام، والجواب: نعم بالتأكيد من خلال الالتفات الى الامور المتقدمة، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) (الأعراف٢٠١) فالان عرفنا ما معنى (تذكروا) أي التفتوا الى هذه الامور التي ذكرها الله تعالى ليوسف عليه السلام وهذا هو مضمون البرهان الذي راه من ربه، قال تعالى مبيناً انفتاح الفرصة للجميع (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل٩٩). فالمؤمن المخلص يتذكر ربَّه المنعم عليه دائماً ويعيش في حضرته المتعالية ويعلم العاقبة السيئة لمن يبتعد عنه تبارك وتعالى، وحينئذٍ يدركه هذا البرهان ويعينه عند التعرّض للامتحانات وانما يتحصل ذلك البرهان بالازدياد بالطاعات التي تنفعه في لحظات الامتحان الصعبة، كمن يدّخر المال ليوم فقره وفاقته، قال تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً}الأنفال٢٩.

---

(٣٩٦) الميزان: ١٢٧/١١.

(٣٩٧) الميزان: ١٢٣/١١.

(٣٩٨) تفسير مواهب الواهب ٢: ٣٦. وكذا في كتاب علم اليقين: ٤٩/١.

والتجربة شاهدة على ذلك حيث يحكي البعض عن تعرضه لمثل هذه الاغراءات والمكائد لكنه لا يجد في نفسه أي حركة في اتجاهها أو أي (همّ) لفعلها لا لنقص في قواه البدنية والشهوية و إنما لأن الشيطان كان مغلولاً عنه فلم يزيّن له المعصية، والنفس وحدها من دون تزيين لا تتوجه نحو الفعل.

ولكي أوضح مدخلية التزيين اشير الى حالة معروفة لدى الكثيرين، مثلاً رجل عنده زوجة ولا يشعر بإثارة نحوها وقد يكون في بداية زواجه منها، لكنه يقع في هوى امرأة أجنبية اخرى وهو يعترف بأن زوجته قد تكون أجمل والطف وأرق مشاعر ومتحببة ومتوددة إليه ونحو ذلك، فلماذا هذا التناقض في الميول؟ والجواب إنه تزيين الشيطان للثانية دون الاولى لأنه يريد أن يوقع الانسان في المعصية ويخرّب بيت الزوجية المبارك الذي ما بُني بناء في الاسلام مثله.

ولا بد أن نشير الى أن هذا الالتفات الاعتقادي القلبي وحده لا يكفي ما لم يقترن بالعمل قال تعالى مبينا علة استحقاق يوسف (عليه السلام) لهذه المراتب السامية (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (يوسف٢٢) وقال تعالى على نحو القاعدة العامة، ولا تختص بالمعصومين (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل١٢٨).

الربط العزائي (الكورين):

إذن للشيطان طرق وأساليب عديدة لإغواء الإنسان تصل في أسوء حالاتها للسرقة والظلم وحتى القتل والكفر، فهو يسعى سعياً حثيثاً وخطوة خطوة للاستحواذ على الإنسان ليرديه في الهلاكات، لذا نصحهم الإمام الحسين(عليه السلام) وذكرهم بالله فنادى بهم: (الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبا لكم ولما تريدون). لكن القوم لم يتعظوا ولم يرتدعوا فاركبوا أعظم جريمة في الانسانية و انتهكوا حرمة الإمام الحسين(عليه السلام) فقتلوه واحتزوا رأسه الشريف ووضعوه على الرمح وطافوا به في البلدان وحملوا عياله سبايا لطاغية بني أمية ....

شواهد مُعزِزة أخرى:

الروايات الشريفة حول فضل العفة:

١. عن رسول (صلى الله عليه وآله): (من يتصبر يصبره الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، وما أعطي عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر).
٢. وعنه (صلى الله عليه وآله): (أما العفاف: فيتشعب منه الرضا، والاستكانة، والحظ، والراحة، والتفقد، والخشوع، والتذكر، والتفكر، والجود، والسخاء، فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضى بالله وبقسمه).
٣. عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: صدق حديث وأداء أمانة وعفة بطن وحُسن خلق).
٤. وعنه (عليه السلام): (العفاف زهادة).
٥. وعنه (عليه السلام): (العفة أفضل (أصل) الفتوة).
٦. وعنه (عليه السلام): (دليل غيرة الرجل عفته).
٧. وعنه (عليه السلام): (زكاة الجمال العفاف).
٨. وعنه (عليه السلام): (على قدر الحياء تكون العفة).
٩. الإمام الباقر (عليه السلام): (ما عُبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج).

١٠. الإمام الصادق (عليه السلام): (عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم).

علاقة القناعة بالعفة

- عن الأمير (عليه السلام): (ألا وإن القناعة وغلبة الشهوة من أكبر العفاف).
- عن الأمير (عليه السلام): (من قنعت نفسه أعانته على النزاهة والعفاف).
- عن الأمير (عليه السلام): (أصل العفاف القناعة وثمرتها قلة الأحزان).
- عن الأمير (عليه السلام): (يستدل على عقل الرجل بالتحلي بالعفة والقناعة).
- عن الأمير (عليه السلام): (ثمرة العفة القناعة ... سبب القناعة العفاف.... على قدر العفة تكون القناعة).

أمور تساعد على العفة

- عن الأمير (عليه السلام): (الكف عما في أيدي الناس عفة وكبر همة).
- عن الأمير (عليه السلام): (الرضا بالكفاف يؤدي إلى العفاف).
- عن الأمير (عليه السلام): (على قدر الحياء تكون العفة).

النتائج الإيجابية للعفة:

- عنه(صلى الله عليه وآله): (العفاف...يتشعب منه الرضا، والاستكانة، والحظ، والراحة، والتفقد، والخشوع، والتذكر، والتفكر، والجود والسخاء، فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضىً بالله وبقسمه).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم).
- عن الأمير (عليه السلام): (العفة رأس كل خير).
- عن الأمير (عليه السلام): (العفاف يصون النفس وينزهها عن الدنايا).
- عن الأمير (عليه السلام): (العفة تضعف الشهوة) .
- عن الأمير (عليه السلام): (ثمرة العفة القناعة).
- عن الأمير (عليه السلام): (ثمرة العفة الصيانة).
- عن الأمير (عليه السلام): (لا فاقة مع عفاف).
- عن الأمير (عليه السلام): (بالعفاف تزكو الأعمال).

من أنواع العفاف:

١) العفاف الجنسي (مع الجنس الآخر ومع نفسه).

٢) العفاف الجسدي بالجوارح الأخرى فلا يستعمل جوارحه كاللسان والعين والاذن واليد والقدم وغيرها بالمرجوحات ويتنزه عن فعل مالا ينبغي فضلاً عن ارتكاب الحرام.

٣) العفاف النفسي وذلك بالتحلي بصفة عزة النفس والإباء والترفع عن التنازل لما يورث النفس الذلة والمهانة. العفاف المالي مع مال الله تعالى في الحقوق الشرعية، ومع أموال الناس وممتلكاتهم.

٤) العفاف المهني أو الوظيفي (سواء في دوائر الدولة أو غيرها).

٥) العفاف الإعلامي (مصداقية ومهنية ومبدأيه الاعلامي في إيصال المعلومة إلى الاخرين) وقد أفردت هذه المهنة عن غيرها لأهميتها.

٦) العفاف الفكري والذهني (أي عدم التفكير بالحرام فضلاً عن ممارسته).

٧) العفاف المالي مع مال الله تعالى في الحقوق الشرعية، ومع أموال الناس وممتلكاتهم.

٨) العفاف التقني (الإلكتروني) فلا يستعمل الفرد الأجهزة الحديثة في ما لا يرضي الله تعالى.

قال الشافعي:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
ان الزنا دين فان اقرضته ... كان الوفا من اهل بيتك فاعلم
يا هاتكا حُرمَ الرجال وقاطعا ... سبل المودة عشت غير مُكرَّمِ
لو كنت حُرا من سلالةِ ماجدٍ ... ما كنت هتَّاكاً لحرمة مسلمِ
من يزنِ يُزنَ به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيباً فأفهمِ

وقال عنترة بن شداد الذي عاش في الجاهلية:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها
إني امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا أتبع النفس اللّجوج هواها

وقال آخر:

ناري ونار الجار واحدةٌ ... وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضرَّ جاراً لي أجاوره ... ألاَّ يكون لبيته ستر
أعمى إذا ما جارتي برزت ... حتّى يواري جارتي الخدر

القصة:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئا فنخر إبليس نخرة فاجتمعت إليه جنوده فقال: من لي بفلان ؟ فقال بعضهم: أنا، فقال: من أين تأتيه ؟ فقال: من ناحية النساء، قال: لست له لم يجرب النساء، فقال له آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه ؟ قال: من ناحية الشراب واللذات قال لست له ليس، هذا بهذا قال آخر، فأنا له، قال من أين تأتيه ؟ قال: من ناحية البر، قال: انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلي، قال: وكان الرجل ينام، والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح. فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال: يا عبد الله بأي شئ قويت على هذه الصلاة: فلم يجبه، ثم عاد عليه فلم يجبه، ثم عاد عليه فقال: يا عبد الله إني أذنبت ذنبا و أنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة، قال: فأخبرني بذنب حتى أعمله و أتوب، فإذا فعلته قويت على الصلاة، فقال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لي درهمين ؟ ما أدري ما الدرهمين ؟ فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إياهما، فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن فلانة البغية فأرشدوه الناس وظنوا أنه جاء يعظها، فأرشدوه فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال: قومي، فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: إنك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها، فقال له: يا عبد الله إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها، و إنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثل لك، فانصرف فانك لا ترى شيئا، فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت فإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة فانها من أهل الجنة، فارتاب الناس فمكثوا ثلاثا لا يدفنونها ارتيابا في أمرها، فأوحى الله عزوجل إلى نبي من الأنبياء لا أعلمه إلا موسى بن عمران (عليه السلام) أن أئت فلانة فصل عليها ومر الناس أن يصلوا عليها فاني قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدي فلانا عن معصيتي.

.....

المحاضرة (٣٧) **بعنوان**: (وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) [الأنفال : ٤٦] التنازع يؤدي الى الفشل

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

درس في الالفة والاخوّة من البعثة النبوية المباركة:

قال تعالى (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٤٦]. الآية تنهى المؤمنين عن التنازع والتخاصم فيما بينهم وتحذرهم، بأن عاقبة هذا التنازع هو الفشل والضعف والانهزام لأنهم سينشغلون بهذا الصراع الداخلي عن الاستعداد لمواجهة الأعداء وسينهك قواهم وسيفقدهم الثقة بأنفسهم ويحطّم شخصياتهم ويذهب بحرمتهم وكرامتهم لأن كلاً من الطرفين المتنازعين يريد أن يتغلب على الآخر بأي ثمن فيبذل طاقته في تسقيط الآخر والبحث عن عيوبه ونقائصه وإظهارها للأخرين لكي يثبت أحقيته وغلبته، فيسقط الجميع بهذا الانتقاص المتبادل ويفشلون.

في معنى ذهاب ريحهم:

ويؤدي الفشل الى ذهاب ريحهم أي عزّتهم وقوتهم وغلبتهم وتسير الامور على غير ما يريدون، وفي التعبير عن القوة بالريح رمزية وكناية دقيقة عن هذا المعنى لأن الريح هي التي ترفع الأشرعة وتعطي القدرة لاندفاع السفن في البحار فإذا توقفت الريح فإن السفن تعجز عن الحركة ولم يتحقق الوصول الى الهدف المطلوب، كذلك فإن الريح تجعل الأعلام والألوية ترفرف مرتفعة في ساحة الحرب فتشعر بالقوة فإذا ذهبت الريح انتكست الأعلام وخارت القوى.

حقائق قرآنية تؤسس للنظام الحضاري:

هذه واحدة من الحقائق القرآنية التي تؤسس لنظرية سياسية واجتماعية لأنها تشخص سبب أنهيار الدول وتفكك المجتمعات والشواهد التاريخية كثيرة في كل العصور ولعل أوضحها هزيمة المسلمين في الاندلس و انحسار دولة الإسلام عن تلك الأرض الاوربية بعد سلطة دامت حوالي ثمانمائة عام حينما انقسم المسلمون تبعاً للامراء وملوك الطوائف وتنازعوا وأصبح بعضهم يتآمر على بعض ويستقوي بالأعداء على اخوته.

ولا يختص الفشل وذهاب الريح والقوة بالجانب المادي وما يتعلق بالدنيا، بل تذهب القوة المعنوية أي روح الايمان وطمأنة القلب أيضاً, فتخسر الامة ريحها ورُوحها ورَوْحها لان التنازع يوقع صاحبه في الكبائر من اجل تحقيق الغلبة فيتورط في الغيبة والكذب والبهتان والافتراء والتجسس على خصمه ليضعفه وهذه كلها من الكبائر الموبقة، ويبرّر لنفسه المداهنة والسكوت عن الباطل عند من يريد الاستقواء به على خصمه وينشغل تفكيره بالمجادلات والمنازعات عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة وهو من فعل الشيطان بهم وهكذا يذهب في منزلق خطير نحو الهاوية.

وهذه الامور مجرّبة ومعروفة في كل المنازعات مهما صغرت دائرتها او اتسعت كالخلاف بين الزوجين أو بين العائلة الواحدة على الميراث مثلا او النزاع بين عشيرتين أو حزبين سياسيين أو بين جماعتين أو بين مقلدي المرجعيات الدينية المتعددة، او بين طائفتين وغير ذلك، وهكذا يستهلك المجتمع الواحد قوته وامكانياته في هذه النزاعات ويفسح المجال واسعا لخصمه ليستحوذ على حقوقه التي فرّط فيها .

روى الامام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (من لاحى – اي خاصم ونازع – الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته، ثم قال صلى الله عليه وآله لم يزل جبرائيل ينهاني عن ملاحات الرجال كما ينهاني عن شرب الخمر وعبادة الاوثان)[٣٩٩]، وروي عنه صلى الله عليه وآله قوله: (لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا)[٤٠٠] و عنه صلى الله عليه وآله قال (من ترك المراء وهو محق بُني له بيت في اعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بُني له بيت في رَبَض الجنة)[٤٠١] - اي ما حولها خارج عنها – وعن الامام الصادق عليه السلام قال (اياك والمراء فانه يحبط عملك، و اياك والجدال فانه يوبقك، و اياك وكثرة الخصومات فانها تبعدك عن الله)[٤٠٢] وعن الامام الهادي عليه السلام قال (المراء يفسد الصداقة القديمة ويحلل العقدة الوثيقة -كالعلقة الزوجية او القرابة-، و أقل ما فيه أن تكون فيه المغالبة، والمغالبة أُسّ اسباب القطيعة)[٤٠٣].

الحل الإسلامي لمشكلة النزاع:

وبالعودة الى الآية الكريمة فإنها تعطي الحل لحسم النزاع وانهائه وهما أمران كفيلان بإزالة أسباب النزاع ومنعه من أصله، وبتركهما يحصل التنازع وهما:

١- التحاكم الى علماء الشريعة في كل اختلاف والتسليم والاذعان لحكمها سواء كان لمصلحته أو على خلافها، ولذا ابتدأت الآية بالأمر بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وطاعة القيادة الحقة التي جعلها الله تعالى حجة على عباده، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} [النساء : ٥٩]فالالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والرجوع الى القيادة الحقة هما الضمان من وقوع التنازع او الانجرار اليه بسبب الاختلافات فالآية تشير الى سبيل تحقيق وحدة المسلمين ومنع تشرذمهم وهو ما عبرت عنه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام بقولها (وجعل امامتنا نظام للملة وامانا من الفرقة). وبتعبير آخر إن الخلاف بين الناس يمكن أن يحصل بسبب اختلاف الفهم أو النوايا او بسبب تدخل الاخرين والعوامل الخارجية ونحو ذلك، وهو بهذا المقدار يبقى ضمن الاطار الطبيعي مادام المختلفون عازمين على أن يعودوا الى حكم الشريعة وحاكمها والقيادة الشرعية الرسالية ليفصل بينهم وعليهم التسليم له وان يكون مبتغاهم دائما معرفة الحق و اتباعه، فالتنازع المذموم انما يقع من نقطة الابتعاد عن حكم الشريعة وأوامر القيادة الرسالية الحقّة والتشكيك فيها والتمرد عليها، ومن نقطة اتباع الاهواء والانانيات والتعصب بحيث يجعل هواه وارادته هي المتبعة والحاكمة في الاختلاف وحينئذ يقترن به الشيطان ويسوّل له ان الرضوخ للحق هو هزيمة واهانة واذلال بينما الصحيح هو ان الحق احق ان يتبع وطالبه هو الغالب دائما.

٢- الالتزام بالصبر لأن الاحتكام الى الشرع والعمل بالتوجيهات الشرعية على خلاف هوى النفس يحتاج الى مجاهدة ومصابرة فيامرنا الله تعالى بالصبر ويعدنا باحسن الجزاء وهو{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} معهم مطلقاً أي في كل الأحوال وفي الدنيا والاخرة، وكفى بهذه المعية حافزاً ودافعاً للصبر على القيام بما يريده الله تبارك وتعالى.

الفشل والانهزام:

---

(٣٩٩) امالي الطوسي : ٥١٢ المجلس ١٨ الحديث ١١١٩.

(٤٠٠) ميزان الحكمة : ١١٧/٨.

(٤٠١) نفس المصدر.

(٤٠٢) نفس المصدر.

(٤٠٣) نفس المصدر.

والآية صريحة بأن التنازع يؤدي إلى الفشل، لكن المستفاد من غير موضع عكس ذلك أي أن الفشل هو سبب التنازع ، قال تعالى فيما يتعلق بو اقعة أُحُد {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ } [آل عمران : ١٥٢] وقال تعالى في معركة بدر{وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} [الأنفال : ٤٣] فالعلاقة بين الفشل والتنازع جدلية تلازمية حيث يؤدي كل منهما إلى الاخر بمرتبة من المراتب، وقد اتضحت صورة اداء التنازع الى الفشل.

أما أن الفشل يؤدّي الى التنازع فواضح ايضاً لسببين على الاقل:

١- ان التنازع لم يحصل الا عندما استسلم لهواه واطماعه وفشل في مجاهدة نفسه والالتزام بما يريده الله تبارك وتعالى كالذي حصل في معركة أُحُد حينما اتبعوا أهواءهم وعصوا وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وتركوا مو اقعهم لكي يشاركوا إخوانهم في جمع الغنائم (مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّون) فحصل الفشل ثم التنازع كما في آية سورة آل عمران المتقدمة.

٢- إن الفاشل لا يريد أن يعترف بفشله ولا يحمل نفسه المسؤولية حتى يعالج الاسباب و انما يلتجأ الى التنازع ليغطي فشله بالتخاصم والتنازع مع الآخرين واظهار انهم فاشلون، اي انه بدل ان يرتقي الى مستوى الناجحين يعمل الى انزال الناجحين الى مستواه الفاشل، و أتذكر هنا مثالاً طريفاً من الو اقع فحينما كُنا صبياناً وكان بعض أصدقائنا يلعبون كرة القدم فإذا فاز فريقهم عادوا فرحين مستبشرين، وإن خسروا رجعوا يتلاومون ويُحمّل بعضهم الآخر مسؤولية الخسارة ويبحث كل واحد عن خطا وتقصير الآخرين.

نموذج معاصر للفشل من أثر التنازع:

وهكذا في كل المجالات وأسوء مثال لهذه الحال السياسيون المتصدرون للمشهد فانهم بسبب فشلهم الذريع في أداء مسؤلياتهم أمام الشعب و انشغالهم بمصالحهم الشخصية وسرقة قوت الشعب فانهم يغّطون على فشلهم بالمخاصمات والجدل العقيم وتبادل الاتهامات من دون ان يحلّوا اي مشكلة ، ويؤدي بهم هذا التنازع الى فشل جديد وهكذا.

فالأزمة في العراق اليوم ليست أزمة مالية كما يعلنون لان مدخولات العراق الحالية تناهز (٥٠ مليار دولار) أو أكثر وهي كافية لمثل سكان العراق، ولا أن سببها وجود الاجندات الخارجية ولا غيرها وإن كان لكل منها شيء من التأثير، و انما سبب خراب العراق وانهيار الدولة حتى أصبحت نهباً للعابثين والطامعين والحاقدين هو فشل المتصدين وسوء ادارتهم وتنازعهم فيما بينهم على تحقيق مآربهم الشخصية والفئوية، فغطّوا فشلهم بالتنازع وادّى تنازعهم الى الفشل. ولدى التأمل فان قوله تعالى {فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} يكشف بالعلاقة العكسية ومن بعض الوجوه عن أن المجتمع والبلد الذي يعاني من التنازع وذهاب القوة والمنعة تحكمه قيادات فاشلة لا تستحق منح الثقة بها.

إن من أعظم النعم التي منّ الله تعالى بها على الأمة بالبعثة النبوية الشريفة هو التأليف بين القلوب ونبذ الخلافات والنزاعات قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران : ١٠٣) وقال تعالى (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال : ٦٢ / ٦٣).

فلنستذكر هذه النعمة العظيمة ولنحرص عليها كما أمرنا الله تبارك وتعالى، ولنتعاهد في هذا اليوم المبارك على عدم الوقوع في التنازع والتقاطع والتخاصم قدر الامكان بفضل الله تبارك وتعالى.

الربط العزائي (الكورين):

إن الفشل الحقيقي هو بمعصية الله تعالى، وهذه الحقيقة أكدها الإمام الحسين(عليه السلام) حيث روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (كتب رجل إلى الحسين صلوات الله عليه: عظني بحرفين ؟ فكتب إليه: من حاول أمرا بمعصية الله كان أفوت لما

يرجو وأسرع لمجئ ما يحذر) وكلما كانت المعصية أكبر كان حجم الفشل في الدنيا والآخرة أعظم، وإن اعتقد أنه قد ربح أو انتصر على خصمه فهذا يزيد الطاغية الذي عصى الله وتجبر على عباده واعتقد أنه ربح المعركة و انتصر على الإمام الحسين(عليه السلام) حتى انشد قائلاً لما رأى ركب السبايا والرؤوس على الرماح:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرونِ

نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني

لكنه في الحقيقة فشل وخسر الدنيا والآخرة، لأنه عادى الحق وظلم أهل البيت(عليهم السلام) فقتلهم وأسر نسائهم، تقول الرواية عندما أُخلت السبايا على قصر ابن زياد جلست السيدة زينب(عليها السلام) متنكرة، فسأل عنها، فقيل: هذه زينب ابنت علي. فأقبل عليها وقال: الحمد لله الذي فضحكم و أكذب أحدوثتكم!

فقالت: إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك أمك يابن مراجانة.

قال الراوي: فغضب وكأنه هم أن يضربها. فقال له عمرو بن حريث: أيها الأمير إنها إمرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فان كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- الإمام علي (عليه السلام): (المخاصمة تبدي سفه الرجل ولا تزيد في حقه).
- وعنه (عليه السلام): (من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم).
- وعنه (عليه السلام): (من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم).
- وعنه (عليه السلام): (إياكم والمراء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق).
- الإمام الباقر (عليه السلام): (الخصومة تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك).
- وعنه (عليه السلام): (إياكم والخصومة، فإنها تفسد القلب وتورث النفاق).
- وعنه (عليه السلام): (إياك والخصومات، فإنها تورث الشك، وتحبط العمل، وتردي صاحبها، وعسى أن يتكلم الرجل بالشئ لا يغفر له).
- وعنه (عليه السلام): (إياكم وأصحاب الخصومات والكذابين فإنهم تركوا ما امروا بعلمه، وتكلفوا ما لم يؤمروا بعلمه حتى تكلفوا علم السماء).
- الإمام الصادق (عليه السلام): (إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عزوجل، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب).
- وعنه (عليه السلام): (لا يخاصم إلا من قد ضاق بما في صدره).
- وعنه (عليه السلام): (لا يخاصم إلا رجل ليس له ورع أو رجل شاك).
- وعنه (عليه السلام): (لا يخاصم إلا شاك في دينه أو من لا ورع له).

- الإمام الكاظم (عليه السلام): (مرّ أصحابك أن يكفوا من ألسنتهم، ويدعوا الخصومة في الدين، ويجتهدوا في عبادة الله عزوجل).
- عن غياث بن إبراهيم: (كان أبو عبد الله (عليه السلام) إذا مر بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتى يقول ثلاثاً: اتقوا الله، يرفع بها صوته).

ب) الحِكم:

- (الفشل ليس نهاية المطاف والخطأ ليس ذريعة للتقوقع.. المهم أن لا تسلب ثقتك. أحياناً قد يكون أقرب الناس إلينا هو من يدفعنا إلى طريق الفشل دون أن يقصد ذلك فعلاً.)
- (ينقسم الفاشلون إلى نصفين: هؤلاء الذين يفكرون ولا يعملون، وهؤلاء الذين يعملون ولا يفكرون أبداً.)
- (يمكن لأي شخص التعامل مع النصر.. فقط الأقوياء يمكن أن يتحملو هزيمة).
- (سقوط الإنسان ليس فشلاً، ولكن الفشل أن يبقى حيث سقط).
- (أياك أن تعزز الفشل بالفشل).
- (لم أكن خائفاً يوماً من الفشل، ففي كل مرة يخرج شيء جيد من الفشل. الفشل هو الفرصة الوحيدة التي تتيح لك البدء من جديد على نحو أكثر ذكاء).
- (النجاح.. هو أن تنتقل من فشل إلى فشل بدون أن تفقد حماسك).

ج) القصة:

حُكي إن مكتشف الكهرباء (أديسون) أجرى مئات وربما آلاف التجارب لأجل اختراع نموذج للمصباح الكهربائي قبل أن يصل إلى مراده في نهاية المطاف فسخروا منه ... فإنك أيها الأخ العزيز وإن أتعبت نفسك وخسرت الكثير في أجراء هذه التجارب الفاشلة فقال: (ليس الأمر كذلك فقد استفدت معلومة وهي أن هذه طرق للعمل غير منتجة).

قصة أخرى:

تقول إحدى النساء أنها كانت أماً لطفلين ثم حصلت مشاكل مع زوجها و انفصلت عنه وكانت تشعر بضيق وحزن ومتعبة نفسيا وغاضبة على زوجها لأنه تركها وترك مسؤولية إعالة الأطفال على عاتقها حيث كانت مسؤولة عن دفع إيجار المنزل وفو اتير الكهرباء والماء وغيرها وكانت الديون تتراكم عليها فبسبب كل تلك الضغوط كانت تشعر بالحقد والكره الشديد تجاه زوجها وبسبب الضغوط النفسية اصبح ذلك يؤثر على عملها فكانت ترتكب أخطاء في العمل وتتأخر في إنجاز ما هو مطلوب منها في العمل لأنها محطمة ولا تستطيع العمل بكفاءة عالية لإنجاز الأعمال المطلوب منها في وظيفتها ولكنها عندما قرات كتاب السر بدأت تغير طريقة تفكيرها وبدأت تنظر إلى الجو انب الإيجابية الموجودة في حياتها حيث قالت إن الجانب الإيجابي الذي أستفدته من زواجي هو الحصول على طفلين جميلين وانها سعيدة بهم وبوجودهم بحياتها ولا تتحمل فكره فقدانهم أو عدم وجودهم بحياتها فعندما بدأت تركز على الأمور الإيجابية والنعم الموجودة عندها في حياتها أصبحت اكثر راحة وأصبحت ممتنة لله وشاكرة لله على النعم الذي انعمها عليها وأصبحت مشاعرها إيجابية وبالتالي تركيزها وكفاءتها في عملها اصبح افضل و إنتاجها في العمل اصبح اكثروبالتالي بداء راتبها يزداد وبدأت تستطيع تسديد الفو اتير..

.....

المحاضرة (٣٨) بعنوان: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَان) [التوبة: ١٠٩] تأسيس بناء الإنسان على التقوى.

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

قال تعالى (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة: ١٠٩).

بنيان التقوى ورضوان الله تعالى:

تُبيّن الآية قاعدة أخرى من قواعد السلوك المعنوي والبناء الصالح للإنسان والمجتمع، وقد عُرضت بشكل استفهام لطلب المقارنة والتمييز بين بنيانين، لكنه ليس استفهاماً حقيقياً لاستحالته في حق الله تعالى ولوضوح الجواب، بل هو استفهام استنكاري لتوبيخ الجهلة وأهل الغفلة والمتعصبين والمنافقين الذين لا يميزون بينهما، وهو استفهام تقريري لترسيخ الاسس المتينة للبنيان الصحيح. وجاءت الآية بعد المقارنة السابقة عليها (وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (التوبة ١٠٧-١٠٨). ولا شك أن المسجد الحق الذي تقوم فيه هو الثاني لأن حقيقة المسجدية متوفرة فيه وأهداف المسجد متحققة منه ولأن فيه رجالاً يسعون للتطهّر والكمال وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ بعكس الأول الذي ظاهره المسجدية وشعاره ديني الا أن كل أهدافه هي حرب على الدين وأهله.

وهنا يأتي الاستفهام الاستنكاري والتقريري الذي بدأنا به فأن البنيان المثمر الراسخ الرصين هو ما أُسس على ركيزتين: التقوى ورضوان الله تعالى، فالأساس الاول التقوى المأخوذة من الاتقاء والاجتناب والاحتماء تعني تجنب كل شيء سيء وخبيث سواء على مستوى النيّات أو الأعمال فلا رياء ولا سمعة ولا حب الجاه والدنيا ولا مصادر غير مشروعة للمال وأساليب ماكرة في العمل، والأساس الثاني هو الرضوان الذي يعني اشتراك كل العناصر الإيجابية من نظافة الأيدي وسلامة النيات والصدق في العمل و ابتغاء الخير والإحسان. ويقابله بنيانٌ فاشلٌ في مهب الريح وبالٌ على أصحابه يشبهه القران الكريم بمن بنى على (شفا) أي حافة (جرف) وهي حافة النهر أو البئر التي جرف الماء ما تحتها فهو (هارٍ) أي متصدع مشرف على السقوط والانهيار في أي لحظة لأنها حافة منخورة متآكلة فيسقط في هذا الوادي المرعب العميق. ولا يختلف اثنان في أنّ البنيان الأول هو الثابت الجيد الذي يطلبه العقلاء فعليهم أن يتوجهوا الى مثله، ويتجنبوا الثاني.

مسجد ضرار:

والآيات وإن نزلت في حالة قائمة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وهما مسجد ضرار[٤٠٤] الذي بناه جمع من المنافقين في قضية معروفة للأهداف المذكورة في الآية / ١٠٧ المتقدمة وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله بإحراقه، وفي مقابله مسجد قبا أو مسجد النبي صلى الله عليه وآله الذي أُسس على التقوى الا أنها – كما هو شأن سائر الآيات القرآنية- عامة شاملة لكل بنيان لذا قلنا انها تؤسس لقاعدة عامة من قواعد السلوك، روى في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام في تأويل الآية قوله عليه السلام (وكل عبادة مؤسسة على غير التقوى فهي هباء منثور)[٤٠٥].

---

(٤٠٤) حكى بعض المطّلعين ان موقع مسجد ضرار الى اليوم لا يتقبل الاعمار والبناء ويقول من هناك انه كلما عُمِّرَ احترق وتهدّم والله العالم.

(٤٠٥) نور الثقلين: ٢٦٨/٢.

ركائز النجاح القرآني:

وفي ضوء هذا المعنى الواسع للآية الكريمة تكون النتيجة أن كل حالة أو مؤسسة أو مشروع فردي أو جماعي يراد له أن يكون صالحاً ومثمراً ومتيناً ويدوم عمله لا بد أن يشتمل على ركنين:

١- أن يكون الغرض الذي اسس من أجله والهدف الذي يصبو الى تحقيقه نبيلاً سامياً والنية التي تدفعه اليه حسنة مستندة الى تقوى الله تبارك وتعالى وطلب رضوانه (أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ).

٢- أن يكون القائمون على هذا البنيان والمدبرون لأمره والعاملون فيه مؤمنين مخلصين يحبون الخير والتطهر والكمال ويسعون اليه (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ).

وإلا فان البناء ينهار ولا يحقق شيئاً بل يكون وبالاً على أصحابه في الدنيا والاخرة وإن رفع شعارات وأسماء دينية لخداع الناس وسوقهم لتحقيق المصالح الشخصية فلا يصح أن يكون الانسان مغفلاً وينخدع بالعناوين الفارغة من المحتوى الصحيح.

المنهج الإصلاحي في القرآن الكريم:

وينبغي ملاحظة نقطة مهمة في المسيرة الإصلاحية للشريعة المقدسة وهي أنها تقدّم البديل الصالح حينما تهدم الحالة الفاسدة (لاَ تَقُمْ فِيهِ – اي مسجد ضرار- والبديل أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ -وهو المسجد المؤسس على التقوى) وهو منهج رباني اعتمدته الشريعة منذ أول كلمة نطق بها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله (لا اله الا الله) فهي في الوقت الذي تبطل الآلهة المزيفة المصطنعة تُقيم عبادة التوحيد لله تبارك وتعالى، فلنتعلم اننا حينما نريد هدم حالة معينة فاسدة اجتماعية او ثقافية او عقائدية علينا ان نؤسس ونبني البديل الصالح، فحينما نريد معالجة الفساد الاخلاقي والانحراف الجنسي علينا ان نيسّر امور الزواج ونساعد عليه وهكذا.

بناء مستقبل الشباب:

استحضروا هذا المعنى و أنتم تتلون هذه الآية الشريفة واجعلوها نبراساً وبوصلةً لحياتكم لأنكم بصدد وضع حجر الأساس لعدد من مشاريع البناء:

المشروع الاول: بناء النفس والذات والمستقبل المعنوي والعلاقة مع الله تعالى التي هي أساس الحياة الآخرة الباقية لأن الفتى الذي يبلغ سن الرشد ويلتحق بالبالغين هو في بداية حياة جديدة يُشرّف فيها بالتكاليف الالهية وتنفتح امامه فرص التكامل والقرب الالهي عليه ان يلتفت الى بناء حياته على تقوى من الله ورضوان، ويكون كما أراد الإمام السجاد عليه السلام في دعائه (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاة راحة لي من كل شر) لذلك أعطت الأحاديث الشريفة قيمة كبيرة لمن ينشأ من أول أمره ويؤسس بنيان نفسه على طاعة الله تعالى، عن النبي صلى الله عليه وآله قال (سبعة في ظلّ عرش الله عزوجل يوم لا ظل الا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل...)[٤٠٦] وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله (فضل الشاب العابد الذي تعبّد في صباه على الشيخ الذي تعبّد بعدما كبرت سنُّه كفضل المرسلين على سائر الناس)[٤٠٧] وعنه صلى الله عليه وآله قال (إن أحب الخلائق الى الله عزوجل شاب حدث السن في صورة حسنة جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول: هذا عبدي حقا)[٤٠٨].

المشروع الثاني: إن الطالب الجامعي الذي يُنهي دراسته ويتوجه الى العمل والكسب عليه أن يفهم أنه يبني مستقبله ويحدد بوصلة حياته القادمة فلا بد أن يحدد اختياره لنوع الوظيفة والعمل ويضع برنامج عمله وفق هذه الاسس المتينة للبناء.

---

(٤٠٦) الخصال: ٣٤٣ ح٨.

(٤٠٧) كنز العمال: ٤٣٠٥٩.

(٤٠٨) كنز العمال: ٤٣١٠٣.

المشروع الثالث: إنكم مقبلون على الزواج إن شاء الله تعالى بعد المشروع الثاني والزواج وُصِفَ في بعض الأحاديث الشريفة أنه بنيان، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:(مَا بُنِيَ بِنَاءٌ فِي الإِسْلامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عزّوجلّ مِنَ التَّزْوِيجِ)[٤٠٩] فالذي يريد أن يبني حياة زوجية سعيدة صالحة مثمرة عليه أن يبنيها من أول خطوة عندما يبحث عن الزوجة أن يجعل أساس اختياره التقوى ورضوان الله تعالى في صفات الزوجة ومعدنها وفي نيته من مشروع الزواج، وليس البحث عن الامور الدنيوية الزائلة، وهو ما نطقت به الأحاديث الشريفة، كقوله صلى الله عليه وآله (عليك بذات الدين)، والمرأة يوجه لها نفس الخطاب قال صلى الله عليه وآله: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه)[٤١٠].

المشروع الرابع: ما بعد الزواج وهو إنجاب ذرية طيبة صالحة تكون عاقبتهم الى خير عليه وذلك بأن يؤسس بنيانهم ويلتفت الى تربيتهم من أول أيامهم على الخير وطاعة الله تعالى والأخلاق الفاضلة وتجنب الرذائل فإن بناءه سيكون رصيناً ثابتاً مستقيماً حتى ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله (من تعلم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر)[٤١١] وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال (العلم من الصغر كالنقش على الحجر)[٤١٢] أما إذا لم يكن أساسه كذلك وحصل اعوجاج فيحتاج الى مشقة كبيرة لإصلاحه وقد يتعذر ذلك كما هو واضح.

فليلتفت أحبتنا الشباب وأولياء امور الفتيان والصغار الى هذا المعنى. وهكذا تتوسع الحالة الى الذي يتصدى لقيادة دينية أو سياسية في مساحة صغيرة أو مساحة واسعة ويريد أن يبني مجتمعاً صالحاً فانه لا بد أن يكون أساس بنيانه تقوى الله تعالى وطلب رضوانه، روي في الحديث الشريف (صنفان من امتي ان صلحا صلحت وان فسدا فسدت: العلماء والامراء)[٤١٣].

فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ:

وهنا علاقة تكاملية متبادلة بين البنيان والباني فكما أن حال الباني المعنوي المستند الى التقوى ورضوان الله تعالى مؤثر في صلاح البنيان واستقامته وديمومته، كذلك فإن البنيان الصالح المبارك –كالمشاهد المقدسة- مؤثر في صفاء نفوس رواده وسمو حالتهم المعنوية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ)، كما أن البناء المستند الى الرياء والنفاق وخبث الباطن يؤثر في نفوس وقلوب مرتاديه، فلا بد للإنسان أن يلتفت الى الركن الثاني فيختار صحبة الصالحين ولا يكتفي بالركن الأول، وحينئذٍ يحظى بمحبة الله تبارك وتعالى (وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ).

إحباط المشاريع الهدّامة:

وعلى أي حال فهذه قضية خطيرة أثارها القرآن الكريم لا نستطيع بهذه العجالة بيان كل تفاصيلها، بحيث أن النبي صلى الله عليه وآله يأمر بعض أصحابه أن يحرقوا مسجد الضرار لإحباط هذا المشروع المنافق الخطير الذي يمزّق وحدة المجتمع المسلم مع أنه في ظاهره مشروع ديني، وهذا الكلام له بيان أخر.

دور الأسرة المسلمة في البناء الاجتماعي الصالح:

لكن ما اريد أن اقوله أننا في كل تفاصيل حياتنا في عملية بناء ابتداء من بناء أنفسنا الى اسرتنا الى مؤسساتنا الى مجتمعنا الى البشرية كلها فلا بد من الالتفات الى الاسس الرصينة التي تقوّم هذا البناء وتحسّنه ليؤدي أهدافه بشكل تام. وكما هو واضح فإن في كل الحالات المتقدمة و أنواع البنيان المذكور فان المرأة هي المدير التنفيذي –كما يُقال- لتلك المشاريع وهي

---

(٤٠٩) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، ابواب مقدماته وآدابه، باب ١ ح ٤.

(٤١٠) بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٣٧٢ ح٣.

(٤١١) بحار الانوار: ٢٢٢/١ ح ٦.

(٤١٢) بحار الانوار: ٢٢٤/١ ح ١٣.

(٤١٣) الخصال: ص ٣٦-٣٧ ح ١٢.

المهندس المباشر لتنفيذ مراحل البناء واستقامته و انما سُمّيت اماً لأنها الاصل في هذا الوجود، ولذا ورد عن السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) قولها: (الزم رجلها – أي الام- فان الجنة تحت اقدامها)[٤١٤]. أما الرجل فهو المهندس المصمم لتلك المراحل والمخطّط لها والمقوّم لمسيرتها. وقد كانت السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) أكمل مثال للنجاح في بناء كل هذه المشاريع، فعلى صعيد الذات هي من الخمسة أهل الكساء أكمل الخلق وقد خُلِقَ الوجود لأجلهم: فاطمة و أبوها وبعلُها وبنوها (صلوات الله عليهم أجمعين) وهي محور هؤلاء الخمسة.

وعلى صعيد الاسرة فأسرتها أسعد وأطيب وأطهر اسرة هي وأمير المؤمنين وفي ظل رعاية أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله. وعلى صعيد الذرية فهي أصل الذرية الطيّبة الطاهرة المعصومة ومنها ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى صعيد العطاء المثمر المبارك سمّاها الله تعالى (الكوثر) وجعلها هبة الله تبارك وتعالى لرسول الله صلى الله عليه وآله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) والكوثر تعني الخير الكثير.

هذه الحقيقة القرآنية تكشف عن أهمية نشر فروع الحوزة العلمية في المحافظات المختلفة للرجال والنساء وتكتسب شرفها وأهميتها من وظيفتها في بناء الانسان والمجتمع على أساس التقوى ورضوان الله تعالى من خلال نشر المعارف القرآنية والأحكام الشرعية والأخلاق الفاضلة فابنوا مشروعكم على هذه الاسس الرصينة من أول يوم الى آخره وارفدوه دائماً بالنخبة الصالحة الطيبة من الشباب ليكون لكم صدقة جارية بكل كلمة تدل على هدى أو تردّ عن ضلالة. وأدعوكم الى التنويع في آليات عملكم وعدم التوقف عند طريقة معينة على طول المدة لان من طبيعة الانسان والحياة التغيير والتجديد.

الربط العزائي (الكوريز):

ومن النماذج التاريخية المشرفة لدور التربية الأسرية في نصرة الحق وكيفية بناء أبناء صالحين نذكر عائلة الشهيد مسلم بن عوسجة، حيث تقول الرواية عندما قتل (ابن عوسجة) نادى أصحاب عمر بن سعد . مستبشرين : قد قتلنا مسلم بن عوسجة، فصاحت جارية له وا سيّداه، يابن عوسجتاه. فلما سمع ابنه ذلك دخل عند إمّه وهو يبكي فقالت: ما يبكيك؟ قال: أريد الجهاد، فقامت أمّه وشدّت سيفاً في وسطه وقالت: أبرزيا بني فإنك تجد رمحاً مطروحاً بين أطناب المخيّم. فخرج وأراد حمل الرمح فلم يتمكّن، وجعل يسحبه على الأرض سحباً، فبصر به الحسين فقال: إن هذا الشاب قد قتل أبوه في المعركة وأخاف أمّه تكره برازه فقال الغلام: يا سيدي إنّ أمي ألبستني لامة حربي فبرزَ مرتجزاً:

أميري حسين ونعم الأمير***سرور فؤاد البشير النذير

عليّ وفاطمة والداه***فهل تعلمون له من نظير

له طلعة مثل شمس الضحى***له غرّةٌ مثل بدرٍ منير

فقاتل حتى قتل فاحتزوا رأسه، ورموا بالرأس نحو معسكر الإمام الحسين، فأخذت ا مه رأسه وقالت: أحسنت يا بني يا سرور قلبي يا قرّة عيني، ثم رمت براس ولدها وأخذت عمود الخيمة وحملت عليهم وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة***خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربةٍ عنيفة***دون بني فاطمة الشريفة

فأمر الإمام الحسين(عليه السلام) بصرفها ودعا لها.

شواهد مُعزِزة أخرى:

(٤١٤) موسوعة المصطفى والعترة للشاكري:٣٦٥/٤.

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) - في وصيته لأبي ذر-: (عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله).
- الإمام علي (عليه السلام): (التقى رئيس الأخلاق).
- وعنه (عليه السلام): (عليك بالتقى، فإنه خلق الأنبياء).
- وعنه (عليه السلام): (التقوى أقوى أساس، الصبر أقوى لباس).
- وعنه (عليه السلام): (لايهلك على التقوى سنخ أصل، ولايظمأ عليها زرع قوم).
- وعنه (عليه السلام): (التقوى لاعوض عنه ولا خلف فيه).
- وعنه (عليه السلام): (إن التقوى أفضل كنز، وأحرز حرز، وأعز عز، فيه نجاة كل هارب، ودرك كل طالب، وظفر كل غالب).
- وعنه (عليه السلام): (التقوى غاية لا يهلك من اتبعها، ولايندم من عمل بها، لأن بالتقوى فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون).
- وعنه (عليه السلام): (اتق الله بعض التقى وإن قل، واجعل بينك وبين الله سترا وإن رق).
- وعنه (عليه السلام): (إن من فارق التقوى أغرى باللذات والشهوات، ووقع في تيه السيئات، ولزمه كبير التبعات).
- وعنه (عليه السلام): (التقوى حصن حصين لمن لجأ إليه).
- وعنه (عليه السلام): (التقوى مفتاح الصلاح).
- عنه (عليه السلام): (ما أصلح الدين كالتقوى).
- وعنه (عليه السلام): (من غرس أشجار التقى جنى ثمار الهدى).
- وعنه (عليه السلام): (التقوى ظاهره شرف الدنيا، وباطنه شرف الآخرة).
- وعنه (عليه السلام): (إن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم).
- الإمام الجواد (عليه السلام) - لسعد الخير-: (اوصيك بتقوى الله، فإن فيها السلامة من التلف، والغنيمة في المنقلب).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

ولستُ أرى السعادةَ جمْعَ مال ... ولكنَّ التقي هُوَ السعيدُ
وتَقوَى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخْرًا ..... وعندَ اللهِ للأتقى مَزِيدُ
قد بحثنا عن السعادة لكن ..... ما عثرنا بكوخها المسحور

وقال آخر:

عليكَ بتَقوى اللّه في كل أمرِه ... تجد غبها يوم الحسابِ المطَوَّلِ
ألا إن تقوى اللّه خيرُ مغبةٍ ... و أفضلُ زادِ الظاعنِ المتحملِ
ولا خيرَ في طولَ الحياةِ وعيشِها ... إذا أنتَ منها بالتقى لم ترحلِ

وقال آخر:

موتُ التقيّ حياةٌ لا نفادَ لها قد ... ماتَ قومٌ وهمْ في الناسِ أحياءُ

ج) القصة:

روي عن رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله) انه (كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا فقال (صلى الله عليه وآله): أتعرفون ما هذه الهدّة؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: حجر ألقى من أعلى جهنّم منذ سبعين سنة الان وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدّة، فما فرغ من كلامه (ﷺ) إلَّا والصّراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وآله : اللَّه أكبر فعلم علماء الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذلك المنافق، و أنّه منذ خلقه اللَّه يهوى في جهنّم وبلغ عمره سبعين سنة فلما مات وصل في قعرها) فهذا قضى عمره البالغ سبعين سنة وهو يتسافل في المعاصي والموبقات ويحيط نفسه بنار آثامه ويهوي بها حتى وصل عند الموت إلى قمة الانحطاط والتعاسة.

.....

المحاضرة (٣٩) بعنوان: (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرا) [البقرة : ٢٦٩]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

نحاول فهم معنى الآية الشريفة والاستفادة منها عمليا في حياتنا من خلال توضيح عدة نقاط:

معنى الحكمة:

١- معنى الحكمة وحقيقتها:

الحكمة أخذت من (الحَكَمة) وهو لجام الدابة الذي يمنعها من التقّحم والاضطراب ويضبط حركتها فكذلك الحكمة لجام للنفس الامارة بالسوء والشهوات والنزوات والانفعالات وترشّد افعال الانسان بما يو افق العقل والفطرة.

وأصل الكلمة (حَكَم) بمعنى (مَنَع) ولكن ليس مطلق المنع و إنما ما كان لإصلاح وسمي الحكم حكماً لان الحاكم العادل يمنع الظلم وسمي العلم حكمة لأنه يمنع المتصف به من الجهل، لذا فهي تعني الاتقان والإحكام وإحسان العمل وسميت الآيات محكمات لأنهن متقنات لا تقبل الاختراق.

الحكمة في القرآن واللغة:

فالحكمة - بحسب ظاهر القران الكريم واللغة لا ما شيّده الفلاسفة واضافوا فيه من عندياتهم - ما يضبط تفكير الانسان وإرادته وتوجهاته وسلوكه في الاتجاه الصحيح وتكون له بوصلة حياته، فتبدأ بالعلم النافع والمعرفة الحقة وتنتهي بالعمل بمقتضاهما والأخذ بهداهما ثم اتمامها بالثبات على ذلك، وقد قيل في تعريف الحكمة اقوال عديدة تندرج ضمن هذا الاطار فقيل بأنها (إصابة الحق بالعلم والعقل) وانها (تحقيق العلم و إتقان العمل) أو (ما يمنع من الجهل والاصابة في القول) (وقال ابن دريد كل ما يؤدي الى مكرمة او يمنع من قبيح، وقد يطلق على العلوم الفائضة من جنابه تعالى على

العبد بعد العمل بما يعلم)[٤١٥].

كل ما يوصل الى الأهداف السامية من الخلقة:

وكذلك فسرَّت الروايات الشريفة الحكمة الواردة في الآيات القرآنية بتفاسير عديدة هي عبارة عن مصاديق وآليات لهذا الإطار العام أي كل ماله دخل في الوصول الى الهدف، ففي الكافي والمحاسن للبرقي وتفسير العياشي (عن الامام الصادق عليه السلام في قول الله عزوجل (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرا) فقال :(طاعة الله ومعرفة الامام) وفي الكافي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآية (قال عليه السلام: معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار) وفسرّها الامام الباقر عليه السلام بالمعرفة وروي عن الامام الصادق انه قال (إن الحكمة :المعرفة والتفقه في الدين فمن فقه منكم فهو حكيم)[٤١٦] وفي الحديث النبوي الشريف (القرآن منار الحكمة)[٤١٧].

شرف الحكمة:

٢- شرف الحكمة وفضلها:

وقد اكتسبت الحكمة أهمية كبرى في حياة الساعين الى الكمال والراغبين في رضوان الله عزوجل، لما ورد فيها من الفضل والشرف حيث وصفتها الآية الكريمة بانها خيركثير، وجعل تحصيلها الغرض من بعث النبيين (صلوات الله عليهم أجمعين) قال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) (آل عمران : ٨١) وعن نبينا صلى الله عليه وآله قال تعالى (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) (آل عمران١٦٤) (الجمعة٢) وفي الحديث النبوي الشريف (كلمة الحكمة يسمعها المؤمن خيرمن عبادة سنة)[٤١٨] وفي مواعظ عيسى عليه السلام (إن الحكمة نوركل قلب)[٤١٩] وعن النبي صلى الله عليه وآله قال (كاد الحكيم أن يكون نبياً)[٤٢٠]، وفي كتاب منية المريد للشهيد الاول قدس سره أنه مكتوب في التوراة قول الله تبارك وتعالى (عظّم الحكمة فأني لا أجعل الحكمة في قلب أحد إلا وأردت أن أغفرله فتعلمها ثم أعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة)[٤٢١]، لانها كما وصفها الامام الصادق عليه السلام (الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمرة الصدق، وما انعم الله على عبد من عباده نعمة انعم واعظم وأرفع اجزل وابهى من الحكمة للقلب، قال الله عزوجل (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) (البقرة٢٦٩)، أي لا يعلم ما أودعت وهُيأت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسي وخصصته بها، والحكمة هي النجاة وصفة الحكمة الثبات عند اوائل الاموروالوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله الى الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام (لأن يهدي الله على يديك عبداً من عباد الله خيرلك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها الى مغاربها)[٤٢٢].

---

(٤١٥) بحارالانوار:١/٢١٥.

(٤١٦) نقلها عن مصادرها في البرهان :٢/١٧٤.

(٤١٧) نورالثقلين : ١/٢٨٧.

(٤١٨) ميزان الحكمة :٢/٤٣١.

(٤١٩) ميزان الحكمة :٢/٤٣١.

(٤٢٠) ميزان الحكمة :٢/٤٣١.

(٤٢١) بحارالانوار:١/٢٢٠ ح٥٧.

(٤٢٢) مصباح الشريعة :١٩٨-١٩٩.

ولأهمية طلب الحكمة الموصلة الى الله تعالى التي فسرتها بعض الروايات بالتفقه بالدين لم يجد الأئمة عليهم السلام عذراً لتارك طلبها، روى البرقي في المحاسن عن الامامين الصادقين عليهما السلام (لو اتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدّبته) قال وكان أبو جعفر عليه السلام يقول :تفقّهوا وإلا فأنتم اعراب)[٤٢٣].

ضالة المؤمن:

٣- الحكمة ضالة المؤمن:

ولذا اصبح طلب الحكمة والبحث عنها من صفات المؤمنين بغض النظر عن مصدرها انطلاقاً من كلمة أمير المؤمنين عليه السلام (لا تنظر الى من قال و أنظر الى ما قال)[٤٢٤]، عن أمير المؤمنين قال (الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق) وفي كلمة أخرى (فأطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها). وهذا الطلب للحكمة من اي مصدركان له ما يبرّره، من مواعظ عيسى عليه السلام قال (لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لأستضأتم به ولم يمنعكم منه ريح نتِنه، كذلك ينبغي لكم ان تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها)[٤٢٥]. ووصف الحكمة بانها ضالة المؤمن يحمل عدة معانٍ منها:

أ- ان صاحب الضالّة – وهو الحيوان الشارد التائه – كما لا يستقر له قرار حتى يجد ضالته، كذلك المؤمن عليه ان لا يتوقف عن السعي لطلب الحكمة، حتى يقتنصها من اي مصدركان.

ب- إن الضالة ملك لصاحبها فيأخذها من دون منازع، وعلى كل من يجدها أن يعيدها الى صاحبها وكذلك الحكمة فأن المؤمن أحق بها فلابد من إيصالها اليه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (كلمة الحكمة ضالّة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها).

ت- كما ان الضالة تبقى قلقة مضطربة عند من يلتقطها حتى تعود الى صاحبها وراعيها لأنسها به وبرعايته ورفيقاتها في الحضيرة، كذلك الحكمة لا تستقر عند غير صاحبها فيخرجها ليلتقطها المؤمن الذي هو صاحبها وبهذا المعنى وردت كلمات عديدة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال (خذ الحكمة أنّى كانت، فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلّجلجُ في صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن).

تحروا الحكمة:

فالمطلوب تحري الحكمة والموعظة و اقتناصها من كل شيء حولك وتحويلها الى سلوك عملي (قيل للقمان :ممن تعلمت الحكمة؟ قال من العميان :لأنهم لا يضعون أقدامهم في محل حتى يختبروه) و(قيل للقمان ممن تعلمت الأدب ؟فقال : ممن لا أدب لهم فأجتنبت كل ما استهجنته منهم)[٤٢٦]. وهذا وجه لفهم سبب ورود الفعل في الآية مبنياًُ للمجهول (وَمَن يُؤْتَ) (أُوتِيَ) رغم ان الواهب معروف وهو الله تعالى لكن في ذلك اشارة الى ان الحكمة امر مرغوب ومطلوب بغّض النظر عن مصدرها.

تقسيمات الحكمة:

٤- تقسيمات الحكمة :

---

(٤٢٣) المحاسن :٢٢٨ ،كتاب المصابيح ،باب ١٥ ح١٦١.

(٤٢٤) غرر الحكم : ح ١٠١٨٩.

(٤٢٥) راجع مصادر الكلمات في ميزان الحكمة :٤٣٢/٢.

(٤٢٦) راجع مصادرها في حكم لقمان للريشهري:٨.

وفي ضوء ما تقدم ومن استقراء الآيات الكريمة والروايات الشريفة نتوصل الى ان الحكمة على ثلاثة اقسام[٤٢٧]، وهي في الحقيقة ثلاث مراتب ومراحل ودرجات تفضي الواحدة الى الاخرى بفضل الله تبارك.

أولها: الحكمة العلمية: وهي العلوم والمعارف التي اتى بها الانبياء والمرسلون والائمة (صلوات الله عليهم اجمعين) لتكميل نفوس الناس وتشمل علوم العقائد والاخلاق والشريعة والمواعظ والامثال والسنن الالهية والآيات الكونية ونحو ذلك، وقد تضمّنها القران الكريم لذا وصف بالحكيم ووصفته آياته بقول الله تعالى {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} (الإسراء : ٣٩) وجعل ايصال هذه الحكمة وتعليمها هدف بعثه النبيين، قال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (آل عمران : ١٦٤) ومثلها (الجمعة : ٢)و(البقرة : ١٢٩، ١٥١).

ثانيا: الحكمة العملية : وهي الممارسة العملية المؤدية الى التكامل من خلال الالتزام وتطبيق تلك الحكمة العلمية، وسياتي في روايات كثيرة اطلاق الحكمة على جملة من هذه الممارسات.

ثالثها: الحكمة الحقيقية : وهي حالة الانكشاف والنورانية التي يهبها الله تعالى لمن نجح في المرحلتين السابقتين وهو العلم والفقه الحقيقي المقصود في الآيات والروايات كقوله تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر: ٢٨). ونتيجته حصول المعرفة بحقائق الاشياء هبة من الله تعالى، ففي الآية محل البحث (يؤتي الحكمة من يشاء) وقال في حق لقمان الحكيم {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} (لقمان : ١٢).

كيفية الحصول على الحكمة:

٥- مقدمات الحصول على الحكمة:

الآية صريحة بأن الحكمة فضل من الله يؤتيه من يشاء، وفي الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام (لا حكمة الا بعصمة)، اي من الله تعالى، ومع هذا فان لتحصيل الحكمة مقدّمات ومقومات فينبغي تحقيقها، وموانع تجب ازالتها، أي أن لتحصيلها ركنين اشارت اليها الروايات الشريفة.

أ- ايجاد المقدمات مثل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (رأس الحكمة مخافة الله) وعن امير المؤمنين عليه السلام قال (حفظ الدين ثمرة المعرفة ورأس الحكمة) وعنه عليه السلام قال (رأس الحكمة تجنب الخداع) وعنه عليه السلام (رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق).

ب- ازالة الموانع مثل ما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام قال (اغلب الشهوة تكمل لك الحكمة) وعن الامام الصادق عليه السلام قال (من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه) وفي الحديث القدسي في المعراج (يا احمد ان العبد اذا أجاع بطنه وحفظ لسانه[٤٢٨] علمته الحكمة، وان كان كافرا تكون حكمته حجة عليه ووبالا، وان كان مؤمنا تكون حكمته له نورا وبرهانا وشفاءا ورحمة، فيعلم مالم يكن يعلم ويبصر مالم يكن يبصر، فأوّل ما ابصّره عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره، وابصّره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان)، وعن امير المؤمنين عليه السلام (التخمة تفسد الحكمة، البطنة تحجب الفطنة) وعنه عليه السلام (لا تجتمع الشهوة والحكمة).

وفي كلام منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام (من اخلص لله اربعين صباحا يأكل الحلال صائما نهاره وقائما ليله اجرى الله سبحانه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)[٤٢٩]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: (الغضب ممحقة لقلب الحكيم، ومن لم يملك غضبه

---

(٤٢٧) ذكر العلماء تقسيمات اخرى، وانما ذكرنا ما يرتبط بفكرة البحث.

(٤٢٨) ليس فقط عن المحرمات بل عن فضول الكلام ايضا، روي في عدة مصادر(ان لقمان كان عبداً لداوود (عليه السلام) وهو يسرد الدرع فجعل يُفتله هكذا بيده، فجعل لقمان (عليه السلام) يتعجب ويريد ان يساله، وتمنعه حكمته ان يساله، فلما فرغ منها صبّها على نفسه وقال: نعم درع الحرب هذه، فقال لقمان : الصمت من الحكمة وقليل فاعله، كنت اردت ان اسالك فسكت حتى كفيتني) الدر المنثور٦/٥١٣ ومصادر اخرى ذكرها في الهامش مفردات الراغب :٤٥٠).

(٤٢٩) حكم لقمان للريشهري : ٢٦ عن مسند زيد بن علي : ٣٨٤.

لم يملك عقله)[٤٣٠]. وعن الإمام الكاظم عليه السلام: (إن الزرع ينبُتُ في السَّهل ولا ينبُتُ في الصَّفا، فكذلك الحكمة تعمرُ في قلب المتواضع، ولا تعمرُ في قلب المتكبّر الجبّار؛ لأن الله جعل التواضع آلة العقل)[٤٣١]. وعن النبي عيسى عليه السلام: (إنه ليس على كل حال يصلح العسلُ في الزِّقاق[٤٣٢]، وكذلك القلوب ليس على كل حال تعمر الحكمة فيها، إن الزِّقَّ ما لم ينخرِق أو يَقحَل- اي ييبس – أويَتْفَلْ – اي تكون فيه رائحة نتنة - فسوف يكون للعسل وعاء، وكذلك القلوب ما لم تخرِقها الشهوات ويدّنسها الطمع ويقسِها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة)[٤٣٣].

وعن الإمام الهادي عليه السلام: (الحكمة لا تنجعَ في الطباع الفاسدة)[٤٣٤].

وعن الإمام علي عليه السلام: (غير منتفع بالحكمة عقل معلول بالغضب والشهوة)[٤٣٥]. وعنه عليه السلام: (غير منتفع بالعِظات قلب متعلِّق بالشهوات)[٤٣٦].

آثار الحكمة:

٦- من اثار الحكمة على السلوك :

وقد نبّهت الروايات الى عدد من السلوكيات التي تعتبر من آثار وجود مرتبة من مراتب الحكمة لدى الانسان، اي ان الحكمة لابد ان تظهر لها آثار على صاحبها، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لابد له من معاشرته، حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا)، وعن امير المؤمنين عليه السلام قال (ليس الحكيم من لم يدارِ من لا يجدُ بداً من مداراته) وعنه عليه السلام قال (ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضّي بثناء الجاهل عليه) وعنه عليه السلام: (الحكماء اشرف الناس انفساً، واكثرهم صبرا، واسرعهم عفوا واوسعهم اخلاقاً).

لقمان الحكيم:

٧- لقمان ينال الحكمة:

قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} [لقمان : ١٢] فهو ممن وصل مرتبة الحكمة الحقيقية، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله (حقا اقول: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين، احبَّ الله فاحبَّهُ ومنّ عليه بالحكمة)[٤٣٧]. ومن كلماته الحكمية التي رواها الائمة المعصومون عليهم السلام وهو يوصي ابنه (يا بني ان الدنيا بحر عميق قد هلك فيه عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الايمان، واجعل شراعها التوكل، واجعل زادك فيها تقوى الله، فان نجوت فبرحمة الله ، وان هلكت فبذنوبك). يا بني: خفِ الله خوفا لو اتيت القيامة ببرّ الثقلين خفت ان يعذبَّك، وارجُ الله رجاءاً لو وافيتَ القيامة بأثم الثقلين رجوت ان يغفرك لك).

(واعلم انَّك ستسأل غداً اذا وقفت بين يدي الله عزوجل عن أربعة: شبابك فيما ابليته، وعمرك فيما افنيته، ومالك فيما اكتسبته وفيما انفقته، فتأهب لذلك واعدَّ له جوابا، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرك وجدَّ في امرك). ومثل هذه الكلمات لا يكفي ان نقراها او نسمعها ونمَّر عليها بل لابد من الاحتفاظ بها ومراجعتها باستمرار وتكفلت كتب بجمع هذه الحكم كموسوعة (ميزان الحكمة).

---

(٤٣٠) البحار: ٧٨ / ٢٥٥ / ١٢٩ وص ٣١٢ / ١ و١٤ /٣٠٧ / ١٧ و٧٨ / ٣٧٠.

(٤٣١) البحار: ٧٨ / ٢٥٥ / ١٢٩ وص ٣١٢ / ١ و١٤ /٣٠٧ / ١٧ و٧٨ / ٣٧٠.

(٤٣٢) الزِّق وعاء من الجلد كالقربة يُتخذ لحفظ ونقل المائعات كالعسل والدبس ونحو ذلك.

(٤٣٣) البحار: ٧٨ / ٢٥٥ / ١٢٩ وص ٣١٢ / ١ و١٤ /٣٠٧ / ١٧ و٧٨ / ٣٧٠.

(٤٣٤) البحار: ٧٨ / ٢٥٥ / ١٢٩ وص ٣١٢ / ١ و١٤ /٣٠٧ / ١٧ و٧٨ / ٣٧٠

(٤٣٥) غرر الحكم: ٦٣٩٧، ٦٤٠٦، ٧٢٠٥، ٨٧٠٦، ٦٩٩١.

(٤٣٦) غرر الحكم: ٦٣٩٧، ٦٤٠٦، ٧٢٠٥، ٨٧٠٦، ٦٩٩١.

(٤٣٧) هذه الاحاديث من حكمة لقمان في ميزان الحكمة ٤٤١/٢.

التأسي بلقمان الحكيم:

٨- هل يمكن أن تكون مثل لقمان الحكيم:

والجواب : نعم، لان ايتاء الحكمة فضل من الله تعالى مفتوح ومعروض لكل من يستحقه ولذا حثّت الآية الكريمة على ان نكون من اهلها، وذلك اذا سرت على المنهاج المؤدي لتحصيلها كالذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله آنفاً عن لقمان الحكيم علماً وعملاً وقد ورد في روايات توصيف عدد من اصحاب اهل البيت عليهم السلام انهم مثل لقمان الحكيم فقد روي عن الامام علي عليه السلام في وصف سلمان الفارسي (من لكم بمثل لقمان الحكيم، وذلك امرؤ منّا اهل البيت، ادرك العلم الاول وادرك العلم الاخر، وقرأ الكتاب الاول وقراء الكتاب الاخير بحر لا ينزف)[٤٣٨]. بل عن الامام الصادق عليه السلام (سلمان خير من لقمان)[٤٣٩] وورد مثل ذلك في ابي حمزة الثمالي ويونس بن عبد الرحمن فقد روى الفضل بن شاذان قال : سمعت الثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول : (ابو حمزة الثمالي في زمانه كلقمان في زمانه، وذلك انه خدم اربعة منا: علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر عليهم السلام، ويونس بن عبد الرحمن كذلك هو سلمان زمانه)[٤٤٠].

هذه هي الحكمة التي فيها خير كثير، فاطلبوها طول عمركم ودوّنوا ما ترزقون منها في دفتر خاص لتستفيدوا منها دائما وتراجعوها وتتعظوا بها وتتخذوها برنامجا لحياتكم.

التحلي بالحكمة لا بالعبادة فقط:

٩- الحكمة أساس لتقييم الاشخاص:

صحيح ان التدين اساس تقييم الاشخاص فيُعطى قيمة اكبر كلما كان التزامه بأحكام الشريعة ادّق واكثر إلا ان الدين لا يقتصر على العبادات المعروفة، فاذا اردنا التعامل مع شخص كمصاحبته و مصادقته او تزويجه ومصاهرته، فانه لا يكفي ان يكون ملتزماً بالواجبات الدينية المعروفة كالصلاة والصوم وتجنب الكبائر كشرب الخمر والزنا وان كان في هذا خير كثير، و انما نبحث ايضا عن حكمته وتعقلّه لان الحكمة عُبر عنها في الكثير من الاحاديث بالعقل، وذلك يعني ان نختبر حسن تصرفه ومعاشرته وتعامله و انه يضع الامور في مواضعها ويتحلى بالحكمة والاخلاق الفاضلة، وقد وردت في ذلك احاديث شريفة، منها ما اشتهر عن اهل البيت عليهم السلام روايتهم لحديث جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله) (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجّوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير)[٤٤١]. فلم يكتفِ الحديث بان يكون دينه مرضيا بل ان تكون له حكمة في تصرفاته.

الربط العزائي (الكورين):

لاحظوا حكمة الشهيد (مسلم بن عقيل) في التصرف مع اوضاع الكوفة المضطربة، وحكمته بالتصرف في محاولة اغتيال ابن مرجانه.. تقول الرواية لما خرج ابن مرجانة من بيت هانيء ولم يقتله، سأله شريك بن الأعور عن سبب عدم قتله لابن مرجانه فقال(عليه السلام): خصلتان، أما أحدهما فكراهية هانئ أن يقتل في داره، وأما الاخرى فحديث حدثنيه الناس، عن النبي صلى الله عليه وآله: أن الايمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن، فقال له هانئ: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقا فاجراً كافراً.

---

(٤٣٨) بحار الانوار: ١٠/ ١٢٣ح٢.

(٤٣٩) بحار الانوار: ٢٢/ ٣٣١ح٤٢.

(٤٤٠) رجال الكشي: ٣٠٢ ترجمة يونس بن عبد الرحمن.

(٤٤١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح: ابواب مقدماته وادابه / باب ٢٨.

فمسلم بن عقيل صاحب حكمة ومباديء وقد قتل دون مبادئه ...تقول الرواية بعدما أسر ابن زياد مسلماً(عليه السلام) جعل يشتمه ويشتم علياً والحسن و الحسين عليهم الصلاة والسلام فقال له مسلم أنت و أبوك أحق بالشتيمة فاقض ما أنت قاض يا عدو الله فأمر ابن زياد بكر بن حمران أن يصعد به إلى أعلى القصر فيقتله فصعد به و هو يسبح الله تعالى و يستغفره و يصلي على النبي صلى الله عليه وآله فضرب عنقه ورماه من أعلى القصر.

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة).
- الإمام علي (عليه السلام): (الحكم رياض النبلاء، العلوم نزهة الادباء).
- وعنه (عليه السلام): (الحكمة روضة العقلاء، ونزهة النبلاء).
- وعنه (عليه السلام): (الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر على اللسان).
- وعنه (عليه السلام): (من عرف الحِكم لم يصبر على الازدياد منها).
- وعنه (عليه السلام): (لو ألقيت الحكمة على الجبال لقلقلتها).
- وعنه (عليه السلام): (من خزائن الغيب تظهر الحكمة).
- وعنه (عليه السلام): (من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة).
- وعنه (عليه السلام): (الحكيم يشفي السائل، ويجود بالفضائل).
- وعنه (عليه السلام): (أعيى ما يكون الحكيم إذا خاطب سفيها).
- وعنه (عليه السلام): (إن كلام الحكيم إذا كان صوابا كان دواء، وإذا كان خطاء كان داء).
- عن لقمان الحكيم(عليه السلام) - من وصيته لابنه -: (يا بني تعلم الحكمة تشرف، فإن الحكمة تدل على الدين، وتشرف العبد على الحر، وترفع المسكين على الغني، وتقدم الصغير على الكبير).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

لا يدرك الحكمة من عمره ... يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلم إلا فتى ... خال من الأفكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذي ... سارت به الركبان بالفضل
بُلي بفقر وعيال لما ... فرق بين التبن والبقل

وقال آخر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع
وكيف تريد أن تدعى حكيماً ... و أنت لكل ماتهوى تبوع

وقال آخر يُبين صفات الحكيم:

دع الأيام تفعل ما تشاء ..... وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي ..... فما لحوادث الدنيا بقاء

وكن رجلا على الأهوال جلدا ..... وشيمتك السماحة والوفاء
وإن كثرت عيوبك في البرايا ..... وسرك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب ..... يغطيه كما قيل السخاء
ولا ترللأعادي قط ذلا ..... فإن شماتة الأعدا بلاء
ولا ترج السماحة من بخيل ..... فما في النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأني ..... وليس يزيد في الرزق العناء
ولا حزن يدوم ولا سرور..... ولا بؤس عليك ولا رخاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع ..... فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا ..... فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن ..... إذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين ..... فما يغني عن الموت الدواء

ج) القصة:

كان مالك الاشتر (رضوان الله عليه) قائداً ميدانياً لجيوش أمير المؤمنين (عليه السلام) ولكنه كان متواضعاً لا يتميز عن بقية الناس بلباسه أو موكب الحماية والمرافقين وغيرها من المظاهر الدنيوية، ومرّ به أحد الناس في شوارع الكوفة واستخفّ به وآذاه، ولم يردَّ عليه الأشتر، فقال له بعض الناس الذين عرفوه: ويلك هذا مالك الأشتر صاحب أمير المؤمنين(عليه السلام) وسيفعل بك ما يفعل، وصُعِق الرجل المعتدي لهذه الصدمة وراح يسأل عن مالك حتى يعتذر إليه، فقيل أنه دخل مسجد الكوفة فذهب إليه ووقع على يديه وقدميه يقبّلها معتذراً فنهاه مالك عن هذا الفعل وقال له: اعلم انني ما دخلت المجسد الا لكي أصلي ركعتين واستغفر الله تعالى لك. هكذا كان شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه في التواضع للناس والعفو والصفح عمّن أساء إليهم، وعدم الانجرار وراء الغضب والانفعالات النفسية.

قصة أخرى:

ينقل عن ثلاثة من كبار علماء الشيعة وهم السيد إسماعيل الصدر والسيد حسن الصدر والمحدث النوري، أنهم زاروا أحد العلماء في الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك، ففسر لهم آية بتفسير وجدوه واضح الانطباق على الآية واستغربوا من عدم التفاتهم إليه، ثم زاره في الليلة الثانية ففسر لهم نفس الآية بتفسير آخر بنفس الوضوح واستغربوا أيضا من عدم التفاتهم، وهكذا إلى نهاية الشهر, فهذه معارف وعلوم القرآن الكريم وهذا لطف الله تبارك وتعالى بعباده المخلصين في إراءتهم هذه المعاني في اللوح المحفوظ.

.....

المحاضرة (٤٠) **بعنوان**: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً) [التحريم : ٦]

صلّى الله عليكَ يا رسول الله، وعلى آلك المظلومين، صلّى الله عليكَ يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، يا ليتنا كنّا معكم سيّدي فنفوز فوزاً عظيماً...

متن المحاضرة:

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ] (التحريم:٦).

درس في الأسرة الصالحة:

الآية الشريفة تتضمن درساً في المسؤولية الأسرية والاجتماعية انطلاقاً من الحديث الشريف (ألا كُلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٤٤٢]. وتبرز أهمية هذه المسؤولية اليوم بشكل واضح لامتلاك الفساد والضلال والانحراف وسائل وتقنيات وأدوات متطورة وفاعلة ومثيرة وجاذبة مما يوجب أكثر من ذي قبل الاهتمام بهذا الأمر الإلهي العظيم ووضع الآليات المناسبة للالتزام به.

في معنى مفردات الآية:

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] خطاب عام موجّه لجميع المؤمنين والمؤمنات. [قُوا] فعل أمر من الوقاية، و(الوقاية حفظ الشيء عما يؤذيه ويضرّه، قال تعالى: [فَوَقَاهُم اللهُ] (الإنسان:١١) وقال تعالى: [وَوَقَاهُم عَذَابَ الجَحِيمِ] (الدخان:٥٦)، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي (الحلال بيّن والحرام بيّن ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه))[٤٤٣]. [أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ] وجوب وقاية النفس وحفظها من النار ثابت وواضح، والجديد في الآية أنها تقرن الأهل بالنفس في حفظهم من ارتكاب ما يوجب النار التي وصفتها الآية الشريفة بأوصاف مرعبة.

الوجوب المؤكد بوقاية الأسرة:

وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه العناية الخاصة بالأهل في آيات كثيرة، كقوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم صلى الله عليه وآله: [وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا] (طه:١٣٢) وكان من أوائل ما نزل عليه صلى الله عليه وآله في بداية الدعوة الإسلامية: [وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ] (الشعراء:٢١٤) وحكى عن إسماعيل صادق الوعد بقوله تعالى: [وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ] (مريم:٥٥). فهناك إذن مسؤولية خاصة عن الأهل جمعها قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ] (التحريم:٦).

ويشهد لهذا الوجوب المؤكد نصوص شريفة أخرى، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: (علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم)[٤٤٤] كما يشهد له ورود تطبيقات لهذه المسؤولية الخاصة كتأديب الصبيان على الصلاة من عمر ست أو سبع سنين[٤٤٥]، أو ما

---

(٤٤٢) الأمثل في تفسير القرآن: ٢٩/١٤ عن مجموعة ورام: ٦/١.

(٤٤٣) المفردات للراغب: ٨٨١، مادة (وقى).

(٤٤٤) كنز العمال:٥٣٩/٢، ح ٤٦٧٦.

(٤٤٥) وسائل الشيعة: ١٨/٤، أبواب أعداد الفرائض، باب ٣.

ورد في أعمال ليلة القدر أن السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كانت لا تدع أهلها ينامون في تلك الليلة وتعالجهم بقلة الطعام وتتأهب لها من النهار أي كانت تأمرهم بالنوم نهاراً لئلا يغلب عليهم النعاس ليلاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوقظ أهله في تلك الليلة ويرشّ وجوه النيام بالماء[٤٤٦].

حدود المسؤولية في الأسرة:

ولا تعني هذه الدعوة التي أطلقتها الآية لوقاية الأهل من النار إكراههم على شيء، فقد شرحت حدود هذه المسؤولية روايات عديدة رواها الشيخ الكليني في الكافي[٤٤٧]:

(منها) عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: [قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً]، قلتُ: كيف أقيهم؟ قال: تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهى الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك).

(ومنها) عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لما نزلت هذه الآية: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً] جلس رجلٌ من المسلمين يبكي، وقال: أنا عجزت عن نفسي وكُلّفت أهلي! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك).

المطلوب من وعظ الأسرة:

فالمطلوب بمقتضى هذه الآية أن يحفظ الإنسان أهله من الوقوع في المعاصي وما يسخط الله تعالى بأن يرشدهم إلى الطاعة ويقرّبهم منها ويزيّنها لهم ويقنعهم بها ويكافئهم على فعلها، وبنفس الوقت يحذّرهم من المعصية ويردعهم عنها ويحميهم من الوقوع فيها.

وقد ذكر العلماء (قدس الله أرواحهم) في رسائلهم العملية أمثلة لهذه المسؤولية فقالوا: (يجب عليه إذا رأى من أهله التهاون في الواجبات، كالصلاة وأجزائها وشرائطها بأن لا يأتون بها على وجهها لعدم صحة القراءة والأذكار الواجبة منهم، أو أنهم لا يتوضأون وضوءاً صحيحاً، أو لا يطهرون أبدانهم ولباسهم من النجاسة على الوجه الصحيح، فيجب عليه تعليمهم وأمرهم ونهيهم على الترتيب المتقدم حتى يأتوا بها على وجهها الصحيح. وكذا الحال في بقية الواجبات، وكذلك في المعاملات وسائر الأحكام. وكذا إذا رأى منهم التهاون في المحرمات كالغيبة والنميمة والعدوان بين بعضهم على بعض أو على غيرهم أو الزنا أو شرب الخمر أو السرقة، فإنه يجب عليه أن ينهاهم عن المنكر، حتى يرتدعوا عن المعصية)[٤٤٨].

مناشئ المسؤولية تجاه الأسرة:

ويمكن أن نفهم لهذه المسؤولية المؤكدة عدة ملاكات ومناشئ:-

١- إن هذا التأكيد وقرن الأهل بالنفس في الخير والشر يلاحظ أمراً فطرياً ونزعة لدى الإنسان فإنه يعتبر أهله كنفسه يصيبه ما يصيبهم، من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام قال: (ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي)[٤٤٩]. وقد حكى القرآن الكريم عن جملة من الأنبياء عليهم السلام هذه الغريزة الإنسانية، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي] (البقرة:١٢٤) وقال عن النبي نوح عليه السلام: [وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ] (هود:٤٥) وقال تعالى عن النبي لوط عليه السلام: [رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ] (الشعراء:١٦٩). ومن الأدعية

---

(٤٤٦) مفاتيح الجنان عن دعائم الإسلام.

(٤٤٧) الكافي:٥/٦٢، ح١، ٢.

(٤٤٨) منهج الصالحين: ٢/٢٤٠، المسألة (٨٨٨)، منهاج الصالحين للسيد الحكيم: ١/٤٩٠، مسألة (٨)، وللسيد الخوئي: ١/٣٥٣، مسألة (١٢٧٤).

(٤٤٩) نهج البلاغة: ٦١٦، قسم الرسائل والكتب، العدد ٣١.

التي وردت في القرآن الكريم [رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي] (الأحقاف:١٥) والخلاصة أن الأمر بوقاية الأهل ينبّه الإنسان على أنك إن أردت الخير لأهلك وأن يلتحقوا بك في الجنة فعلّمهم ما يتقون.

٢- إن للشخص سلطنة وقيمومة وولاية عرفية واجتماعية وشرعية خاصة على أهله وذويه مما تعطيه قوة في التأثير ومن غير المتوقع وجود موانع من ممارسة الفريضة كالتي يمكن أن تحصل مع الغير مثل حصول الضرر أو اختلال النظام ونحو ذلك، فتكون مسؤوليته أكبر لأن وجود المقتضي أقوى والمانع يكاد يكون مفقوداً.

٣- إن الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع فإذا صلحت هذه الأسرة وتلك.. وتلك صلح المجتمع، فصلاح المجتمع – الذي هو الهدف- يتحقق بقيام كل فرد بإصلاح أسرته، فكأن الشارع المقدس بتأكيده على إصلاح الأسرة يضع لنا المنهج والطريق لإصلاح المجتمع.

٤- إن الفرد مسؤول اجتماعياً عن أسرته فإذا صدر منهم ما يزين كان له، وإذا صدر منهم ما يشين كان عليه؛ لذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً شيعته: (كونوا زيناً لنا ولا تكونوا علينا شيناً)[٤٥٠] لأنهم محسوبون على الإمام (عليه السلام) يتسمون باسمه، فإصلاح الفرد لأسرته إنما هو عمل يقدّمه لنفسه لأن الثناء يعود إليه فيما لو صلحوا وأحسنوا، كما أن الولد المنحرف يعيَّر به ويعتذر عن إساءته. وقد ورد مثل هذا الوجه في تعليل اشتراط إذن ولي الأمر في الدخول بالباكر (في زواج المتعة) لأن عارها يرجع على أهلها قال عليه السلام: (يكره للعيب على أهلها) وقال عليه السلام: (كراهية العيب على أهلها)[٤٥١].

٥- إن عدم صلاح الأهل يضعف موقف الفرد عند قيامه بواجبه في ممارسة الأمر والنهي في المجتمع؛ لأنهم سيردّون عليه بأنه ليبدأ أولاً بإصلاح أهله، مما يجعله في حرج من ممارسة هذه الفريضة العظيمة.

٦- إن الأسرة وحدة مصغرة من المجتمع وفيها تنوع نفسي وفكري وثقافي فتصلح أن تكون معسكراً تدريبياً –كما يقال- لأداء الوظيفة في المجتمع فيستفيد العامل من كيفية التعاطي مع الأهل مع تنوعهم في التعاطي مع المجتمع وهو أحد وجوه فهم الحديث النبوي الشريف (خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهله) وكذلك حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربّه).

الأسرة الصالحة تبدأ باختيار الزوجة الصالحة:

وما أكثر مصاديق هذا الوجوب المؤكد اليوم كتوفير البيئة الصالحة لهم في البيت بدءاً من اختيار الزوجة المؤمنة العفيفة المتفقهة، وأن يكون لهم أسوة حسنة لأن رب الأسرة يكون المثل الأعلى لهم، وأن يجنبهم أصدقاء السوء، وأن يعلمهم ويرشدهم إلى كل ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، وأن لا يهمل أمر متابعتهم وتفقد شؤونهم بعذر الانشغال بالكسب أو أي أمر آخر، وأن ينبههم إلى أوقات الصلاة برفع الأذان في البيت –وقد ورد فيه عن الإمام الرضا عليه السلام: أنه مما يوجب كثرة الولد والشفاء من الأمراض[٤٥٢]- ويصلي بهم جماعة إن استطاع، وأن يختار لهم أحمد السبل وأرشدها في دراستهم وكسبهم وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك.

وهذه المسؤولية ممتدة طول الزمان لأن الإنسان لا يخلو من المسؤولية عن الاهل فهو إما أن يكون ابناً أو أباً أو زوجاً أو أخاً، وكذلك بالنسبة للمرأة، أما مسؤوليته عن أسرته الخاصة فلا بد من الالتفات إليها ورعايتها من قبل الزواج باختيار المرأة الصالحة المؤهلة لحفظ بيته وماله وتربية أولاده.

---

(٤٥٠) من لا يحضره الفقيه: ٣٨٣/١، ح ١١٢٨ وفيه: (يا زيد خالفوا الناس بأخلاقهم، صلّوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تكونوا الأئمّة والمؤذنين فافعلوا فإنّكم إذا فعلتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية فعل بجعفر ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه).

(٤٥١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، أبواب المتعة، باب ١١.

(٤٥٢) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ١١، ح١٠.

الربط العزائي (الكوربن):

ومن الشواهد التأريخية المشرقة التي تُبين أثر الأسرة على تربية الأبناء أسرة وهب بن عبد الله الكلبي تقول الرواية لما برز وهب وكان نصر انياً ومعه أمه وزوجته فأسلموا على يد الإمام الحسين(عليه السلام) في أثناء الطريق ورافقوه إلى كربلاء، فأقبلت أمه وقالت: يا بني قُم وانصُر ابن بنت رسول الله. فقال: أفعل يا أماه ولا أقصّر، فبرز وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي سوف تروني وترون ضربي

وسطوتي وجولتي في الحرب

فقتل جماعة منهم، ثمّ رجع إلى أمّه وقال: يا أماه ارضيِ عنّي؟ فقالت: ما رضيتُ حتى تقتل بين يدي الحسين، فقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني في نفسك، فقالت أمه: أعزب عنها ولا تقبل قولها، وارجع وقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله تنل شفاعة جدّه يوم القيامة. فرجع فلم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً وعشرين راجلاً، ثم قطعت أصابع يده، وأخذت امرأته عموداً و أقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله، فاقبل كي يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود أو أموت معك، فقال لها: كنت تنهيني عن القتال والآن تحرّضينني؟ قالت: يا وهب لقد عفتُ الحياة منذ سمعت نداء الحسين ينادي وا غربتاه وا قلّة ناصراه، أما من ذابّ يذبّ عنّا؟ أما من مجير يجيرنا؟

ثم استعان وهب بالإمام الحسين(عليه السلام) وقال سيدي ردّها، فقال الإمام(عليه السلام): جزيتم من أهل بيت خيراً، إرجعي إلى النساء يرحمك الله، فانصرفت، وقتل وهب ورموا برأسه إلى عسكر الحسين، فأخذت أمّه الرأس فقبّلته وجعلت تمسح الدم من وجهه وهي تقول: الحمد لله الذي بيّض وجهي بشهادتك. يا ولدي. بين يدي أبي عبد الله الحسين. ثم رمت بالرأس وأخذت عمود الخيمة فقال لها الحسين: ارجعي يا أم وهب أنت و ابنك مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله). فذهبت امرأته تمسح الدم والتراب عن وجهه وهي تقول: هنيئاً لك الجنّة. فبصر بها شمرٌ فأمر غلامه فضربها بعمود فقتلها، هي أول امرأة قتلت في عسكر الإمام الحسين(عليه السلام).

شواهد مُعزِزة أخرى:

أ) الروايات الشريفة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أحبوا الصبيان وارحموهم).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من قبل ولده كتب الله عزوجل له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضئ من نورهما وجوه أهل الجنة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (الولد الصالح ريحانة من الله قسمها بين عباده).
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (من سعادة الرجل الولد الصالح).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) - لما خرج على عثمان ابن مظعون ومعه صبي له صغير يلثمه -: (ابنك هذا ؟ قال: نعم، قال: أتحبه يا عثمان؟ قال: إي والله يا رسول الله إني احبه قال: أفلا أزيدك له حباً؟ قال: بلى فداك أبي وامي قال: إنه من يرضي صبيا له صغيرا من نسله حتى يرضى ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى).
- الإمام علي (عليه السلام): (الولد الصالح أجمل الذكرين).
- الإمام الصادق (عليه السلام): قال موسى بن عمران (عليه السلام): (يا رب أي الأعمال أفضل عندك ؟ فقال: حب الأطفال، فإن فطرتهم على توحيدي، فإن أمتهم ادخلهم برحمتي جنتي).

- وعنه (عليه السلام): (إن الله عزوجل ليرحم العبد لشدة حبه لولده).
- وعنه (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ميراث الله عزوجل من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده، تم تلا أبو عبد الله (عليه السلام) آية زكريا: (هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب...).

ب) الشعر:

قال الشاعر:

حرّض بنيك على الآداب في الصغر كيما تقرَّبهم عيناك في الكبر
و إنما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها وَلاَ يُخافُ عليها حَادِثُ الغِيَرِ
النَّاسُ إثنان ذُو عِلْمٍ وَمُسْتَمِعٍ وَاعٍ وَسَائِرُهُمْ كاللَّغْوِ والعَكَرِ

وقال آخر:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام، ويبقى الإثم والعار
تبقى عو اقب سوء من مغبتها، ... لا خير في لذة من بعدها النار

ج) القصة:

من مواعظ السلف الصالح: لقد كان السلف الصالح مهتمين بتهذيب سلوك المجتمع من خلال إلقاء المواعظ والدروس الأخلاقية، وكان لبعضهم منابر معروفة في الصحن الحيدري الشريف كالشيخ حسين قلي الهمداني والشيخ جعفر الشوشتري (قدس الله روحيهما) ويحضر عندهم العلماء المجتهدون والفضلاء وعامة الناس، ولا زال أبناء النجف يروون بعض تلك المواعظ والدروس، و أنا اروي بعضها عن أبي عن جدي عن أبيه الشيخ يعقوب الذي كان من خرّيجي هذه المدرسة الأخلاقية (رحمهم الله جميعاً). ومما يروى من مواعظه أنه قال يوماً لحضّار المجلس: لقد أخبرني ثقة لا يكذب أن لصّاً دخل بينكم يريد أن يسرق الأشياء الثمينة منكم فأخذ الحضور غاية الحيطة والحذر وتفقد كل منهم جيوبه، وبعد برهة قال لهم: ألا تصحون من غفلتكم؟! أتحذرون كل هذا الحذر من أجل دراهم بخسة ولا تحذرون من الشيطان الذي يريد أن يسرق منكم دينكم وآخرتكم ويريد أن يضلكم ويغويكم وقد أخبركم بذلك الله تبارك وتعالى أصدق القائلين وتو اتر عليه مئة وأربعة وعشرون ألف نبي إضافة إلى الأئمة والعلماء والصالحين!

د) نصيحة من سماحة المرجع اليعقوبي في الجانب التربوي:

حبّبوا إلى أولادكم مطالعة الكتب... نتحدث عن عنصر آخر مؤثر في التربية الصالحة هي مطالعة الكتب المفيدة.. ولا نتوقع من الأحبّة الصبيان وهم في هذا العمر أن يكون لهم ولع بقراءة الكتب العلمية في أي حقل من حقول المعرفة و إنما تكون البداية مع الكتيبات والكراريس ذات الطابع القصصي التي تذكر فيها القصة لا لأجل التسلية والمتعة المجردة وقضاء الوقت كقصص المغامرات، و إنما لإيصال فكرة مفيدة أو الإقناع بالتحلي بخصلة كريمة، أو التنفير من سلوك مشين، أو تعلّم أمر نافع في الدين والدنيا، حتى إذا حصل الأنس بالكتاب والتمتع به وتوفرت لدى الصبي المؤهلات والرغبة الكافية أمكن الانتقال إلى تدريسهم كتباً مبسطة في الفقه والعقائد والأخلاق وسيرة أهل البيت (عليهم السلام). و إنما جعلت البداية من القصص لأنها محببة للنفوس وجالبة للانتباه وتبقى راسخة في الذهن بكل تفاصيلها، وتحفظ معها محل الشاهد الذي نقلت من أجله، وكشاهد على الانجذاب للقصة، لاحظ المستمعين إلى خطيب فإنهم حالما يبدأ بالاستشهاد

بقصة ينشدّون إليه ويستجمعون قواهم الذهنية أكثر مما لو كان الحديث في مطالب أخرى.. إن كتب التاريخ والسيرة تضم عدداً هائلاً من القصص والحكايات والروايات التي تؤدي الغرض المذكور، ولا نستطيع أن نكلف الفتيان بأخذها من مصادرها، ومن هنا تكون وظيفة ومسؤولية الفضلاء والمثقفين الوصول إليها في مصادرها و انتقاء ما يناسب ثقافة الصبي وفهمه وتقديمها له كغذاء جاهز مع إلفات نظره إلى ما يستخلصه من الدروس والعبر.